

إرشاد المريد لبيان

ما نهي عنه في العقيدة والتوحيد مع حل إشكالات ومتشابهات وبيان الفهم الصحيح لبعض الأحاديث والآيات

فواز بن علي بن عباس السليماني



إرشَادُ المُريد لبيانِ مَا نُهِيَ عنْه في العقيدَةِ والتوحيد

مع
حلِّ إشكالاتٍ ومتشابهاتٍ
وبيانُ الفهْمِ الصحيح
لبعض الأحاديث والآيات

تأليفُ
أبي محمَّد
فوَّاز بن علي بن عبَّاس بن ناصر
السُّليماني
حفظه الله تعالى





الطبعة الأولى

ربيع ثاني/١٤٤٣هـ



المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله، وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] أي: ليُوحِّدون(١).

ويقول الله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾** [الأنبياء: ٢٥] أي: يُوحدون.

وقال رسول الله ﷺ: «**حقُّ الله على العباد، أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا**»، رواه مسلم برقم (٤٩)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وأصله في «الصحيحين».

وقال رسول الله ﷺ: «**من مات لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يُشرك بالله شيئًا دخل النار**»، رواه مسلم برقم (١٥١)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

والآيات والأحاديث الدالة على أهميَّة توحيد الله وحسن الاعتقاد به، وتطهير القلوب ـ بتنزيهها عن كل شريكٍ لله، وسوء اعتقادٍ به جل وعلا ـ وبذل نفائس الأعمار؛ لتعلُّمه وتعليمه، والدعوة إليه وصون جَنابه كثيرة جدًا ـ يمرُّ بك جملة مباركة منها، في أبوابٍ وفصولٍ وتفريعاتِ هذا المختصر المبارك إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: كل ما ورد في القرآن من العبادة، فمعناها التوحيد.اهـ من «تفسير البغوي» (١/ ٧١).



كيف لا: وصلاح القلوب بهما، فيه أمان وقوام الدين والدنيا والآخرة. وقد كان:

الحامل لي على الكتابة في هذا ما يلي:

* إسهامًا في هذا الباب لِعظَمه، وخَطر المسَّاسِ به.

* عدم وجود مبحثٍ شاملٍ ومستقلٍ، في ما نُهي عنه في العقيدة والتوحيد(١).

* إبرازُ أبوابٍ وفصولٍ وتفريعات واستطرادات، متعلِّقة بموضوعَيْ التوحيد والعقيدة ـ كانت إمَّا مجملة أو مُغمرة في بطون كتب التوحيد والعقيدة ـ.

* مناقشة بعض الأدلة، وتصحيح ما قد يُتوهم فيها غير الصواب، مما لم يُسبق إلى جمعها ـ حسب علمي القاصر ـ في غير هذا الكتاب، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

وقبل البَدئ ببحث مادة هذا الكتاب، كنتُ قد استشرتُ بعض مشائخي الإجلاء؛ فأشاروا عليَّ: بجمع كلِّ ما في هذا الباب، مما نُهي عنه في العقيدة والتوحيد، مع ذكر ما تيسَّر من الأدلة الصريحة، والاقتصار منها على الصحيحة، فكان الذي رأيتَ، وذلك كله بمحض فضل الله وكرمه.

وقد بلغ عدد ما أودعتُ في هذا الكتاب، أكثر من أربعمائة بابٍ، وفصلٍ وفرعٍ وحلِّ إشكالٍ واستطرادٍ، وتصحيح فهمٍ للصَّواب، علمًا بأن رسوم بعض الأبواب، مشتملة على أكثر من نهيين مستفادين بالإشارة أو الخطاب، فالله حسبي، وهو المستعان، وإليه المآب.

---

(١) **وأحسن ما رأيتُ**: ما كتبه الشيخ سليم الهلالي ضمن كتابه: «معجم المنهيات»، وقد تتبعتُ ما ذَكر فلم يتجاوز الأربعين. وكذا: ما قام به قسم التحقيق بدار طباعة مؤلفات الشيخ العثيمين رحمه الله، من جمعٍ للمادة من سائر كتبه، وأسموه: بـ«الدُّرر البهية في بيان المناهي الشرعية»، فلم يتجاوز الثلاثين، والله المستعان، وهو أعلم.

وإليك عملي في هذا الكتاب:

* ـ ذكرتُ في كل فصلٍ وباب من أدلة السنة والكتاب ما يحصل به المقصود في الاستشهاد.

* ـ قد أكتفي في بعض الفصول والأبواب، بذكر آية أو حديث، وذلك لقلَّةِ أدلتها أو صراحة دلالتها، علمًا بأن إشارة أحدهما، فضلا عن منطوقهما كافٍ في المراد.

* ـ بعض الفصول أو الأبواب أدلتها تربوا على مائة استشهاد، فأكتفي بذكر شيءٍ من صريحها، وأشير إلى بعضها.

* ـ بعض الفصول أو الأبواب أدلتها غير صريحة، فأُوضِّح الدلالة منها والمراد.

* أدخلتُ بعض ما له تعلُّق بموضوع هذا المختصر عمومًا أو خصوصًا، مما يمرُّ بك ـ إن شاء الله تعالى ـ في أبواب وفصول واستطرادات الكتاب.

* لخَّصتُ بعض كلام أهل العلم لطوله، من غير زيادةٍ ولا إخلال، إلاَّ ما كان من تخريجٍ لحديث، أو عزوٍ لمصدر، أو إيضاحٍ لإشكال، مما جعلته بين شرطتين (ـ ـ).

* رتَّبتُ أبواب هذا المختصر على ذكر الأهم فالأهم، وربما أعقبتُ الباب بما يُناسبه من الفصول والأبوب، وقدمته على ما هو أهم منه للمناسبة، والله أعلم بالصواب.

* ـ لم استشهد إلا بما يُحتج به ـ إمَّا صحيحًا لذاته أو لغيره، أوجيدًا، أو حسنًا لذاته أو لغيره، أو ضعَّفَهُ جمع، وحسنه آخرون، وله شواهد تُقوي الاستدلال به في الباب.

طريقة الحكم على الأحاديث المستدلّ بها في هذا الكتاب:

* ما كان من الأحاديث في «الصحيحين»، فإني أكتفي بعزوه إليهما بأرقامها.

* وما كان منها خارج «الصحيحين»، فخوفًا من زيادة حجم الكتاب؛ لكثرتها وطول تخريجها، والحكم عليها ـ فقد اختصرتُ الحكم على الحديث، بما صدَّرتُه في الحاشية،

وأعقبتُ ذلك بالعزو، إلى أشمل المصادر الجامعة، لطُرق الحديث وشـواهده، والحكـم عـلى إسناده، إلَّا ما فيه خلافٌ شديد، فقد أذكر نص كلام أهل الحديث فيه.

وقـد اعتمـدتُ تصـحيح أربـاب الحـديث، كالشـافعي، وابـن معـين، وابـن المـديني والبخاري، وأحمد، والترمذي، والدراقطني، والحاكم، والبيهقي، وابن خزيمة، وابن حبان، والنووي، وابن تيمية، والذهبي، وابن القيم، وابن كثير ،وابن رجـب، وابـن دقيـق العيـد، وابن عبد الهادي، وابن الملقن، والزيلعي، وابن حجر، والهيثمـي، والعراقـي، والسـيوطي، والصنعاني، والشوكاني، وصديق حسـن خـان، والمعلمـي، وابـن بـاز، والألبـاني وشـيخنا الوادعي ـ رحمهم الله علماء الإسلام جميعًا قديمًا وحديثًا ـ.

فما اتفق على تصحيحه جمعٌ من المتقدمين، كالنووي، وابن حجر، والهثمي وغـيرُهم، أو الألباني والوادعي(١) ـ من المعاصرين ـ؛ فإني أكتفي بتصحيحهم مـن غـير مضـضٍ، وبكـل سلامة صدر.

وما صححه حافظ أو حافظان ـ ممن سبق ذكرهم ـ وخالفه غيرُه أو غيرهما، فـإني أنظـر في رجال إسناده، ثم أذكُرُ ما ترجَّح لي، بذكر كلام أحد الأئمة الأعلام.

كما استفدتُ كثيرًا ممن رزقهم اللهُ طول باع في هذا الباب ـ يظهر ذلك في حكمهـم عـلى الأحاديث، بسبر طُرقها، وتحقيق القول الصواب فيها، مع استفادتهم ممن سبقهم، وهم كُثـر ـ ذروتهم الشيخ المحقق شعيب الأرناؤوط(٢)، والحويني، والأعظمي، وسليم أسد، وعبـد المعطي قلعجي، وغيرُهم ممن خدموا كتبًا مشهورة منشورة.

---

(١) في جُلِّ كُتبهما وخطبهما، ومحاضراتهما؛ لتحرِّيهما الصحة في ذلك كله، واشتهاره عنهما.

(٢) في تخريجاته وتحقيقاته عامَّة، وفي «المسند» خاصَّة، والله أعلم.

كما استفدتُ كثيرًا من تخريجات وتحقيقات تلامذة العلَّامَتَيْ الألباني والوادعي ـ رحمهما الله تعالى ـ وكذا ثلةٌ مباركة ـ جليلة النفع والمقدار في رسائلهم ومباحثهم الجامعية ـ من أساتذة الجامعات ودكاترتها وغيرها، وقد سمَّيت جملة مباركة منهم، وعزوت إلى بعضهم عقب الحكم على الأحاديث.

ثم إنَّ كل من سبق ذكرهم وأمثالهم، ودونهم في النفع، ينبغي شُكرهم، ويُعرف لهم فضلهم، ويُستفاد من أحكامهم، ويعتنى بخلاصة حكمهم، والعزو إلى مباحثهم المباركة، وبالأخص ما اشترك فيها لجنة أو مؤسسة ونحوهما؛ فإن يدُ الله مع الجماعة.

وقد حملني على الاستفادة ممن سبق ذكرهم أمور:

الأمر الأول: سَير سلفنا الصالح رحمهم الله، ومن بعدهم إلى يومنا هذا، ومن ذلك: **قول الشافعي لأحمد**: إذا صح الحديث فأعلمنا به.اهـ

وقول الترمذي: سألت عنه محمد بن إسماعيل البخاري.اهـ وهلمَّ جر.

الأمر الثاني: تجربتي(١) في بذل الساعات، بل لربَّما يومًا كاملا، في الحكم على حديث واحد، وبعد سبر الطرق، والنظر في كلام العلماء، على رجال الإسناد، تلخَّص لي ما تلخَّص لبعضهم، فبدلًا من ذَهابِ شيءٍ من الوقت، وبالأخص عند وجود من قد كفاك المُؤنة، من أهل الاختصاص، ولكثرة الشُّغَل ـ بكتاباتٍ وتدريسٍ ونحوهما ـ اخترتُ لنفسي سُلوك ما

(١) وذلك فيما قد كتبتُه قبل: كـ«تتمة الإنعام على فضل الإسلام»، و«الجواهر الكبرى في ما تحتويه التقوى»، وغيرهما وكنتُ ـ والله ـ لربَّما أبحث الحديث أو الأثر الساعات، ثم أخلص إلى ما قاله العلامة الألباني رحمه الله أو غيرُه، فأذكر حكم الألباني أو غيره، استغناءً عما قد بذلتُ فيه الساعات، ولأنهم أهل الاختصاص.



سبق في تصحيح الأحاديث، ورأيتُ أن ذلك أفضل من الاعتداء على التحقيقات، والاستفادة منها من غير عزوٍ إليها.

الأمر الثالث: عُزوفُ كثيرٍ من طلبة العلم فضلا عن غيرهم، عن قراءة التخاريج.

وقد صار من غرائب العصر المستحسنة: تصدير التخريجات بالحكم على الحديث، اختصارا للقارئ، وفي الغالب قد لا يكون حظ القارئ الكريم، من التحقيقات والتعليقات سوى تلك التلخيصات.

تنبيهان:

الأول: ويتعلّق بأصل هذا الكتاب:

اختصرتُ هذا المبحث ـ بمشورة من يَعزُّ عليَّ مثله مخالفته ـ من كتابي: «الشامل في العقيدة والتوحيد»، الذي أرجو من الله تعالى، أن أكون قد أودعته جَلَّ موضوعَيْ العقيدة والتوحيد، بتعريفاته، ومناقشة مسائله، وحلّ إشكالاته، كل ذلك بعون الله وتوفيقه، وهو حسبي ونعم الوكيل، كما أسأله الإخلاص في القول والعمل، وأن ينفع بي وبكتابتيَ الإسلام والمسلمين.

الثاني: ويتعلّق ببعض أبواب هذا الكتاب:

رسمتُ الأبواب والفصول والفروع والاستطرادات بقولي:

تحريم... أو النهي... أو كراهية ... أو الأمر ... أو وجوب ...، وكلها في بابها سوى قولي الأمر بكذا ... أو وجوب كذا... وعند المحاققة يُعلم علمًا يقينا: بأن ما يجب فعله، أو جاء الأمر به، أن تاركه واقع في محذور ـ محرم أو منهي عنه ـ فعُلم وجه إدراج بعض الأبواب، في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب.

كلمة شكر:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. وقال رسول الله ﷺ: «**لا يشكرُ اللهَ من لا يشكر الناس**»، رواه أبو داود وغيرُه، بسندٍ صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، فَشَكر الله مشائخي الإجلاء ـ مشائخ أهل السنة والجماعة ـ على ما بذلوه معي من تعليمٍ ونصحٍ وتوجيه ـ ثبَّتنا الله وإياهم على السنة والإسلام، حتى المات ـ وفي مقدمتهم شيخنا ووالدنا المحدِّث ـ محي السنة وقامع البدعة، من له فضلٌ بعد الله على اليمن خاصة، وعلى العالم عامة ـ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله رحمة واسعة في قبره، ويوم يُبعث حيًا.

كما أشكر والدَيَّ على ما قاما به، من حسن الرعاية والاهتمام، وكذا كل من كان سببًا في طلبي للعلم، أو الاستمرار فيه ـ ثبتنا الله وإياهم جميعًا على الإسلام والسنة حتى المات ـ.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه:

أبو محمَّد فوَّاز بن علي بن عباس بن ناصر

السليماني الوصابي حفظه الله ورعاه

بدار الحديث ـ بدماج ـ صعدة اليمن ـ (١/ صفر/ ١٤٢٦هـ).

وتم فصل هذا المختصر من أصله (الشامل في العقيدة)

في (١٣/ رجب المحرم/ ١٤٣٦هـ).

بدار الحديث ـ بمعبر ـ حرسها الله والقائمين عليها

من كل سوء ومكروه.



تحريم إنكار وجود الله تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة

قد ظهرت فرقة مارقة من الإسلام وأهله، تُنكر وجود الله تبارك وتعالى، والإيمان به؛ لعدم رؤيتهم له، فلا يُؤمنون إلا بمحسوسٍ أو ملموسٍ أو مرئيٍ ـ هداهم الله ـ.

علمًا: بأن أدلة وجود الله تبارك وتعالى، ثابتة متواترة متكاثرة، في الكتاب والسنة والإجماع، والفطرة والعقل، والحس، وفصحاء العرب، والموجودات وسائر المخلوقات:

أمَّا دلالة الكتاب والسنة على وجود الله تبارك وتعالى:

فقال الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾** [الإسراء: ١٠١ـ ١٠٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٣٨): وأشهر من عُرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقنًا في الباطن، كما قال له موسى: **﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾** [الإسراء: ١٠٢].اهـ

وقال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾** [الأعراف: ١٧٢ـ ١٧٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٥٠٠): يُخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾** [الروم: ٣٠].اهـ

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من مولود إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تَنْتِج البهيمةُ بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ الآية، رواه البخاري برقم (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

وقال عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذات يوم في خطبته ـ: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلِّمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا: كل مالٍ نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزِّل به سلطانًا**»، رواه مسلم برقم (٢٨٦٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٤٥): أخبر أنه خلقهم حنفاء، وذلك يتضمن معرفة الرب ومحبته وتوحيده، فهذه الثلاثة تضمنتها الحنيفية، وهي معنى قول: (لا إله إلا الله)، فإن في هذه الكلمة الطيبة، التي هي كـ﴿**شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾ [إبراهيم: ٢٤]، فيها إثبات معرفته والإقرار به، وفيها إثبات محبته، فإن الإله هو المألوه الذي يستحق أن يكون مألوهًا، وهذا أعظم ما يكون من المحبة، وفيها أنه لا إله إلا هو، ففيها المعرفة والمحبة والتوحيد، وكل مولود يولد على الفطرة وهي الحنيفية التي خلقهم عليها، ولكن أبواه يُفسدان ذلك، فيهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه، كذلك يُجَهِّمَانه، فيجعلانه منكرًا لما في قلبه من معرفة الرب ومحبته وتوحيده، ثم المعرفة يطلبها بالدليل، والمحبة ينكرها بالكلية.اهـ

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ**



وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [إبراهيم: ٩ ـ ١٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٤٨٢): يُخبر تعالى عمَّا دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة، وذلك أن أممهم لَمَّا واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له، قالت الرسل: **﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ﴾، وهذا يحتمل شيئين:**

أحدهما: أفي وجوده شك، فإن الفِطَر شاهدةٌ بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يَعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه **﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**، الذي خلقها وابتدعها، على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

والمعنى الثاني: في قولهم: **﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ﴾** أي: أفي إلهيته وتفرُّده بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحق العبادة إلا هو، وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تَعْبُد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى.اهـ

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: أتى النبيَ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أناسٌ من بني تميم فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**». قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إِذْ لم يقبلها بنو تميم**». قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر؟ قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**»، رواه البخاري برقم (٣١٩١).

وأمّا دلالة الإجماع على وجود الله تبارك وتعالى:

فقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في «رسالة إلى أهل الثغر» (ص١٢١): **الإجماع الثالث**: أجمعوا أنه تعالى لم يزل موجودًا، حيًا قادرًا عالمًا مريدًا متكلمًا سميعًا بصيرًا، على ما وصف به نفسه، وتسمَّى به في كتابه، وأخبرهم به رسوله، ودلت عليه أفعاله، وأنَّ وصفه بذلك لا يُوجب شَبَهَهُ لمن وُصِف من خلقه بذلك، من قبل الشيئين لا يُشبَّهان بغيرهما، ولا باتفاق أسمائهما، وإنما يُشبَّهان بأنفسهما، فلما كانت نفس الباري تعالى غير مُشْبِهة لشيء من العالم بما ذكرناه آنفا، لم يكن وصفه بأنه حيٌ وقادرٌ وعالمٌ يُوجب تشبُّهه لمن وصفناه بذلك منا، وإنما يُوجب اتفاقهما في ذلك اتفاقًا في حقيقة الحي والقادر والعالم، وليس اتفاقهما في حقيقة ذلك يُوجب تشابهًا بينهما، ألا ترى أنَّ وصف الباري عزوجل بأنه موجود، ووصف الإنسان بذلك لا يُوجب تشابهًا بينهما، وإن كانا قد اتفقا في حقيقة الموجود، ولو وجب تشابههما بذلك لوجب تشابه السواد والبياض بكونهما موجودين، فلمَّا لم يجب بذلك بينهما تشابه، وإن كانا قد اتفقا في حقيقة الموجود لم يجب أن يُوصف الباري عزوجل بأنه حيٌ عالم قادر ووصف الإنسان بذلك تشابههما، وإن اتفقا في حقيقة ذلك، وإن كان الله عز وجل لم يزل مستحقًا لذلك والإنسان مستحقًا لذلك عند خلق الله ذلك له، وخلق هذه الصفات فيه.اهـ

وقال الشهرستاني رحمه الله في «نهاية الإقدام» (ص١٢٣) ما ملخصه: وأما تعطيل العالم عن الصانع العليم القادر الحكيم، فلست أراها مقالة ولا عَرَفتُ عليها صاحب مقالة، إلا ما نُقل عن شرذمة قليلة من الدهرية، أنهم قالوا كان العالم في الأزل أجزاء مبثوثة، متحرِّك غير مستقر، فاصطكت اتفاقًا، فحصل العالم بشكله الذي تراه عليه، ولستُ أرى صاحب هذه المقالة ممن يُنكر وجود الصانع بل هو يعترف بالصانع لكنه يُحيلُ سبب وجود العالم على البَخت والاتفاق، احترازا عن التعليل.اهـ



وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «نقض التأسيس» (ص٤٧٣) ـ وهو في صدد تفنيد شبههم ـ: ليس هذا قول أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، ولا قاله أحد من الأنبياء والمرسلين، ولا هو قول كل المتكلمين ولا غالبهم، بل هذا قول محدث في الإسلام، ابتدعه متكلمو المعتزلة ونحوهم من المتكلمين، الذين اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمهم، وقد نازعهم في ذلك طوائف من المتكلمين، من المرجئة والشيعة وغيرهم، وقالوا بل الإقرار بالصانع فِطْري ضروري بديهي، لا يجب أن يتوقف على النظر والاستدلال، بل قد يقولون يمتنع أن يحصل بالقياس والنظر، وهذا قول جماهير الفقهاء والصوفية، وأهل الحديث والعامة وغيرهم، بل قد اتفق سلف الأمة وأئمتها: على أن معرفة الله والإقرار به لا تقف على هذه الطُّرق التي يذكرها أهل طريقة النظر.اهـ

وقال الإمام السفَّاريني رحمه الله في «الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية» (ص٣٨):

حَيٌّ عليمٌ قَادر مَوْجُود ... قَامَت بِهِ الْأَشْيَاء والوجود

دلّت على وجوده الْحَوَادِث ... سُبْحَانَهُ فَهُوَ الْحَكِيم الْوَارِث.

وأمَّا دلالة الفطرة على وجود الله تبارك وتعالى:

فقد سبق ذكر حديثَي أبي هريرة، وعياض ابن حمار رضي الله عنهما، في دلالة الكتاب والسنة.

وقال جبير بن مطعم رضي الله عنه: قرأ رسول الله ﷺ سورة الطور، فبلغ هذه الآيات: **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾** [الطور: ٣٥ ـ ٣٦]، وكان جبير يومئذ مشركًا قال: كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي، رواه البخاري برقم (٤٨٥٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٦٠٣): قال الخطابي كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها، ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه، وذلك

من قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ قيل معناه: ليسوا أشد خلقا من خلق السماوات والأرض؛ لأنهما خُلقتا من غير شيء أي: هل خُلقوا باطلا لا يُؤمرون ولا ينهون.

وقيل المعنى: أم خُلقوا من غير خالق، وذلك لا يجوز، فلا بد لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق فهم الخالقون لأنفسهم، وذلك في الفساد والبطلان أشد؛ لأن ما لا وجود له كيف يَخلق، وإذا بَطَلَ الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقًا، ثم قال: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: إن جاز لهم أن يدَّعوا خلق أنفسهم فليدَّعوا خلق السماوات والأرض، وذلك لا يمكنهم، فقامت الحجة، ثم قال: ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾، فذكر العلة التي عاقتهم عن الإيمان، وهو عدم اليقين الذي هو موهبة من الله، ولا يحصل إلا بتوفيقه، فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير، ومال إلى الإسلام. انتهى.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٤٠): إذا كانت معرفته والإقرار به ثابتًا في كل فطرة، فكيف يُنكر ذلك كثير من النظار ـ نظار المسلمين وغيرهم ـ وهم يدَّعون أنهم الذين يُقيِّمون الأدلة العقلية على المطالب الإلهية؟ فيقال أولا: أول من عُرف في الإسلام بإنكار هذه المعرفة، هم أهل الكلام، الذي اتفق السلف على ذمه من الجهمية والقدرية، وهم عند سلف الأمة من أضل الطوائف وأجهلهم، ولكن انتشر كثير من أصولهم في المتأخرين، الذين يوافقون السلف على كثير مما خالفهم فيه سلفهم الجهمية، فصار بعض الناس يظن أن هذا قَولٌ صَدَرَ في الأصل عن علماء المسلمين، وليس كذلك إنما صَدَرَ أولًا عمن ذمه أئمة الدين وعلماء المسلمين.اهـ

وقال رحمه الله في «منهاج السنة» (٢/ ٢٧٠): أما إثبات الصانع فطرُقه لا تُحصى، بل الذي عليه جمهور العلماء أن الإقرار بالصانع فطري ضروري مغروز في الجِبِلَّة، ولهذا كانت دعوة عامة الرسل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكان عامة الأمة مقرين بالصانع، مع إشراكهم به بعبادة ما دونه، والذين أظهروا إنكار الصانع، كفرعون خاطبتهم الرسل



خطاب من يعرف أنه حق، كقول موسى لفرعون: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ**﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ولما قال فرعون: ﴿**وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء: ٢٣]، قال له موسى: ﴿**قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٤ - ٢٨].

ولما قال فرعون: ﴿**فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ [طه: ٤٩ ـ ٥٠]، فكان جواب موسى له جوابا للمتجاهل الذي يُظْهِر أنه لا يعرف الحق، وهو معروف عنده.اهـ

وأمَّا دلالة العقل السليم على وجود الله تبارك وتعالى:

فقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح ثلاثة الأصول» (ص٨٠): **وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى**: فلأن هذه المخلوقات: سابقها ولاحقها، لابد لها من خالق أوجدها، إذ لا يُمكن أن تُوجد نفسَها بنفسِها؛ ولا يُمكن أن تُوجد صُدفة، لا يُمكن أن تُوجد نفسَها بنفسِها؛ لأن الشيء لا يَخلقُ نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقـًا؟!.

ولا يُمكن أن تُوجَد صدفة؛ لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنعُ منعـًا باتـًّا أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظمـًا حال بقائه وتطوره؟!.

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة؛ تعيَّن أن يكون لها موجد هو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي، والبرهان القطعي، حيث قال: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾ [الطور:٣٥] يعني: أنهم لم يُخْلَقُوا من غير خالق، ولا هم الذين

خلقُوا أنفسهـم، فتعين أن يكـون خالقـهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقرأ سورة الطور، فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦]، وكان جبير يومئذ مشركًا قال: كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي، رواه البخاري برقم (٤٨٥٤).

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك: فإنه لو حدَّثك شخص عن قصرٍ مشيَّد، أحاطتْ به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومُلئ بالفرش والأسِرَّة، وزُيِّن بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إنَّ هذا القصر وما فيه من كمال قد أوْجد نفسه، أو وُجِد هكذا صدفة بدون مُوجد ؛ لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثهُ سفهـًا من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع: بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجَدَ نفسه، أو وُجد صدفة بدون موجد؟!.اهـ

وأمَّا دلالة الحس على وجود الله تبارك وتعالى:

فقال العلامة العثيمين رحمه الله ـ عقب كلامه السابق ـ: **وأما دلالة الحس على وجود الله فمن وجهين:**

أحدهما: أننا نسمعُ ونشاهدُ من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدلُ دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله سبحانه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].



وفي «الصحيحين(١)»، عن أنس رضي الله عنه، أن أعرابيًّا دخل يوم الجمعة، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطبُ، فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاعَ العيال، فادع الله لنا؛ فرفع يديه ودعا؛ فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يتحادر على لحيته، وفي الجمعة الثانية، قام ذلك الأعرابي، أو غيره فقال: يا رسول الله، تهدَّم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا ؛ فرفع يديه، وقال: **«اللهم حوَاليْنا ولا عَلَيْنَا»**، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت.

وما زالت إجابة الداعيـن أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا؛ لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى، وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أنَّ آيات الأنبياء التي تسمَّى المعجزات ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى؛ تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم:

مثال ذلك: **آية موسى** عليه السلام: حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه؛ فانفلَق اثني عشر طريقـًا يابسـًا، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ [الشعراء: ٦٣].

ومثال ثانٍ: **آية عيسى** عليه السلام: حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى عنه: ﴿**وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ**﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقـال: ﴿**وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي**﴾ [المائدة: ١١٠].

ومثالٌ ثالث: **لمحمد** صلى الله عليه وعلى آله وسلم: حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر، فانفلق فرقتين، فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا**

(١) البخاري برقم (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).

﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ـ ٢]، فهذه الآيات المحسوسة التي يُجريها الله تعالى؛ تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم، تدلُّ دلالة قطعية على وجوده تعالى.اهـ

وأمَّا دلالة إقرار فصحاء العرب على وجود الله تبارك وتعالى:

فقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ * كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩]، ومثلها الكثير.

والآيات واضحة الدلالة، بيِّنة المعنى، والله المستعان.

وأمَّا دلالة المعقولات والمرئيات والمسموعات وسائر الموجودات على وجود الله تبارك وتعالى:

فقال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ * وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: ٩ – ١٥].



وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ * أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١ - ١١].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ـ ٢٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ١٩٧): وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل به كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع، فقال: وَهْيَ دالة على ذلك بطريق الأولى، فإن من تأمل هذه الموجودات السُّفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها، وَوَضْعِها في مواضع النفع بها محكمة، عَلِم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه:

كما قال بعض الأعراب، وقد سُئل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعرة لتدلُّ على البعير، وإن أثر الأقدام لتدُل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟.

وحكى فخر الدين عن الإمام مالك: أن الرشيد سأله عن ذلك، فاستدل باختلاف اللغات والأصوات والنغمات.

وعن أبي حنيفة: أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فإني مُفكِّر في أمر قد أُخبِرت عنه، ذَكروا لي أن سفينة في البحر موقَرة، فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد، فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة، ليس لها صانع!! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي: أنه سُئل عن وجود الصانع، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود، فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبعير والأنعام فتلقيه بعرًا وروثا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد بن حنبل: أنه سُئل عن ذلك، فقال: هاهنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

وسُئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليكُ
عيونٍ من لجينٍ شاخصات ... بأحداقٍ هي الذهبُ السبيكُ
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريكُ.

وقال ابن المعتز رحمه الله:



فيـــا عجبـــا كيـــف يعـــصى الإلـــهُ أم كيـــــف يجحـــــده الجاحـــــد

وفي كـــــــل شيء لـــــــه آيـــــــة تـــــدل عـــــلى أنـــــه واحـــــد.

وقال آخرون: من تأمَّل هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار المنيرة، من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة، ولها في أنفسها سير يخصها، ونظر إلى البحار الملتفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض؛ لتقِّر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال: ﴿**وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٧ـ ٢٨]، وكذلك هذه الأنهار السارحة من قُطر إلى قطر، لمنافع العباد، وما زرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنبات المختلف الطعوم والأراييح والأشكال، والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء، عَلِمَ وجود الصانع وقُدرته العظيمة، وحكمته ورحمته بخلقه، ولطفه بهم وإحسانه إليهم وبره بهم، لا إله غيره ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًا.اهـ

وفي الختام: يقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾ [الشورى: ١٦].

فأدلة وجود الله تبارك وتعالى، في الدَّارين ـ الدُّنيَوي والأُخروي ـ لا يسوغ إنكارها، ولا يجوز بأي حال جهلها؛ لتظافر دلالاتها، وتواترها في الكُتب السماوية، وأقوال أنبياء الله ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إلى البرية، وبها أقرَّت كل أمة، وأجمع عليها سائر المخلوقات، من الإنس والجن والحيوانات، فبوجوده تبارك وتعالى فُطروا وعاشوا، وإليه عائدون وملاقوا، لا غنى لهم عن وجوده تبارك وتعالى طرفة عين.

فمن قال بغير هذا: لزمه إنكار كل موجود، وعدَّ نفسه مفقود، وقد برِئ من خلق الله أجمع، كيف لا؟ وهو بإنكاره لوجود الباري تبارك وتعالى!، قد أنكر أدلة خلقه الخلق وأرزاقهم، ومقاديرهم وإحيائهم ومماتهم، وإحياء الأرض والنباتات، وتصريف الأحوال والكائنات، وتسيير الكون وما فيه من المجرات، وما لا حصر لها من المخلوقات، الدالة حالا ومآلا بما أُوتيت من اللغات والهيئات على خالقها وبارئها، خالق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، ﴿**مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٦].

تتمة: في منشئ قول: اللهُ واجب الوجود:

ذكر الدكتور عطاء الله المعايضة ـ وفقه الله ـ في كتابه: «جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة والرد على الفرق» (ص٢٣) ـ ما ملخصه ـ: ذكر بعضهم أن مقولة وجود الله وإثبات الصانع أو إثبات واجب الوجود، مقولة واصطلاحات مبتدَعة، مستوردة من أعداء الإسلام؛ لِيُلبِّسوا على المسلمين دينهم، وأنه لم يكن يُعلم عن خير هذه الأمة مثل هذا، وأن بعض دول الإسلام الشرقية تعرَّضت لمثل هذه الشبهه، من قِبَلِ الفُرْس والصابئة بمناصرة اليهود والنصارى وغيرهم، ممن كانوا يطوفون البلاد الإسلامية؛ لزرع الشُّبَهِ والشُّكُوكِ، والله المستعان.

واستُدلَّ على ذلك بأدلة كثيرة منها: مناضرة (السُّمَنِيَّة ـ الهنود)، الذين جادلوا الجهم بن صفوان في الإله المعبود، فعجز الجهمُ ولم يدر ما يجيب به، وتوقف عن الصلاة أربعين يومًا، حتى تبين له ما يبعده بزعمه، ثم أحدثت هذه المجادلة الانحراف الكبير في عقلية الجهم، مما حدا به إلى نفي الصفات وفتح باب كبير، من أبواب الشر في عقيدة الأمة.اهـ، والله أعلم وأحكم.



تحريم ادعاء الربوبية من دون الله أو إضافتها لغير الله تبارك وتعالى

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩].

وقال القوي العزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال الكبير المتعال مخبرًا عن الحقير الضال: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٣ـ ٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦٤].

وفي حديث صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه ـ في قصة الغلام والراهب والساحر ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«فكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملك كان قد عَميَ، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنتَ بالله دعوتُ اللهَ فشفاك،**

فآمن بالله فشفاهُ الله، فأتى المَلِكَ، فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له المَلِكُ: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك رب غيري؟. قال: ربي وربك الله، ثم جِيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فأراد الملكُ قتله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيدٍ واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله ربِّ الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيدٍ واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال باسم الله ربِّ الغلام، ثم رماه فمات، فقال الناس: آمنا بربِّ الغلام، آمنا بربِّ الغلام، آمنا بربِّ الغلام، فأُتي الملك، فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس»، رواه مسلم برقم (٧٦٢١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مررتُ ليلة أُسريَ بي برائحة طيبة، فقلت: ما هذه الرائحة يا جبريل؟ قال: هذه ماشطة بنت فرعون، كانت تمشطها فوقع المشط من يدها، فقالت: بسم الله. قالت ابنة فرعون: أبي؟ قالت: ربي ورب أبيكِ. قالت: أقول له إذًا؟. قالت: قولي له. قال لها: أوَلَكِ رب غيري؟ قالت: ربي وربكَ الذي في السماء»، رواه أحمد برقم (٢٧٢١) وابن ماجه (٤٠٣٠)، وأبو يعلى (٢٥١٧)، وهذا لفظه(١).

الَّرب من أسماء الله تبارك وتعالى:

قال الإمام القرطبي رحمه الله: في «الأسنى» (١/ ٣٩١): أجمع العلماء: على أن الرب من أسماء الله تعالى.اهـ

(١) **حسنٌ بشواهده**: راجع: «تحقيق المسند» (٥/ ٣٠) للشيخ الأرناؤوط رحمه الله، وتحقيق «مسند أبي يعلى» (٤/ ٣٩٥) للشيخ حسين سليم أسد رحمه الله، والله أعلم.



تحريم إطلاق الرب على غير الله تبارك وتعالى إلَّا مضافًا:

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (١/ ٣٩١): ويجوز إجرائه على العبد منكَّرا، كما ورد في التنزيل: ﴿**قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ**﴾ [يوسف: ٥٠] وأمَّا معرَّفا بالألف واللام، فيختص بالله تعالى.اهـ

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في «الأذكار» (ص٣٦٣): قال العلماء: لا يُطلق الربُّ بالألف واللام إلاّ على الله تعالى خاصة، فأمَّا مع الإضافة فيقال: ربّ المال، وربّ الدار، وغير ذلك، ومنه قول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح في ضالّة الإبل: «**دَعْها حتَّى يَلْقاها رَبُّها**»(١)، والحديث الصحيح: «**حتَّى يُهِمَّ ربَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ**»(٢).اهـ

من جعل لله ندًا في ربوبيته أو ألوهيته كفر بإجماع المسلمين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كما في «مجموع الفتاوى» (١/ ٨٨): فمن جعل لله ندًا من خلقه، فيما يستحقه عزوجل من الألوهية والربوبية؛ فقد كفر بإجماع الأمة.اهـ

قلت: وأدلة تقرير إفراد الله تبارك وتعالى بربوبيته الخاصة به، وتحريم ادعاء المخلوق لها أو إضافتها إليه، مُنكرًا من القول وزورًا، عند الملل كلها، باعتقاداتهم وفطرِهم وعاداتهم، ويأتي مزيد أدلة في أبواب تالية ـ إن شاء الله تعالى ـ، والله أعلم وأحكم.

---

(١) رواه البخاري برقم (٩١)، ومسلم (١٧٢٢)، عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري برقم (١٤١٢)، ومسلم (١٥٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

النهي عن قول المملوك: ربِّي وربَّتي وقول السيد: عبدي وأمتي ونحوهما

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يقولنَّ أحدُكُم عبدي وأمتي؛ كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي، وفتاي وفتاتي**»، رواه البخاري برقم (٥٨٧٤)، ومسلم (٦٠١١).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يقُلْ أحدُكُم أطعم ربك، وضئ ربك، إسق ربك، وليقل سيدي مولاي، ولا يقل أحدُكُم عبدي أمتي، وَلْيقل فتاي وفتاتي وغلامي**»، رواه البخاري برقم (٢٥٥٢)، ومسلم (٥٨٧٧).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يقولنَّ أحدُكُم عبدي؛ فكلكم عبيد الله، ولكن ليقل فتاي، ولا يقل العبد ربي، ولكن ليقل: سيدي**»، رواه مسلم برقم (٥٨٧٥).

وفي لفظٍ لمسلم برقم (٦٠١٣): «**ولا يقل العبد لسيده: مولاي؛ فإن مولاكم الله عز وجل**».

وعنه رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**لا يقولنَّ أحدُكم عبدي؛ فكلكم عبد، ولكن ليقل فتاي، ولا يقل ربي؛ فإن ربكم الله، ولكن ليقل سيدي**»، رواه أحمد برقم (١٠٧٠٨)(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يقولنَّ أحدكم: عبدي وأمتي، ولا يقولنَّ المملوك ربي وربتي، وليقل المالك فتاي وفتاتي، وليقل المملوك سيدي وسيدتي؛ فإنكم المملوكون، والرب الله عز وجل**»، رواه أحمد برقم (٩٧١٦)، وأبو داود (٤٩٧٧)(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٧/ ٤٣٢): قال العلماء: مقصود الأحاديث شيئان:

---

(١) وهو في «مسلم» برقم (٥٩٧٣)، سوى أحرفٍ يسيرة، والله أعلم.

(٢) **صحيح**: راجع: «الصحيحة» برقم (٨٠٣)، و«تحقيق المسند» (١٥/ ٢٦٧)، والله أعلم.

أحدهما: نهي المملوك أن يقول لسيده: ربي؛ لأن الربوبية إنما حقيقتها لله تعالى، لأن الرب هو المالك أو القائم بالشيء، ولا تُوجد حقيقة هذا إلا في الله تعالى.

الثاني: يُكره للسيد أن يقول لمملوكه: عبدي وأمتي، بل يقول، غلامي وجاريتي، وفتاي وفتاتي؛ لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيمًا بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه، وقد بيَّن النبي ﷺ العلة في ذلك، فقال: «**كلكم عبيد الله**»، فنهى عن التطاول في اللفظ، كما نهى عن التطاول في الأفعال، وفي إسبال الإزار وغيره.اهـ

وقال رحمه الله في «الأذكار» (ص٣٦٣): قال العلماء: وإنما كُره للمملوك أن يقول لمالكه: ربي؛ لأنَّ في لفظه مشاركة لله تعالى في الربوبية.اهـ

الجمع بين قوله ﷺ: «لا يقل أحدُكم: عبدي وأمتي، ولا يقول المملوك: ربي وربتي» وقوله ﷺ: «وأن تلد الأمة ربَّتها أو ربها» ونحوها:

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٧/ ٤٣٢): فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ: في أشراط الساعة: «**أن تلد الأمة رَّبتها أو ربَّها**»، **فالجواب من وجهين:**

أحدهما: أن الحديث الثاني لبيان الجواز، وأن النهي في الأول للأدب، وكراهة التنزيه، لا للتحريم.

والثاني: أن المراد النهي عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة، واتخاذها عادة شائعة، ولم يُنه عن إطلاقها في نادر من الأحوال، واختار القاضي هذا الجواب.

وقال رحمه الله في «الأذكار» (ص٣٦٣): وأما حديث: «**حتى يلقاها ربُّها**»، و«**ربّ الصريمة**»، وما في معناهما، فإنما استعمل لأنها غير مكلفة، فهي كالدار والمال، ولا شك أنه لا كراهة في قول: ربّ الدار، وربّ المال.

وأما قول يوسف عليه السلام: ﴿**اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ**﴾ [يوسف: ٤٢] **فعنه جوابان:**

أحدهما: أنه خاطبه بما يعرفه، وجاز هذا الاستعمال للضرورة، كما قال موسى عليه السلام للسامري: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ [طه: ٩٧] أي: الذي اتخذته إلهًا.

والجواب الثاني: أن هذا شرعُ مَنْ قَبْلَنَا، وشرعُ من قبلنا لا يكون شرعًا لنا إذا ورد شرعُنا بخلافه، وهذا لا خلاف فيه.اهـ

تتمة: في جواز قول العبد لسيده: سيدي ومولاي؛ وقول السيد لمملوكه: فتاي وفتاتي وغلامي وجاريتي:

قلت: قد ورد في الأحاديث السابق ذكرها في الباب، قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**وليقل المملوك: سيدي وسيدتي**»، وفي لفظ: «**وليقل سيدي ومولاي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي**»، وفي رواية: «**وغلامي**»، وفي أخرى: «**جاريتي**».

وقال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٧/ ٤٣٢): ولا نهي في قول المملوك: سيدي؛ لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ليقل سيدي**»؛ لأن لفظة السيد غير مختصة بالله تعالى اختصاص الرب، ولا مستعملة فيه كاستعمالها، حتى نقل القاضي عن مالك: أنه كره الدعاء بسيدي، ولم يأت تسمية الله تعالى بالسيد في القرآن، ولا في حديث متواتر، وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن ابني هذا سيد**»، و«**قوموا إلى سيدكم**» ـ يعني سعد بن معاذ ـ، وفي الحديث الآخر: «**اسمعوا ما يقول سيدكم**» ـ يعني سعد بن عبادة ـ، فليس في قول العبد: سيدي إشكال ولا لبس؛ لأنه يستعمله غير العبد والأمة.

ولا بأس ـ أيضًا ـ بقول العبد لسيده: مولاي، فإن المولى وقع على ستة عشر معنى ـ ذكرها ـ ثم **قال**: قال القاضي: وأما قوله في «كتاب مسلم»، في رواية وكيع، وأبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، رفعه: «**ولا يقل العبد لسيده مولاي**»، فقد اختلف الرواة عن الأعمش في ذكر هذه اللفظة، فلم يذكرها عنه آخرون، وحَذْفُهَا أصح، والله أعلم... .



وأمَّا غُلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي، فليست دالة على الملك كدلالة عبدي، مع أنها تطلق على الحر والمملوك، وإنما هي للاختصاص، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ**﴾ [الكهف:٦٠]، ﴿**وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ**﴾ [يوسف:٦٢]، و﴿**قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ**﴾ [الأنبياء:٦٠].اهـ

تحريم ادعاء الألوهية من دون الله أو إضافتها لغير الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٧].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢ ـ ٧٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠ـ٣١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٢ ـ ٤٣].



وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء:٢١ ـ ٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩١ ـ ٩٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ في دعاء قيام الليل ـ: **اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**، ـ أو: لا إله غيرك ـ»، رواه البخاري برقم (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»، رواه البخاري برقم (٦٣٠٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أصدق كلمة قالها الشاعر: كلمة لبيد: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلٌ، وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ**»، رواه البخاري برقم (٥٧٩٥)، ومسلم (٢٢٥٦). **وقال ابن المعتز** رحمه الله، كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٣):

فيا عجبًا كيف يُعصى الإلـه ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيءٍ له آيةٌ ... تدل على أنه واحد

لفظ الجلالة (الله) مشتق من الإله:

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقة أجمعين(١).اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «البدائع» (٢/ ٧٨٢): والقول الصحيح: أن (الله) أصله الإله كما قال سيبويه وجمهور أصحابه، إلا من شذ منهم.اهـ

لفظ الجلالة (ألله) اسم خاص به تبارك وتعالى لا يجوز لأحدٍ التسمِّي به مطلقًا:

قال العلامة العثيمين رحمه الله في «لقاء الباب المفتوح» (١١/ ١٥): أسماء الله نوعان: نوع مختص به، لا يجوز أن يُسمَّى به غيره، مثل: الله، الرحمن، الجبار، المتكبر، هذه لا يجوز أن يُسمَّى بها أحد من الخلق؛ لأن هذه الصفة لا يتصف بها غيره.اهـ

وفي «موقع الإسلام سؤال وجواب» ـ فتوى رقم (١١٤٣٠٩) ـ: أسماء الله تعالى من حيث اختصاصها به سبحانه قسمان: أسماء مختصة به عز وجل، لا تُطلق إلا عليه، ولا تنصرف إلا إليه، كاسم: الله، والرب، والرحمن، والأحد، والصمد، والمتكبر، ونحوها، فهذه لا يجوز أن يَتسمَّى بها البشر باتفاق أهل العلم(٢).

كلمة (إله) بمعنى مألوه أي: معبود:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوى» (١٣/ ٢٠٢): والإله هو المألوه أي: المستحق لأن يُؤله أي: يعبد، ولا يستحق أن يُؤله أي: يعبد إلا الله وحده، وكل معبود سواه من لَدُن عرشه إلى قرار أرضه باطل.اهـ

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ١٢٣).

(٢) وقد أشار إلى هذا ابن القيم رحمه الله في «تحفة المودود» (ص١٢٥).



قلت: وقد نَقل العلامة سليمان بن عبد الله النجدي رحمه الله في «تيسير العزيز الحميد» (ص٧٦): الإجماع على أن مألوهٌ بمعنى: معبود، والله أعلم(١).

تتمة: لا يجوز اشتقاق صفة من لفظ الجلالة (الله) كما يُشتق من غيره:

قال الخليل بن أحمد رحمه الله في «العين» (٤/ ٩١): ولفظ الجلالة (الله) لا يُؤخذ منه صفة فعلية، كالخلق والرزق، ونحو ذلك، وإنما يدل على صفة ذاتية هي استحقاقه تعالى للعبادة.

وقال ـ أيضًا ـ رحمه الله: وليس الله من الأسماء التي يجوز فيها اشتقاق فعل، كما يجوز في الرحمن والرحيم.اهـ

الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥] ونحوها، وقوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ﴾ [هود: ١٠١] ونحوها:

قال العلامة العثيمين رحمه الله في «أصول التفسير» (ص٤٧): قوله تعالى: **﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾** [آل عمران:١٨].

وقوله: **﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ﴾** [آل عمران:٦٢].

وقوله: **﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾** [الشعراء:٢١٣].

وقوله: **﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾** [هود:١٠١]، ففي الآيتين الأولين: نفيَ الأُلوهية عما سوى الله تعالى، وفي الأُخريين: إثبات الأُلوهية لغيره.

---

(١) راجع للمزيد: «موسوعة العقيدة والأديان» (١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

والجمع بين ذلك: أن الألوهية الخاصة بالله ﷻ، هي الأُلوهية الحق، وأن المثبتة لغيره هي الأُلوهية الباطلة؛ لقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [الحج:٦٢].اهـ

وقال الدكتور مبارك بن ناصر العسكر ـ وفقه الله ـ في شرحه لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، من «كتاب التوحيد»(١) ـ: قوله تعالى: ﴿**فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [هود: ١٠١]، هذا التألُّه باطل؛ لأنه بغير حق، فهو منفي شرعًا، وإذا انتفى شرعًا فهو كالمنتفي وقوعًا، فلا قرار له: قال تعالى: ﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾ [إبراهيم: ٢٦]

وبهذا يحصل الجمع بين قوله تعالى: ﴿**فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ**﴾ [هود: ١٠١]، وقوله تعالى حكاية عن قريش: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾ [ص: ٥]، وبين قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ**﴾ [آل عمران: ٦٢]، فهذه الآلهة مجرد أسماء لا معانِيَ لها ولا حقيقة، إذ هي باطلة شرعًا لا تستحق أن تُسمَّى آلهة ؛ لأنها لا تنفع ولا تضر ولا تخلق ولا ترزق، كما قال تعالى: ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**﴾ [يوسف: ٤٠].اهـ

---

(١) كما في «موقعه الرسمي»، وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه هو: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله... الحديث**»، رواه البخاري برقم (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).



فصلٌ: في بيان قوله الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]:

قد استدلت الحلولية من الجهمية بظاهر هذه الآية: على أن الله تعالى وتقدَّس حالٌ في الأرض، وكذا استدل بها من قال بتعدد الآلهة.

والذي عليه أهل التحقيق والمعتقد الصحيح: أن معناها ما **قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣): قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ**﴾ أي: هو إله من في السماء وإله من في الأرض، يَعْبُدُه أهلُهما، وكلهم خاضعون له أذلَّاءُ بين يديه. ﴿**وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**﴾، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾ [الأَنْعَامِ: ٣] أي: هو المدعو الله في السماوات والأرض.اهـ

تحريم نسبة الموت إلى الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ـ ٢].

وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقول: «**أعوذ بعزتك، الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»، رواه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ، فدعا رجل فقال: يا بديع السماوات، يا حي يا قيوم، إني أسألك، فقال ﷺ: «**أتدرون بما دعا؟ والذي نفسي بيده: دعا الله باسمه الذي إذا دُعي به أجاب**»، رواه أحمد برقم (١٢٦١١)، والبخاري في «الأدب» (٧٠٥)(١).

وعنه رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا كَربه أمر قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**»، رواه الترمذي برقم (٣٥٢٤)، وغيرُه(٢).

وعند النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٥٧٠): عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «**ما يمنعُكِ أن سَمِعْتِي ما أوصيكِ به: أن تقولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ:**

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الأدب المفرد» برقم (٥٤٦)، وتحقيق «المسند» (٢٠/ ٦١).اهـ

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الترمذي» برقم (٢٧٩٧)، وقد نبَّه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٧/ ٥٥٨): على أن الحاكم لم يُخرج هذا الحديث، وأن بعضهم قد عزاه إليه، ثم **قال** رحمه الله: وأظنه التبس عليه بحديث فاطمة المذكور آنفاً؛ فإنه من حديث أنس ـ أيضًا ـ، لكنه من طريق آخر عنه.اهـ

يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طَرفةَ عين»، رواه الحاكم برقم (٢٠٠٠)، **وقال** رحمه الله: صحيح على شرط الشيخين.اهـ(١).

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في «رِسَالَةْ إلى أهل الثَّغر» (ص٢١٤): **الإجماع الرابع**:

وأجمعوا على إثبات حياة الله عز وجل، لم يزل بها حيًا، وعِلْمًا لم يزل به عالمًا، وقُدرة لم يزل بها قادرًا وكلامًا لم يزل به متكلمًا، وإرادة لم يزل بها مريدًا، وسمعًا وبصرًا لم يزل به سميعًا بصيرًا، وعلى أن شيئًا من هذه الصفات لا يصح أن يكون مُحدثًا، إذ لو كان شيئًا منها محدثًا لكان تعالى قبل حَدَثِهَا موصوفًا بضدها، ولو كان ذلك لخرج عن الإلهية، وصار إلى حكم المُحدَثَين، الذين يلحقُهم النقص، ويختلف عليهم صفات الذم والمدح، وهذا يستحيل على الله عز وجل، وإذا استحال ذلك عليه وجب أن يكون لم يزل بصفة الكمال، إذ كان لا يجوز عليه الانتقال من حال إلى حال.اهـ

معنى اسم الله تبارك وتعالى (الحي):

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (ص١٨٧): حياتُه أكمل الحياة وأتمَّها وهي حياة تستلزم جميع صفات الكمال، ونفي أضدادها من جميع الوجوه، ومن لوازم الحياة الفعل الاختياري، فإن كل حيٍّ فعَّال، وصدور الفعل عن الحي بحسب كمال حياته ونقصها، وكل من كانت حياته أكمل من غيره؛ كان فعله أقوى وأكمل، وكذلك قدرته، ولذلك كان الرب سبحانه على كل شيء قدير، وهو فعال لما يريد، وقد ذكر البخاري في كتاب «خلق الأفعال» عن نعيم بن حماد أنه قال: الحي هو الفعال، وكل حيٍّ فعال، فلا فرق بين الحي والميت إلا بالفعل والشعور.اهـ

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (١٠/ ١١٧)، و«الصحيحة» برقم (٢٤٥٧).

فصلٌ: في قول الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]:

قال الله تعالى: **﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [الحديد:٣].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا أوى إلى فراشه يقول: «**اللهم رب السماوات ورب الأرض، ورب كلِّ شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، نعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر**»، رواه مسلم برقم (٦٨٢٧).

قلت: ولا خلاف بين شُراح الحديث، بأن أحسن تفسيرٍ لأسماء الله وصفاته، هو ما فسَّرها به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أعلمُ الخلق بربه، وأعبدهم له ـ، والله أعلم وأحكم.

تحريم نِسْبَةِ السِّنَة أو النَّوم إلى الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٦٧٨): قوله: **﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾** أي: لا يعتريه نقص ولا غفلة، ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه خافية، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سِنة، ولا نوم، فقوله: **﴿لَا تَأْخُذُهُ﴾** أي: لا تغلبه سِنَةٌ، وهي الوسن والنعاس، ولهذا قال: **﴿وَلَا نَوْمٌ﴾**؛ لأنه أقوى من السنة.اهـ

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخمس كلمات، فقال: **«إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور** ـ وفي رواية أبي بكر: النار ـ **لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه، ما انتهى إليه بصره من خلقه»**، رواه مسلم برقم (١٧٩).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٣/ ١٣): قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام»**: معناه: أنه سبحانه وتعالى لا ينام، وأنه يستحيل في حقه النوم؛ فإن النوم انغمار وغلبة على العقل، يسقط به الإحساس، والله تعالى منزه عن ذلك، وهو مستحيل في حقه جل وعلا.اهـ

تحريم نسبة السَّهو أو النِّسْيان إلى الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئا، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤]»**، رواه البزار في «مسنده» برقم (١٢٣)، **وقال** رحمه الله: إسناده صالح.اهـ

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧٥)، **وقال** رحمه الله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.اهـ ووافقه الذهبي رحمه الله(١).

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الله فرض فرائض، فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء، فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها»**، رواه الدارقطني في «سننه» برقم (٤٣٩٦) وغيرُه(٢).

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (١/ ١٧١)، و«الصحيحة» برقم (٢٢٥٦).

(٢) **قال الإمام النووي** رحمه الله في «الأربعين النووية» ـ عقب ذكره له برقم (٣٠)ـ: حديث حسن.اهـ

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٥٠): هذا الحديث من رواية مكحول، عن أبي ثعلبة الخشني، **وله علتان**:

إحداهما: أن مكحولا لم يصح له السماع من أبي ثعلبة، قاله: أبو مسهر الدمشقي، وأبو نعيم الحافظ، وغيرهما.

والثانية: أنه اختُلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة، ورواه بعضهم عن مكحول من قوله، لكن قال الدارقطني رحمه الله: الأشبه بالصواب المرفوع. قال: وهو أشهر. **ثم قال ابن رجب** رحمه الله: وقد حسَّن الشيخ رحمه الله ـ أي: النووي ـ هذا الحديث، وكذلك حسنه قبله الحافظ أبو بكر بن السمعاني رحمه الله، في «أماليه».اهـ

=

فصلٌ: في معنى قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، ونضائرها من الآيات:

قال الله تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

قال المفسر الكبير ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (١/ ٩): قال جل ثناؤه: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ تركوا طاعة الله، فتركهم الله من ثوابه.اهـ

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ «تفسيره» (٢/ ٣٦٧): قوله: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾: تركوا طاعة الله فتركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا، ومن رحمته في الآخرة، وتركهم في عذابه.اهـ

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ «تفسيره» (١١/ ١٧٨): والنسيان الترك، قال الله تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، و﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩]، سواء كان مع ذهول أو لم يكن، لأن الله تعالى لا ينسى، وإنما معناه تركهم.اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ «تفسيره» (٤/ ١٥٢): ﴿نَسُوا اللهَ﴾ أي: نسوا ذكر الله. ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ أي: عاملهم معاملة من نسيهم، كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الجاثية:٣٤].اهـ

وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١].

= **قلت**: وقد رُوِيَ الحديث عن جمعٍ من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ذكر الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ ـ في جامعه ـ بعضًا منهم، وحكم على أسانيدها، كما استفادها منه: الدكتور/ سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، في «تحقيقه لتفسير سعيد بن منصور المذكور في سننه» (٢/ ٣٢٨)، فذكرها وزاد عليها، مع بيان حالها، ولولا طلب الاختصار؛ لسقتها، والله المستعان، وهو أعلم.

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «تحقيق الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (ص٤٤): حديث حسن بشاهده.اهـ

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٣/ ٣٨١): أي: يعاملهم معاملة من نسيهم، لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه، كما قال تعالى: **﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾** [طه: ٥٢]، وإنما قال تعالى هذا من باب المقابلة، كقوله: **﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾** [التوبة: ٦٧].

وقال: **﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾** [طه: ١٢٦].

وقال تعالى: **﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾** [الجاثية: ٣٤].

وقال العوفي، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: **﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾**: قال: نسيهم الله من الخير، ولم ينسهم من الشر.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال: نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا.

وقال مجاهد: نتركهم في النار.

وقال السدي: نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا.

وفي «الصحيح(١)»: أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: **«ألم أزوجك؟، ألم أكرمك؟، ألم أسخِّر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟، فيقول: بلى، فيقول: أظننت أنك ملاقي؟، فيقول: لا، فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتني»**.اهـ

قلت: فعُلِمَ أن النسيان في حق الله تبارك وتعالى، يُراد به الترك اتفاقًا، لا الذهول، والله أعلم وأحكم وهو اللطيف الخبير.

---

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٩٦٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



تحريم نسبة الفقر إلى الله تبارك وتعالى وتنزَّه وتقدَّس

قال الله تعالى: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾** [آل عمران:١٨١ـ١٨٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزل قوله: **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾** [البقرة:٢٤٥] قالت اليهود: يا محمد، افتقر ربك. يسأل عباده القرض؟ فأنزل الله: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾** الآية، رواه ابن أبي حاتم (٣/ ٤٥٨٨)(١).

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٩٢): حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أنه حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بيت المِدْرَاس، فوجد من يهود أناسا كثيرا، قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يُقال له: فنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حَبْرٌ يُقال له: أشيع، فقال أبو بكر: ويحك يا فنحاص، اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيًا ما استقرض منا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطناه، ولو كان غنيًا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر رضي الله عنه، فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدا، وقال: والذي نفسي بيده، لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله، فاكذبونا ما استطعتم إن كنتم

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «تحقيق تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٩)، للدكتور حكمت ياسين، والله أعلم.

صادقين، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال: أبصر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: **«ما حملك على ما صنعت؟»**، فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قد قال قولا عظيما، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، فضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله فيما قال فنحاص، ردا عليه وتصديقا لأبي بكر: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾** الآية.اهـ(١).

قلت: وفي الباب عقب هذا مزيد بيان ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «فتح الباري» (٨/ ٢٣١)، و«تحقيق تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٩)، لحكمت ياسين.



تحريم نسبة البخل إلى الله تبارك وتعالى وتقدس

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ١٤٥): يخبر تعالى عن اليهود ـ عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ـ بأنهم وصفوا الله ـ عز وجل وتعالى عن قولهم علوا كبيرا ـ بأنه بخيل، كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء، وعبروا عن البخل بقولهم: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

وعن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَغْلُولَةٌ﴾ أي: بخيلة.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال: لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة، ولكن يقولون: بخيل أَمسك ما عنده، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وكذا رُوي عن عكرمة، وقتادة، والسدي، ومجاهد، والضحاك، وقرأ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] يعني: أنه ينهى عن البخل وعن التبذير، وهو الزيادة في الإنفاق في غير محله، وعبَّر عن البخل بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾، وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ.

وقد قال عكرمة: إنها نزلت في فنحاص اليهودي، عليه لعنة الله.

وقد تقدم أنه الذي قال: ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، فضربه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رجل من اليهود ـ يُقال له: شاس بن قيس ـ: إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، رواه الطبراني في «الكبير» برقم (١٢٤٧٩)(١).

وقد رد الله عز وجل عليهم ما قالوه، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه، فقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾، وهكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمرٌ عظيم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء:٥٣ ـ ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ الآية [آل عمران: ١١٢].

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي: بل هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه، وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه، في ليلنا ونهارنا، وحضرنا وسفرنا، وفي جميع أحوالنا، كما قال تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، والآيات في هذا كثيرة.

---

(١) **رجاله ثقاتٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠)، و«تحقيق تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٣١) لحكمت ياسين.



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن يمين الله ملأى لا يُغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه»**، رواه البخاري برقم (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).اهـ كلام ابن كثير مختصرًا.

وقال تعالى: **﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾** [النساء: ٥٣]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٣٣٦): هذه الآية كقوله تعالى: **﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾** أي: خَوفَ أن يذهب ما بأيديكم، مع أنه لا يتصور نفاده، وإنما هو من بخلكم وشُحِّكُم؛ ولهذا قال: **﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾** [الإسراء: ١٠٠] أي: بخيلا.اهـ

وقال تعالى: **﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾** [الإسراء: ١٠٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ١٢٤): يقول تعالى لرسوله ﷺ قل لهم يا محمد: لو أنكم ـ أيها الناس ـ تملكون التصرف في خزائن الله، لأمسكتم خشية الإنفاق.

قال ابن عباس، وقتادة: أي: الفقر أي: خشية أن تذهبوها، مع أنها لا تفرغ ولا تنفد أبدا؛ لأن هذا من طباعكم وسجاياكم؛ ولهذا قال: **﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾** قال ابن عباس، وقتادة: أي: بخيلا منوعًا.

وقال الله تعالى: **﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾** [النساء: ٥٣] أي: لو أن لهم نصيبا في ملك الله لما أعطوا أحدا شيئا، ولا مقدار نقير، والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وهداه؛ فإن البخل والجزع والهلع صفة له، كما قال تعالى: **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾** [المعارج: ١٩ـ٢٢]، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز، ويدل هذا على كرمه، وجوده وإحسانه.

وقد جاء في «الصحيحين»(١): «**يد الله ملأى لا يُغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه**».اهـ

وقال تعالى: ﴿**أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ**﴾ [ص: ٩ ـ ١٠].

قال ابن كثير ﷺ في «تفسيره» (٧/ ٥٥): قال تعالى منكرا عليهم: ﴿**أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ**﴾ أي: العزيز الذي لا يرام جنابه، الوهاب الذي يُعطي ما يريد لمن يريد، وهذه الآية شبيهة بآيات النساء والإسراء ـ السابق ذكرهما.اهـ

(١) تقدم تخريجه قريبًا، والله المستعان.



تحريم نسبة الصَّمَمِ والعمَى والبُعدِ إلى الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة، ما يفوق المائة الدليل، فيها إثبات السمع والبصر لله تبارك وتعالى، من أصرحها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خيبر، أشرف الناس على وادٍ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم**»، رواه البخاري برقم (٣٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

وفي لفظ لمسلم(١)، عنه رضي الله عنه: قال: كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ورجلٌ كلما علا ثنية، نادى لا إله إلا الله، والله أكبر، فقال نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إنكم لا تنادون أصم، ولا غائبا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**».

قال ابن فورك رحمه الله في «مشكل الحديث وبيانه» (ص٤٣٢): نفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصمم وَالنَّقْص والعمى عن الله، وَأثبت له السّمع وَالْبصر، فَدلَّ ذلك على تَحْقِيق معنى وصفه بِالسَّمع وَالْبصر، قالت عائشة رضي الله عنها(٢): تبَارك الذِي وسع سَمعه كل شَيْء.اهـ

---

(١) برقم (٢٧٠٤).

(٢) في قصة أوس بن الصامت، ومظاهرته من زوجته، خولة بنت ثعلبة رضي الله عنهما، رواها البخاري برقم (٧٢١٧)، ومسلم (٢٣٨٧)، والله أعلم.

فصلٌ: في معنى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:٦] ونضائرها من الآيات:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٧/ ٣٩٨): يُخبر تعالى عن قدرته على الإنسان، بأنه خالقه وعملَه، محيطٌ بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما تُوسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر.

وقد ثبت في «الصحيح»(١)، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تقل أو تعمل»**.

وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يعني: ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه.

ومن تأوَّله على العلم، فإنما فرَّ لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع ـ تعالى الله وتقدس ـ ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥] يعني: ملائكته.

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فالملائكة نزلت بالذكر ـ وهو القرآن ـ بإذن الله، عز وجل.

وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، بإقدار الله لهم على ذلك.اهـ

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٥٢٦٩)، و«صحيح مسلم» برقم (١٢٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



تحريم نسبة العَوَرِ إلى الله تبارك وتعالى وتقدَّس وتنزَّه

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**ما بُعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر**»، رواه البخاري برقم (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

وقد رَوَى الحديث جمع من الصحابة، في الصحيح وغيره، بألفاظٍ متقاربة متواترة.

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٢/ ٢٣٦): معناه: أن الله تعالى منزه عن سمات الحدث، وعن جميع النقائص، وأن الدجال مخلوق من خلق الله تعالى، ناقص الصورة، فينبغي لكم أن تعلموا هذا، وتُعلِّمُوه الناس؛ لئلا يغتر بالدجال من يرى تَخِييلاته، وما معه من الفتنة.اهـ

تحريم نسبة الظلم إلى الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران:١٨٢]

ومثلها: في [سورة الأنفال: آية رقم ٥١].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ قال: قال الله تبارك وتعالى ـ: **«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا»**، رواه مسلم برقم (٢٥٧٧).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٦/ ١٣٢): قوله: **«إني حرمت الظلم على نفسي»**: قال العلماء: معناه: تقدَّستُ عنه وتعاليتُ، والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى، كيف يجاوز سبحانه حدًا، وليس فوقه من يُطيعه، وكيف يتصرف في غير مُلك، والعالم كله في ملكه وسلطانه.

وأصل التحريم في اللغة المنع: فسمَّى تقدُّسه عن الظلم تحريمًا؛ لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء.

قوله تعالى: **«وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»**: هو بفتح التاء أي: لا تتظالموا.

والمراد: لا يظلم بعضكم بعضًا، وهذا توكيد لقوله تعالى: **«يا عبادي وجعلته بينكم محرمًا»**، وزيادة تغليظ في تحريمه.اهـ



وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«إن الله عز وجل يَستخلص رجلا من أمتي، على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا. يا رب، فيقول: ألك عذر، أو حسنة؟ فيُبهت الرجل، فيقول: لا. يا رب، فيقول: بلى. إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فَتُخْرَجُ له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟، فيُقال: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»**، رواه أحمد برقم (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، والحاكم (٩)، **وقال الحاكم** رحمه الله: هذا حديث صحيح لم يُخرَّج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم.اهـ ووافقه الذهبي رحمه الله(١).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (١٠/ ٤١٩): اتفق المسلمون، بل أهل الملل كلها: على أن الله تبارك وتعالى عدلٌ، لا يظلم الناس شيئًا.اهـ

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٣٥)، و«الصحيح المسند» (٧٨٧) لشيخنا الوادعي رحمه الله، وتحقيق «المسند» (١١/ ٥٧١): للأرناؤوط رحمه الله.

تحريم نسبة الحَيف والجَور إلى الله ورسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٤٧ ـ ٥٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ٧٤): قوله: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ يعني: لا يَخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها، أو قد عرضَ لها شكٌّ في الدين، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم، وأيًّا ما كان فهو كفر محض، والله عليم بكل منهم، وما هو عليه منطوٍ من هذه الصفات.

وقوله: ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: بل هم الظالمون الفاجرون، والله ورسوله مبرآن مما يظنون ويتوهمون، من الحيف والجور، تعالى الله ورسوله عن ذلك.اهـ



تحريم إضافة الأمر بفعل المحرمات والمستقبحات إلى الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ ـ الآيات إلى قوله ـ: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٢٨ـ٣٠].

قال العماد ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٤٠٢): قال مجاهد: كان المشركون يطوفون بالبيت عُراة، يقولون: نطوف كما وَلَدِتْنا أمهاتنا، فتضع المرأة على فرجها النسعة ـ أو الشيء ـ وتقول:

اليـــــوم يبـــــدُو بعضُـــــه أو كلّـــــه ومــــا بَـــــدا منـــــه فـــــلا أحلّـــــهُ

فأنزل الله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ الآية.

قلت ـ أي: ابن كثير ـ: كانت العرب ـ ما عدا قريشًا ـ لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها، يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها، وكانت قريش ـ وهم الحُمْس ـ يطوفون في ثيابهم، ومن أعاره أحْمُسي ثوبًا طاف فيه، ومن معه ثوب جديد طاف فيه، ثم يلقيه فلا يتملَّكه أحد، فمن لم يجد ثوبًا جديدًا، ولا أعاره أحمسي ثوبًا، طاف عريانًا. وربما كانت امرأة، فتطوف عريانة، فتجعل على فرجها شيئًا يستره بعض الشيء وتقول:

اليـــــوم يبـــــدُو بعضُـــــه أو كلّـــــه ومــــا بَـــــدا منـــــه فـــــلا أحلّـــــهُ

وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل، وكان هذا شيئًا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، واتبعوا فيه آباءهم، ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك، فقال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، فقال تعالى ردًا عليهم: ﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد لمن ادَّعى ذلك: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: هذا

الذي تصنعونه فاحشة منكرة، والله لا يأمر بمثل ذلك **﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾**

أي: أتسندون إلى الله من الأقوال ما لا تعلمون صحته.اهـ

قلت: ويدخل في هذا، بعض من يأتي ذكرهم، في أبوابٍ تالية ـ إن شاء الله تعالى ـ، والله أعلم.



فصلٌ في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء:١٦]:

بعد النظر في كلام أهل العلم والتفسير، تلَّخص لي ما يلي:

١ـ وجود محذوف، وأن معنى قوله تعالى: ﴿**أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا**﴾ أي: أمرناهم بطاعة الله، فعصوا أمره، فلما عصوا أمر ربهم حق عليهم العذاب.

٢ـ أن قوله تعالى: ﴿**أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا**﴾ أمرًا قدريًا، كقوله تعالى: ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**﴾ [يونس: ٢٤].

٣ـ جاء في اللغة العربية: أن من معاني ﴿**أَمَرْنَا**﴾: كثَّرنا، وأن معنى الآية: كثَّرنا مترفيها، والمفسدين والفاسقين فيها، فحق عليهم العذاب.

٤ـ أن من معاني ﴿**أَمَرْنَا**﴾: أمَّرْنَا ـ بتشديد الميم ـ أي: جعلناهم أصحاب إمارة وسيادة، ففسد الأمراء والسادة، فحق عليهم العذاب، فإذا علمنا المعنى الصحيح للآية؛ زال الإشكال والفهم الخطأ فيها، والله أعلم(١).

وثمَّت آيات وأحاديث أُخرى، استُدِلَّ بها على غير مراد الله تبارك وتعالى، يأتي ذكر بعضها حسب المناسبة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) راجع: «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٢٠٣)، و«تفسير ابن كثير» (٥/ ٦١)، و«تفسير السعدي» (ص٤٥٥)، وغيرها ـ عند آية الإسراء ـ.

فصلٌ: في معنى قوله ﷺ: «والشّرُ ليس إليك»:

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ـ في دعاء الاستفتاح ـ: **«لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»**، رواه مسلم برقم (٧٧١).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٦/ ٥٩): وأما قوله ﷺ: **«والشر ليس إليك»**، فمما يجب تأويله؛ لأن مذهب أهل الحق: أن كل المحدثات فِعْلُ الله تعالى وخلقه، سواء خيرها وشرها، وحينئذ يجب تأويله وفيه خمسة أقوال:

أحدها: معناه لا يتقرب به إليك، قاله الخليل بن أحمد، والنضر بن شميل، واسحق بن راهويه، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن خزيمة، والأزهري، وغيرهم.

والثاني: حكاه الشيخ أبو حامد عن المزني، وقاله غيره ـ أيضًا ـ معناه: لا يضاف إليك على انفراده، لا يقال يا خالق القردة والخنازير، ويا رب الشر، ونحو هذا، وإن كان خالق كل شيء ورب كل شيء، وحينئذ يدخل الشر في العموم.

والثالث: معناه والشر لا يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح.

والرابع: معناه والشر ليس شرا بالنسبة إليك، فإنك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين.

والخامس: حكاه الخطابي أنه كقولك: فلان إلى بني فلان، إذا كان عداده فيهم أو صفوه إليهم.اهـ

وقال العلامة العثيمين رحمه الله في «شرح الأربعين النووية» (ص٧٣): أي لاينسب إليك، فنفس قضاء الله تعالى ليس فيه شرٌّ أبداً، لأنه صادر عن رحمة وحكمة؛ لأن الشر المحض لا يقع إلا من الشرير، والله تعالى خير وأبقى.اهـ



تحريم نسبة الصاحبة أو الولد لله سبحانه وتعالى

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١ـ٤].

وقال الله جل جلاه وتقدست أسمائه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

وقال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وقال الله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس:٦٨ـ٧٠].

ففي الآية: كُفر من نسب الصاحبة أو الولد.

وقال الله تعالى: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٤ـ٥].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٥ـ٢٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله: شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني وما ينبغي له، أما شتمه فقوله: إن لي ولدا، وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيدني كما بدأني**»، رواه البخاري برقم (٣١٩٣).

وفي لفظ له برقم (٤٩٧٤)، عنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: شتمني ولم يكن له ذلك، فأمَّا شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفؤًا أحد**».

وفي رواية له برقم (٤٩٧٥): «**وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفؤًا أحد**».

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ليس أحد** ـ أو ليس شيء ـ **أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدًا، وإنه ليعافيهم ويرزقهم**»، رواه البخاري برقم (٦٠٩٩). ورواه مسلم (٧٢٥٨) بزيادة: «**إنه يشرك به، ويجعل له**».

وفي لفظ لمسلم: برقم (٧٢٦٠): «**إنهم يجعلون له ندًا، ويجعلون له ولدًا**».

وعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم إني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا**»، رواه البخاري برقم (٤٤٨٢).

وسمع ﷺ رجلًا يقول: اللهم إني أسالك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: «**قد سأل الله باسم الله الأعظم، الذي إذا سُئل به أَعطى، وإذا دُعي به أجاب**»، رواه أحمد برقم (٢٣٦٦٧)، وأبو داود (١٤٩٥)، عن بريدة رضي الله عنه(١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح أبي داود» برقم (١٣٢٤)، و«الصحيح المسند» (١٥٢).

تحريم القول بأن الملائكة بنات الله

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩ ـ ١٥٩].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٤٢): قوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾: قال مجاهد: قال المشركون: الملائكةُ بناتُ الله، فَسَأَلَ أبو بكر: فمن أمهاتهن؟، قالوا: بنات سَرَوات الجن، وكذا قال قتادة، وابن زيد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾ أي: الذين نَسبوا إليهم ذلك: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي: إن الذين قالوا ذلك لَمُحْضَرُونَ في العذاب يوم الحساب؛ لكذبهم في ذلك وافترائهم، وقولهم الباطل بلا علم.

وقال العوفي: عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ قال: زعم أعداء الله: أنه تبارك وتعالى، هو وإبليس أخوان، حكاه ابن جرير. اهـ(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى * وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم:٢٧ـ٢٨].

---

(١) في «تفسيره» (٢٣/ ٦٩).

فصلٌ: في ذكر بعض الأدلة الدالة على ذكورية الملائكة:

قد ثبت في الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، صريح وصف الملائكة بالذكورية، والقوة، والبطش، والرجولة، ونحو ذلك، أقتصرُ منها على ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**﴾ [هود: ٨٢ ـ٨٣].

لا خلاف عند المفسرين: أن جبريل عليه السلام هو فاعل ذلك بأمر الله تعالى، كما بَسطَ ذلك المفسرون عند هذه الآية، والله أعلم.

وقال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:٦].

وقال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ [آل عمران:١٢٣ – ١٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ الآيات إلى قوله: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ [الأنفال:٩-١٢].

ووجه الدلالة من الآيات: أن ممَّا وُصِف به جملة منهم: الشدة والغلظة، ونصرت أهل الإسلام، وضرب أعناق الكفار، ونحو ذلك مما ينافي كونهم إناثا.

وقال عمر رضي الله عنه ـ في حديثه المشهور بحديث جبريل عليه السلام ـ: بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إذ طَّلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد، رواه مسلم برقم (٨).



ورواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم (٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، بنحوه.

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (١/ ١١٦) ـ عند حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ: قوله: فأتاه رجل أي: ملك في صورة رجل، وفي التفسير للمصنف: إذ أتاه رجل يمشي.

ولأبي فروة: فإنَّا لجلوس عنده، إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهًا، وأطيب الناس ريحًا، كأن ثيابه لم يمسها دنس.اهـ

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه، فيتهدهد الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى. قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟. قالا لي: انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه، فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فيشق، ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب، حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى. قلت: سبحان الله ما هذان؟ قالا لي: انطلق، فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، فإذا فيه لغط وأصوات، فاطَّلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا. قلت لهما: ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا، فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه فيلقمه حجرا، فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه، فألقمه حجرا. قلت: لهما ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة، كأكره ما أنت راء رجلا**

مرآة، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها. قلت لهما: ما هذا؟ ـ وساق الحديث وفي آخره: ـ **وأما الرجل الكريه المرآة، الذي عند النار يحشها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم»**، رواه البخاري برقم (٧٠٤٧).

قلت: فوُصِفتِ الملائكة القائمين بالتعذيب بالرجولة، كما هو منطوق الحديث، والعلمُ عند الله.

وقال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (٦/ ٣٠٦): قد جاء في صفة الملائكة وكثرتهم أحاديث، وذُكر في «ربيع الأبرار»، عن سعيد بن المسيب أنه قال: الملائكة ليسوا ذكورًا ولا إناثا، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون ولا يتوالدون.اهـ

قلت: إن صح هذا إلى سعيد بن المسيب رحمه الله، فهو قول مرجوح؛ لما تقدم من وصفهم بالذكورية والرجولة، والشجاعة، وغيرها في الآيات والأحاديث السابقة.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها، عند مسلم، وقصة الملائكة مع إبراهيم ـ عليهم السلام ـ ما يُؤيد: أنهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناكحون، وغير ذلك مما لايناسب بسطه في هذا الموضع، والله أعلم.



فصلٌ آخر: في النهي عن وصف الملائكة بقبح الصورة:

قال الله تعالى مخبرًا عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ [يوسف:٣١].

قال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٣٩٧): وذلك لأن يوسف عليه السلام أُعطي من الجمال الفائق، والنور والبهاء، ما كان به آية للناظرين، وعبرة للمتأملين.اهـ

قلت: والشاهد من الآية: أن الملائكة مشهورة بالجمال حتى شُبِّه يوسف بها، والله أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٣٣٦): قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ**﴾ [هود:٧٨]: ذكر قتادةُ: أنهم أتوه، وهو في أرضٍ له يعمل فيها، فتضيّفوه، فاستحيا منهم، فانطلق أمامهم، وقال لهم في أثناء الطريق ـ كالمعرِّض لهم بأن ينصرفوا عنه ـ: إنه والله يا هؤلاء: ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء، ثم مشى قليلا، ثم أعاد ذلك عليهم، حتى كرره أربع مرات.

قال قتادة: وقد كانوا أُمِرُوا ألا يهلكوهم، حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك.

وقال السدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فبلغوا نهر سدون نصف النهار، ولقوا بنت لوط تستقي من الماء لأهلها، وكانت له ابنتان، اسم الكبرى رثيا، والصغرى زغرتا، فقالوا لها يا جارية، هل من منزل؟، فقالت لهم: مكانكم حتى آتيكم، وفَرِقت عليهم من قومها، فأتت أباها، فقالت: يا أبتاه، أدرك فتيانا على باب المدينة، ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم، وقد كان قومه نَهَوْهُ أن يضيِّف رجلا، فقالوا: خل عنا فلْنُضِف الرجال، فجاء بهم، فلم يعلم بهم أحد إلا أهل بيته، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، فقالت: إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط، فجاءوا يهرعون إليه...اهـ

وقال السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٣٨٦): قوله: ﴿**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا**﴾ أي: الملائكة الذين صدروا من إبراهيم لما أتوا ﴿**لُوطًا سِيءَ بِهِمْ**﴾ أي: شق عليه مجيئهم، ﴿**وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ**﴾ أي: شديدٌ حرجٌ؛ لأنه علم أن قومه لا يتركونهم؛ لأنهم في صور شباب، جرد، مرد، في غاية الكمال والجمال، ولهذا وقع ما خطر بباله.اهـ

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه، أن جبريل عليه السلام، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة، فجعل يحدث، ثم قام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة: «**من هذا؟**». قالت: هذا دحية. قالت أم سلمة: وايم الله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة نبي الله صلى الله عليه وسلم بخبر جبريل، رواه البخاري برقم (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٤٥١).

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (٩/ ٥) ـ في شأن دحية ـ: وكان موصوفًا بالجمال، وكان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم غالبا على صورته.اهـ

وعن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**عُرِضَ عليَّ الأنبياء، فإذا موسى ضرب من الرجال، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم** عليه السلام**، فإذا أقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه، فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم** ـ يعني نفسه ـ**، ورأيت جبريل** عليه السلام**، فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية بن خليفة**»، رواه مسلم برقم (٤٤١).

قال في «مرقاة المفاتيح» (١٦/ ٣٦٠): وكان من أجمل الناس صورة.اهـ

قلت: وفي الباب غير هذه الأدلة الدالة على ما رسم في العنوان، والله أعلم، وهو المستعان.



تحريم عداوة الملائكة ووصفهم بها

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٩٧ـ٩٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (١/ ٣٣٥): قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: أجمع أهل العلم بالتأويل جميعًا: على أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل، إذْ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك. فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك، من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أمر نبوته... .

وأما تفسير الآية: فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ أي: من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين، الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله، بإذنه له في ذلك، فهو رسول من رُسل الله ملكي، عليه وعلى سائر إخوانه من الملائكة السلام، ومن عادى رسولًا فقد عادى جميع الرسل، كما أن من آمن برسول، فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل، وكما أن من كفر برسول، فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء:١٥٠ـ١٥١].

فحكم عليهم بالكفر المحقق، إذْ آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم.

وكذلك من عادى جبريل، فإنه عدو لله؛ لأن جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه، وإنما ينزل بأمر ربه، كما قال: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ [مريم:٦٤].

وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ [الشعراء:١٩٢ـ١٩٤].

وقد روى البخاري(١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عادى لي وليًا؛ فقد بارزني بالحرب**»، ولهذا غضبَ اللهُ لجبريل على من عاداه، فقال: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ أي: من الكتب المتقدمة، ﴿**وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة:٩٧].

ثم قال تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٩٨] يقول تعالى: من عاداني وملائكتي ورسلي ـ ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر، كما قال تعالى: ﴿**اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**﴾ [الحج:٧٥] ـ، ﴿**وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**﴾: وهذا من باب عطف الخاص على العام، فإنهما دخلا في الملائكة، ثم عموم الرسل، ثم خُصصا بالذكر؛ لأن السياق في الانتصار لجبريل، وهو السفير بين الله وأنبيائه، وقرن معه ميكائيل في اللفظ؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم وميكائيل وليهم، فأعلمهم أنه من عادى واحدا منهما فقد عادى الآخر، وعادى الله ـ أيضًا ـ؛ لأنه ـ أيضًا ـ ينزل على الأنبياء بعض الأحيان، كما قُرن برسول الله ﷺ في ابتداء الأمر، ولكن جبريل أكثر، وهي وظيفته... .

---

(١) برقم (٦٥٠٢).



وقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٩٨] فيه: إيقاع المُظْهَر مكان المُضْمُر حيث لم يقل: فإنه عدو للكافرين، قال: ﴿**فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾... .

وإنما أظهر الاسم هاهنا لتقرير هذا المعنى وإظهاره، وإعلامهم أن من عادى أولياء الله فقد عادى الله، ومن عادى الله فإن الله عدو له، ومن كان الله عدوه فقد خسر الدنيا والآخرة، كما تقدم الحديث: «**من عادى لي وليًا؛ فقد بارزني بالحرب**»(١).

وفي الحديث الآخر: «**إني لأثأر لأوليائي، كما يثأر الليث الحرب**»(٢).

وفي الحديث الصحيح: «**ومن كنتُ خصمَه خصمتُه**»(٣).اهـ

وعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأتاه، فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟، وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خبَّرني بهنَّ آنفًا جبريلُ**»، فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة... الحديث، رواه البخاري برقم (٣١٥١).

وقد رُوي بطرق وألفاظٍ أخرى، عن صحابة آخرين، يُراجع لبعضها «تفسير ابن كثير»، عند آية البقرة السابقة، والله أعلم.

---

(١) تقدم أن البخاري، أخرجه برقم (٦٥٠٢) بلفظ: «**فقد آذنته بالحرب**».

(٢) **قال الدكتور حكمة بشير ياسين** في «تحقيقه على ابن كثير» (١/ ٥١٢): لا يثبت بهذا السياق، وعزاه الزبيدي في «الإتحاف» (٩/ ٤٤٠): إلى ابن أبي الدنيا، وأبي نعيم، ولم أقف عليه عندهما بهذا السياق.اهـ مختصرا.

(٣) هو جزءٌ من حديث، رواه البخاري برقم (٢٢٢٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره**»، والله أعلم.

تحريم ادِّعاء بُنُوَّة الله أو محبتِه جل جلاله وتقدست أسماؤه

قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**﴾ [المائدة:١٨].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٦٨): قال تعالى رادًا على اليهود والنصارى في كذبهم وافترائهم: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ أي: نحن منتسبون إلى أنبيائه، وهم بنوه وله بهم عناية، وهو يحبنا. ونقلوا عن كتابهم أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل: أنت ابني بكري، فحملوا هذا على غير تأويله، وحرفوه. وقد ردَّ عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم، وقالوا: هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام، كما نقل النصارى عن كتابهم: أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم، يعني: ربي وربكم.

ومعلوم أنهم لم يدَّعوا لأنفسهم من البنوة ما ادعوها في عيسى عليه السلام، وإنما أرادوا بذلك معزتهم لديه وحظوتهم عنده، ولهذا قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. قال الله تعالى رادًا عليهم: ﴿**قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ**﴾ أي: لو كنتم كما تدَّعون أبناءه وأحباءه، فلم أعد لكم نار جهنم على كفرِكُم وكذِبِكُم وافتِرائِكُم؟. وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يرد عليه، فتلا الصوفي هذه الآية: ﴿**قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ**﴾. وهذا الذي قاله حسن، وله شاهد في «المسند»(١)، عن أنس رضي الله عنه قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في نفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أُمَّه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني! وسَعَتْ فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار. قال: فخفَّضَهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: «**لا والله ما يُلقي حبيبه في النار**».اهـ

(١) **صحيحٌ**: رواه أحمد برقم (١٢٠١٨)، راجع: «تحقيق المسند» (١٩/ ٧٥) للشيخ الأرناؤوط رحمه الله.



وجوب النطق بالشهادتين لمن أراد الدخول في الإسلام واعتقاد معناهما الصحيح

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ فقال الله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٥ـ٣٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عَصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»**، رواه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم (٢٢). وله ألفاظ عدَّة.

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١/ ٢١٢): قوله: **«أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»**: فيه: أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين، مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به النبي ﷺ.اهـ

وقال رحمه الله في «شرح مسلم» (١/ ١٤٩): اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين، على أن المؤمن الذي يُحكم بأنه من أهل القبلة، ولا يُخلَّد في النار، لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام، اعتقادًا جازماً خالياً من الشكوك، ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلا.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (٧/ ٣٠٢): قد اتفق المسلمون على أن من لم يأت بالشهادتين فهو كافر.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ كما في «الفتاوى» (٧/ ٦٠٩) ـ أيضًا ـ: فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة، فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة، وأئمتها وجماهير علمائها.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ في «الصارم المسلول» (ص٥٢٥): إن الذي عليه الجماعة: أن من لم يتكلم بالإيمان بلسانه، من غير عذر لم ينفعه ما في قلبه من المعرفة، وأن القول من القادر عليه شرط في صحة الإيمان.اهـ

وقال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «جامع العلوم والحكم» (ص٢٣): ومن ترك الشهادتين خرج من الإسلام.اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (١/ ١٠٤) ـ تحت حديث ـ: **«يخرج من النار من قال لا إله إلا الله»**: فيه: دليل على اشتراط النطق بالتوحيد.اهـ

فصل: في معنَيْ الشهادتين وشروطهما وأركانهما ومقتضاهما:

أمّا معنى لا إله إلا الله ومقتضاها:

فمعناها: لا معبود بحقٍ إلا الله، وغير الله إن عُبد فبباطل، قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾ [الحج: ٦٢].

وأمّا مقتضاها: فقال العلامة النجدي رحمه الله في رسالته القيمة "الأصول الثلاثة": وتفسيرها ـ أي: تفسير لا إله إلا الله ـ الذي يوضحها: قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾ [الزخرف: ٢٧].اهـ

وأمّا شروط لا إله إلّا الله:

فقال العلامة حافظ حكمي رحمه الله في «معارج القبول» (٢/ ٤١٩): هذا تفصيل الشروط السبعة، التي قُيِّدت بها هذه الشهادة، فأصغ سمعك وأحضر قلبك لإملاء أدلتها، وتفهَّمها وتعلقَّها، ثم اعمل على وفق ذلك تفُز بسعادة الدنيا والآخرة ـ إن شاء الله عز وجل ـ، كما وعد الله تعالى ذلك، إنه لا يُخلف الميعاد:

الأول: العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك:

قال الله عز وجل: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزخرف: ٨٦] أي: بلا إله ألا الله، وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم.

وقال الله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران:١٨].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال الله: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر:٩].

وقال الله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت:٤٣].

وروى مسلمٌ برقم (٤٣)، عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة**».

الثاني: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازمًا:

فإن الإيمان لا يُغني فيه إلَّا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحجرات:١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله، كونهم لم يرتابوا أي: لم يشكوا.

فأمَّا المرتاب فهو من المنافقين ـ والعياذ بالله ـ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**﴾ [التوبة:٤٥].

وروى مسلمٌ برقم (٤٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما؛ إلا دخل الجنة**».

وفي رواية ـ لمسلم (٤٥) ـ: «**لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما؛ فيحجب عن الجنة**».

وفي صحيح مسلم برقم (٥١)، عنه رضي الله عنه ـ من حديث طويل ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بنعليه، فقال: «**من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه؛ فبشره بالجنة...الحديث**»، **فاشترط في دخول قائلها الجنة**: أن يكون مستيقنًا بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

الثالث: القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه:

قد قص الله ﷻ علينا من أنباء ما قد سبق، من إنجاء من قَبِلَهَا، وانتقامه ممن ردَّها وأباها، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف:٢٣ـ ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٣].

وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعده لمن ردها من العذاب، كما قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات:٢٢ـ ٣٦].

فجعل الله تعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إلا إله الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكارًا واستكبارًا ـ كما أخبر الله عنهم ـ: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص:٥ ـ ٧].

وقالوا هاهنا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦].

فكذبهم الله ﷻ، ورد ذلك عليهم عن رسوله ﷺ، فقال: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧] إلى آخر الآيات.

ثم قال في شأن من قبلها: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الصافات: ٤٠ ـ ٤٣] إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

وروى البخاري برقم (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢)، عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم؛ كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى أنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»**.

الرابع: الانقياد لما دلت عليه الانقياد المنافي للترك:

قال الله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي: بلا إله إلا الله، ﴿وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

ومعنى: ﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُ﴾ أي: ينقاد ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله، ولم يك محسنا؛ فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى.

وهو المعني بقوله عز وجل بعد ذلك: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٣ ـ ٢٤].



وفي حديثٍ صحيحٍ(١)، ـ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم؛ حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**» هذا هو تمام الانقياد وغايته.

الخامس: الصدق فيها المنافي للكذب:

وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطىء قلبه لسانه، قال الله ﷻ: ﴿**الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت:١ـ٣].

وقال تعالى في شأن المنافقين الدين قالوها كذبًا: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [البقرة:٨ـ١٠].

وكم ذكر الله تعالى من شأنهم وأبدى وأعاد، وكشف أستارهم وهتكها، وأبدى فضائحهم في غير ما موضع من كتابه، كالبقرة وآل عمران والنساء، والأنفال والتوبة وسورة كاملة في شأنهم، وغير ذلك.

---

(١) **قال الحافظ ابن رجب** رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٣): قال الشيخ رحمه الله ـ أي: النووي ـ: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح!.

يريد بصاحب كتاب الحجة، الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي، الفقيه الزاهد، نزيل دمشق، وكتابه هذا هو كتاب: «الحجة على تارك المحجة» يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة، وقد خرج هذا الحديث الحافظ أبو نعيم في كتاب «الأربعين»، وشرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار، وجياد الآثار مما أجمع الناقلون على عدالة ناقليه، وخرجته الأئمة في مسانيدهم...إلخ.اهـ

قلت: والحديث وإن كان قد أعلَّه بعض العلما بضعف نعيم بن حماد رحمه الله؛ فإن معناه صحيحٌ، والله أعلم.

وروى البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم (٣٢)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه؛ إلَّا حرمه الله على النار»**.

فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار؛ أن يقولها صدقًا من قلبه، فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطأة القلب.

وفي البخاري برقم (٦٣)، ومسلم (١٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ـ ومن حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ـ في البخاري برقم (٤٦)، ومسلم (١١) ـ في قصة ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر، لما سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن شرائع الإسلام، فأخبره ـ قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: **«لا إلا أن تطوع»**. قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«أفلح إن صدق»**.

وفي رواية للنسائي برقم (٤٥٩)(١) قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«إن صدق ليدخلن الجنة»**، فاشترط في فلاحه ودخول الجنة: أن يكون صادقًا.

السادس: الإخلاص:

وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**أَلَا لله الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ [الزمر:٣].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة:٥].

وقال تعالى: ﴿**فَاعْبُدِ الله مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر:٢].

---

(١) **صحيحةٌ**: راجع: «صحيح وضعيف النسائي» ـ عقب الرقم المذكور ـ.



وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ الله مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر:١١].

وقال تعالى: ﴿**قُلِ الله أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي**﴾ [الزمر:١٤].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِالله وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لله فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ الله الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:١٤٥ـ١٤٦].

وفي البخاري برقم (٩٩)، عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه** ـ أو نفسه ـ».

وفي البخاري برقم (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، عن عتبان بن مالك ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله ﷻ**».

وفي «جامع الترمذي» برقم (٣٥٩٠)، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما قال عبد قط لا إله إلا الله مخلصًا؛ إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر**». **قال الترمذي**: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.اهـ(١).

وللنسائي في «اليوم والليلة» برقم (٢٨)، من حديث رجلين من الصحابة ﭭ، عن النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مخلصًا له بها قلبه، يصدق بها لسانه؛ إلا فتق الله لها السماء فتقًا، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله**»(٢).

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم المذكور أعلاه ـ.

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «تخريج كلمة الإخلاص» (ص٦١) للعلامة الألباني ~.

السابع: المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك:

قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة:٥٤]، فأخبرنا الله ﷻ أن عباده المؤمنين أشد حبا له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدا كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونه كحبه.اهـ بتصرفٍ يسيرٍ. **وقد نظم بعضهم شروط لا إله إلاَّ الله، فقال:**

علـــمٌ يقـــينٌ وإخـــلاصٌ وصـــدقكَ ... مـــعْ محبـــةٍ وانقيـــادٍ والقبـــول لهـــا
وزيـــد ثـــا منهـــا الكفـــرانُ منـــك بـــما ... ســـوى الإلـــه مـــن الأشـــياء قـــد ألهـــا

وأمَّا ركناها وبيان أن النفي المحض أو الإثبات المحض ليسا بتوحيد:

الركن الأول: النفي، وهو قول (لا إله) نافياً وجود معبود بحق سوى الله.

والركن الثاني: الإثبات: وهو قول (إلَّا الله) مثبتاً العبادة لله وحده، دون كل من سواه.

فالإثبات المحض ليس بتوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد، فلا بد من الجمع بينهما.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «البدائع» (١/ ١٤١): طريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات، فينفي عبادة ما سوى الله، ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد.اهـ(١).

---

(١) راجع للمزيد: «معارج القبول» (٢/ ٤١٨)، و«الدروس المهمة» ـ الدرس الثاني ـ و«البيان المفيد» (ص١٢)، و«التمهيد شرح كتاب التوحيد» (ص٩٣)، و«القول المفيد في أدلة التوحيد» (ص٢٨)، والله أعلم.



وأما معنى: محمدٌ رسول اللّه ﷺ ومقتضاها:

أمَّا معناها: فهو لا متبوع بحق إلا رسول الله ﷺ وغير رسول الله ﷺ إن اتبع فيما لا دليل عليه فقد اتبع بباطل، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧].

وأمَّا مقتضاها: فهو طاعته فيما أمر، واجتناب ماعنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع على لسان رسوله ﷺ مع استيفاء شروطها المذكورة قبل، والله أعلم(١).

وأمَّا شروط شهادة أن محمدا رسول اللّه ﷺ:

الأول: الاعتراف برسالته ﷺ، واعتقادها باطنا وظاهرا.

الثاني: النطق بذلك، والاعتراف به ﷺ ظاهرا وباطنا.

الثالث: المتابعة له ﷺ بأن يُعمل بما جاء به من الحق، ويترك ما نهى عنه من الباطل.

الرابع: تصديقه ﷺ فيما أخبر من أمر ونهي، وغيوب ماضية ومستقبلة وغير ذلك.

الخامس: محبته ﷺ أشد من محبة النفس، والوالد والولد، والمال، والناس أجمعين.

السادس: تقديم قوله ﷺ على قول كل أحد من الناس كائنا من كان، والعمل بسنته.

السابع: تعظيمه وتوقيره واحترامه وإجلاله وإعظامه، وكذا ما جاء به ﷺ.اهـ(٢)

---

(١) راجع: للمزيد: «التوحيد المقرر» (ص٥٠)، و«القول المفيد في أدلة التوحيد» (ص٣٦)، والله أعلم.

(٢) راجع للمزيد: «التوحيد المقرر» (ص٥٠)، و«القول المفيد في أدلة التوحيد» (ص٣٦)، والله أعلم.

تحريم اقتراف شيء مما بُويع عليه أول الإسلام

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: بايعنا رسول الله ﷺ، فقرأ علينا: «﴿أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا...الآية﴾ [الممتحنة:١٢]، **ونهانا عن النياحة**»، فقبضت امرأة يدها، فقالت: أسعدتني فلانة، أريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئا، فانطلقت ورجعت، فبايعها، رواه البخاري برقم (٤٦١٠)، ومسلم (٩٣٦).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ـ وكان شهد بدرًا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ـ أن رسول الله ﷺ قال: ـ وحوله عصابة من أصحابه ـ: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا**» الحديث، وفيه: «فبايعناه على ذلك، رواه البخاري برقم (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

وقال رضي الله عنه: بايعنا رسول الله ﷺ: على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم، رواه البخاري برقم (٧١٩٩)، ومسلم (١٧٠٩).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، يقول لنا: «فيما استطعتم»، رواه البخاري برقم (٧٢٠٢)، ومسلم (١٨٦٧).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن أناسًا من وفد عبد القيس، قدموا على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا نبي الله مُرنا بأمرٍ نأمر به من وراءنا، وندخل به الجنة إذا نحن أخذنا به، فقال رسول الله ﷺ: «**اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا**»، رواه مسلم برقم (١٨).



وعن أبي جمرة، قال: كنت أقعد مع ابن عباس يُجلسني على سريره فقال: أَقم عندي حتى أجعلُ لك سهمًا من مالي، فأقمت معه شهرين، ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «**من القوم؟** - أو من الوفد؟ -». قالوا: ربيعة. قال: «**مرحبا بالقوم، أو بالوفد، غير خزايا ولا ندامى**». فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده، قال: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**»، ونهاهم عن أربع: «**عن الحنتم، والدباء، والنقير، والمزفت**، ـ وربما قال ـ: **المقيَّر**»، وقال: «**احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم**»، رواه البخاري برقم (٥٣)، ومسلم (١٧)، وغيرها من الأدلة، والله أعلم.

تحريم ارتكاب ناقضٍ من نواقض الإسلام

قال العلامة ابن باز رحمه الله كما في «مجموع فتاويه» (١/ ١٣٠): قد ذكر العلماء رحمهم الله في باب حكم المرتد: أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة، من النواقض التي تُحلُّ دمه وماله، ويكون بها خارجًا من الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعًا عشرة نواقض، ذكرها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وغيره من أهل العلم ـ رحمهم الله جميعًا ـ.

ونذكرها لك فيما يلي على سبيل الإيجاز؛ لتحذرها وتحذِّر منها غيرك، رجاء السلامة والعافية منها، مع توضيحات قليلة نذكرها بعدها:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى: ومن ذلك: دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط: يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم؛ فقد كفر إجماعًا.

الثالث: من لم يكفّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه: كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولو عمل به فقد كفر.

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو ثوابه أو عقابه كفر.

السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر.

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه، ولا يعمل به.



فصلٌ: في ذكر بعض ما يدخل في الناقض الرابع من نواقض الإسلام:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عقب كلامه السابق ـ: ويدخل في القسم الرابع: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظام الإسلام لايصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببًا في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه، دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى.

ويدخل في الرابع ـ أيضًا ـ: من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر.

ويدخل في ذلك ـ أيضًا ـ: كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله، في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعًا، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة؛ كالزنا، والخمر، والربا، والحكم بغير شريعة الله، فهو كافر بإجماع المسلمين.اهـ

فصلٌ آخر: في بيان أن الهازل والجاد في نواقض الإسلام سواء:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عقب كلامه السابق ـ: ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد، والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه محمد، وآله وصحبه وسلم. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ. باختصار.

تنبيهٌ:

قد أفردتُ كل ناقضٍ ببابٍ على حِدةٍ، وكان سَردها هنا تتميمًا للفائدة، والله المستعان.

تحريم ارتكاب ناقض من نواقض الإيمان(١)

ونواقض الإيمان كثيرة منها:

* ـ الشك أو التردد أو الارتياب في الله أو دينه أو كتابه أو أنبيائه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام، أو في شيءٍ يجب الإيمان به.

* ـ الجحود لله أو لكتابه أو رُسُلِه أو شيء من دينه بعد العلم بذلك.

* ـ الإعراض عن دين الله تعالى بترك تعلُّم أصوله وفروعه.

* ـ السخرية بالله تبارك وتعالى، أو بكتابه أو رُسله، أو شيء من أمور الدين.

* ـ الاستهزاء بالله تبارك وتعالى، أو بكتابه أو رُسله، أو شيء من أمور الدين.

* ـ سب الله تبارك وتعالى، أو كتابه، أو رسله، أو شيء من أمور الدين.

* ـ الاستكبار على الله تبارك وتعالى، أو كتابه، أو رسله، أو شيء من أمور الدين.

* ـ التكذيب لله تبارك وتعالى، أو لكتابه، أو لرسله، أو شيء من أمور الدين مما يَجب التصديق به.

* ـ تعلم السحر أو العرافة أو الكهانة ونحوها.

* ـ بغض الله تبارك وتعالى، أو كتابه، أو رسله، أو شيء جاء الأمر بحبه في الدين الحنيف.

* ـ إحلال ما حرَّمه الله ورسوله ﷺ، أو تحريم ما أحله الله ورسوله ﷺ.

* ـ الإشراك بالله تبارك وتعالى في ربوبية أو ألوهية أو أسمائه وصفاته.

---

(١) هذه النواقض لخَّصتها من رسالة بعنوان: «نواقض الإيمان» لأبي حسام الدين الطرفاوي، مع إضافات يسيرة.

* ـ عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم، أو تصحيح مذهبهم.

* ـ موالاة المشركين، ونصرتهم على المسلمين.

* ـ النفاق الاعتقادي: وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر.

* ـ **الاعتقاد الباطل**: كاعتقاد اليهود والنصارى في عيسى وعزير.

وكاعتقاد الفلاسفة، أمثال ابن سينا في عقيدته في النبوة والبعث.

وكاعتقاد ابن عربي، والسهروردي والحلَّاج، والتلمساني، في الاتحاد والحلول.

وكاعتقاد المشركين، من المتصوفة في الأولياء، وأنهم لهم التصرف في الكون.

وكاعتقاد العلمانيين: أن شرع الله لا ينفع في هذا العصر، وأن القوانين الوضعية أفضل من شرع الله، أو مثله، أو يجوز الحكم بها والتحاكم إليها.

وكاعتقاد بعض المتصوفة: أن الإنسان يسعه الخروج عن شريعة محمد كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، وبقي تفاصيل كثيرة، متعلقة بهذه النواقض، وما ذكر شامل لأصولها، والله أعلم.

تنبيهٌ:

قد أفردتُ كل ناقضٍ ببابٍ على حِدةٍ، وكان سردها هنا تتميمًا للفائدة، والله المستعان.

تحريم الشرك بالله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال جل جلاله وتقدست أسمائه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد: ٣٦].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**». قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، رواه البخاري برقم (٥٦٣١)، ومسلم (١٤٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ذَكرَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الكبائر ـ أو سُئل عنها ـ، فقال: «**الشرك بالله، وقتل النفس**...الحديث»، رواه البخاري برقم (٥٦٣٢)، ومسلم (١٤٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**اجتنبوا السبع الموبقات: الإشراك بالله**... الحديث»، رواه البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم (٢٥٨).

قال الإمام النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٢/ ٨٤): والموبقات: هي المهلكات.اهـ

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قالي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟**». قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**إن حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**»، رواه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم (١٤٢).

وقال هرقل لأبي سفيان رضي الله عنه: بماذا يأمركم؟ قال: يقول: «**اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم**»، رواه البخاري برقم (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا**... الحديث»، رواه مسلم برقم (٤٥٧٨).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام:٨٢]، قلنا: يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «**ليس كما تقولون: ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بشركٍ، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه؟: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان: ١٣]»، رواه البخاري برقم (٣٢)، ومسلم (١٢٤).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٢/ ١٤٣): قال الخطابي: إنما شق عليهم؛ لأن ظاهر الظلم الافتيات بحقوق الناس، وما ظلموا به أنفسهم من ارتكاب المعاصى، فظنوا أن المراد معناه الظاهر.

وأصل الظلم وضع الشيء فى غير موضعه، ومن جعل العبادة لغير الله تعالى؛ فهو أظلم الظالمين.اهـ

وقال ابن أبي العز رحمه الله في «شرح الطحاوية» (ص٨٨): أظلم الظلم على الإطلاق: الشرك بالله، وأعدل العدل: التوحيد.اهـ

فصلٌ: في تحريم جعل الند والمثيل لله تبارك وتعالى:

قال الله تعالى: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي: الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، رواه البخاري برقم (٤٤٧٧)، ومسلم (٢٥٣).

وفي رواية للبخاري رحمه الله برقم (٦٨٦١)، ومسلم (٢٥٤): «**أن تدعو لله ندًا وهو خلقك**».

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في «كشف المشكل» (١/ ٢٩٢): النِّد: الْـمِثل، يُقَال هَذَا ند هَذَا ونديده.اهـ

تحريم السجود لغير الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وقال تعالى مخبرًا عن إنكار الهدهد لقوم سبأ: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٤ ـ ٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، ومما يقوم به المسلمون في مساجدهم، السجود لله تبارك وتعالى.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ لماله عليها من حق**»، رواه الترمذي برقم (١١٥٩)(١).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يصلُح لبشرٍ أن يسجد لبشر، ولو صَلَحَ لبشرٍ أن يسجد لبشر؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ من عظم حقِّه عليها**»، رواه أحمد برقم (١٢٩٤٩)، والنسائي (٢/ ٨٥)، وغيرُهما(٢).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٥٢٩٤)، و«الصحيح المسند» (١٠٢٨).

(٢) **صحيحٌ**: **قال الحافظ ابن كثير** ﷺ في «البداية والنهاية» (٦/ ١٢٥): إسناده جيد.اهـ

وقال المنذري ﷺ كما في «صحيح الترغيب» (٢/ ١٩٧): إسناده جيد، ورواته ثقات مشهورون.اهـ

وراجع: «صحيح الترغيب» ـ المرجع السابق ـ، و«الصحيح المسند من دلائل النبوة» لشيخنا الوادعي ﷺ (ص١٠٢).

وعن عبد الله بن أبي أوفي رضي الله عنه قال: قدم معاذٌ اليمن، فرأى النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها، فرأى في نفسه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يُعظَّم، فلما قدم قال يا رسول الله: رأيتُ النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها، فرأيتُ في نفسي أنك أحق أن تعظم؟، فقال صلى الله عليه وسلم: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»، رواه أحمد برقم (١٩٩٣١)، والترمذي (١/ ٢١٧)، وغيرهما(١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٢٠٣)، و«تحقيق المسند» (٣٢/ ١٤٩).

فائدة:

قال الهيثمي رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٤/ ٥٦٨): قد جاء عن صهيب رضي الله عنه، وفيه: النهاس بن فهم ضعيف.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه، رواه البزار، والطبراني في «الكبير»، و«الأوسط»، وأحد إسنادَي الطبراني رجاله رجال الصحيح: خلا صدقة بن عبد الله السمين، وثقه أبو حاتم، وجماعة، وضعفه البخاري، وجماعة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه البزار، وفيه: الحكم بن طهمان أبو عزة الدباغ ضعيف.

وعن سراقة بن مالك رضي الله عنه، رواه الطبراني من طريق وهب بن علي، عن أبيه، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات.

وعن غيلان بن سلمة رضي الله عنه، رواه الطبراني، وفيه: شبيب بن شيبة، والأكثرون على تضعيفه، وقد وثقه صالح جزرة، وغيره.

وعن أم سلمة رضي الله عنها، رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه: يعقوب بن محمد الزهري، وثقه غير واحد، وضعفه جماعة بسبب التدليس، وقد صرح بالتحديث عن شيخ ثقة، وبقية رجاله ثقات.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، رواه البزار بنحوه، وفي إسناد «الأوسط»: زمعة بن صالح، وقد وُثِّق على ضعفه، وبقية رجاله حديثهم حسن، وأسانيد الطريقين ضعيفة.اهـ

وقال الزيلعي رحمه الله في «نصب الراية» (١٢/ ٦٦): جاء عن بريدة رضي الله عنه، قال الذهبي رحمه الله: فيه صالح بن حبان متروك.اهـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٧/ ٥٤)، وقد ورد عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم: منهم: أبو هريرة رضي الله عنه ـ وقد تقدم ـ. وعن أنس رضي الله عنه ـ تقدم أيضًا ـ.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وإسناد رجاله كلهم ثقات، رجال الشيخين؛ لكن أبو ظبيان لم يسمعه من معاذ.

وعن قيس بن سعد رضي الله عنه، وفيه: شريك القاضي، سيئ الحفظ.

وعن عائشة رضي الله عنها، فيه: علي بن زيد بن جدعان، ضعيف.اهـ

النهي عن أداء عبادة فيها مشابهة للجاهلية أو الكفار أو ذريعة إلى الشرك بالله

عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس**»، رواه البخاري برقم (٥٨٦)، ومسلم (٨٢٧)، ولفظه: «**لا صلاة بعد صلاة الفجر**».

قلت: قد ورد تعليل النهي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة، في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**فإنها تطلع بين قرني شيطان** ـ أو بين قرني الشيطان ـ »، رواه البخاري برقم (٣٠٩٩)، ومسلم (٦١٢).

وفي حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذٍ يسجد لها الكفار، وصلِّ العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذٍ يسجد لها الكفار**»، رواه مسلم برقم (٨٣٢).

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٥/ ١١٣): قيل المراد بقرنه: أمته وشيعته، وقيل: قرنه: جانب رأسه، وهذا ظاهر الحديث فهو أولى.

ومعناه: أنه يُدني رأسه إلى الشمس في هذا الوقت؛ ليكون الساجدون للشمس من الكفار في هذا الوقت كالساجدين له، وحينئذ يكون له ولشيعته تسلط وتمكن من أن يُلبِّسوا على المصلي صلاته، فكُرهت الصلاة في هذا الوقت لهذا المعنى، كما كُرهت في مأوى الشيطان.اهـ

وقال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (٢/ ٦٠): فيه: إشارة إلى علَّة النهي عن الصلاة، في الوقتين المذكورين، وزاد مسلم من حديث عمرو بن عبسة: «**وحينئذٍ يسجد لها الكفار**».

فالنهي حينئذٍ لترك مشابهة الكفار، وقد اعْتَبر ذلك الشرع في أشياء كثيرة.اهـ



وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله، في «فتح المجيد» (ص١٥١): تحت (باب لا يُذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله): وقول الله تعالى: ﴿**لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾ [التوبة:١٠٨]:

وجه مناسبة الآية للترجمة: أن المواضع المعدَّة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، كما أن هذا المسجد لما أُعِدَّ لمعصية الله صار محل غضب لأجل ذلك، فلا تجوز الصلاة فيه لله، وهذا قياس صحيح.

يُؤيده: حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجلٌ أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له صلى الله عليه وسلم: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**». قال: لا. قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**». قال: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»، رواه أبو داود(١)، وإسناده على شرطهما(٢).

وقوله: «فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟»: فيه: المنع من الوفاء بالنذر، إذا كان في المكان وثن، ولو بعد زواله. قاله المصنف رحمه الله.اهـ

ولمزيدٍ من الفائدة يُراجع: شروح «كتاب التوحيد» ـ عند هذا الباب ـ ومن أهمِّها: «القول السديد»، والله المستعان، وهو أعلم.

---

(١) برقم (٣٣١٥).

(٢) **صحيحٌ**: **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في «الاقتضاء» (ص١٨٦): أصل الحديث في «الصحيحين»، وإسناده كلهم ثقات مشاهير.اهـ وراجع: «الصحيحة» (٦/ ٣٧١)، و«الصحيح المسند» رقم (١٨٦).



فصلٌ: في تحريم الانحناء والركوع لغير الله تبارك وتعالى:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أحدنا يَلقى صديقه أينحني له؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«لا»**. قال: فيلتزمه ويقبله؟ قال: **«لا»**. قال: فيصافحه؟ قال: **«نعم، إن شاء»**، رواه أحمد برقم (١٣٠٤٤)، والترمذي (٢٧٣٨)، **وقال** رحمه الله: هذا حديث حسن.اهـ(١).

وفي «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» للحافظ العراقي رحمه الله (٣/ ١١٩٢): أنه من فعل الأعاجم.اهـ

قلت: والأمر كما قال العراقي رحمه الله، فإنه مشهور عن العجم، وبالأخص عجم المشرق، فتجد أحدهم يفلعه لصديقه، وحال اعتذاره، وحال الوداع، وقد تشبه بهم بعض المسلمين، ولعلهم انخدعوا بأن ذلك من الأدب، ورقة الطبع، وليس هو منهما، بل هو من تقاليدهم المخالفة لشرع الله، فيُجتنب جنَّبنا الله مسالك الهوى والردى، والله المستعان، وهو أعلم.

فرعٌ: في النهي عن تقبيل الأرض ووضع الرأس بين يدي الشيوخ والملوك وغيرهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة «زيارة القبور» (ص٥٥): وأمَّا وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ، وغيرهم، أو تقبيل الأرض، ونحو ذلك؛ فإنه مما لا نزاع فيه بين الأئمة، في النهي عنه، بل مجرد الانحناء بالظهر لغير الله عز وجل منهي عنه.

ففي «المسند»، وغيره: أن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما رجع من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: «**ما هذا يا معاذ؟**»، فقال: يا رسول الله، رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، ويذكرون ذلك عن أنبيائهم، فقال: «**كذبوا يا معاذ، لو كنت آمرا أحد يسجد**

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «صحيح الترمذي» برقم (٢١٩٥).

لأحد؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها، يا معاذ: أرأيت إن مررت بقبري أكنت ساجدًا؟». قال: لا. قال: «**لا تفعل هذا**»، أو كما قال رسول الله ﷺ(١).

بل قد ثبت في «الصحيح» من حديث جابر رضي الله عنه: أنه ﷺ صلى بأصحابه قاعدًا من مرض كان به، فصلوا قيامًا، فأمرهم بالجلوس، وقال: «**لا تعظموني كما تعظم الأعاجم بعضها بعضا**»، وقال: «**من سره أن يتمثل له الناس قياما؛ فليتبوأ مقعده من النار**».

فإذا كان قد نهاهم مع قعوده، وإن كانوا قاموا للصلاة، حتى لا يتشبهوا بمن يقومون لعظمائهم، وبيَّن أن من سَرَّه القيام له، كان من أهل النار، فكيف بما فيه من السجود له، ومن وضع الرأس، وتقبيل الأيادي.

وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ـ وهو معدود من الخلفاء ـ قد وكَّل أعوانًا يمنعون الداخل من تقبيل الأرض، ويؤدبهم إذا قبَّل أحد الأرض.

وبالجملة: فالقيام والقعود والركوع والسجود حق للواحد المعبود، خالق السماوات والأرض، وما كان حقًا خالصًا لله لم يكن لغيره فيه نصيب.اهـ

فرعٌ آخر: في عدم شرعية تقبيل الجمادت كالخبز ونحوه:

قال شيخ الاسلام ابن تيميَّة رحمه الله كما في «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» (٢/ ١٥٤): لا يُشرع تقبيل الجمادات إلا ما استُثنى الشرع، من تقبيل الحجر الأسود.اهـ

---

(١) **صحيحٌ**: رواه أحمد برقم (١٩٩٣١)، والترمذي (١/ ٢١٧)، وغيرهما. راجع: «الصحيحة» برقم (١٢٠٣)، و«تحقيق المسند» (٣٢/ ١٤٩).



تحريم اتخاذ شفعاء ووسطاء ليقربونا إلى الله زلفًا

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (١/ ١٥٠): المشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة، والأنبياء والصالحين، ويصورون تماثيلهم، فيستشفعون بها، ويقولون: هؤلاء خواص الله، فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا، كما يتوسل إلى الملوك بخواصهم، لكونهم أقرب إلى الملوك من غيرهم، فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره، فيحتاج إلى إجابة شفاعته رغبة ورهبة، فأنكر الله هذه الشفاعة... **إلى أن قال** رحمه الله: فهذه الشفاعة التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين، حتى صوروا تماثيلهم، وقالوا: استشفَاعُنا بتماثيلهم استشفاعٌ بهم، وكذلك قصدوا قبورهم، وقالوا: نحن نستشفِع بهم بعد مماتهم؛ ليشفعوا لنا إلى الله، وصوروا تماثيلهم، فعبدوهم كذلك، وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله، وذم المشركين عليها وكفرَّهم بها.اهـ

تنبيهٌ:

ذكرتُ هذا الباب هنا لمناسبته، ويأتي (تحريم إنكار الشفاعة) في موضعه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

تحريم دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨ـ٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٦]، **وفي هذه الآية**: التصريح بكفر من دعا غير الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ـ ٧٠]، وغيرها من الأدلة.

تتمة: في معنى قوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون:١١٦]:

قال الإمام البغوي رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ٤٣٣): أي: لا حجة له به ولا بيِّنة؛ لأنه لا حجة في دعوى الشرك.اهـ

وقال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٥٦٠): أي: ومن دعا مع الله آلهةً غيرَه، بلا بينة من أمره، ولا برهان يدل على ما ذهب إليه، وهذا قيد ملازم، فكل من دعا غير الله، فليس له برهان على ذلك، بل دلت البراهين على بطلان ما ذهب إليه، فأعرض عنها ظلما وعنادا.اهـ



فصلٌ: في وجوب دعاء الله تبارك وتعالى وأنه عبادة خالصة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠].

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ: «﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ الآية »، رواه أبو داود برقم (١٣٧٩)، وغيرُه، عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(١).

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أفضل العبادة الدعاء**»، رواه الحاكم برقم (١٨٠٥)، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(٢).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**سلوا الله من فضله، فإن الله عز وجل يُحب أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج**»، رواه الترمذي برقم (٣٥٧١)(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**من لم يَدْعُ الله عَزَّ وَجَلَّ غَضِبَ عليه**»، رواه أحمد (٢/ ٤٧٧).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» رقم (٣٤٠٧)، و«الصحيح المسند» (١١٧١).

(٢) **حسنٌ بشواهده: قال العلامة الألباني** رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٤/ ١٠٦): رُوي عن ابن عباس من طريقين: وهو بمجموع الطريقين حسن.اهـ

وقال السخاوي رَحِمَهُ اللهُ في «المقاصد الحسنة» (ص١٧٢): حسنَّ شيخُنا ـ أي: ابن حجر ـ إسناده.اهـ

قلت: وصححه العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في «تحقيقه لسنن الترمذي» ـ تحت الرقم السابق، ويُقويه حديث النعمان السابق، والله أعلم.

(٣) **وقال** رَحِمَهُ اللهُ: هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث، وقد خُولف في روايته، وحماد بن واقد هذا هو: الصفار ليس بالحافظ، وروى أبو نعيم، هذا الحديث عن إسرائيل، عن حكيم بن جبير، عن رجل، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مرسلًا، وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح.اهـ

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٤/ ١٥٤): تفرد به أحمد، وهذا إسناد لا بأس به(١)، **ونظمه بعضهم، فقال:**

الربُ يغضب إن تركت سؤالَه　　وبنيَّ آدم حين يُسأَلُ يغضبُ.

والدعاء على قسمين:

القسم الأول: دعاء مسالة، وهو نحو قولك: اللهم اغفرلي.

القسم الثاني: دعاء عبادة، وهو كل عبادة مشتملة على دعاء، كالصلاة والحج ونحوهما.

ودعاء المسألة على نوعين:

النوع الأول: دعاء واجب، وهو دعاء الله تبارك وتعالى، وإفراده بذلك، وهذا النوع دليله ماسبق من الأدلة.

النوع الثاني: دعاء ممنوع وهو كثير، ومنه عاء الموتى، ودعاء الغائب، ودعاء العاجز، ودعاء الأصنام، ودعاء الولي ونحوها، وهو واقع بكثرة في أوساط المسلمين، فضلا عن غيرهم، والله المستعان.(٢).

---

(١) **قال محقق** - (ط/ دار طيبة) - وأضفت بعضه من عندي -: تفرد أحمد بهذا اللفظ، وإلَّا فقد رواه ابن ماجه برقم (٣٨٢٧)، من طريق وكيع بهذا الإسناد، بلفظ: «**من لم يسأل الله؛ يغضب عليه**».

وعنه - أيضًا - بلفظ: «**من لا يسأله؛ يغضب عليه**»، رواه أحمد (٢/ ٤٤٢).

وعنه - أيضًا - بلفظ: «**من لا يسأل الله يغضب عليه**»، رواه الترمذي برقم (٣٣٧٣).

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٦/ ٣٢٣) - ما ملخصه -: ليس له علة غير أبي صالح الخوزي، فحَشْرُه في زمرة المجهولين هو اللائق بمثله؛ لأنهم لم يذكروا راويًا عنه سوى أبي المليح الفارسي، لولا أن أبا زرعة قال فيه: لا بأس به، كما في «الجرح والتعديل» (٤/ ٢/ ٣٩٣)، وأقره ابن عدي، وللحديث شواهد أخرى.اهـ

(٢) راجع: «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (٣/ ١٢٢٦).

النهي عن قول الداعي: اللهم اغفرلي إن شئت فإن الله لا مستكره له

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولنَّ: اللهم إن شئت فأعطني؛ فإنه لا مستكره له»**، رواه البخاري برقم (٦٣٣٨)، ومسلم (٢٦٧٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يقولنَّ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإنه لا مكره له»**، رواه البخاري برقم (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

وفي رواية لمسلم برقم (٢٦٧٩)، عنه رضي الله عنه: **«ليعزم في الدعاء؛ فإن الله صانع ما شاء، لا مكره له»**.

وفي رواية لمسلم ـ أيضًا ـ برقم (٢٦٧٩)، عنه رضي الله عنه: **«ولكن ليعزم المسألة، وليُعظِم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»**.

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٧/ ٦): قال العلماء: عزم المسألة الشدة فى طلبها والحزم، من غير ضعف فى الطلب، ولا تعليق على مشيئة ونحوها.

وقيل: هو حسن الظن بالله تعالى في الاجابة.

ومعنى الحديث: استحباب الجزم فى الطلب، وكراهة التعليق على المشيئة.

قال العلماء: سبب كراهته، أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا فى حق من يتوجه عليه الإكراه، والله تعالى منزه عن ذلك، وهو معنى قوله ﷺ: **«فإنه لا مستكره له»**.

وقيل سبب الكراهة: أن فى هذا اللفظ صورة الاستعفاء على المطلوب، والمطلوب منه.اهـ

النهي عن ترك الاستثناء فيما يجب الاسثناء فيه

قال الله تعالى مخبرًا عن نبيه ورسوله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف:٨٩].

وقال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ١٤٨): هذا إرشاد من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه، إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل، أن يَرُدَّ ذلك إلى مشيئة الله عزَّوجل علام الغيوب، الذي يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، كما في «الصحيحين»(١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة»**، وفي رواية: **«تسعين امرأة»**، وفي رواية: **«مائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله، فقيل له»**، وفي رواية: **«فقال له المَلَكُ: قل: إن شاء الله، فلم يقل، فطاف بهن، فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان**، فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده: لو قال: إن شاء الله؛ لم يحنث، وكان دركًا لحاجته»**، وفي رواية: **«ولقاتلوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون»**.

وقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله(٢) سبب نزول هذه السورة الكريمة، فقال: حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) البخاري برقم (٣٤٢٤) ـ رواية السبعين ـ، وبرقم (٥٢٤٢) ـ رواية المائة ـ، وبرقم (٦٧٢٠) ـ رواية التسعين ـ، ومسلم (١٦٥٤).

(٢) كما في «سيرة ابن هشام» (١/ ٣١١)، و«تفسير ابن جرير» (١٥/ ١٢٧).

قال: بَعَثَتْ قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصِفُوا لهم صفتَه، وأخبروهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. قال: فقالت لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن، فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فَرَوْا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟، وسلوه عن الروح، ما هو؟، فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتَّبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقوِّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النضر وعُقبة حتى قدما على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أَمَرَنَا أحبارُ يهود أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، أخبرنا: فسألوه عما أمرُوهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«أُخبركم غدًا بما سألتم عنه»**، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحدث اللهُ إليه في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غدًا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها، لا يُخبرنا بشيء عما سألناه عنه، وحتى أَحزن رسول الله ﷺ مُكْثُ الوحي عنه، وشقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله عزَّوجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله عزَّوجل: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾** [الإسراء:٨٥].اهـ بتصرف.

وقد رأيتَ أن في السند شيخ مجهول، إلا أنه سببٌ مشهور، ولبعضه شواهد تقويه، والله المستعان، وهو أعلم.



تحريم الذبح لغير الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ـ ١٦٣].

والنسك: هو الذبح، بإجماع المفسِّرين، والله أعلم(١).

وقال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، قبل أن ينزل على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الوحي، فقُدِّمَتْ إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سفرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؛ إنكارًا لذلك وإعظامًا له، رواه البخاري برقم (٣٨٢٦).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»، رواه مسلم برقم (٥٠٩٧).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٣/ ١٤١): وأما الذبح لغير الله فالمراد به: كمن ذبح لصنمٍ، أو لصليبٍ، أو لموسى، أو لعيسى صلى الله عليهما، أو للكعبة ونحو ذلك، فكل هذا حرام.اهـ

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل آخر النار في ذباب. قالوا: وكيف ذاك؟ قال: مرَّ رجلان ممن كان قبلكم على ناس معهم صنم، لا يمر بهم أحد

(١) راجع: «تفسيرابن جرير» (١٢/ ٢٨٣).



إلا قرب لصنمهم، فقالوا لأحدهم: قرب شيئًا قال: ما معي شيء، قالوا: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا ومضى، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب شيئًا، قال: ما كنت لأقرب لأحدٍ دون الله، فقتلوه، فدخل الجنة، رواه أحمد، في «الزهد» برقم (٢٢)، وأبو نعيم، في «الحلية» (١/ ٢٠٣)(١).

قلت: ولهذا الباب تتمة في الأبواب التالية ـ إن شاء الله تعالى ـ.

إشكالٌ وجوابه؛ فإن قيل كيف أكل ﷺ مما ذبح على أنصابهم؟:

قال الحافظ ابن حجر ﵀ في «الفتح» (٧/ ١٤٣): قال الخطابي: كان النبي ﷺ لا يأكل مما يذبحون عليها للاصنام، ويأكل ما عدا ذلك، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه؛ لأن الشرع لم يكن نزل بعد، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، إلا بعد المبعث بمدة طويلة.

ثم قال الحافظ ﵀: وهذا الجواب أولى مما ارتكبه ابن بطال، وعلى تقدير: أن يكون زيد بن حارثة ذبح على الحجر المذكور، فإنما يُحمل أنه إنما ذبح عليه لغير الاصنام.

وقال الداوودي: كان النبي ﷺ قبل المبعث يُجانب المشركين في عاداتهم، لكن لم يكن يعلم ما يتعلق بأمر الذبح، وكان زيد قد علم ذلك من أهل الكتاب الذين لقيهم.

وقال السهيلي: فإن قيل: فالنبي ﷺ، كان أولى من زيد بهذه الفضيلة، فالجواب: أنه ليس في الحديث، أنه ﷺ أكل منها.

---

(١) **صحيحٌ موقوفًا**: وكلام أهل العلل والحديث عليه طويل، خُلاصته: أنه صحيح إلى سلمان ﵁، من قوله، وأمَّا المرفوع فلم يصح، إلا أن مثله لا يُقال بالرأي. راجع: «النهج السديد» رقم (١٢٤)، والله أعلم.

وعلى تقدير: أن يكون أكل، فزيد إنما كان يفعل ذلك برأي يراه لا بشرع بِلَغَه، وإنما كان عند أهل الجاهلية بقايا من دين إبراهيم، وكان في شرع إبراهيم تحريم الميتة لا تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام. **والأصح**: أن الاشياء قبل الشرع لا توصف بحل ولا بحرمة.

وقوله: إن زيدًا فعل ذلك برأيه أولى من قول الداوودي: إنه تلقاه عن أهل الكتاب، لا سيَّما وأن زيدا يصرح عن نفسه بأنه لم يتبع أحدا من أهل الكتابين.

وقال القاضي عياض: إنها كالممتنع، لأن النواهي إنما تكون بعد تقرير الشرع، والنبي ﷺ لم يكن متعبدًا قبل أن يوحى إليه بشرع من قبله على الصحيح.اهـ مختصرا.

فرعٌ: في بيان أن ما يُسمى في بعض البلدان (بالهجر ونحوه) يُعتبر ذبحًا لغير الله تعالى:

أقول وما توفيقي إلاَّ بالله: مما يدخل في هذا الباب: ما عمَّت به البلوى بما يُسمَّى في بعض بلادنا: بالغَلَاقِ، أو الهَجَرْ، أورد الاعتبار؛ لأن ذابحه قصد به غير الله تبارك وتعالى تعالى، ولو ذُكر عليه اسم الله؛ لما تقدم من أدلة تحريم الذبح لغير الله، كقوله تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [الكوثر:٢]، وغيرها، وعلى هذا علماء العصر قاطبة ــ علماء أهل السنة والجماعة ــ، ولشيخنا الهمام محمد بن عبدالله الإمام ـ حفظه الله ـ رسالة قيمة في بابها، والله المستعان، وهو أعلم.



فصلٌ: في تحريم تعظيم المذبوح له من دون الله تعالى وأنه على خطرٍ عظيم:

قال الإمام النووي ﵀ في «شرح مسلم» (١٣/ ١٤١): فإن قصد مع ذبحه لغير الله تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك؛ صار بالذبح مرتدًا.اهـ

وقال ﵀ في «المجموع شرح المهذب» (٨/ ٤٠٩): قال الرافعي: واعلم أن الذبح للمعبود وباسمه، نازل منزلة السجود، وكل واحد منهما من أنواع التعظيم والعبادة المخصوصة بالله تعالى، الذي هو المستحق للعبادة، فمن ذبح لغيره من حيوان أو جماد، كالصنم على وجه التعظيم والعبادة لم تحل ذبيحته، وكان فعله كفرا، كمن يسجد لغير الله تعالى سجدة عبادة، فكذا لو ذبح له أو لغيره على هذا الوجه.اهـ

تحريم الإهلال لغير الله تبارك وتعالى

تعريف الإهلال لغةً:

قال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٢٢٤): الإهلال: رفع الصوت، يُقال: أهلَّ بكذا، أي رفع صوته.اهـ

وشرعًا على أنواع:

الأول: ما أهلّ به لغير الله تعالى ـ أي: ما ذُبح لغير الله تعالى ـ:

وهذا النوع سبق بيانه، وبعض ما يتعلق به، في الباب قبل هذا.

الثاني: ما أهلّ عليه بغير اسم الله تعالى ـ أي: ما سُمِّيَ عليه غير اسم الله تعالى ـ:

الثالث: ما ذبح وأهل عليه مع اسم الله اسم غيره:

وأدلة تحريم هذين النوعين كثيرة، منها ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾ [البقرة:١٧٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٤٨١): وحَرَّم عليهم ما أُهِلَّ به لغير الله، وهو ما ذبح على غير اسمه تعالى، من الأنصاب، والأنداد والأزلام، ونحو ذلك.اهـ

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في «تفسيره» (١/ ١٩٦): والمراد هنا: ما ذُكر عليه اسمُ غير الله، كاللات والعزى، إذا كان الذَّبَّاح وثنيًا، والنار إذا كان الذَّابح مجوسيًا، ولا خلاف في تحريم هذا وأمثاله.

ومثله: ما يقع من المعتقدين للأموات من الذبح على قبورهم، فإنه مما أهل به لغير الله، ولا فرق بينه وبين الذبح للوثن.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾ [المائدة:٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٣/ ١٧): أي: ما ذُبح فَذُكِرَ عليه اسمُ غير الله، فهو حرام؛ لأن الله أوجب أن تُذبح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمتى عُدِل بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره، من صنم أو طاغوت، أو وثن أو غير ذلك، من سائر المخلوقات، فإنها حرام بالإجماع.اهـ

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٣/ ٥٧): قال ابن عطية: ما ذُبح على النصب حزء مما أُهل به لغير الله، ولكن خُصَّ بالذِّكر بعد جنسه؛ لشهرة الأمر، وشرف الموضوع، وتعظيم النفوس له.اهـ

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (ص٢٧١): ويدخل تحت هذا المنهي عنه، ما ذُكر عليه اسم غير الله، فإن هذا مما أُهل لغير الله به، المحرَّم بالنص عليه خصوصًا.اهـ

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لعن الله من أهل لغير الله»**، رواه ابن حبان برقم (٥٨٩٦)(١).

قلت: وتقدَّم كلام النووي رَحِمَهُ اللهُ ـ في الباب قبل هذا ـ يُراجع للفائدة.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾ [الأنعام:١٤٥].

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «تحقيق العلامة الألباني، والشيخ شعيب الأرناؤوط ـ رحمهما الله تعالى ـ، على ابن حبان» ـ تحت الرقم المذكور ـ، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «المفهم» (٥/ ٣٦٣): وكره كافة العلماء من أصحابنا، وغيرهم؛ الصلاة على النبي ﷺ عند التسمية في الذبح، أو ذكره، وقالوا: لا يُذكر هنا إلا الله وحده.اهـ

تتمة: **في ذِكر بعض ما قد يُهلّ عليه بغير اسم الله تبارك وتعالى**:

من الإهلال بغير اسم الله تعالى: الذبح باسم موسى، أو عزير وغيرهما عند اليهود.

أو الذبح باسم الأب، أوالابن، أو روح القدس ونحوها عند النصارى.

أو الذبح باسم مَلَكٍ، أو نبيٍ، أو رسولٍ، أو مَلِكٍ، أو صنمٍ، أو اللَّات، أو العزى، أو كوكب، أو رئيس، أو ولي، أو عالم، أو غير من ذكر، فإن كل ذلك وشبهه من الإهلال بغير الله تبارك وتعالى، المنهي عنه كما في الأدلة السابقة، والله أعلم.

الرابع: ما ذُبح في مكان يُذبح فيه لغير الله وإن سُمِّيَ الله تبارك وتعالى:

قال الله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ**﴾ ـ الآية إلى قوله: ـ ﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾ [المائدة: ٣].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٦/ ٥٧): قال ابن فارس: النصب حجر كان يُنصب فيُعبد وتُصب عليه دماء الذبائح، وهو النصب ـ أيضًا ـ.

والنصائب حجارة تُنصب حوالي شفير البئر فتجعل عضائد، وغبار منتصب مرتفع.

وقيل: النصب جمع، واحده نصاب كحمار وحمر.

وقيل: هو اسم مفرد والجمع أنصاب، وكانت ثلاثمائة وستين حجرا.

وقرأ طلحة النُصْب ـ بجزم الصاد ـ.

وروي عن ابن عمر النَصب ـ بفتح النون وجزم الصاد ـ

الجحدري: ـ بفتح النون والصاد ـ جعله اسما موحدا كالجبل والجمل، والجمع أنصاب، كالأجمال والأجبال.

قال مجاهد: هي حجارة كانت حوالي مكة يذبحون عليها.

قال ابن جريج: كانت العرب تذبح بمكة، وتنضح بالدم ما أَقبل من البيت، ويشرحون اللحم ويضعونه على الحجارة، فلما جاء الإسلام قال المسلمون للنبي ﷺ: نحن أحق أن نعظم هذا البيت بهذه الأفعال، فكأنه عليه الصلاة والسلام لم يكره ذلك، فأنزل الله تعالى: **﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾** [الحج: ٣٧]، ونزلت: **﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾** المعنى: والنية فيها تعظيم النصب لا أن الذبح عليها غير جائز، وقال الأعشى:

وذا النُّصُبِ المنصُوبِ لا تنسكَنَّه ... لعافية والله ربك فاعبدا

وقيل: على بمعنى اللام، أي لأجلها، قال قطرب قال ابن زيد: ما ذبح على النصب وما أهل به لغير الله شي واحد.

قال ابن عطية: ما ذُبح على النصب جزء مما أهل به لغير الله، ولكن خُص بالذكر بعد جنسه لشهرة الأمر وشرف الموضع وتعظيم النفوس له.اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٢٣): وقوله: **﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾** قال مجاهد وابن جريج كانت النصب حجارة حول الكعبة، قال ابن جريج: وهي ثلاثمائة وستون نصبا، كان العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب.

وكذا ذكره غير واحد، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح، التي فُعلت عند النصب، حتى ولو كان يُذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله.

وينبغي أن يُحمل هذا على هذا؛ لأنه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله.اهـ

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ، أن ينحر إبلًا ببوانة، فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة، فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد؟**». قالوا: لا. قال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**»، قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»، رواه أبو داود برقم (٣٣١٥)(١).

وعن ميمونة بنت كردم رضي الله عنها قالت: خرجت مع أبي، في حجة رسول الله ﷺ، فدنا إليه أبي، فقال: يا رسول الله إني نذرتُ إن وُلِدَ لي ولد ذكر أن أنحر على رأس بوانة ـ في عقبة من الثنايا ـ عدة من الغنم؟. قال: لا أعلمُ إلا أنها قالت خمسين، فقال رسول الله ﷺ: «**هل بها من الأوثان شيء؟**». قال: لا. قال: «**فأوف بما نذرت به لله**»، رواه أحمد برقم (٢٧٨٢٣)، وأبو داود (٣٣١٦).

وفي لفظٍ لأحمد برقم (١٥٨٥٤): قال ﷺ: «**أَلِوثن؟، أو لِنُصُبْ؟**». قال: لا، ولكن لله تبارك وتعالى. قال: «**فأوف لله تبارك وتعالى ما جعلت له، انحر على بوانة، وأوف بنذرك**»(٢).

قال العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٦/ ٣٧١): وفيه من الفقه: تحريم الوفاء بنذر المعصية، وأن من ذلك الوفاء بنذر الطاعة في مكانٍ كان يُشرك فيه بالله، أو كان عيدًا للكفار، فضلًا عن مكان يتعاطى الناس الشرك فيه، أو المعاصي.اهـ

---

(١) **صحيحٌ: قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في «الاقتضاء» (ص١٨٦): أصل الحديث في «الصحيحين»، وإسناده كلهم ثقات مشاهير.اهـ وراجع: «الصحيحة» (٦/ ٣٧١)، و«الصحيح المسند» رقم (١٨٦).

(٢) **حسنٌ بشواهده: قال العلامة الألباني** رحمه الله في «الصحيحة» (٦/ ٣٧١): إسناده حسن في الشواهد.اهـ

قلت: فيه: سارة بنت مقسم، **قال الحافظ** رحمه الله في «التقريب»: لا تعرف.اهـ إلا أنه يَقْوَى بما تقدم، والله أعلم.



وفي «فتاوى اللجنة الدائمة» ـ المجموعة الثانية ـ (١/ ٦٦) ما نصه:

س: بعض الناس عندما يريدون الذبح يتوجهون إلى الغرب، ويذبحون في مكان يذبح فيه لغير الله، فهل يجوز لنا أن نأكل من لحمهم؟

ج: الذبح عبادة لله يجب أن يكون خالصا لله وحده، فلا يجوز صرفه لغير الله، أو فعله في الأماكن التي يتقرب فيها لغير الله؛ ولذلك حرم الله أكل الذبائح التي تذبح عند النصب، حتى وإن ذكر اسم الله عليها، ونهى الله المؤمنين عن ذلك؛ لأن تلك النصب كانت حجارة حول الكعبة، كانت العرب في جاهليتها يذبحون ذبائحهم عندها، ويتقربون بها لغير الله، وعلى ذلك لا يجوز لكم الذبح في الأماكن التي يذبح فيها لغير الله؛ لما في ذلك من التشبه بهم، وخوفا من التأثر بمعتقداتهم، والذبائح التي تذبح في ذلك.اهـ

قلت: وفي (باب النهي عن أداء عبادة فيها مشابهة للجاهلية، أو الكفار، أو ذريعة إلى الشرك بالله) زيادة بيان وإيضاح، والله أعلم.

تحريم أكل ما ذُبح أو أُهلَّ به لغير الله تعالى

وهو أنواع:

الأول: ما ذُبح لغير الله تعالى.

الثاني: ما ذُكر عليه غير اسم الله تعالى.

الثالث: ما ذُكر عليه عند ذبحه مع اسم الله اسم غيره.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ**﴾ [البقرة:١٧٣]. وقال الله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾ [المائدة:٣].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾ [الأنعام:١٤٥].

وقد تقدم ذكر بعض أقوال المفسرين، على الآيات الثلاث السابقة، في (تحريم الإهلال لغير الله تبارك وتعالى)، وتقدم ـ أيضًا ـ: نقل الحافظ ابن كثير، والإمام الشوكاني ـ رحمهما الله تعالى ـ إجماع العلماء على تحريم أكل ما ذُبح، أو أُهل به لغير الله تبارك وتعالى.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٣٣): لا خلاف بين العلماء: أن ما ذبحه المجوسي لناره، والوثني لوثنه لا يؤكل.اهـ

وقال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٣/ ١٤١): ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلمًا، أو نصرانيًا، أو يهوديًا، نص عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا. . .

وذكر الشيخ إبراهيم المروزي من أصحابنا: أن ما يُذبح عند استقبال السلطان تقربًا إليه أفتى أهل بخارة بتحريمه؛ لأنه مما أهل به لغير الله تعالى.اهـ

تحريم أكل ما لم يُذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وطاعة للشيطان

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام:١٢١].

وقال الله تعالى: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ**﴾ [المائدة:٤].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه؛ فكل**»، رواه البخاري برقم (٢٤٨٨)، ومسلم (٥٠٩٢).

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما صدت بقوسك، فاذكر اسم الله، ثم كل، وما صدت بكلبك المعلم، فاذكر اسم الله، ثم كل، وما صدت بكلبك الذي ليس معلمًا فأدركت ذكاته، فكل**»، رواه البخاري برقم (٥٤٨٨)، مسلم (٥٠٩٢).

وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه، فكلوه، ليس السن والظفر، وسأحدثكم عن ذلك، أما السن فعظم، وأما الظفر فَمُدى الحبشة**»، رواه البخاري برقم (٢٣٧٢)، ومسلم (١٩٦٨).

وتقدم في قصة زيد بن عمرو بن نفيل: قوله رضي الله عنه: إني لستُ آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلَّا ما ذُكر اسم الله عليه.

فصلٌ: فيما إذا جُهل حاله هل ذُكر عليه اسم الله أم لاء:

عن عائشة رضي الله عنها، أن قومًا قالوا يا رسول الله: إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سموا الله عليه وكلوه**»، رواه البخاري برقم (٢٠٥٧).

قال العلامة الفوزان ـ حفظه الله تعالى ـ في «كتاب الأطعمة» (ص١٣٤): وهذا يختلف بختلاف العلماء، في حكم التسمية على الذبيحة:

فعلى قول من يَرى أن التسمية غير واجبة على الذبيحة، لا أثر للشك في حصول التسمية على الذبيحة، إذ هي عنده حلال بدون التسمية، غاية ما يكون إذا لم تُحصل التسمية على الذبيحة فقد فُقدت سُنَّة.

وعلى مذهب من يرى وجوب التسمية على الذبيحة، إمَّا مطلقًا أو في غير حال النسيان، فقد كفاهم كشف هذه المشكلة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنهم حيث سألوا الرسول، فقالوا إن قومًا ... الحديث.

فمن هذا يُؤخذ: أن من وجد لحمًا ذَبَحَهُ غيرُه جاز له أن يأكل منه، ويذكر اسم الله عليه؛ لحمل أمر الناس على الصحة والسلامة، وحينئذ يُمكننا أن نقول إن تُيقِّن أن الذَّابح لم يسمِّ عليها؛ لم يجز أن يأكل منها، وإذا لم يُعلم هل سُمِّي عليها أو لاء، جاز أن يأكل منها؛ لأنه لا يلزم أن تُعلم التسمية فيما يُجلب إلى أسواق المسلمين، مما ذبحه المسلمون، أو أهل الكتاب؛ لأن المسلمين قد عَرفوا التسمية، والمسلم يُحسن به الظن، مالم يتبين خلاف ذلك، وأهل الكتاب في حكمهم، في هذا.اهـ

فصلٌ آخر في تحريم أكل اللحم أو الدجاج المستوردة:

قلت: ومما يدخل في هذا الباب: اللحم والدجاج المستوردان من دول الكفر، إذا تُحُقِّقَ أن الذبيحة مَصْعُوقة، أو كان الذابح لها غير كتابي، ونحو ذلك، وقد بسطتُ المسألة، وذكرتُ كلام أهل العلم فيها، وأدلتهم عليها، في «الشامل في العقيدة»، أصل هذا المختصر، وأنه قول عامة علماء العصر، بما خلاصته ما زُبِر هنا، والله ولي التوفيق، وهو أعلم.

النهي عن أكل ما نَسيَ المسلمُ تذكيته

هذه المسألة مما طال كلام أهل العلم فيها، وأحسن من لخَّص أقوالهم فيها، الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله، في «تفسيره» (٣/ ٣٢٤) ـ عند قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ**﴾ [الأنعام:١٢١] ـ.

قال رحمه الله: **اختلف الأئمة ـ رحمهم الله ـ في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:**

فمنهم من قال: لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة، وسواء متروك التسمية عمدًا أو سهوًا، وهو مروي عن ابن عمر، ونافع مولاه، وعامر الشعبي، ومحمد بن سيرين، ورواية عن الإمام مالك، ورواية عن أحمد بن حنبل ـ نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين ـ، وهو اختيار أبي ثور، وداود الظاهري، واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه «الأربعين».

واحتجوا لمذهبهم بهذه الآية، وبقوله تعالى ـ في آية الصيد ـ: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ**﴾ [المائدة:٤]، ثم قد أكَّد في هذه الآية بقوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**﴾، والضمير قيل: عائد على الأكل، وقيل: عائد على الذبح لغير الله.

وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد، كحديثي عدي بن حاتم، وأبي ثعلبة رضي الله عنهما: «**إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه، فكل ما أمسك عليك**»، وهما في «الصحيحين»(١). وحديث رافع بن خُدَيْج رضي الله عنه: «**ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه؛ فكلوه**»، وهو في «الصحيحين»(٢) ـ أيضًا ـ.

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا ـ أيضًا ـ.



وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للجن: «**لكم كل عظمٍ ذُكر اسم الله عليه**»، رواه مسلم ـ برقم (٤٥٠) ـ.

وحديث جُنْدَب بن سفيان البَجَلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من ذَبح قبل أن يُصلِّي فليذبح مكانها أخرى، ومن لم يكن ذبح حتى صلينا؛ فليذبح باسم الله**»، ـ رواه البخاري برقم (٩٤٢)، ومسلم (١٩٦٠) ـ.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري: أذُكر اسم الله عليه أم لا؟ قال: «**سمُّوا عليه أنتم وكلوا**». قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر، رواه البخاري ـ برقم (٥١٨٨) ـ.

ووجه الدلالة: أنهم فهموا أن التسمية لا بد منها، وأنهم خشوا ألَّا تكون وجدت من أولئك لحداثة إسلامهم، فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل، لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت، وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين على السداد، والله تعالى أعلم.

والمذهب الثاني: أنه لا يُشترط التسمية، بل هي مستحبة، فإن تُركت عمدًا أو نسيانًا لم تضر، وهذا مذهب الإمام الشافعي وجميع أصحابه، ورواية عن الإمام أحمد، ـ نقلها عنه حنبل ـ، ورواية عن الإمام مالك، ونص على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه، وحُكي عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعطاء بن أبي رباح، والله أعلم.

وحمل الشافعي الآية الكريمة: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**﴾ [الأنعام:١٢١] على ما ذُبح لغير الله، كقوله تعالى: ﴿**أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾ [الأنعام:١٤٥].

وقال ابن جُرَيْج، عن عطاء: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ**﴾ قال: يَنهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش عن الأوثان، وينهى عن ذبائح المجوس.

وهذا المسلك الذي طرقه الإمام الشافعي رحمه الله: قوي، وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل (الواو) في قوله: ﴿وإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ حالية أي: لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقًا، ولا يكون فسقا حتى يكون قد أُهل به لغير الله، ثم ادعى أن هذا متعين، ولا يجوز أن تكون (الواو) عاطفة، لأنه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية على جمله فعلية طلبية، وهذا ينتقض عليه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام:١٢١]، فإنها عاطفة لا محاولة، فإن كانت (الواو) التي ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال؛ امتنع عطف هذه عليها، فإن عطفت على الطلبية، ورد عليه ما أورد على غيره، وإن لم تكن (الواو) حالية، بطل ما قال من أصله، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: ـ وساق بسنده ـ عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ**﴾ [الأنعام:١٢١] قال: هي الميتة، ثم رواه، عن أبي زُرْعَة، عن يحيى بن أبي كثير، عن ابن لَهِيعَة، عن عطاء بن السائب به.

وقد استدل لهذا المذهب: بما رواه أبو داود، في «المراسيل» ـ برقم (٣٧٨) ـ من حديث ثور بن يزيد، عن الصلت السدوسي ـ مولى سُوَيْد بن مَنْجوف أحد التابعين الذين ذكرهم أبو حاتم بن حبان في كتاب «الثقات» ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ذَبِيحَة المسلم حلال، ذُكِر اسمُ الله أو لم يُذْكَرْ، إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله**».

وهذا مرسل يُعضد بما رواه الدارقطني ـ برقم (٩٦)ـ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إذا ذبح المسلم، ولم يذكر اسم الله؛ فليأكل، فإن المسلم فيه اسم من أسماء الله.

واحتج البيهقي ـ أيضًا ـ: بحديث عائشة المتقدم: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، إن قومًا حديثي عهد بجاهلية يأتونا بلحم، لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال: «**سَمّوا أنتم وكُلُوا**»، قال: فلو كان وجود التسمية شرطًا لم يرخص لهم إلا مع تحققها، والله أعلم.



المذهب الثالث: أنه إن ترك البسملة على الذبيحة نسيانًا لم يضر، وإن تركها عمدًا لم تحل، هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك، وأحمد بن حنبل، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وهو محكي عن علي، وابن عباس، وسعيد بن المُسَيَّب، وعَطَاء، وطاوس، والحسن البصري، وأبي مالك، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وجعفر بن محمد، وربيعة بن أبي عبد الرحمن.

ونقل الإمام أبو الحسن المرغيناني في كتابه «الهداية» الإجماع قبل الشافعي رحمه الله على تحريم متروك التسمية عمدًا، فلهذا قال أبو يوسف والمشايخ: لو حكم حاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفة الإجماع، وهذا الذي قاله غريب جدًا، وقد تقدم نقل الخلاف عمن قبل الشافعي، والله أعلم.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: من حرَّم ذبيحة الناسي، فقد خرج من قول جميع الحجة، وخالف الخبر الثابت عن رسول الله ﷺ في ذلك، ـ يعني ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي: ـ برقم (١٨٦٦٩) وساق السند ـ، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**المسلم يكفيه اسمه، إن نسي أن يُسمِّي حين يذبح، فليذكر اسم الله وليأكله**».

وهذا الحديث رفعه خطأ، أخطأ فيه معقل بن عبيد الله الجزيري، فإنه وإن كان من رجال مسلم، إلا أن سعيد بن منصور، وعبد الله بن الزبير الحميدي؛ روياه عن سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن أبي الشعثاء، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس، من قوله، فزادا في إسناده أبا الشعثاء، ووقفاه، والله تعالى أعلم، وهذا أصح، نص عليه البيهقي، وغيره من الحفاظ.

وقد نقل ابن جرير، وغيره، عن الشعبي، ومحمد بن سيرين، أنهما كرها متروك التسمية نسيانًا، والسلف يطلقون الكراهية على التحريم كثيرًا، والله أعلم، إلا أن من قاعدة ابن جرير أنه لا يعتبر قول الواحد، ولا الاثنين مخالفًا لقول الجمهور، فيعده إجماعًا، فليعلم هذا، والله الموفق.

قال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا أبو أسامة، عن جَهِير بن يزيد قال: سئل الحسن، سأله رجل أُتيت بطير كَرى، فمنه ما قد ذبح، فذكر اسم الله عليه، ومنه ما نسي ـ أن يذكر اسم الله عليه، واختلط الطير، فقال الحسن: كله، كله، قال: وسألت محمد بن سيرين فقال: قال الله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾.

واحتج لهذا المذهب بالحديث المروي من طرق، عند ابن ماجه(١)، عن ابن عباس، وأبي هريرة، وأبي ذر، وعقبة بن عامر، وابن عمرو رضي الله عنهم، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه**»، وفيه نظر(٢)، والله أعلم.

وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدي(٣) ـ وساق بسنده إلى ـ أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**اسم الله على كل مسلم**»، ومروان بن سالم القرقساني ـ أبا عبد الله الشامي ـ ضعيف، تكلم فيه غير واحد من الأئمة، والله أعلم.

ثم قال ابن كثير رحمه الله: وقد أفردتُ هذه المسألة على حدة، وذكرت مذاهب الأئمة ومآخذهم وأدلتهم، ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات، والله أعلم.اهـ بتصرفٍ يسير.

قال أبو محمد السليماني ـ سدده الله ـ: وبعد الذي رأيتَ، فإن الذي يطمئنُ إليه القلب، هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ كما في «الفتاوى» (٣٥/ ٢٣٩) ـ **قال** رحمه الله:

---

(١) **صحيحٌ**: رواه ابن ماجه برقم (٢٠٤٥)، راجع: «صحيح ابن ماجه» برقم (١٦٦٣).

(٢) **قلت**: وكلام أهل العلم على هذا الحديث متنازع، **والأقرب**: هو الاحتجاج به. راجع: «البدر المنير» (٤/ ١٧٧)، وغيره، والله أعلم.

(٣) في «الكامل» تحت باب: من اسمه مروان بن سالم، ترجمة برقم (١٨٧٠).



فصل: والتسمية على الذبيحة مشروعة، لكن قيل: هي مستحبة، وقيل: واجبة مع العمد، وتسقط مع السهو، وقيل: تجب مطلقًا، فلا تُؤكل الذبيحة بدونها سواء تركها عمدًا، أو سهوًا، وهو قول غير واحد من السلف، وهذا أظهر الأقوال؛ فإن الكتاب والسنة قد علَّق الحل بذكر اسم الله في غير موضع، ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة، ـ التي تقدم ذكرها، في ثنايا كلام ابن كثير رحمه الله ـ.اهـ مختصرًا.

وسُئل رحمه الله ـ أيضًا ـ كما في «الفتاوى» (٣٥/ ٢٤٠) ـ، عن الذبيحة التي يُتيقَّن أنه ما سُمِّي عليها: هل يجوز أكلها؟

فأجاب: الحمد لله التسمية عليها واجبة بالكتاب والسنة، وهو قول جمهور العلماء، لكن إذا لم يعلم الإنسان هل سَمَّى الذابح، أم لم يُسم أكلَ منها، وإن تَيَقَّن أنه لم يسم لم يأكل، وكذلك الأضحية.اهـ

تنبيه:

ذكرتُ في «الشامل في العقيدة ـ أصل هذا المختصر ـ» مسائل عدة، متعلِّقة بأبواب التسمية، أعانني الله على إتمامه، والنفع به، والله المستعان، وهو أعلم، وأحكم، وأرحم.

تحريم صرف شيء من مخلوقات الله لغيره سبحانه وتعالى

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ للهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١٣٨].

قال ابن زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللهُ: قوله: ﴿حِجْرٌ﴾: احتجروها لآلهتهم، رواه ابن جرير برقم (١٣٩٢٢)(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٥٦ ـ ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف:١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢): يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما افتروه وكذَبُوه، في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله، كما ذكر الله عنهم في سورة الأنعام، في قوله: ﴿وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الآية إلى قوله: ﴿سَاءَ مَا

(١) صحيحٌ إليه، والله أعلم.



يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وكذلك جعلوا له من قِسمَي البنات والبنين أخسهما، وأردأهما وهو البنات(١)، كما قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم:٢٢]، وقال هاهنا: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾.اهـ

(١) وهذا بحسب زعم المشركين، وإلا فدين الإسلام قد رفع من شأن البنات، فجعلهن حجابا من النار، وجعلهن المؤنسات، وغير ذلك من الصفات، ولولا أن المقام لا يناسب ذكر أدلة فضلهن لذكرتُها، والله المستعان.

فصلٌ: في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام:

قال الله تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [المائدة:١٠٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**رأيت جَهَنَّم يَحْطِمُ بعضها بعضًا، ورأيت عَمْرًا يجر قُصْبه، وهو أول من سيب السوائب**»، رواه البخاري برقم (٤٦٢٤)(١).

وقال ابن المسيَّب رحمه الله: **البحيرة**: التي يُمْنَعُ درّها للطواغيت، فلا يَحْلبها أحد من الناس.

والسائبة: كانوا يسيبونَها لآلهتهم، لا يُحمل عليها شيء. قال: وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**رأيت عمْرَو يجُرّ قُصْبَه في النار، كان أوَّل من سيب السوائب**».

والوصيلة: الناقة البكر، تُبَكّر في أول نتاج الإبل، ثم تُثَنّي بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحْدَاهما بالأخرى ليس بينهما ذكَر.

والحام: فحل الإبل يَضربُ الضرّابَ المعدود، فإذا قضى ضرابه وَدَعُوه للطواغيت، وأعفوه عن الحَمْل، فلم يُحْمَل عليه شيء، وسَمّوه الحامي، رواه البخاري برقم (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦).

---

(١) وروى عبد الرزاق في «مصنفه» (١/ ١٩١)، عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إني لأعرف أول من سيب السوائب، وأول من غير دين إبراهيم** عليه السلام». قالوا: من هو يا رسول الله؟. قال: «**عمرو بن لُحَيّ** - أخو بني كعب -، **لقد رأيته يجر قُصْبه في النار، يُؤذي ريحه أهل النار، وإني لأعرف أول من بحر البحائر**». قالوا: من هو يا رسول الله؟. قال: «**رجل من بني مُدْلج، كانت له ناقتان، فجدع آذانهما، وحرم ألبانهما، ثم شرب ألبانهما بعد ذلك، فلقد رأيته في النار، وهما يعضّانه بأفواههما، ويخبطانه بأخفافهما**». وهو مرسل؛ لأن زيد بن أسلم لم يسمع من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذكرته لبيانه أولويَّة ما ذُكر في الآية، والله أعلم.



وروى ابن جرير (١١/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم، برقم (٦٨٨٥)، عن مالك بن نَضْلَة رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خَلْقان من الثياب، فقال لي: **«هل لك من مال؟»**. قلت: نعم. قال: **«من أيِّ المال؟»**. فقلت: من كل المال، من الإبل والغنم، والخيل، والرقيق. قال: **«فإذا آتاك الله مالًا فلْيُرَ عليك»**، ثم قال: **«تنتج إبلك وافية آذانها؟»**. قلت: نعم. قال: **«وهل تنتج الإبل إلَّا كذلك؟»**. قال: **«فلعلك تأخذ الموسى فتقطع آذان طائفة منها، وتقول: هذه بحير، وتشق آذان طائفة منها، وتقول: هذه حرم؟»**. قلت: نعم. قال: **«فلا تفعل؛ إن كل ما آتاك الله لك حل»**، ثم قال: **﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ﴾** [المائدة: ١٠٣].

أمَّا البحيرة: فهي التي يجدعون آذانها، فلا تنتفع امرأته ولا بناته، ولا أحد من أهل بيته بصوفها، ولا أوبارها، ولا أشعارها، ولا ألبانها، فإذا ماتت اشتركوا فيها.

وأمَّا السائبة: فهي التي يسيبون لآلهتهم.

وأمَّا الوصيلة: فالشاة تلد ستة أبطن، فإذا ولدت السابع جدعت وقطع قرنها، فيقولون: قد وصلت، فلا يذبحونها ولا تضرب ولا تمنع مهما وردت على حوض(١).

وقد ذكرتُ بعض ما يتعلَّق بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، في «الشامل في العقيدة» ـ أصل هذا المختصر ـ أسأل من الله العون على إتمامها، والنفع بها، والانتفاع منها في الدنيا والآخرة.

---

(١) **صحيحٌ**: ورواه الطبراني في «الصغير» برقم (٤٨٩)، راجع: «مجمع الزوائد» برقم (٨٥٨٧)، والله أعلم.

تحريم النذر لغير الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة:٢٧٠].

ووجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى قرن النذر بالنفقات، التي هي قُربٌ وطاعات، لا تكون إلى الله تعالى، ومن صرف شيئًا منها لغيره، فقد أشرك، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، وأظلم الظلم على الإطلاق، الشرك بالله تبارك وتعالى، كما سبق ذلك موضحًا، في (باب تحريم الشرك بالله تعالى)(١)، والله أعلم.

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٣٣): **قوله**: ﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: خالصًا مفرغًا للعبادة، ولخدمة بيت المقدس.اهـ **قال العلامة الشوكاني** رحمه الله «تفسيره» (١/ ٤٥٧): وكان هذا النذر جائز في شريعتهم.اهـ

ووجه الدلالة من الآية: قول امرأة عمران ـ عليها السلام ـ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، فأفردت نذرها لله، وأخلصته له، وحده لا شريك له.

وقال الله تعالى مخبرًا عن قول عيسى عليه السلام لأمه: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم:٢٦].

---

(١) وإلى هذا أشار العلامة ابن باز رحمه الله، في "شرح كتاب التوحيد» (ص١٦٠).



والشاهد من الآية: ظاهرٌ وواضح، من قوله لها: ﴿**فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا**﴾، فخصتِ اللهُ تبارك وتعالى بنذرها(١)، والله أعلم.

ولهذا الباب تتمةٌ، آتيةٌ في فصولٍ تاليةٍ ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ٢٢٥): والمراد: أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم، يحرم عليهم الطعام والكلام، نص على ذلك السدي، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد.اهـ

قلت: **وأمَّا في شرعنا**؛ فروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: «**مره فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه**»، رواه البخاري برقم (٦٣٢٦)، والله أعلم.

فصلٌ: في تحريم النذر لله بمكان يُشرك فيه بالله أو يُعصى فيه:

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلًا ببوانة، فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة، فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد؟**». قالوا: لا. قال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**»، قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»، رواه أبو داود برقم (٣٣١٥)(١).

وعن ميمونة بنت كردم رضي الله عنها قالت: خرجت مع أبي، في حجة رسول الله ﷺ، فدنا إليه أبي، فقال: يا رسول الله إني نذرتُ إن وُلِدَ لي ولد ذكر أن أنحر على رأس بوانة ـ في عقبة من الثنايا ـ عدة من الغنم؟. قال: لا أعلمُ إلا أنها قالت خمسين، فقال رسول الله ﷺ: «**هل بها من الأوثان شيء؟**». قال: لا. قال: «**فأوف بما نذرت به لله**». قالت: فجمعها فجعل يذبحها، فانفلتت منها شاة فطلبها، وهو يقول: اللهم أوف عني نذري، فظفر بها، فذبحها، رواه أحمد برقم (٢٧٨٢٣)، وأبو داود (٣٣١٦).

وفي لفظٍ لأحمد برقم (١٥٨٥٤): قال ﷺ: «**أَلِوثن؟، أو لِنُصُبْ؟**». قال: لا، ولكن لله تبارك وتعالى. قال: «**فأوف لله تبارك وتعالى ما جعلت له، انحر على بوانة، وأوف بنذرك**»(٢).

---

(١) **صحيحٌ: قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في «الاقتضاء» (ص١٨٦): أصل الحديث في «الصحيحين»، وإسناده كلهم ثقات مشاهير.اهـ وراجع: «الصحيحة» (٦/ ٣٧١)، و«الصحيح المسند» رقم (١٨٦).

(٢) **حسنٌ بشواهده: قال العلامة الألباني** رحمه الله في «الصحيحة» (٦/ ٣٧١): إسناده حسن في الشواهد.اهـ

قلت: فيه: سارة بنت مقسم، **قال الحافظ** رحمه الله في «التقريب»: لا تعرف.اهـ إلا أنه يَقْوَى بما تقدم، والله أعلم.

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة" (٦/ ٣٧١): وفيه من الفقه: تحريم الوفاء بنذر المعصية، وأن من ذلك الوفاء بنذر الطاعة في مكانٍ كان يُشرك فيه بالله، أو كان عيدًا للكفار، فضلًا عن مكان يتعاطى الناس الشرك فيه، أو المعاصي.اهـ

فصلٌ آخر: في تحريم ترك الوفاء بنذر الطاعة لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ**﴾ [الحج: ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾ [الإنسان:٧].

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن**»، رواه البخاري برقم (٦٦٩٥)، ومسلم (٦٤٩٥).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (١٦/ ٨٨): فيه: وجوب الوفاء بالنذر، وهو واجب بلا خلاف.اهـ

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استفتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: إن أمي ماتت وعليها نذر، فتوفِّيت قبل أن تقضيه؟ فأفتاه: أن يقضيه عنها، فكانت سُنَّة بعد، رواه البخاري برقم (٦٦٩٩)، ومسلم (٤٣٢٣).

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال يا رسول الله: إني نذرت في الجاهلية، أن أعتكف ليلةً في المسجد الحرام؟، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أوف بنذرك**»، فاعتكف ليلة، رواه البخاري برقم (٢٠٤٢)، ومسلم (٤٣٨٢).

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أمر الله تعالى بوفاء النذر، رواه البخاري برقم (١٩٩٤)، ومسلم (٢٦٧٥).

فصلٌ آخر: في النهي عن الوفاء بنذر المعصية:

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من نذر أن يطيع الله؛ فليطعه، ومن نذر أن يعصيه؛ فلا يعصه**»، رواه البخاري برقم (٦٦٩٦).

وتقدم - قبل أسطر - قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن الضحاك رضي الله عنه: «**أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مره فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه**»، رواه البخاري برقم (٦٣٢٦)

وعن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخًا يُهادى بين ابنيه، قال: «**ما بال هذا؟**». قالوا: نذر أن يمشي، قال: «**إن الله عن تعذيب هذا نفسَه لغني**»، وأمره أن يركب، رواه البخاري برقم (١٨٦٥)، ومسلم (١٦٤٢).

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك رجلين وهما مقترنان، يمشيان إلى البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما بال القران؟**». قالا: يا رسول الله، نذرنا أن نمشي إلى البيت مقترنين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليس هذا نذرا**»، فقطع قرانهما، وقال: «**إنما النذر ما ابتُغي به وجه الله عزَّوجل**»، رواه أحمد برقم (٦٧١٤)(١).

---

(١) **حسنٌ**: راجع: "تحقيق المسند" للشيخ الأرناؤوط رحمه الله (١١/ ٣٢٣).

تتمة في معنى قوله ﷺ: «إن النذر لا يأتي بخير»، وحكم الابتداء به:

أمَّا معنى الحديث: فيتضح بألفاظه، ومناقشة حكم البدء به ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وأمَّا حكم الابتداء به: فلأهل العلم فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: البدء بالنذر مكروه، وهو قول أكثر المالكية، وأكثر الشافعية، والحنابلة وعزاه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى الأئمة الأربعة، **حجتهم ما يلي:**

١ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال نهى رسول الله ﷺ عن النذر، وقال: «**إنه لا يرد شيئا، وإنما يُستخرج به من البخيل**»، رواه البخاري برقم (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩).

ولفظ مسلم: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يُستخرج به من البخيل**».

وفي روايةٍ لمسلم برقم (١٦٣٩)، عنه رضي الله عنه: قال: أخذ رسول الله ﷺ يومًا ينهانا عن النذر، ويقول: «**إنه لا يَرُدُّ شيئًا، وإنما يُستخرج به من الشحيح**».

٢ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قُدِّر له، ولكن يُلقيه النذر إلى القدر قد قُدِّر له، فيَسْتَخْرِجُ اللهُ به من البخيل، فيؤتي عليه ما لم يكن يُؤتي عليه من قبل**»، رواه البخاري برقم (٦٦٩٤)، وغيرها من الأدلة.

القول الثاني: البدء بالنذر محرَّم، وهو رواية عن الإمام أحمد، نقلها عنه الحافظ ابن حجر رحمه الله، وتوقَّف بعض أصحابه عن تصحيحها، ولعله رحمه الله أخذ بظواهر الأدلة، والله أعلم.

القول الثالث: البدء بالنذر مستحب، نقله الحافظ عن القاضي حسين المتولي، والغزالي، والنووي، **حجتهم:** أن الله أثنى على من وفَّى به، وأنه وسيلة إلى القربة.

الراجح: هو القول الأول؛ للأدلة السابقة، لأنه ليس طاعة محضة، ولأنه لم يُقصد به خالص القربة، وإنما قَصد الناذر أن ينفع نفسه، أو يدفع عنها ضررا بما التزم، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر، والإمام الصنعاني ـ وغيرهم رحمهم الله تعالى ـ، والله أعلم.

وأمَّا القول الثاني: فيُحمل على من عُلم منه أنه لا يُوفِّي بنذره سواء أكان عاجزًا عن وفائه، أو متكاسلا عاصيًا لله تعالى، أو عابثًا بماله.

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: والقول بتحريم النذر هو الذي دل عليه الحديث، ويزيده تأكيدًا تعليله ﷺ بأنه لا يأتي بخير، فإنه يَصَير إخراج المال فيه من باب إضاعة المال، وإضاعة المال محرمة، فيحرم النذر بالمال كما هو ظاهر قوله ﷺ: **«وإنما يستخرج به من البخيل»**.اهـ

وأما القول الثالث: فقال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: قد ثبت النهي عن النذر بخصوصه، فيكون مكروهًا، واني لأتعجَّب ممن انطلق لسانه بأنه ليس بمكروه، مع ثبوت الصريح عنه، فأقل درجاته أن يكون مكروهًا كراهة تنزيه.اهـ والله أعلم(١).

ولنا مبحث بعنوان: «الجامع الصحيح في النذر وما يتعلق به من أحكام»، أسأل من الله الإعانة على إتمامه، والإخلاص له في كل قول وعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) راجع: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٠٥)، و«جامع المسائل ـ المجموعة الثالثة ـ» (ص١٢٨)، و«فتح الباري» لا بن حجر (١١/ ٥٧٦ ـ ٥٧٨)، و«عمدة القاري» (١٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨)، و«سبل السلام» (٤/ ١١١)، وغيرها.



تحريم الخوف ـ دون الطبيعي ـ من غير الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال الله تعالى مخبرًا عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٠ـ٨٢].

وقال تعالى مخبرًا عن نبيه هود عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٣ ـ ٥٦].

وقال الله تعالى مخبرًا عن رسوليه موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٥ ـ ٤٦].

وقال مخبرًا عن نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«والله ليتمنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه»**، رواه البخاري برقم (٣٤١٦).

إشكال وجوابه: قوله ﷺ: «لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه»:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٧/ ١٦٧): قوله: **«والذئب»** هو بالنصب عطفًا على المستثنى منه ـ الخوف ـ لا المستثنى ـ الله من قوله: **«لا يخاف إلا الله»** ـ كذا جزم به الكرماني.

ولا يمتنع أن يكون عطفًا على المستثنى، والتقدير: ولا يخاف إلا الذئب على غنمه؛ لأن مساق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض، كما كانوا في الجاهلية، لا للأمن من عدوان الذئب؛ فإن ذلك إنما يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى.اهـ

فصلٌ: في الخوف الطبيعي:

من الخوف الطبيعي: قوله تعالى مخبرا عن كليمه موسى عليه السلام: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾** [الشعراء: ١٢ ـ ١٤].

وقد نص جمعٌ من أهل العلم: على أن من الخوف الطبيعي، الخوف من السَّبُع والحيَّات، والخوف من الفتن، ومن الظالم وغيرهم، ممن ضررهم متوَقَّع، مع اعتقاد أن كل ذلك كما قال الله تعالى: **﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾** [البقرة: ١٠٢]، وقد بسطتُ أدلة ذلك في أصل هذا المختصر، والله أعلم(١).

(١) وراجع: «معجم التوحيد» (٢/ ١٣١)، و«موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (٣/ ١٢٠١).



تحريم صرف الخشية لغير الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا**﴾ [الأحزاب: ٣٧ - ٣٩].

وقال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجلا حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرا، وأوقدوا فيه نارا، حتى إذا أكلَت لحمي وخَلَصَت إلى عظمي فامتحشت، فخذوها فاطحنوها، ثم انظروا يوما راحا فاذروه في اليم، ففعلوا، فجمعه الله فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له**»، رواه البخاري برقم (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤)(١).

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ـ في قصة أصحاب الغار: وكلهم دعى الله، وقال: «**فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك؛ ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة**»، رواه البخاري برقم (٣٤٦٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلَّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن**

---

(١) وبنحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه، في «الصحيحين» ـ أيضًا ـ.

طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا»، رواه الترمذي برقم (٣٥٠٢)(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يُحقِّر أحدكم نفسه**». قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «**يرى أمرًا لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عزَّوجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خَشْيَة الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى**»، رواه ابن ماجه برقم (٤٠٠٨)(٢).

الفرق بين الخوف والخشية:

قال أهل العلم: الخوف يقع من العالم والجاهل، بخلاف الخشية، فهي خوف يصحبه علم، فلا تكون إلا من عالم غالبًا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، والله أعلم(٣).

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ـ الرقم المذكور ـ، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ**: راجع «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٨٢)، والله أعلم.

(٣) راجع: «معجم التوحيد» (٢/ ١٢٥)، و«موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (٣/ ١٢٠٢).



فصلٌ في معنى قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾:

قال الإمام المفسِّر الكبير أبو جعفر ابن جرير الطبري رحمه الله: قوله: **﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾** يقول: وتُخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوَّجها إن هو فارقها، والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك.

وقوله: **﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾** يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس: أمرَ رجلًا بطلاق امرأته، ونَكَحَهَا حين طلَّقها، والله أحق أن تخشاه من الناس.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.اهـ

تحريم الاستعاذة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلَّا الله

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧ ـ ٩٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

وعن خوله بنت حكيم رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا نزل أحدكم منزلًا؛ فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه**»، رواه مسلم برقم (٧٠٥٤).

وعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ، ورجلان يستبان، فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال ﷺ: «**إني لأعلم كلمةً لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد**»، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: «**تعوَّذ بالله من الشيطان**»، فقال: وهل بي جنون؟، رواه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٦٨١٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»، رواه البخاري برقم (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ: يعوذ الحسن، والحسين رضي الله عنهما، ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**»، رواه البخاري برقم (٣٣٧١).

وغيرها من الأدلة، وبعضها ذكرتُها وأشرتُ إليها في فصل وفائدة هذا الباب.

فصلٌ: في الحكمة من أمر الله تعالى بالاستعاذة به من مخلوقاته:

قال أهل العلم: والحكمة في ذلك: أن الله تبارك وتعالى، له كمال القدرة والتصرف في جميع خلقه، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ السورة إلى آخرها [الفلق:١ـ ٥].

وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾ السورة إلى آخرها [الناس:١ ـ ٦].

وعن عائشة ﵂، أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾، و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾، و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده؛ يفعل ذلك ثلاث مرات، رواه البخاري برقم (٥٠١٧).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة! قال: «**أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات، من شر ما خلق؛ لم تضرك**»، رواه مسلم برقم (٧٠٠٥).

وعن رجل من أسلم قال: جاء رجل فقال: يارسول الله لدغت الليلة؛ فلم أنم، فقال له النبي ﷺ: «**لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضرك**»، رواه أبو داود برقم (٣٨٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٢٣)(١).

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ﵁ قال: كان خالد بن الوليد يفزع في منامه، فقال له رسول الله ﷺ: «**قل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه، وعذابه، وشر**

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الفتح» (١٠/ ١٩٦)، و«صحيح الجامع» برقم (١٣١٨)، وأصله في «الصحيح»، والله أعلم.

عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون»، رواه النسائي في «الكبرى» برقم (١٠٦٠٢)(١).

وعن أبي التياح قال: قلت: لعبد الرحمن بن خنبش التميمي، أدركتَ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قلت: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين، فقال: إن الشياطين تحدَّرت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية، والشعاب، وفيهم شيطان بيده شعلة نار، يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ، فهبط إليه جبريل، فقال: يا محمد قل، قال: **«ما أقول؟»**. قال: **«قل: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير، يا رحمن»**. قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تبارك وتعالى، رواه أحمد برقم (١٥٤٦٠)(٢).

وغيرها من الأدلة، الدالة على أنه لا يستعاذ إلا بالله، وأنَّما مَا قَدْ يَقدر عليه المخلوق إنما هو سبب سخَّره الله له، لا أن المخلوق خَلق ذلك السبب، والله أعلم.

---

(١) وكلام أهل العلم على رواية عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مشهورة، وأكثر محققي أهل الحديث على تحسينها. راجع: «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٦٤)، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ على شرط مسلم**: راجع: «الصحيحة» برقم (٨٤٠)، و«الصحيح المسند» (٣٩٨)، والله أعلم.



فصلٌ: الاستعاذة باعتبار المُستَعيذ والمُستعاذ به على ثلاثة أقسام:

الأول: استعاذة مشروعة وتكون بالله أو بما جاءت به الشريعة:

مما تقدم ذكره في الأحاديث السابق ذكرها كالاستعاذة بوجه الله أو بكلماته وبرضاه ونحو ذلك.

الثاني: استعاذة جائزة وتكون بالمخلوق فيما يقدر عليه:

وهذا القسم الراجح فيه من قولَي أهل العلم: جوازه؛ لقوله ﷺ: **«من وجد ملجًأ أو معاذًا فليعذ به»**، رواه البخاري برقم (٣٦٠١)، ومسلم (٢٧٧٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي حديث جابر رضي الله عنه، عند مسلم برقم (١٦٨٩): أن امرأة من بني مخزوم، سرقت، فأُتَي بها النبي ﷺ، فعاذت بأم سلمة رضي الله عنها(١).

الثالث: استعاذة ممنوعة وتكون بالأموات والجن والعاجزين ونحوهم:

وهذا شرك وكفر قال تعالى: **﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾** [الجن: ٦].

قال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (١٩/ ١٠): ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن، دون الاستعاذة بالله كفر وشرك.اهـ

---

(١) راجع لبسطها أكثر: «معجم التوحيد» (١/ ٩٥)، و«موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (١/ ١٧١)، والله أعلم.

فائدةٌ: في تعويذ امرأة عمران ابنتَها مريم وذريَّتها:

قال الله تعالى مخبرًا عن امرأة عمران: ﴿**وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾، فكان الجزاء: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران: ٣٦ ـ ٣٧].

وروى البخاري برقم (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ما من مولود يُولد إلاَّ مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا مِنْ مَسِّهِ إيَّاه، إلا مريم وابنها**»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: إقرأوا إن شئتم: ﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [آل عمران: ٣٦].

قلت: ولعلَّ من فوائدة تعويذ أُمها واستجابة الله تبارك وتعالى لها، ما آلت إليه ممَّا أخبر الله عنها بقوله: ﴿**وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٤٤]، والله أعلم.

وقد أفرد الإمام النسائي رحمه الله في «السنن الكبرى» كتابًا أسماه: (عمل اليوم والليلة) أودع فيه أكثر من مائة حديث، والإحالة خيرٌ من التكرار؛ للتوصُّل إليها بسندٍ عال، والله أعلم، فإنه الكبير المتعال.

تحريم الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ في قصة الاستسقاء ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»**، رواه البخاري برقم (٩٦٨)، ومسلم (٨٩٧).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا كَرَبه أمر قال: **«يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحدٍ من خلقك»**، رواه الترمذي برقم (٢٤٥٤)، والبيهقي في «الشعب» (٧٦١)(١).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق، يؤذى المؤمنين، فقال أبو بكر الصديق: قوموا بنا لنستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: **«إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»**(٢).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٢٧)، والله أعلم.

(٢) عزاه بعضهم: إلى «المعجم الكبير» وبعد البحث لم أجده في «المعجم»، ولا في غيره، وكل من ذكره، إنما ينقل عن الهيثمي رحمه الله ـ **قوله** في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٦): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث.اهـ

وقد ادعا بعضهم: تصحيح العلامة الألباني رحمه الله له، وهو وهم، والله أعلم.

وقد جاء عن عبادة رضي الله عنه بلفظ: **«إنه لا يقام لي، إنما يقام لله تبارك وتعالى»**، رواه أحمد برقم (٢٢٧٥٨)، وغيره، وهو من طريق ابن لهيعة ـ أيضًا ـ، وأكثر أهل الحديث على تضعيف أحاديثه رحمه الله، على جلالة قدره في الدين.

وقال في «التمهيد شرح كتاب التوحيد» (١/ ٢٥٨): أَعلَّ بعض العلماء هذا الحديث، بأن في إسناده ابن لهيعة، وحاله معروف، لكن إيراد أئمة الحديث للأحاديث التي قد يكون في إسنادها بعض مقال، في مثل هذا المقام: لابأس به، بل فعلهم هذا صواب، إذا كان ما في الحديث من المعنى قد عضدته الأدلة من القرآن ومن السنة، كما في هذا الحديث:

=

فعُلم ممَّا تقدم: أن الاستغاثة بغير الله بما لا يقدر عليه إلا الله، شرك أكبر بإجماع المسلمين(١).

فصلٌ: في ذكر بعض ألفاظ الاستغاثة الشركية:

من صِيغ الاستغاثة الشركية: القول في النوازل وحلول الشدائد، ونحوها: يا رسول الله، يا خمسة، يا ابن علون، يا باهوت، يا حسين، يا عباس، يا عيدروس، يا جيلاني، وغيرهم ممن يُدعى من دون الله عز وجل، علمًا بأن المستغيث بغير الله، بما لا يقدر عليه إلا الله، يعلم علما يقينا: أن المستغَاثَ به لا يخلو من أحد الأحوال: إمَّا ميتًا، أو عاجزًا أو غائبًا ونحو ذلك، والله أعلم.

= فإن قوله ﷺ: «**إنه لايُستغاث بي إنما يُستغاث بالله**»: قد دلت عليه الآيات التي سلفت.

وهذا الذي درج عليه صنيع الراسخين في العلم، من أهل الحديث، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ في معرض كلام له في «الفتاوى» ـ قال: أهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في أصل من الأصول، بل إما في تأييده يعني: في تأييد ذلك الأصل، أو في فرع من الفروع.

وهذا هو صنيع الشيخ رحمه الله ـ أيضًا ـ في هذا الكتاب ـ أي: كتاب التوحيد ـ، فإنه يستدل بأحاديث، هي من جهة المعنى الذي اشتملت عليه صحيحة ـ كما سبق إيضاحه ـ.

وقد ساق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الحديث مستدلًا به، في رده على البكري المعروف بكتاب: «الاستغاثة الكبرى»، أو «الرد على البكري».

وقال: إن هذا الحديث هو معنى ما جاء في النصوص، فقوله ﷺ: «**إنه لايستغاث بي**» يعني: لاتستغيثوا بي، وإنما استغيثوا بالله؛ لأن لفظ: «**يستغاث**» تقدمه نفي، والمراد منه النهي.اهـ

(١) راجع: «تلخيص كتاب الاستغاثة» (ص٢٤٦)، و«القول السديد» (ص٥١)، والله أعلم.

فصلٌ الاستغاثة باعتبار المستغيثُ والمستغَاثُ به على ثلاثة أقسام:

الأول: استغاثة مشروعة وتكون بالله أو بصفاته تبارك وتعالى:

ودليل هذا القسم ما سبق من الأدلة، ولا غنى لنا عن إغاثة الله لنا طرفة عين.

الثاني: استغاثة جائزة وتكون بالمخلوق بثلاثة شروط:

الأول: أن يكون فيما يقدر عليه المخلوق.

الثاني: أن يكون المستغَاثُ به حيًا.

الثالث: أن يكون المستغاثُ به حاضرًا حال الاستغاثةِ، قادر على إغاثة من استغاث به.

الثالث: استغاثة بالمخلوق ممنوعة:

وهي نوعان:

الأول: الاستغاثة بالصالحين من أنبياء ومرسلين، وعلماء ونحوهم من أموات المسلمين، وذلك بأن يُستغاث بهم، أو بأحدهم في شفاء مريضٍ، أوتفريج كربةٍ ونحو ذلك، وهذا شرك أكبر؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**﴾ [النمل: ٨٠].

الثاني: الاستغاثة بالأحياء العاجزين، ولا فرق بين أن يكونوا غائبين أو حاضرين، ماداموا عاجزين، كالطلب منهم تفريج الكربات ونحوها.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: في «قرة عيون الموحدين» (ص٨٣): كُل ما قُصد به غير الله، مما لا يَقدر عليه إلا الله، كدعوة الأموات والغائبين، فهو من الشرك الذي لا يغفره الله، والأدلة على ذلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصر.اهـ(١).

---

(١) راجع: «معجم التوحيد» (١/ ١٠٧)

تحريم الاستعانة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا

قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

قال العلماء: إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، فمعنى الآية: لا نعبد إلاَّ إياك، ولا نستعين إلاَّ بك، والله أعلم.

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

وقال سبحانه وتعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١١٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها: والله ما أجد لي ولكم مثلًا، إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨]، أخرجه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٢٧٧٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«إحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»**، رواه مسلم برقم (٢٦٦٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ـ في قصة ضماد حين قدم مكة ـ قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له»**، رواه مسلم برقم (٨٦٨).

وبنحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيه: **«إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره»**، رواه أبو داود برقم (٢١١٨)(١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيح المسند» برقم (٨٥٤)، وأصله في مسلم برقم (٢٠٤٣)، عن جابر رضي الله عنه.
وقد أفرده العلامة الألباني رحمه الله برسالة مستقلة شرحناها ببحث أسميناه: (الإفادة ببسط القول على حديث خطبة الحاجة) قد طُبع، والحمد لله.



وقـال ﷺ لابـن عبـاس رضي الله عنهما: **«وإذا اسـتعنت فاسـتعن بـالله»**، رواه الترمـذي بـرقم (٢٥١٦)، **وقال** رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح.اهـ(١). وغيرها من الأدلة.

فصلٌ: الاستعانة باعتبار المُستعِين والمُستعَانُ به على أربعة أقسام:

الأول: استعانة مشروعة وتكون بالله تبارك وتعالى:

وهذا القسم دليله ما سبق من الأدلة، ولا غنى لنا عن إعانة الله لنا طرفة عين.

الثاني: استعانة بالأعمال الصالحة:

قال الله تعالى: **﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾** [البقرة: ٤٥].

وقال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [البقرة: ١٥٣]، ونحوها من الأدلة.

قال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٥١): أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها، بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور.اهـ

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٧٩٥٧)، و«الصحيح المسند» (٦٥٨).

الثالث: استعانة جائزة وتكون بالمخلوق الحي القادر فيما يقدر عليه:

ومنه قوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: **«تُعين ضايعًا، أو تصنع لأخرق»**، رواه البخاري برقم (٢٥١٨)، ومسلم (١٣٦).

قلت: وهذا النوع كثيرٌ جدًا، حثَّ عليه الإسلام ورغب فيه.

الرابع: استعانة ممنوعة ومحرمة وهي الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالاستعانة بالغائب، أو الاستعانة بالعاجز، أو الاستعانة بالميت ونحوها:

قال الله تعالى: ﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وكذا ما سبق من الأدلة، والله أعلم(١).

وقد ذكرتُ في أصل هذا المختصر: ـ «الشامل في العقيدة» ـ بعض ما يجوز الاستعانة به، والله أعلم.

---

(١) راجع: «معجم العقيدة والتوحيد» (١/ ١٠٢)، و«موسوعة العقيدة والأديان» (١/ ١٧٨).



تحريم التوكل على غير الله تبارك وتعالى

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١١ ـ ١٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

وقال تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

وفيما تقدم من الآيات مِنَحٌ إِلَاهِيَّة لمن تدبرها، وتوكل على الله تبارك وتعالى.

وفي حديث السبعين الألف، الذين يدخلون الجنة بغير حساب: قال ﷺ: **« هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»**، أخرجه البخاري برقم (٥٣٧٨)، ومسلم (٥٤٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعنه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد ـ ذكر الحديث، وفيه ـ: **«وعليك توكلت»**، رواه البخاري برقم (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في «المدارج» (٢/ ١٢٩): التوكل ـ نصف الدين، والإيمان النصف الآخر؛ لقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].اهـ

النهي عن قول: توكلت على الله ثم عليك:

بما أن التوكل هو الاعتماد والتفويض والاستسلام التام، ونحوها من الأعمال قلبيه، فلا يجوز قول ذلك أبدًا، وأن قول القائل: توكلت على الله ثم عليك، كقول القائل سجدت لله ثم لك، علمًا بأنه لا يجوز السجود لغير الله جل وعلا ـ في شرعنا ـ بحال من الأحوال، وهذا قول عامة أهل العلم، وممن نصر هذا القول: العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، كما في «فتاواه» (١/ ١٧٠)، والعلامة بكر أبو زيد رحمه الله في «معجم المناهي اللفظة» (ص١٥٣)، والشيخ صالح آل الشيخ في «شرح كتاب التوحيد» (ص٣٥٩)، وغيرهم، والله أعلم.



تحريم الاعتماد على الأسباب مع أمر الشرع بفعلها

الأسباب كثيرة منها الحسِّيَّة ومنها المعنويَّة، نذكر نزرًا يسيرًا منها:

فمن الحسيَّة: قول الله تبارك وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك:١٥].

وقوله تعالى: ﴿**وَخُذُوا حِذْرَكُمْ**﴾ [النساء: ١٠٢].

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»، رواه أحمد برقم (٢٠٥)، والترمذي (٢٣٤٤)، **وقال**: حسن صحيح.اهـ

ورواه الحاكم (٧٨٩٤)، **وقال**: صحيح الإسناد.اهـ(١).

قال أبو حاتم الرازاي رحمه الله: هذا الحديث أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق اهـ(٢).

قلت: وقوله ﷺ: «**تغدوا خماصًا، وتروح بطانًا**»، واضح الدلالة في فعل السبب، وهو الغدو مبكرًا للبحث عن القوت، والرَّواح بطانًا إي: مملوءة بطونها رزقًا، والله أعلم.

وروى أبو نعيم، في «الحلية» (١/ ٢٦)، عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن روح القدس نفث في رَوْعِي: أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها،**

---

(١) **صحيحٌ**: **قال الضياء المقدسي** رحمه الله في «المختارة» برقم (٢٢٧): إسناده صحيح.اهـ وراجع: «الصحيحة» برقم (٣١٠)، و«الصحيح المسند» (٩٨٦).

(٢) من «جامع العلوم والحكم» (ص٤٠٩).

فأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّ أحدُكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله؛ فإن الله تعالى لا يُنالُ ما عنده إلا بطاعته»(١).

وله شاهدٌ عند الحاكم (٢/ ٤)، وابن حبان برقم (٣٢٣٩)، عن جابر رضي الله عنه، مرفوعًا: **«يا أيها الناس اتقوا الله، وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حرم»**(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «**اعقلها وتوكل**»، رواه الترمذي برقم (٢٥١٧) (٣).

ومن الأسباب المعنوية: قوله تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [المائدة: ١٥ـ ١٦].

وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾ [الطلاق:٢].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾ [الطلاق:٤].

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ [محمد: ١٧].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ**﴾ [الطلاق: ٣].

وقال بعض أهل العلم: الاعتماد على السبب شرك، وترك السبب قدح في الشريعة.اهـ(٤).

---

(١) **صالحٌ بشواهده**: والله أعلم.

(٢) **على شرط مسلم**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٦٠٧)، و«الصحيح المسند» (٢٥٠).

(٣) **حسنٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم المذكور ـ .اهـ

(٤) من «إعانة المستفيد» (١/ ٢٧٨).



فصلٌ: في معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] وأمثالها من الآيات:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٨٤): أي: صَالِحْهم، وتوكل على الله، فإن الله كافيك وناصرك، ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ﴾ أي: كافيك وحده.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٨٦): يحرض تعالى نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم، أي: كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين.

قال ابن أبي حاتم: ـ وساق بسنده ـ: عن الشعبي في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: حسبك الله، وحسب من شهد معك.

قال: ورُوي عن عطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم مثله.اهـ

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

قلت وبناءً على ما تقدم، فلا يجوز لأحدٍ أن يقول لمخلوقٍ: أنت حسبي؛ وإنما الله وحده، هو حسب عباده وخلقه أجمعين، والله أعلم.

النهي عن إنزال الحاجة بالناس

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من نزل به حاجة، فأنزلها بالناس؛ كان قمنًا أن لا تُسَهَّل حاجته، ومن أنزلها بالله أتاه الله برزق عاجل، أو بموت آجل»**، رواه أحمد برقم (٣٦٩٦)(١).

وفي لفظ لأحمد برقم (٣٨٦٩)، وأبي داود (١٦٤٥)، عن طارق بن شهاب، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من أصابته فاقة، فأنزلها بالناس، لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله عز وجل؛ أوشك الله له بالغنى، إما أَجَلٌ عاجل، أو غنى عاجل»**(٢).

وفي لفظٍ للترمذي برقم (٢٣٢٦)، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من نزلت به فاقة، فأنزلها بالناس؛ لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقة، فأنزلها بالله؛ فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل»، ثم قال الترمذي** رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح غريب.اهـ

ورواه الحاكم رحمه الله في «المستدرك» برقم (١٤٨٣)، **ثم قال** رحمه الله هذا حديث صحيح الإسناد.اهـ، وأقره الذهبي رحمه الله(٣).

قال المناوي رحمه الله في «فيض القدير» (٦/ ٦٦): قوله: **«من أصابته فاقة»** أي: شِدَّة حاجة، **«فأنزلها بالناس»** أي: عَرَضَهَا عليهم، وسألهم سَد خُلته؛ **«لم تُسد فاقته»**؛ لتركه القادر على

---

(١) **حسنٌ**: **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله في «تفسيره» (٨/ ١٤٨): حديث حسن؛ من أجل أبي حمزة سيَّار الكوفي.اهـ وراجع للمزيد: «تحقيق المسند» (٦/ ٢٢٤).

(٢) **حسنٌ**: راجع: «صحيح وضعيف أبي داود» ـ تحت الرقم السابق ـ، و«تحقيق المسند» (٦/ ٤١٥).

(٣) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الترمذي» برقم (٢٨١٥)، ورقم (٣٨٠٢).



حوائج جميع الخلق، الذي لا يَغْلِق بابه، وقَصَدَ من يَعْجَز عن جلب نفع نفسه ودفع ضرها، «**ومن أنزلها بالله؛ أَوشَك** ـ بفتح الهمزة والشين ـ **الله له بالغنى**» أي: أسرع غناه، وعجَّله.

قال التوربشتي: والغناء ـ بفتح الغين ـ الكفاية من قولهم: لا يغني غناء ـ بالمد والهمزة ـ ومن رواه بكسر الغين بالمد والكسر: الكفاف مقصور على معنى اليسار فقد حرَّف المعنى؛ لأنه قال يأتيه الكفاف عما هو فيه.

وقوله: «**إما بموتٍ آجل، أو غنىً عاجل**»: كذا في نسخ هذا الكتاب، تبعًا لما في «جامع الأصول»، وأكثر نسخ «المصابيح»، والذي في «سنن أبي داود»، و«الترمذي» بموتٍ عاجل أو غنى آجل، وهو كما قال الطيبي أصح.اهـ

تحريم الحَلِفُ بغير الله تعالى

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب، وهو يحلف بأبيه، فقال: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا؛ فليحلف بالله، أو ليصمت**».

قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما حلفتُ بها منذ سمعت النبي ﷺ، ذاكرًا ولا آثرًا، رواه البخاري برقم (٦١٠٨)، ومسلم (٤٢٣٣).

وفي لفظٍ عنه رضي الله عنه: «**من كان حالفًا؛ فلا يحلف إلا بالله**»، وكانت قريش تحلف بآبائها، فقال ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم**»، رواه البخاري برقم (٣٨٣٦)، ومسلم (٤٣٤٨).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه سمع رجلًا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يُحلف بغير الله، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله؛ فقد كفر**، ــ أو أشرك ــ»، رواه الترمذي برقم (١٦٢٠)، **وقال** رحمه الله: هذا حديث حسن(١). وفُسِّر هذا الحديث عند بعض أهل العلم: أن قوله ﷺ: «**فقد كفر**، ــ أو أشرك ــ»: على التغليظ.اهـ

وفي لفظٍ لأحمد برقم (٥٠١٧): «**من حلف بشيء دون الله تعالى؛ فقد أشرك**»(٢).

وفي لفظٍ آخر ــ أيضًا ــ: «**كل يمينٍ يُحلف بها دون الله شرك**»، أخرجه البغوي في «الجعديات» برقم (٢٣٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨)(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله؛ إلا وأنتم صادقون**»، رواه أبو دود (٣٢٤٨)(١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الإرواء» (٨/ ٣١٦)، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٠٤٢)، و«تحقيق المسند» (١/ ٤١٤)، والله أعلم.

(٣) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٠٤٢)، والله أعلم.



معنى قول ابن مسعود ﷺ: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أحلف بغيره وأنا صادق:

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لأن أحلف بالله كاذبًا، أحب إليَّ من أن أحلف بغيره وأنا صادق، رواه الطبراني في «الكبير»، برقم (٨٨١٠)(٢).

وأمَّا بيان معناه: فقال العلامة الألباني ﷺ في «الصحيحة» (٥/ ٤١): قال أبو جعفر الطحاوي: لم يُرد به الشرك الذي يخرج من الإسلام، حتى يكون به صاحبه خارجًا عن الإسلام، ولكنه أراد أنه لا ينبغي أن يُحلف بغير الله تعالى؛ لأن من حلف بغير الله تعالى، فقد جعل ما حلف به محلوفًا به كما جعل الله تعالى محلوفًا به، وبذلك جعل من حَلَف به أو ما حُلُف به شريكًا فيما يُحلف به وذلك أعظم.

فجعله مشركًا بذلك شركًا غير الشرك الذي يكون به كافرًا بالله تعالى خارجاً عن الإسلام ـ يعني: ـ والله أعلم ـ أنه شرك لفظي، وليس شركًا اعتقاديًا، والأول تحريمه من باب سد الذرائع، والآخر محرم لذاته، وهو كلام وجيه متين.

ولكن ينبغي أن يُستثنى منه من يحلف بولي؛ لأن الحالف يَخشى إذا حنث في حلفه به أن يُصاب بمصيبة، ولا يخشى مثل ذلك إذا حلف بالله كاذبًا، فإن بعض الجهلة الذين لم يعرفوا حقيقة التوحيد بَعْدُ إذا أنكر حقًا لرجل عليه وطلب أن يحلف بالله فعل، وهو يعلم أنه كاذب في يمينه، فإذا طُلب منه أن يحلف بالولي الفلاني امتنع واعترف بالذي عليه، وصدق الله العظيم: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [يوسف:١٠٦].اهـ

= (١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٧٢٤٩)، و«الصحيح المسند» (١٢٩٤).

(٢) **صحيحٌ موقوفًا**: راجع: «صحيح الترغيب» برقم (٢٩٥٣)، والله أعلم.

تحريم الحلف بالملائكة أو الرسل عليهم الصلاة والسلام

روى ابن أبي شيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في «مصنفه» (٣/ ٤٨٠)، عن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدثت قومًا حديثًا، فقلت: لا وأبي، فقال رجل من خلفي: **«لا تحلفُنَّ بآبائكم»**، فالتفتُ، فإذا رسول الله ﷺ، فقال: «**لو أن أحدكم حلف بالمسيح لهلك، والمسيح خير من آبائكم**»(١).

قلت: وما تقدم من الأدلة، في الباب قبله، أو يُذكر في أبواب بعده، شاهدة له ومقويَّة لمعناه، والله أعلم.

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الأذكار» (ص٣٤٢): ويُكره الحلفُ بغير أسماء الله تعالى وصفاته، سواءٌ في ذلك النبيّ ﷺ، والكعبة، والملائكة، والأمانة، والحياة، والروح، وغير ذلك، ومن أشدِّها كراهة: الحلف بالأمانة.اهـ

قلت: وما حداني إلى إفراد هذا الباب عن الذي قبله، هو اشتهار بعض البلدان والأقطار، بالحلف بالنبي ﷺ، فيقول قائلهم: وحياة النبي، ويقول الآخر: والنبي، ونحو ذلك، ولعلَّ السرَّ في ذلك عندهم هو علو منزلته ﷺ، مع جهلهم بحرمة جعل شريكٍ لله تبارك وتعالى، فيما هو من خصائصه، والله المستعان.

لذلك يتوجَّب على هؤلاء وأمثالهم: معرفة أن الحلف عبادة، والله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يُشرك معه في عبادته لا مَلَكٌ مقرب، ولا نبي مرسل، وهذا باتفاق المسلمين، ولتحقيقه أرسل الله الأنبياء والمرسلين، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ موقوفًا**: راجع: «صحيح الترغيب» برقم (٢٩٥٣)، والله أعلم.

تحريم الحَلِف بملِّة غير الإسلام

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من حلف بملة غير الإسلام كاذبًا متعمدًا؛ فهو كما قال**»، رواه البخاري برقم (١٣٦٣)، ومسلم (٣١٥).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٢/ ١٤٥): وحاصله: أنه لا يصير بذلك كافرًا، وإنما يكون كالكافر في حال حَلِفِه بذلك خاصة، وحمل بعضهم الحديث على الزجر والتغليظ، وأن ظاهره غير مراد، وفيه: غير ذلك من التأويلات.اهـ بتصرف يسير.

وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف أنه بريء من الإسلام، فإن كان كاذبا فهو كما قال، وإن كان صادقا فلن يرجع إلى الإسلام سالما**»، رواه أحمد برقم (٢٣٠٠٦)، وأبو داود (٣٢٥٨)(١).

وحملني على إفراده بباب مستقل، وجود ذلك في أوساط المسلمين، كمن يقول اليوم تأكيدًا لكلامه: أنا يهودي، أو أنا نصراني، أو أنا مجوسي، وهو يريد بذلك الحلف بغير الله، من الملل والأديان، والله المستعان، وهو أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف أبي داود» ـ عقب الرقم المذكور أعلا ـ، و«تحقيق المسند» (٣٨/ ١١٤)، والله أعلم.

تحريم الحلف بالطواغي والأنداد كاللات والعزى وغيرها

عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تحلفوا بالطواغي، ولا بآبائكم**»، رواه مسلم برقم (٤٣٥١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من حلف، فقال في حلفه: واللات والعزى؛ فليقل: لا إله إلا الله**»، رواه البخاري برقم (٤٨٦٠)، ومسلم (٤٣٤٩).

قال ابن بطال رحمه الله في «شرح البخاري» (٦/ ٩٩): قال المهلب: كان أهل الجاهلية قد جرى على ألسنتهم الحلف باللات والعزى، فلما أسلموا ربما جروا على عادتهم من ذلك، من غير قصد منهم، فكان من حلف بذلك فكأنه قد راجع حاله إلى حالة الشرك، وتشبه بهم فى تعظيمهم غير الله، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم من عرض له ذلك، بتجديد ما أنساهم الشيطان أن يقولوا: لا إله إلا الله، فهو كفارة له، إذ ذلك براءة من اللات والعزى، ومن كل ما يُعبد من دون الله. قال الطبرى: وقول ذلك واجب عليه مع إحداث التوبة، والندم على ما قال من ذلك، والعزم على ألَّا يعود، ولا يعظم غير الله.اهـ

وقال العيني رحمه الله في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٠١): قوله: «**فليقل لا إله إلا الله**»: إنما أُمر بذلك؛ لأنه تعاطى صورة تعظيم الأصنام، حين حلف بها، وأن كفارته هو هذا القول لا غير.اهـ

وعن مصعب بن سعد، عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا نذكر بعض الأمر، وأنا حديث عهد بالجاهلية، فحلفت باللات والعزى، فقال لي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما قلت، ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فإنا لا نراك إلا قد كفرت، فأتيته، فأخبرته، فقال لي: «**قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له** ـ ثلاث مرات ـ **وتعوَّذ بالله من الشيطان** ـ



ثلاث مرات ـ **واتفل عن يسارك** ـ ثلاث مرات ـ **ولا تعد له**»، رواه أحمد برقم (١٥٩٠)، والنسائي (٣٧٧٦)، واللفظ له(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٦١٢): قال الخطابي: اليمين إنما تكون بالمعبود المعظَّم، فإذا حلفَ باللات ونحوها، فقد ضاهى الكفار، فأمر أن يتدارك بكلمة التوحيد.

وقال ابن العربي: من حلف بها جادًا فهو كافر، ومن قالها جاهلًا أو ذاهلًا، يقول: لا إله إلا الله، يُكفِّر الله عنه، ويرد قلبه عن السهو إلى الذكر، ولسانه إلى الحق، وينفي عنه ما جرى به من اللغو.اهـ

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: "الصحيح المسند" برقم (٣٦٩)، و"تحقيق المسند" (٣/ ١٥٠) والله أعلم.

تحريم الحلف بالأمانة

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف بالأمانة؛ فليس منَّا**»، رواه أحمد برقم (٢٣٦٨٢)، وأبو داود (٣٢٥٥)(١).

قال الإمام النووي رحمه الله في «الأذكار» (ص٣٤٢): ويُكره الحلفُ بغير أسماء الله تعالى وصفاته سواءٌ في ذلك النبيّ ﷺ، والكعبة، والملائكة، والأمانة، والحياة، والروح، وغير ذلك، ومن أشدِّها كراهة: الحلف بالأمانة.اهـ

قلت: والحلف بالآمانة، مما عمَّت به البلوى، فكثير من أهل الإسلام اليوم يحلفون بها، ولعلَّ سرَّ حَلِفَهُم بها معناها العظيم، والله المستعان وهو أعلم.

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» (٣/ ١٩٣)، و«الصحيح المسند» برقم (١٧٦).



متى يكون الحَلِف بغير الله شرك أكبر؟

في **«فتاوى اللجنة الدائمة»** (١/ ٣٧٣) ما ملخصه: إن قام بقلب الحالف تعظيم لمن حَلَفَ به من المخلوقات، مثل تعظيم الله؛ فهو شرك أكبر، فإن كان جاهلًا عُلِّم، فإن أصرَّ فهو والعالم ابتداءً سواء، كل منهما يكون مشركًا شركا أكبر.

وأمَّا إذا حَلَفَ بغير الله بلسانه، ولم يعتقد بقلبه تعظيم من حَلَفَ به أو ما حُلِفَ به، فهذا إن كان جاهلًا عُلِّم، فإن أصرَّ فهو والعالم ابتداءً سواء كل منهما مشرك شركًا أصغر، وكونه شركًا أصغر هذا لا يعني أن المسلم يتساهل في ذلك، فإن الشرك الأصغر أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، قال ابن مسعود ﷺ: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا، فاليمين الغموس من الكبائر، ومع ذلك فقد جعل ابن مسعود ﷺ الشرك الأصغر أكبر منها.

وسرُّ المسألة: أن الحَلِف يقتضي تعظيم المحلوف به، هذا هو الأصل.اهـ



تحريم الحلف بالله تعالى كذبًا

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**احلفوا بالله و بـرّوا وَاصْـدُقوا؛ فـإن الله يكره أن يُحلَف إلَّا به**»(١).

قلت: ومعناه ظاهر، والأمر يقتضي الوجوب؛ لعدم وجود صارف له، والله أعلم.

فصلٌ: في الأمر بتصديق من حُلف له بالله وأن ذلك من إجلال الله تعالى:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجلًا يحلف بأبيه، فقال: «**لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله؛ فليصدق، ومن حُلِفَ له بالله فليرض، ومن لم يرض بالله؛ فليس من الله**»، رواه ابن ماجه برقم (٢١٧٩)(٢).

قال العلامة سليمان بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله في «التيسير» (ص٦٠٣): لأن ذلك يدل على قلة تعظيمه لجناب الربوبية، إذ القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله وعزته وكبريائه لا يفعل ذلك.اهـ

---

(١) **قال العلامة الألباني** رحمه الله في «الصحيحة» برقم (١١١٩): رواه السهمي في «تاريخ جرجان» برقم (٢٨٨)، والثقفي في «الثقفيات» (٣/ برقم ١٥) ـ من منسوختي ـ، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٦٧)، عن عفان بن سيار قال: حدثنا مسعر بن كدام، عن وبرة، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال أبو نعيم: تفرد به عفان عن مسعر. ثم **قال** رحمه الله: ورجاله موثقون.

وللحديث طريق أخرى، عن ابن عمر رضي الله عنه بسند حسن، بلفظ: «**لا تحلفوا بآبائكم**»، فالحديث صحيح بمجموع الطريقين.اهـ

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «الفتح» تحت رقم (٦١٥٦)، و«صحيح الجامع» برقم (٢٦٩٨)، والله أعلم.



قلت: وهو ظاهر الدلالة فيما رُسم له، إلا أن الأمر بتصديق الحالف بالله، مُقيَّد بصدق حَلِفِ الحالف بالله، إذ لو كان كاذبًا لما وجب تصديقه، إلا في الخصومات؛ لقوله ﷺ: **«شاهداك أو يمينه»**(١)،

وقوله ﷺ: **«على المدعي البينة، واليمين على من أنكر»**(٢)، والأول أظهر وهو الأصل؛ لقوله ﷺ: **«اليمين على نية المستحلف»**(٣)، والله أعلم.

وللعلامة العثيمين رحمه الله في «القول المفيد» (٢/ ٣٣٧) تفصيل موسَّع يُراجع للفائدة.

ومما يُستشهد به هنا: ما روى البخاري برقم (٣٤٤٤)، ومسلم (٢٣٦٨)، واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق، فقال له عيسى: سرقت؟ قال: كلا، والذي لا إله إلا هو، فقال: عيسى: آمنت بالله وكذبت نفسي»**.

وفي لفظٍ للبخاري: قال ﷺ: **«رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني»**.

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٥/ ١٢١): قال القاضي: ظاهر الكلام صدَّقتُ من حلف بالله تعالى، وكذَّبتُ ما ظهر لي من ظاهر سرقته.اهـ

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٥١٥)، ومسلم (١٢٨)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) **صحيحٌ**: رواه البيهقي في «الكبرى» برقم (٢١٢٤٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، راجع: «الإرواء» برقم (١٩٣٨).

(٣) رواه مسلم برقم (١٦٥٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تحريم جعل الله عرضةً للأيمان

قال الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

قال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ٢٨٥): قوله: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي: بالبدار إلى ما لزِمَكم من الكفارة إذا حنثتم.

وقيل: أي: بترك الحَلِفِ، فإنكم إذا لم تحلفوا لم تتوجه عليكم هذه التكليفات.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ [القلم: ١٠].

وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إياكم وكثرة الحلف في البيع؛ فإنه ينفق، ثم يمحق**»، رواه مسلم برقم (١٦٠٧).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثلاثة لا يُكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، فلا يبع إلا بيمينه، ولا يشتري إلا بيمينه**، رواه الطبراني في «الصغير» برقم (٨٢٣)(١).

وقال العلامة السعدي رحمه الله في «القول السديد» (ص٤٤): أصل اليمين إنما شُرعت تأكيدًا للأمر المحلوف عليه، وتعظيمًا للخالق، ولهذا وجب أن لا يُحلف إلا بالله، وكان الحلف بغيره من الشرك، ومن تمام هذا التعظيم أن لا يُحلف بالله إلا صادقا.

ومن تمام هذا التعظيم أن يُحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف، فالكذب وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد.اهـ

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٣٠٧٢)، والله أعلم.



تحريم إبرام اليمين وتوكيدها ممن يَعلم عجزَه أو كذبه فيها

قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩ ـ ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٥ – ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩١ـ ٩٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٢ ـ ٤٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، رجل كان له فضل ماء بالطريق، فمنعه من ابن السبيل،**

ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضيَ، وإن لم يُعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا، فصدقه رجل، ثم قرأ هذه الآية: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [آل **عمران: ٧٧**]، رواه البخاري برقم (٢٣٥٨)، ومسلم (١٠٧).

والآيات السابقة واضحة الدلالة والبيان، على ما رُسم لها في العنوان، والله المستعان.



تحريم التقديم بين يدي الله ورسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٣٦٤): هذه آدابٌ، أدَّب الله بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾. أي: لا تسرَّعوا في الأشياء بين يديه، أي: قَبْلَه، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ، إذ قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: **«بم تحكم؟»**. قال: بكتاب الله. قال: **«فإن لم تجد؟»**. قال: بسنة رسول الله. قال: **«فإن لم تجد؟»**. قال: أجتهد رأيي، فضرب في صدره، وقال: **«الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله، لما يَرضَى رسولَ الله»**، رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي(١).

فالغرض منه أنه أخَّر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدَّمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٣٠)، وأبو داود برقم (٣٥٩٢)، والترمذي (١٣٢٨)، وأودعه العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» برقم (٨٨١)، وبيَّن علله، **والأقرب فيه: قول الحافظ ابن كثير** رحمه الله في «مقدمة تفسيره» (١/ ٧): هذا الحديث في المساند والسنن بإسناد جيد، كما هو مقرر في موضعه.اهـ

وتشهد له آثار صحيحة، عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، منهم: عمر، وابن مسعود رضي الله عنهما، رواهما الخطيب في «الفقيه والمتفقه» برقم (٤٤٤) و(٥٣٤) و(٥٣٦)، راجع: «هداية المستنير بتخريج أحاديث تفسير ابن كثير» رقم (٥)، والله أعلم.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

وقال العوفي عنه رضي الله عنه: نهى أن يتكلموا بين يدي كلامه.

وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشيء، حتى يَقضي اللهُ على لسانه.

وقال الضحاك: لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم.

وقال سفيان الثوري: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ بقول ولا فعل.

وقال قتادة: ذُكر لنا أن ناسا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا كذا، وكذا لو صنع كذا، فكره الله ذلك، والتقدُّم فيه.

﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ أي: فيما أمركم به، ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ أي: لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم.اهـ

وقال السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٧٩٩): هذا متضمن للأدب، مع الله تعالى، ومع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه، فأمر الله عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان، بالله وبرسوله، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين، خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في جميع أمورهم، وأن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا حتى يقول، ولا يأمروا حتى يأمر، فإن هذا حقيقة الأدب الواجب، مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته تفُوتُه السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنا ما كان.اهـ

قلت: والآية عامة في كل ما يصح أن يُطلق عليه تقدمٌ بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما تقدم عن قتادة وغيره، والله أعلم.



تحريم رفع الصوت على الله أو على رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٢ـ٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٣٦٥): قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾: هذا أدب ثان أدب الله به المؤمنين، ألا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته.

وقد رُوي أنها نزلت في الشيخين ـ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ـ **قال ابن أبي مليكة** رحمه الله: كاد الخيران أن يهلكا، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ، حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما: بالأقرع بن حابس ـ أخي بني مجاشع ـ، وأشار الآخر: برجل آخر، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. قال: ما أردتُ خلافك. فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ الآية.

قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه: يعني أبا بكر رضي الله عنه(١)، انفرد به البخاري برقم (٤٨٤٥).

وقال ابن أبي مليكة ـ أيضًا ـ: أخبرني عبد الله بن الزبير: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أَمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس،

---

(١) ويأتي بعد أسطر ـ إن شاء الله تعالى ـ: قول أبي بكر رضي الله عنه: والله لا أُكلمك إلا كأخي السرار، والله أعلم.

فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾**، حتى انقضت الآية: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [الحجرات:١ـ ٥]، انفرد به البخاري ـ أيضًا ـ برقم (٤٨٤٧).

وعن طارق بن شهاب رضي الله عنه، قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾**، قلت: يا رسول الله، والله لا أكلمك إلا كأخي السرار، رواه البزار في «مسنده» برقم (٢٢٥٧) ـ كشف الأستار ـ(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه. فأتاه فوجده في بيته منكسا رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقد حبط عمله، فهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأخبره أنه قال كذا وكذا، فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: **«اذهب إليه، فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»**، تفرد به البخاري من هذا الوجه برقم (٤٨٤٦).

---

(١) **ثم قال البزار** رحمه الله: لا نعلمه يُروى متصلا إلا عن أبي بكر، وحصيَّن حدَّث بأحاديث لم يُتابع عليها، ومخارق مشهور، ومن عَدَاه أجلَّاء.اهـ

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ـ عقب ذكره لهذا الحديث في «تفسيره» (٧/ ٣٦٥) ـ: حصين بن عمر هذا ـ وإن كان ضعيفًا ـ لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف، وأبي هريرة رضي الله عنه بنحو ذلك، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٦٢)، من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عنه رضي الله عنه، **وقال الحاكم** رحمه الله: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ولم يخرجاه.اهـ ووافقه الذهبي رحمه الله.اهـ بتصرف، والله أعلم.



وعن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** [الحجرات: ٢]، وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت، فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبط عملي، أنا من أهل النار، وجلس في أهله حزينا، ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانطلق بعض القوم إليه، فقالوا له: تفقدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما لك؟ قال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأجهر له بالقول حبط عملي، أنا من أهل النار، فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأخبروه بما قال، فقال: **«لا بل هو من أهل الجنة»**. قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس، وقد تحنط ولبس كفنه، فقال: بئسما تعودون أقرانكم، فقاتلهم حتى قتل، رواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٧)(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** [الحجرات: ٢]، جلس ثابت في بيته، قال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لسعد بن معاذ: **«يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ أشتكى؟»**، فقال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى. قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال ثابت: أُنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأنا

---

(١) **على شرط مسلمٍ**: وأصله في «الصحيحين» كما سبق، وكما يأتي بعد ـ إن شاء الله تعالى ـ وراجع: «تحقيق المسند» (١٩/ ٣٩٢)، والله أعلم.

من أهل النار، فذكرَ ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**»، رواه مسلم برقم (١١٩)(١).

ثم قال رحمه الله: وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين، كذلك، قد نهى الله عز وجل، عن رفع الأصوات بحضرت رسول الله ﷺ.اهـ بتصرف.

قلت: فإذا كانت هذه الأدلة زاجرة عن رفع الصوت، على رسول الله ﷺ، فمن بابِ أولى الزجر عن رفعه، مع الله سبحانه وتعالى، في كل وقت وحين: ومن ذلك عند مناجاته جل جلاله وتقدست أسماؤه، قال الله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ، وهم يصعدون في ثنية، فجعل رجل، كلما علا ثنية، نادى لا إله إلا الله، والله أكبر، فقال نبي الله ﷺ: «**إنكم لا تنادون أصم، ولا غائبا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**»، رواه مسلم برقم (٢٧٠٤).

وفي الباب من الأدلة الدالة على التأدب، في مخاطبة الله جل جلاله، وتقدست أسماؤه الكثير، والله أعلم.

---

(١) **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله ـ عقب ذكره له ـ: وَذِكْرُ سعد بن معاذ تفرَّد به حماد بن سلمة؛ لأن الصحيح: أن حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ موجودا؛ لأنه كان قد مات بعد بني قريظة بأيام قلائل، سنة خمس، وهذه الآية نزلت في وفد بني تميم، والوفود إنما تواتروا في سنة تسع من الهجرة، والله أعلم.



تحريم رفع الصوت على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٢-٥].

قال العلامة الشوكاني رحمه الله (٥/ ٧٠): والحاصل: أن النهي هنا وقع عن أمور:

الأول: عن التقدُّم بين يديه بما لا يأذن به من الكلام.

والثاني: عن رفع الصوت البالغ إلى حد يكون فوق صوته، سواء كان في خطابه، أو في خطاب غيره.

والثالث: ترك الجفاء في مخاطبته، ولزوم الأدب في محاورته، لأن المقاولة المجهورة إنما تكون بين الأكفاء، الذين ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره.اهـ

قلت: وذلك كما قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

من رفع صوته على سنة رسول الله ﷺ أخذ حكم رافع صوته على النبي ﷺ حال حياته:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٣٦٥): قد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه سمع صوت رجلين في مسجد رسول الله ﷺ، قد ارتفعت أصواتهما، فجاء، فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالا من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا، رواه البخاري برقم (٤٧٠).

وقال العلماء: يُكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته؛ لأنه محترم حيا وفي قبره، صلوات الله وسلامه عليه دائما.اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٢/ ٣٦٧): ومن الأدب معه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أن لا تُرفع الأصوات فوق صوته؛ فإنه سبب لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء، ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به؟ أترى ذلك موجبًا لقبول الأعمال، ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبوطها؟.اهـ

وقد أفتى جمعٌ من علمائنا المعاصرين، بأن رافع صوته عند تلاوة القرآن، أو سماع الحديث، يُعتبر قد رفع صوته على الله، وعلى رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، منهم شيخنا الوادعي رحمه الله.

قلت: والتأدُّب والاحترام والإكرام، مع كلام الله تعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لا يقل شأنا ولا منزلة عن التأدب والاحترام، والإكرام لمسجده، وقبره عليه الصلاة والسلام، والله المستعان، وهو أعلم.



الأمر بإكرامه ﷺ وتوقيره وإعزازه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨ ـ ٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٣٢٩): يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ أي: على الخلق، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أي: للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: للكافرين. ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد: يعظموه، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ من التوقير وهو الاحترام، والإجلال والإعظام، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: يسبحون الله، ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: أول النهار وآخره.اهـ

وقال المفسِّر السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٧٩٢): أي: بسبب دعوة الرسول لكم، وتعليمه لكم ما ينفعكم، أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله ورسوله، المستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعزروا الرسول ﷺ، وتوقروه أي: تعظموه وتُجِلُّوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبحوا الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.اهـ

وأدلة إكرامه ﷺ وتوقيره واحترامه، كثيرة جدا، أُحيل طالبها إلى كُتب السير، يُغترف منها، ويعتبر بما فيها، ويأتي بعضًا منها في أبوابٍ لاحقة ـ إن شاء الله تعالى ـ، والله المستعان، وهو أعلم.

فصلٌ: في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]:

قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [البقرة: ١٠٤].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٢/ ٥٧): المقصود نهي المسلمين عن مثل ذلك، وحقيقة (راعنا) في اللغة أرعنا ولنرعك، لأن المفاعلة من اثنين، فتكون من رعاك الله، أي احفظنا ولنحفظك، وارقبنا ولنرقبك، ويجوز أن يكون من أرعنا سمعك، أي: فرِّغ سمعك لكلامنا، وفي المخاطبة بهذا جفاء، فأُمر المؤمنين أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها، ومن المعاني أرقها.

قال ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعنا ـ على جهة الطلب والرغبة ـ من المراعاة ـ أي: التفت إلينا ـ، وكان هذا بلسان اليهود سبًا، أي: اسمع لا سمعت، فاغتنموها وقالوا: كنا نسبه سرًا فالآن نسبه جهرًا، فكانوا يخاطبون بها النبي ﷺ ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله! لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فنزلت الآية، ونهوا عنها لئلا تقتدي بها اليهود في اللفظ، وتقصد المعنى الفاسد فيه.اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ «تفسيره» (١/ ٣٧٣): نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفِعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يُعانون من الكلام ما فيه تورية، لما يقصدونه من التنقيص ـ عليهم لعائن الله ـ فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولون: راعنا. يورون بالرعونة، كما قال تعالى: **﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا**



وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٤٦].

وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم، بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: السام عليكم. والسام هو: الموت. ولهذا أُمرنا أن نرد عليهم بـ**«وعليكم»**، وإنما يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا.

والغرض: أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا.اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (٣/ ١٤٩): نهاهم سبحانه أن يقولوا هذه الكلمة، مع قصدهم بها الخير؛ لئلا يكون قولهم ذريعة إلى التشبه باليهود في أقوالهم وخطابهم، فإنهم كانوا يخاطبون بها النبي ﷺ، ويقصدون بها السب، ويقصدون فاعلاً من الرعونة، فنهى المسلمين عن قولها؛ سداً لذريعة المشابهة، ولئلا يكون ذريعة إلى أن يقولها اليهود للنبي ﷺ، تشبهًا بالمسلمين يقصدون بها غير ما يقصده المسلمون.اهـ

قلت: وقد ذهب بعض أهل العلم: إلى إبقاء النهي على عمومه، وخصه بعضهم بزمن النبي ﷺ، والأول أولى؛ لعموم الآية، واستمرار الأدب مع العلماء، وأهل الفضل والخير، وفي أوساط المسلمين، إلى حيث يشاء الله، والله أعلم وأحكم.

فصلٌ آخر: في قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ٨١): قال الضحاك عن ابن عباس: كانوا يقولون يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، إعظامًا لنبيه ﷺ، قال: فقولوا يا نبي الله، يا رسول الله، وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير.

وقال قتادة: أمر الله أن يُهاب نبيه ﷺ، وأن يُبجَّل وأن يُعظَّم وأن يُسوَّد.

وقال مقاتل في قوله: **﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾**، يقول: لا تسمُّوه إذا دعوتموه يا محمد، ولا تقولوا يا ابن عبد الله، ولكن شرِّفوه فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله.

وقال مالك: عن زيد بن أسلم في قوله: **﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾** قال: أمرهم الله أن يشرفوه، **هذا قول، وهو الظاهر من السياق**، كقوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾** [البقرة: ١٠٤] إلى آخر الآية.

وقوله: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [الحجرات: ٢-٥]، فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ، والكلام معه وعنده، كما أُمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته.

والقول الثاني في ذلك: أن المعنى في **﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾**: أي: لا تعتقدوا أن دعاءه على غيره كدعاء غيره، فإن دعاءه مستجاب، فاحذروا أن يدعو عليكم فتهلكوا، حكاه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس، والحسن البصري، وعطية العوفي، والله أعلم.اهـ



النهي عن التسمِّي بسيِّد الناس أو بسيِّد ولد لآدم لغير رسول الله ﷺ.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «تحفة المودود» (ص١١٥): وكذلك تحرم التسمية: بسيد الناس، وسيد الكل، كما يحرم سيد ولد آدم؛ فإن هذا ليس لأحد إلَّا لرسول الله ﷺ وحده، فهو سيد ولد آدم، فلا يحل لأحد أن يُطلق على غيره ذلك.اهـ

قلت: ومما يُؤيد ذلك، ما روى البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ في حديث الشفاعة الطويل ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر... الحديث»**.

وما روى مسلم برقم (٢٢٧٦)، وابن حبان (٦٤٧٥)، واللفظ له، عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع**»(١)، وغيرها من الأدلة، والله أعلم.

---

(١) **على شرط مسلم**: راجع: «تعليقات الألباني على ابن حبان» ـ تحت رقم (٦٢٠٩) ـ، و«تحقيق الأرناؤوط على ابن حبان» ـ أيضًا ـ (١٤/ ١٣٥)، والله أعلم.

فصلٌ: في النهي عن الجمع بين التسمّي باسمه ﷺ والتكني بكنيته حال حياته وبعد موته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي**»، رواه البخاري برقم (١١٠)، ومسلم (٣).

وعن جابر بن عبد الله، قال: ولد لرجلٍ منا غلام، فسماه محمدا، فقال له قومه: لا نَدَعُكَ تُسَمِّي باسم رسول الله ﷺ فانطلق بابنه حامله على ظهره، فأتى به النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ولد لي غلام فسمَّيته محمدا، فقال لي قومي: لا ندعك تسمي باسم رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم**»، رواه البخاري برقم (٣٥٣٨)، ومسلم (٢١٣٣).

وعن أنس، قال: نادى رجلٌ رجلًا بالبقيع يا أبا القاسم، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله، إني لم أعنك إنما دعوت فلانا، فقال رسول الله ﷺ: «**تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي**»، رواه مسلم برقم (٢١٣١).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٤/ ١١٢): اختلف العلماء في هذه المسألة على مذاهب كثيرة، وجمعها القاضي وغيرُه:

أحدها: مذهب الشافعي، وأهل الظاهر: أنه لايحل التكني بأبي القاسم لأحد أصلًا، سواء كان اسمه محمدًا أو أحمد أم لم يكن؛ لظاهر هذا الحديث.

الثاني: أن هذا النهي منسوخ، فإن هذا الحكم كان في أول الأمر، لهذا المعنى المذكور في الحديث، ثم نُسخ قالوا: فيُباح التكني اليوم بأبي القاسم لكل أحد، سواء من اسمه محمد وأحمد وغيرُه، وهذا مذهب مالك.

قال القاضي وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار وجمهور العلماء قالوا، وقد اشتُهر أن جماعة تكنَّوا بأبي القاسم في العصر الأول، وفيما بعد ذلك إلى اليوم، مع كثرة فاعل ذلك وعدم الانكار.



الثالث: مذهب ابن جرير أنه ليس بمنسوخ، وإنما النهي للتنزيه والأدب، لا للتحريم.

الرابع: أن النهي عن التكني بأبي القاسم، مُختص بمن اسمه محمد أو أحمد، ولابأس بالكنية وحدها، لمن لايُسمى بواحد من الاسمين، وهذا قول جماعة من السلف، وجاء فيه حديث مرفوع عن جابر.

الخامس: أنه يُنهى عن التكني بأبي القاسم مطلقًا، وينهى عن التسمية بالقاسم؛ لئلا يكنى أبوه بأبي القاسم، وقد غيَّر مروان بن الحكم اسم ابنه عبد الملك، حين بلغه هذا الحديث، فسماه عبد الملك، وكان سمَّاه أولا القاسم، وفعله بعض الأنصار ـ أيضا ـ.

السادس: أن التسمية بمحمد ممنوعة مطلقًا، سواء كان له كنية أم لا، وجاء فيه حديث عن النبي ﷺ: **«تُسمُّون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم»**(١).

وكتب عمر إلى الكوفة لا تُسموا أحدًا باسم نبي، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم محمد، حتى ذكر له جماعة: إن النبي ﷺ أذن لهم في ذلك وسماهم به، فتركهم.

قال القاضي: والأشبه أن فعل عمر هذا، إعظام لاسم النبي ﷺ؛ لئلا ينتهك الاسم، كما سبق في الحديث، **«تسمونهم محمدا ثم تلعنونهم»**. وقيل: سبب نهي عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول لمحمد بن زيد بن الخطاب: فعل الله بك يامحمد، فدعاه عمر، فقال أرى رسول الله ﷺ يُسب بك، والله لاتُدعى محمدًا ما بقيت وسماه عبد الرحمن.اهـ

قلت: وخروجًا من الخلاف، لو ترك الجمع بين الاسم والكنية للذات الواحدة، فحسن، والله أعلم.

---

(١) **ضعيفٌ**: رواه البزار ـ كشف الاستار ـ برقم (١٩٨٧)، وأبو يعلى (٣٣٨٦)، وغيرهما، عن أنس رضي الله عنه.

راجع: «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ١٩٣)، و«الضعيفة» (٣٤٠٣).

تحريم النفاق الأكبر وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر وذكر بعض صوره

قد فضح الله المنافقين، وأخزاهم وكَشَفَ عوارهم، في أكثر من سورة، وغير ما موضع من كتابه الكريم، **قال حبر الأمة ابن عباس** رضي الله عنهما وغيره: سورة التوبة سورة المبعثرة(١).

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟. قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تَنْزُل، ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تُبقي أحدا منهم إلا ذُكر فيها، رواه البخاري برقم (٤٨٨٢)، ومسلم (٣٠٣١).

وإن مما فضحهم الله به وبين من كفرهم في كتابه: قوله تعالى مخبرا عنهم: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾** [البقرة: ٨ ـ ٩].

وقول الله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلا قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾** ـ الآيات إلى قوله ـ: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ**

---

(١) ولها أسماء أخرى ومنها:

١ـ براءة؛ لافتتاحها بها.

٢ـ التوبة؛ لكثرة ذكر التوبة فيها.

٣ـ الفاضحة؛ لكثرة ما حصل للمنافقين من فضح فيها.

٤ـ المبعثرة، لأنها بَعثرت أسرار المنافقين، وهذان الأخيران رُويا عن ابن عباس رضي الله عنهما.

راجع لبسط ما تقدم: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ١٥٤)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٣٣٢)، و«بصائر ذوي التمييز» (٢٢٧- ٢٣٧)، و«الإتقان» للسيوطي (٢/ ٣٥٧)، وهو أوسع من ساق ذلك، والله أعلم.



الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٢ـ١٤٦].

وقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ * الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٤ـ٦٨].

وقول الله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ * وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ * وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٠ - ٨٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٤ ـ ٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٧ - ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ * أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ – ١٢٧].



وغيرها من المواضع الكثيرة، الدالة على نجاسة عَظْمهم وعصبهم، وشحمهم ولحمهم، ودمهم نجاسة معنوية، قاتلهم الله أنا يؤفكون.

ومن السنة: قول زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللهُ: قال رجلٌ من المنافقين لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما لقُرَّائنا هؤلاء أرغبُنا بطونًا، وأكذبُنا ألسنةً، وأجبُننا عند اللقاء؟! فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله ﷺ! فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره؛ فوجد القرآن قد سبقه، قال زيد: قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ تنكبُهُ الحجارة، يقول: ﴿**إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾، فيقول له النبي ﷺ: ﴿**أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾[التوبة:٦٥] ما يزيده، رواه ابن جرير في «تفسيره» برقم (١٦٩١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ـ أيضًا ـ (١٠٠٤٧)(١).

وعن أبي مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما نزلت آية الصدقة، كنا نُحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [التوبة: ٧٩]، رواه البخاري برقم (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨).

وغيرها من أدلة السنة الكثير، وقد كُتب في ذلك أكثر من كتاب تُراجع للمُريد، والله المستعان، وهو أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «تحقيق العلامة أحمد شاكر على تفسير ابن جرير» ـ عقب الرقم المذكور أعلا ـ، و«الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص٧١) لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ، والله أعلم.

فصلٌ: في تحريم ارتكاب خصال النفاق الأصغر أو أحدها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»**، رواه البخاري برقم (٣٣)، ومسلم (٥٩).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **«أربع من كُنَّ فيه كان منافقا** ـ أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق ـ **حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»**، رواه البخاري برقم (٢٤٥٩)، ومسلم (٥٨).

وخصال النفاق الأصغر كثيرة، هذه أشهرها، والله أعلم.

النهي عن جعل اليمين سببًا لترك خير أو فعل طاعة

قال الله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (١/ ٤٥٠): يقول تعالى: لا تجعلوا أيمانكم بالله تعالى مانعة لكم من البر وصلة الرحم، إذا حلفتم على تركها، كقوله تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى وَالْمَساكِينَ وَالْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾ [النُّورِ: ٢٢]، فالاستمرار على اليمين آثمُ لصاحِبِها(١) من الخروج منها بالتكفير، لما روى البخاري برقم (٦٦٢٤)، ومسلم (١٦٥٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**والله لأن يلج أحدكم بيمينه في أهله، آثمُ له عند الله من أن يُعطي كفارته التي افترض الله عليه**».

وفي لفظ للبخاري برقم (٦٦٢٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استلج(٢) في أهله بيمين، فهو أعظم إثما، ليس تُغني الكفارة**».

وقال علي بن طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ﴾: قال: لا تُجْعَلَنَّ عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير، ولكن كفِّر عن يمينك واصنع الخير، وكذا

---

(١) أي: أعظم إثمًا، مما لو كفَّر عن يمينه، وفعل خيرًا، والله أعلم.

(٢) بتشديد الجيم، استفعال من اللجاج، وهو التمادي في الأمر، ولو بعد تبين الخطأ، وأصله الإصرار على الشيء مطلقًا أي: أقام على يمينه. **والاستلجاج فى الأهل**: هو أن يحلف ألا يُنِيلَها خيرًا، أو لا يجامعها، أو لا يأذن لها فى زيارة قرابة أو مسيرٍ إلى المسجد، فتماديه فى هذه اليمين وبره فيها آثم له عند الله من إثمه أن لا يكفر يمينه؛ لأن من فعل ذلك دخل فى قوله: تألى ألَّا يفعل خيرًا، وهذا منهى عنه.

راجع: «شرح البخاري» لابن بطال (٦/ ٨٩)، و«فتح الباري» (١١/ ٥١٩)، و«فيض القدير» (١/ ٢٧٦).

قال مسروق، والشعبي وإبراهيم النخعي، ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبير، وعطاء وعكرمة ومكحول والزهري، والحسن وقتادة، ومقاتل بن حيان، والربيع بن أنس والضحاك وعطاء الخراساني والسدي رحمهم الله.

ويُؤيِّد ما قال الجمهور: ما روى البخاري برقم (٣١٣٣)، ومسلم (١٦٤٩)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إني والله إن شاء الله، لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها؛ إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها**».

وفيهما ـ أيضًا ـ البخاري برقم (٦٦٢٢) ومسلم (١٦٥٢) ـ: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال لعبد الرحمن بن سمرة: «**إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها، فأت الذي هو خير، وكفر عن يمينك**».

وروى مسلم برقم (١٦٥٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها؛ فليكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير**».

وروى الإمام أحمد برقم (٦٧٣٦)، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها، فتركها كفارتها**»(١).

ورواه أبو داود برقم (٣٢٧٤)، عنه رضي الله عنه مرفوعًا، بلفظ: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها، فليدعها، وليأت الذي هو خير، فإنَّ تركها كفَّارتها**»، ثم قال أبو داود: والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلها: «**فليكفِّر عن يمينه**»(٢)، وهي الصحاح.اهـ بتصرفٍ.

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «تحقيق المسند» للأرناؤوط رحمه الله (١١/ ٣٤٨)، والله أعلم.

(٢) **فيه كلامٌ**: وله شواهد يتقَّوى بها. راجع: «المطالب العالية» (٨/ ٥٦٩) ـ تحقيق جماعة من الباحثين ـ، و«الضعيفة» برقم (١٣٦٥)، والله أعلم.



تحريم إنكار مشيئة الله تعالى أو مشيئة المخلوق

قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلله وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١].

وقال الله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٨ ـ ٣١].

وقال الله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨ ـ ٢٩].

ففي الآيات السابقة: إثباتٌ لمشيئة الخالق تبارك وتعالى، ومشيئة المخلوق، وأن مشيئة المخلوق تحت مشيئة الله تعالى تبارك وتعالى، وفي الكتاب والسنة من الأدلة غير ما تقدم الكثير، وما ذُكر فيه الغُنية لمن وفَّقه الله للصواب، وفي الباب عقب هذا مزيد أدلة ـ إن شاء الله تعالى ـ والله المستعان.

وفي **«ديوان الإمام الشافعي»** ـ المنسوب إليه ـ (ص٣٩٧):

ما شئت كان وإن لم أشأ	وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقتَ العبادَ على ما علمتَ	ففي العلم يجري الفتى والمُسن
فمنهم شقيٌ ومنهم سعيدٌ	ومنهم قبيحٌ ومنهم حسن
على ذا مننتَ وهذا خذلتَ	وهذا أعنتَ وذا لم تُعن

اهـ.



تحريم قول ما شاء الله وشئت أو ما شاء الله وشاء فلان

عن ابن عباس ﭭ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حلف أحدُكم؛ فلا يقل ما شـاء الله وشئت، ولكن ليقـل: مـا شـاء الله ثـم شـئت**»، رواه النسـائي بـرقم (٩٨٨)، وابـن ماجـه (٢١١٧)، وغيرُهما(١).

وعن قُتيلة بنت صيفي الجهنية ﭫ قالت: أتى حَبْرٌ من الأحبار رسول الله ﷺ، فقـال يا محمد: نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون! قال: «**سبحان الله، وما ذاك؟**» قال: تقولـون إذا حلفتم والكعبة. قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قال: إنـه قـد قـال: «**فمـن حلـف؛ فليحلف برب الكعبة**». قال يا محمـد: نعـم القـوم أنـتم لـولا أنكـم تجعلـون لله نـدًا. قـال: «**سبحان الله وما ذاك؟**». قال: تقولون ما شاء الله وشئت. قال: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا. ثم قال: «**إنه قد قال: فمن قال مـا شـاء الله: فليفصـل بيـنهما ثـم شـئت**»، رواه أحمـد بـرقم (٢٧٨٥٢)، والنسائي (٣٧٨٩)(٢).

وعن حذيفة بن اليمان ﭬ، أن رجلًا من المسلمين رأى في النوم، أنـه لقـي رجـلًا مـن أهل الكتاب، فقال: نِعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله، وشـاء محمـد، وذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال ﷺ: «**أما والله إنْ كنت لأعرِّفها لكم؛ قولوا: مـا شـاء الله ثـم شاء محمد**»، رواه أحمد (٥/ ٣٨٤)، وأبو دود برقم (٤٩٨٠)، وغيرهما(٣).

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٣٩)، ويتقوَّى بما بعده، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٣٦)، و«الصحيح المسند» (١٦٣٨)، والله أعلم.

(٣) **صحيحٌ**: راجع: «مختصر البيهقي» (١/ ١٤٠/ ٢) للذهبي، و«الصحيحة» برقم (١٣٧)، والله أعلم.



وعن الطفيل بن سخبرة ﵁، أنه رأى فيما يرى النائم؛ كأنه مرَّ برهطٍ من اليهود، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود؟ قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرًا ابن الله، فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد، ثم مرَّ برهطٍ من النصارى، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى، فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله، وما شاء محمد، فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: **«هل أخبرت بها أحدًا؟»**. قال: نعم، فلما صلوا خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إن طفيلاً رأى رؤيا، فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة، كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها**». قال: «**لا تقولوا ما شاء الله، وما شاء محمد**»، رواه أحمد برقم (٢٤٠٩١)، وابن ماجه (٥٢٤)(١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٣٨)، و«الصحيح المسند» (٥٢٤)، والله أعلم.

تحريم إنكار إرادة الله تبارك وتعالى أو إرادة المخلوق

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٦].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:٢٦].

وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٩].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٧ـ ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة:١٠٨].

وقال تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].



وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

وغيرها من أدلة الكتاب، وفي السنة من الأدلة أكثر منها في الكتاب، والله أعلم بالصواب.

فصل: في إرادة الجمادات:

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف:٧٧].

قال الإمام القرطبي رحمه الله (١١/ ٢٣): قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ أي: قرب أن يسقط، ـ ثم ذكر رحمه الله: أن جمهور أهل العلم، يرون أن هذا مجاز وتوسع... **ثم قال:**

وذهب قوم إلى منع المجاز في القرآن، منهم أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو بكر محمد بن داود الأصبهاني، وغيرهما، فإن كلام الله عز وجل، وكلام رسوله حَمْلُه على الحقيقة أولى بذي الفضل والدين؛ لأنه يَقُصُّ الحق، كما أخبر الله تعالى في كتابه.

ومما احتجوا به: أن قالوا: لو خاطبنا الله تعالى بالمجاز لزم وصفه بأنه متجوز ـ أيضًا ـ فإن العدول عن الحقيقة إلى المجاز يقتضي العجز عن الحقيقة، وهو على الله تعالى محال، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق:٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:١٢].

وقال تعالى: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج:١٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»**، رواه البخاري برقم (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

وما كان مثلها حقيقة، وأنَّ خالقها الذي أنطق كل شيء أنطقها.

وفي «صحيح مسلم» برقم (٢٩٦٨)، من حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«فيُختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه»**، هذا في الآخرة.

وأما في الدنيا: ففي «الترمذي» برقم (٢١٨١)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«والذي نفسي بيده: لا تقوم الساعة حتى تُكَلِّم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده»**.

قال أبو عيسى: وفي الباب: عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن غريب(١).اهـ بتصرف.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني لأعرف حجرا بمكة كان يُسلِّم عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن**»، رواه مسلم برقم (٢٢٧٧).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٩/ ١٣٩): عند قوله صلى الله عليه وسلم ـ في جبل أحد ـ: **«هذا جبل يحبنا ونحبه»**: الصحيح المختار: أن معناه: أن أحدًا يحبنا حقيقة، جعل الله تعالى فيه تمييزًا يحب به كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾ [البقرة:٧٤]، وكما حن الجذع اليابس، وكما سبح الحصى، وكما فر الحجر بثوب موسى عليه السلام، وكما قال نبينا صلى الله عليه وسلم: **«إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ»**، وكما دعا الشجرتين المفترقتين

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم المذكور أعلاه ـ، والله أعلم.



فاجتمعا، وكما رجف حراء، فقال: **«اسكن حراء، فليس عليك إلا نبيٌّ أو صديق»** الحديث. وكما كلمه ذراع الشاة، وكما قال سبحانه وتعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾** [الإسراء:٤٤].

والصحيح في معنى هذه الآية: أن كل شيء يسبح حقيقة، بحسب حاله، ولكن لا نفقهه، وهذا وما أشبهه شواهد لما اخترناه، واختاره المحققون في معنى الحديث، وأن أحدًا يحبنا حقيقة.

وقيل: المراد يحبنا أهله، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والله أعلم.اهـ

وقال العلامة العثيمين رحمه الله في «شرح الواسطية» (ص٢٨٤) قوله: **﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾** [الحشر:٢١]: الجبل من أقسى ما يكون، والحجارة، التي منها تتكون الجبال هي مضرب المثل في القساوة، قال الله: **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾** [البقرة:٧٤]، ولو نَزَلَ هذا القرآن على جبل؛ لرأيت هذا الجبل خاشعًا متصدعًا من خشية الله. **﴿خَاشِعًا﴾** أي: ذليلًا، ومن شدة خشيته لله يكون **﴿مُتَصَدِّعًا﴾** يتفلق ويتفتق... .

وفي هذا دليل على أن للجبل إحساسًا؛ لأنه يخشع ويتصدع، والأمر كذلك، قال النبي ﷺ ـ في أُحد ـ: **«هذا أُحد جبل يحبنا ونحبه»**، رواه البخاري برقم (٤٤٢٢)، ومسلم (١٣٩٢)، عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

وبهذا الحديث نعرف الرد على المثبتين للمجاز في القرآن، والذين يرفعون دائمًا عَلَمَهُمْ مستدلين بهذه الآية: **﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾** [الكهف:٧٧]. يقول: كيف يريد الجدار؟!.

فنقول: يا سبحان الله! العليم الخبير يقول: **﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾**، وأنت تقول: لا يريد! أهذا معقول؟، فليس من حقك بعد هذا أن تقول: كيف يريد؟!.

وهذا يجعلنا نسأل أنفسنا: هل نحن أوتينا علم كل شيء؟، فنجيب بالقول بأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلًا.

فقول من يعلم الغيب والشهادة: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ لا يسوِّغ لنا أن نعترض عليه، فنقول: لا إرادة للجدار! ولا يريد أن ينقض!، وهذا من مفاسد المجاز؛ لأنه يلزم منه نفي ما أثبته القرآن، أليس الله تعالى يقول: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

هل تسبح بلا إرادة ؟!. يقول: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ (اللام) للتخصيص؛ إذًا هي مخلصة، وهل يتصور إخلاص بلا إرادة؟! إذًا هي تريد وكل شيء يريد؛ لأن الله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ﴾.

وأظنه لا يخفى علينا جميعًا أن هذا من صيغ العموم؛ فـ﴿إِنْ﴾: نافية بمعنى (ما)، و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: نكرة في سياق النفي، ﴿إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، فيعم كل شيء.اهـ

قلت: وأدلة تأثُّر الجمادات وإراداتها، مما يدخل تحت ما عُنون له كثيرة، في الكتاب والسنة، يأتي ذكر بعضها، في أبواب لا حقة ـ إن شاء الله تعالى ـ والله أعلم وأحكم.



تحريم إنكار أسماء الله وصفاته جملةً أو تفصيلًا

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:٨].

وقال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه يقول: «**اللهم رب السماوات ورب الأرض، ورب كل شيء فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، نعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر**»، رواه مسلم برقم (٦٨٢٧).

وعن ابن عباس ﵄، أن النبي ﷺ كان يدعو بهن عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم**»، رواه البخاري برقم (٦٣٤٥)، ومسلم (٧٠٩٧).

وعن أبي هريرة ﷺ، أنه كان يقرأ هذه الآية: ﴿**إِنَّ اللهَ يَـأْمُرُكُمْ أَنْ تُـؤَدُّوا الأَمَانَـاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ إلى قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [النساء: ٥٨]، ويضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه ويقول: هكذا سمعتُ رسول الله ﷺ: «**يقرؤها ويضع أصبعيه**».

قال أبو زكريا: وصفه لنا المقري، ووضع أبو زكريا إبهامه اليمنى على عينه اليمنى، والتي تليها على الأذن اليمنى، وأرانا، **فقال**: هكذا وهكذا، رواه أبو داود برقم (٤٧٢٨)، **وقال**: وهذا رد على الجهمية، ورواه ابن حبان برقم (١٧٣٢)، وغيرهما(١).

وفي الباب أدلة كثيرة، يأتي ذكر بعضها في أبوابٍ عقب هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الفتح» (١٣/ ٣٧٣)، و«صحيح وضعيف أبي داود» (١٠/ ٢٢٨)، و«الصحيح المسند» برقم (١٢٥٢).



النهي عن حصر أسماء الله تعالى وصفاته بعددٍ معيَّن

قد وردت أدلةٌ كثيرة صحيحة وصريحة، في أن أسماء الله تعالى وصفاته، لا حصر لها بعددٍ معين، ومن تلك الأدلة مايلي:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ في حديث الشفاعة الطويل ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«فيأتوني فأستأذن على ربي، فيُؤذن لي، فإذا أنا رأيتُه وقعت ساجدًا، فَيَدَعُنِي ما شاء الله، فيُقال: يا محمد ارفع رأسك، قل تسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حدًا، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد، قل تُسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميدٍ يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حدًا فأُخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة»**، رواه البخاري برقم (٦٥٦٥)، ومسلم (٤٦٣).

وفي لفظ لمسلم برقم (٥٠٠): **«فأحمده بمحامد، لا أقدر عليه الآن، يلهمنيه الله»**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ـ في حديث الشفاعة أيضًا ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي عز وجل، ثم يفتح اللهُ عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئا، لم يفتحه على أحدٍ قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع»**، رواه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١١/ ٥٣٢): قال ابن منده رحمه الله في «كتاب الإيمان»: هذا حديث مجمعٌ على صحة إسناده وثِقةِ رواته.اهـ

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش، فالتمسته فوقَعَتْ يدي على بطن قدميه، وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»، رواه مسلم برقم (٤٨٦).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أصاب أحدًا قط همٌّ، ولا حزنٌ، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجًا**»، رواه أحمد برقم (٣٧١٢)(١).

قلت: وفي الباب غير ما تقدم من الأدلة، يأتي ذكر بعضها في الفصل الآتي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(١) **صحيحٌ**: **قال العلامة الألباني** رحمه الله في «تخريج الطحاوية»: صحيح، وإن أعله الذهبي بجهالة أبي سلمة، وتبعته على ذلك برهة من الزمن، فقد تبيَّن لي فيما بعد: أن أبا سلمة هذا ثقة معروف، وأن إسناده متصل صحيح، في تحقيق أجريته عليه لا أظن أحدًا سبقني إليه، أودعته في «الصحيحة» برقم (١٩٩).اهـ

فصل: في معنى قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة»:

ممَّا استدلَّ به من قال بحصر أسماء الله تعالى وصفاته بعددٍ معين: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسما ـ مائة إلا واحدًا ـ، من أحصاها دخل الجنة**»، رواه البخاري برقم (٢٧٣٦)، ومسلم (٦٩٨٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الكبرى» (٢/ ٣٨٠) ـ عقب ذكره لحديث ابن مسعود السابق ـ: قال الخطابي وغيره: فهذا يدل على أن له أسماء استأثر بها، وذلك يدل على أن قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»، وأن في أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: إن لي ألف درهم أعددتها للصدقة، وإن كان ماله أكثر من ذلك، والله في القرآن قال: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف:١٨٠]، فأمر أن يُدعى بأسمائه الحسنى مطلقًا ولم يقل: ليست أسماؤه الحسنى إلا تسعةً وتسعين اسمًا، والحديث قد سلم معناه، والله أعلم.اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «طريق الهجرتين» (١/ ٢٢٤): فلله سبحانه محامد، ومدائح، وأنواع من الثناء لم تتحرك بها الخواطر، ولا هجست في الضمائر، ولا لاحت لمتوسم، ولا سنحت في فكر، ففي دعاء أَعْرَف الخلق بربه، وأعلمهم بأسمائه وصفاته ومحامده، «**أسألك بكل اسم هو لك**...الحديث»(١).

---

(١) **صحيحٌ: قال العلامة الألباني** رحمه الله في «تخريج الطحاوية»: صحيح، وإن أعله الذهبي بجهالة أبي سلمة، وتبعته على ذلك برهة من الزمن، فقد تبيَّن لي فيها بعد: أن أبا سلمة هذا ثقة معروف، وأن إسناده متصل صحيح، في تحقيق أجريته عليه لا أظن أحدًا سبقني إليه، أودعته في «الصحيحة» برقم (١٩٩).اهـ

وفي «الصحيح» عنه ﷺ ـ في حديث الشفاعة: لما يسجد بين يدي ربه ـ قال: «**فيفتح قلبي من محامده بشيءٍ، لا أُحسنه الآن**»(١).

وكان ﷺ يقول في سجوده: «**أعوذ بك منك لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»(٢)، فلا يحصي أحدٌ من خلقه ثناءً عليه البتة.

وله أسماء وأوصاف، وحمد، وثناء لا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ونسبة ما يعلم العباد من ذلك إِلَى ما لا يعلمونه، كنقرة عصفور في بحر.اهـ

وقال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله في «معارج القبول» (١/ ١١٧): واعلم أن أسماء الله عز وجل ليست بمنحصرة، في التسعة والتسعين، المذكورة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن، بل ولا فيما عَلِمَتْه الرسل والملائكة، وجميع المخلوقين؛ لحديث ابن مسعود رضي الله عنه، عند أحمد، وغيره.اهـ

قلت: ويؤيد كلامهم ـ رحمهم الله تعالى ـ: قوله تعالى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ [طه:١١٠].

وقول الله تعالى: ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد:٣٩].

ثم ليُعلم: أن القول بحصرِ أسماء الله وصفاته، قد يتضمن نوع إلحادٍ، لما تقدم من صريح الأدلة، الدلة على مارسم لها في العنوان، إلا إن كان القائل مجتهدا، فيعفو الله عنه؛ لقوله

---

(١) سبق تخريجه قريبًا، وأنه في «الصحيحين»، والله أعلم.

(٢) سبق تخريجه قريبًا، وأنه في «مسلم»، والله أعلم.



ﷺ: «**إذا حكم الحاكم، فاجتهد ثم أصاب؛ فله أجران، وإذا حكم، فاجتهد ثم أخطأ؛ فله أجر**»، رواه البخاري برقم (٦٩١٩)، ومسلم (١٧١٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وإذا قلنا بعدم حصر أسماء الله تعالى، فمن بابٍ أولى: عدم حصر صفات الله تعالى، فإنَّ باب الصفات أوسع من باب الأسماء، ولأنه يُشتق من كل أسمٍ صفة، والله أعلم(١).

تتمة: في ذكر من قال بحصر أسماء الله تعالى من أهل العلم:

عامة أهل العلم ـ رحمهم الله تعالى ـ سابقهم ولاحقهم: على عدم حصر أسماء الله تعالى بعدد معين، سوى القاضي يوسف بن أحمد بن كج رحمه الله ـ من علماء القرن الثالث ـ، وليس في كلامه، ما يستفاد منه الجزم بذلك.

والإمام أبو محمد ابن حزم رحمه الله، وقد رُدَّ عليهما، كما في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٨٣)، عفا الله عنَّا وعنهم ـ، إنه أعلم وأحكم وأرحم.

---

(١) راجع للمزيد: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٨١)، و«إيثار الحق على الخلق» (ص١٥٨)، وغيرهما.

تحريم تشبيه الله تبارك وتعالى بخلقه وضرب الأمثال له

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤].

قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٦٢١): أي: فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه؛ فإنه لا مثل له ولا شبه.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هل تعلم للرب مثلًا، أو شبيهًا ـ تقدم تخريجه ـ.اهـ

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في «رسالة إلى أهل الثغر» (ص٢١٠): **الإجماع الثاني:**

وأجمعوا على أنه عز وجل غير مِشْبِهِ لشيء من العالم، وقد نبه الله عز وجل على ذلك بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ويقول عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٤].

وإنما كان ذلك كذلك، لأنه تعالى لو كان شبيهًا لشيء من خلقه؛ لاقتضى من الحدث والحاجة إلى مُحدث له، ما اقتضاه ذلك الذي أشبهه، أو اقتضى ذلك قِدَم ما أشبهه من خلقه، وقد قامت الأدلة على حَدَثِ جميع الخلق، واستحالة قِدَمِه على ما بيناه آنفا، وليس كونه عز وجل غير مشبِه للخلق ينفي وجوده؛ لأن طريق إثباته كونه تعالى على ما اقتضته العقول من دلالة أفعاله عليه دون مشاهدته.اهـ

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٥٥٨): وأما التمثيل، فقد نطق الكتاب بنفيه عن الله، في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١].

وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤].

وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤].اهـ



وفي **«الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»** (ص١٤٧): وهؤلاء ـ أي: المشبهة ـ شبهوا الله بخلقه، وجعلوا صفاته من جنس صفات المخلوقين، ولذلك سُموا بالمشبهة، ولأنهم غلوا في إثبات الصفات، حتى أدخلوا في ذلك ما نفاه الله ورسوله، مما لا يليق به سبحانه من صفات النقص، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا.

وقد نفى الله في كتابه مشابهته لخلقه، ونهى عن ضرب الأمثال له؛ فقال تعالى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** [الشورى:١١]، **﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾** [مريم:٦٥]، **﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾** [الإخلاص:٤]، **﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلهِ الْأَمْثَالَ﴾** [النحل:٧٤]، فمن شبه صفات الله بصفات خلقه؛ لم يكن عابدًا لله في الحقيقة، وإنما يعبد وثنا صوَّرَه له خياله ونحته له فكره، فهو من عُبَّاد الأوثان، لا من عُبَّاد الرحمن. **قال العلامة ابن القيم** رحمه الله ـ في «النونية» ـ (ص٢٠٢):

لسنا نُشبِّه وصفه بصفاتنا إن المشبه عابد الأوثان

ومن شبه صفات الله بصفات خلقه؛ فهو مشابه للنصارى الذين يعبدون المسيح ابن مريم عليه السلام. **قال العلامة ابن القيم** ـ في «النونية» ـ (ص٢٠٢):

من مثَّل الله العظيم بخلقه فهو النسيب لمشركٍ نصراني

وقال نعيم بن حماد ـ شيخ البخاري رحمهما الله ـ: من شبه الله بخلقه؛ فقد كفر، ومن نفى ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله؛ فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه.اهـ بتصرف.

وقال العلامة العثيمين رحمه الله في «القول المفيد» (٢/ ١٢٢): كل ما وصف الله به نفسه، فهو حق على حقيقته، لكن ينزه عن التمثيل والتكييف، أما التمثيل، فلقوله تعالى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الشورى:١١].

وقوله: **﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [النحل:٧٤].اهـ

فصلٌ: في معنى قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته**»، رواه البخاري برقم (٢٥٥٩)، ومسلم (٢٦١٢)، **والجملة الأخيرة منه**: انفرد بها مسلم دون البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في القمر ليلة البدر؟**». قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فهل تضارون في الشمس، ليس دونها سحاب؟**». قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها** - شك إبراهيم -، **فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه**»، رواه البخاري برقم (٧٤٣٧).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «**فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا**»، رواه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، واللفظ للبخاري.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا**» رواه البخاري برقم (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١)، واللفظ للبخاري.

وبقي ألفاظٌ أُخرى، يأتي ذكرها في أقوال أهل العلم ـ إن شاء الله تعالى ـ.

أقوال أهل العلم في معنى الأحاديث السابقة:

عامة أهل العلم وجمهورهم: على أن الضمير في الحديث يعود على الله تبارك وتعالى(١).

وذهب كثير من أهل السنة: إلى أن آدم خُلق على صورة الله، ومما استدلوا به على ذلك: الحديث المتقدم، وهو قوله ﷺ: **«خلق الله آدم على صورته»**.

ووجه الاستدلال: أن الضمير راجع إلى الله تعالى، فيكون آدم مخلوقًا على صورة الله تبارك وتعالى(٢).

قال أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٩٠): ومن مذهب أهل السنة: الإيمان بجميع ما ثبت عن النبي ﷺ، في صفة الله تعالى، كحديث: **«لا تقبحوا الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته»**(٣).

وقال الإمام الآجري رحمه الله في «الشريعة» (٣/ ١١٤٧): باب الإيمان بأن الله عزوجل خلق آدم على صورته بلا كيف ـ ثم بعد أن ساق عددا من الروايات في ذلك قال: **قال محمد بن الحسين** رحمه الله: هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يُقال فيها: كيف؟، ولم؟ بل تُستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين.اهـ

---

(١) «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (٤/ ١٨٧١).

(٢) «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (٤/ ١٨٧٣).

(٣) **حسنٌ**: رواه الآجري في «الشريعة» (٣/ ١١٥١).

ورواه أحمد برقم (٧٤٢٠)، وابن حبان (٥٧١٠)، بلفظ: **«إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه، ولا يقل: قبح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك؛ فإن الله تعالى خلق آدم على صورته»**، وصححه ابن منده في «التوحيد» برقم (٢٢٣). راجع: «الصحيحة» (٢/ ٥١٩)، و«تحقيق المسند» (١٢/ ٣٨٢)، و«موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (٤/ ١٨٧١)، والله أعلم.

وقال ابن بطة العكبري رحمه الله في «الإبانة الكبرى» (٣/ ٢٤٤): باب الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم على صورته، بلا كيف: قال الشيخ: وكل ما جاء من هذه الأحاديث، وصحت عن رسول الله ﷺ، ففرضٌ على المسلمين قبولها، والتصديق بها، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وواجب على من قبلها، وصدق بها أن لا يضرب لها المقاييس، ولا يتحمل لها المعاني والتفاسير، لكن تُمر على ما جاءت ولا يُقال فيها: لم؟ ولا كيف؟ إيمانا بها وتصديقا، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا، وننتهي منها حيث انتهى بنا، كما قال المصطفى نبينا ﷺ بلا معارضة، ولا تكذيب، ولا تنقير، ولا تفتيش، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل، فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القرآن وأصل الشريعة، فالطعن عليهم والرد لما نقلوه من هذه الأحاديث طعن في الدين، ورد لشريعة المسلمين، ومن فعل ذلك فالله حسيبه، والمنتقم منه بما هو أهله.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٣٧٣): ثُبوت الوجه والصورة لله، قد جاء في نصوص كثيرة، من الكتاب والسنة المتواترة، واتفق على ذلك سلف الأمة، وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ طائفة من النصوص، التي فيها إثبات صورة الله تعالى، كقوله: **«فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون»**(١)، ونحو ذلك مما هو من الأحاديث، التي اتفق العلماء على صحتها وثبوتها.اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله في «مختصر الصواعق» (٢/ ٥١٥): ـ في معرض حديثه عما ينبغي في صفات الله ـ: وكذلك قوله ﷺ: ـ في حديث النداء ـ: **«فيناديهم بصوت»**(٢)، فذكر

---

(١) سبق تخريجه قبل أسطر، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ**: رواه أحمد برقم (١٦٠٤٢)، والحاكم (٣٦٣٨)، وصححه. راجع: «ظلال الجنة» للألباني رحمه الله (١/ ٢٢٥)، و«تحقيق المسند» (٢٥/ ٤٣٢)، والله أعلم.



الصوت تحقيقًا لصفة النداء وتقريرًا، ولو لم يذكره لدل عليه لفظ النداء، كما لو قيل: يعلم بعلم، ويقدر بقدرة، ويبصر ببصر، وهذا ونحوه إنما يُراد به تحقيق الصفة وإثباتها، لا تشبيه الموصوف وتمثيله، ومن هذا حديث الصورة.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٣٧٣): والكلام على ذلك أن يقال: هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع، في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة، عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها؛ يدل على ذلك، ولكن كان من العلماء في القرن الثالث من يكره روايته، ويروي بعضه كما يكره رواية بعض الأحاديث؛ لمن يخاف أن يفسد عقله ودينه، وإن كان مع ذلك لا يرون كتمان ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مطلقًا، بل لا بد أن يبلغوه، حيث يصلح ذلك، ولهذا اتفقت الأمة: على تبليغه وتصديقه، وإنما دخلت الشبهة في الحديث لتفريق ألفاظه....، ولكن ظهر لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفةٌ الضمير فيه عائد إلى غير الله تعالى، حتى نُقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة، في عامة أمورهم، كأبي ثور، وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصبهاني، وغيرهم من علماء السنة.اهـ

قال أبو بكر ابن خزيمة رحمه الله في «التوحيد» (١/ ٨٤) ـ عقب ذكره للأدلة السابقة ـ: توهم بعض من لم يتبحر العلم أن قوله: **«على صورته»** يريد صورة الرحمن عز ربنا وجل، عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: **«خلق آدم على صورته»**، (الهاء) في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب، والمشتوم، أراد صلى الله عليه وآله وسلم: أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب، الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه، فزجر صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: ووجه من أشبه وجهك؛ لأن وجه آدم شبيه وجوه بنيه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبحا وجه آدم صلوات الله عليه

وسلامه، الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم، فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تغالطوا، فتضلوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال.

قلت: ويشكل على كلام من أعاد الضمير إلى غير الله تبارك وتعالى: ما جاء من زيادات صريحة في الأحاديث السابقة، كزيادة: **«إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٥/ ١٨٣): اختلف في الضمير على من يعود فالأكثر على أنه يعود على المضروب؛ لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك، لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها.

وقال القرطبي رحمه الله: أعاد بعضهم الضمير على الله، متمسكًا بما ورد في بعض طرقه: **«أن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**. قال: وكأنَّ من رواه أورده بالمعنى متمسكًا بما توهمه، فغلط في ذلك، وقد أنكر المازري ومن تبعه صحة هذه الزيادة، ثم قال: وعلى تقدير صحتها، فيحمل على ما يليق بالباري سبحانه وتعالى.

قلت ـ أي: الحافظ رحمه الله ـ: الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في «السنة»، والطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، بإسناد رجاله ثقات، وأخرجها ابن أبي عاصم ـ أيضًا ـ من طريق أبي يونس، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: يردُّ التأويل الأول. قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«من قاتل فليجتنب الوجه؛ فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن»**، فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة، من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه، أو من تأْوِيله على ما يليق بالرحمن جل جلاله.اهـ

---

(١) رُويت هذه اللفظة: في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد كتب فيها الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله مقالا بعنوان: «تعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمن»، وتوسَّع العلامة الألباني رحمه الله في الكلام على الزايادة، كما هو دأبه في «الضعيفية» (٣/ ٣١٦ـ٣٢٢)، والله أعلم.

وعلى القول بصحتها، وإثبات الصورة لله، لا يدل ذلك على التشبيه الذي خشيه الإمام ابن خزيمة، ولا يلزم منه ذلك بحال؛ لأن الصورة هي كبقية صفات الله الثابتة له، على الوجه اللائق به، فلا محذور على الإطلاق في إثباتها لله؛ لأن كل قائم بنفسه له صورة تليق به، وعليه فلا داعي لصرف الحديث عن ظاهره.

قال ابن قتيبة رحمه الله في «تأويل مختلف الحديث» (ص٢٢١): والذي عندي ـ والله تعالى أعلم ـ: أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك؛ لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه؛ لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد.اهـ

وقال الشيخ أبو الأشبال ـ وفقه الله ـ في «شرح مسلم» - تحت الرقم (٦٢١٢) ـ: أما قوله عليه الصلاة والسلام: **«إن الله خلق آدم على صورته»**: فاختلف أهل العلم في عود الضمير، فقالوا: (الهاء) في **«صورته»** يعود على المضروب، فإن الله خلق آدم على صورة المضروب.

والكلام هذا لا تساعده الأدلة النقلية ولا كلام العرب؛ لأن المشبَّه إنما يلحق بالمشبَّه بِه غالباً، ولا يلحق المشبَّه به بالمشبَّه. يعني: لَمَّا أقول: إن الله خلق آدم على صورته، وأقول: إن الضمير يعود على المضروب، فهذا الكلام لغةً لا يستقيم، مثل أن أقول: إن هذا الرجل يشبه ابنه، أو هذا الولد يشبه أباه، لكن لا يصح أن أقول للأخ الكبير: أنت تشبه أخاك الصغير الذي هو أصغر منك بعشر سنوات، فضلاً أن يكون ذلك في الأب، وآدم أبو البشر، فلمَّا أُشَبِّه آدم بأحدٍ لا يصح، لكن ممكن أُشبه الناس بآدم؛ لأنه الناس من آدم، وآدم هو أبو البشر.

وقال بعض أهل العلم ـ من المحققين من السلف ـ: إن لله تبارك وتعالى ذات، وهذه الذات موصوفة بصفات، فإذا كانت ذات لها صفات، فلا بد أن تكون لها صورة، والله تبارك

وتعالى خلق الخلق على صور، كما أنه سبحانه وتعالى ذات له صورة، وصورة المولى تبارك وتعالى لا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه، أما صُور المخلوقين فمعلومة، فهذا تشبيه الصورة بالصورة.

بمعنى: كما أنَّ للهِ تعالى ذات فله صورة، وكذلك مخلوقاته عبارة عن صور وذوات، فهذا تشبيه لصورة بصورة، لا تشبيه للمصور بالمصور، ولا تشبيه للعبد بالخالق تبارك وتعالى.

إذاً: كما أن الله تعالى ذاتاً موصوفة بصفات ولها صورة، فكذلك آدم أبو البشر له ذات لها صفات ولها صورة، فهنا في هذا الحديث: إثبات الصورة لله عز وجل وإثبات الصورة للمخلوقين، لكن إثبات الصورة لله وللمخلوقين لايستلزم المشابهة والمماثلة أبداً، بل يستحيل إثبات المماثلة والمشابهة في كل شيء بين الخالق وبين المخلوق.

إذاً: الذين تكلفوا رد حديث: **«إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**، واكتفوا بذكر عود الضمير إلى آدم، إنما تكلفوا ما لا طاقة لهم به؛ لأن الحديث بلفظ: **«صورة الرحمن»**، صحيح بغير إشكال.

ثم ما الذي يمنعنا أن نُؤمن بأن للهِ تعالى صورة كما آمنَّا بكل أسمائه وصفاته، وأن نفوض كيفية الصورة لله عز وجل، أما صورة المخلوقين فنحن نعرفها.اهـ

وأكثرتُ النقل في هذه المسألة لبيان المراد، والله الموفق للصواب.



فصلٌ: في معنى قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]:

قال الله تعالى: ﴿**وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾ [النساء: ١٧١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٢/ ٤٧٨): ليس الكلمةُ صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى. **وهذا أحسن**: مما ادعاه ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ في قوله: ﴿**أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ**﴾ أي: أعلمها بها، كما زعمه في قوله: ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ**﴾ [آل عمران: ٤٥] أي: يُعلمك بكلمة منه، ويجعل ذلك كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ**﴾ [القصص: ٨٦].

بل الصحيح: أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم، فنفخ فيها بإذن الله، فكان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال البخاري رَحِمَهُ اللهُ ـ برقم (٣٤٣٥)، وساق بسنده ـ: عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنةَ حق، والنارَ حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»، ورواه مسلم برقم (٢٨)، فقوله في الآية والحديث: «﴿**وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾»، كقوله: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ**﴾ [الجاثية: ١٣] أي: مِنْ خَلْقه ومن عنده، وليست (مِنْ) للتبعيض، كما تقوله النصارى ـ عليهم لعائن الله المتتابعة ـ بل هي لابتداء الغاية، كما في الآية الأخرى.

وقد قال مجاهد في قوله: ﴿**وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾ أي: ورسول منه. وقال غيره. ومحبة منه.

والأظهر: الأول: أنَّه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله، في قوله: ﴿**هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ**﴾ [هود:٦٤]، وفي قوله: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ**﴾ [الحج: ٢٦]، وكما ورد في الحديث الصحيح: «**فأدخل على رَبِّي في داره**»، أضافها إليه إضافة تشريف لها، وهذا كله من قبيل واحد ونمَط واحد.اهـ

فصلٌ آخر: في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]:

قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٨): قوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾: قوَّاهم ونصرهم بروحٍ منه، قال الحسن: وبنصرٍ منه.

وقال الربيع بن أنس: بالقرآن وحججه.

وقال ابن جريج: بنور وإيمان، وبرهان وهدى.

وقيل: برحمة من الله. وقال بعضهم: أيدهم بجبريل عليه السلام.اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٨/ ٥٥): قال ابن عباس: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أي: قوَّاهم.اهـ

قلت: وخلاصة كلام أهل التفسير على الآية: أن الله أمدهم بأنواع من النصر من عنده، وبمحض فضله ومَنِّه تبارك وتعالى، والله أعلم.

فصلٌ آخر: في معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩].

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ـ في موضعين ـ [الحجر:٢٩]، و[ص:٧٢]:

قال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (١٠/ ٢٤): قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ النفخ إجراء الريح في الشيء.

والروح جسم لطيف، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم.

وحقيقته: إضافة خلق إلى خالق، فالروح خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفا وتكريما، كقوله: أرضي وسمائي، وبيتي، وناقة الله، وشهر الله، ومثله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾.اهـ



تحريم التفكر في ذات الله جل وعلا

قال الله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٧/ ١٩٤): ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد، الذي لا نظير له، ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.اهـ

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ في ـ مقدمة ـ «لمعة الاعتقاد» (ص٢٩): جلَّ ـ تعالى ـ عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد، لاتُمَثِّله العقول بالتفكير، ولاتتوهمه القلوب بالتصوير، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١].اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١ـ ٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٨/ ٥٢٩) قوله: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ أي: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه، تعالى وتقدس وتنزه.اهـ

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله** عَزَّ وَجَلَّ»(١). وتقدم في الباب قبل هذا، جملة من الأدلة، المتعلقة بهذا الباب، والله أعلم.

---

(١) **حسنٌ لغيره: قال العلامة الألباني** رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» برقم (١٧٨٨): رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٦٤٥٦)، واللالكائي في «السنة» (١/ ١١٩)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٧٥)، ثم ساق له شواهد عدة، ختمها بقوله رَحِمَهُ اللهُ: **وبالجملة**: فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي، والله أعلم.اهـ

قلت: وعليه: العمل عليه عند جميع المسلمين، والله أعلم.

تحريم التسمِّي أو الاتصاف بما خص الله به نفسه

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ **قال**: إلحاد الملحدين: أن دعوا اللات في أسماء الله، رواه ابن جرير في «تفسيره» برقم (١٥٤٥٣).

وقال مجاهد رحمه الله: قوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قال: اشتقوا اللات من الله، واشتقوا العزى من العزيز، رواه ابن جرير في «تفسيره» برقم(١٥٤٥٤).

وقال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم:١٩-٢٣].

قال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٨١٩): هذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها: فسموا اللات من الإله المستحق للعبادة، والعزى من العزيز، ومناة من المنان؛ إلحادًا في أسماء الله وتجريا على الشرك به، وهذه أسماء متجردة عن المعاني، فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١-٤].

ولهذا الباب تتمة يأتي ذكر بعضها في الفصول التالية - إن شاء الله تعالى -.



فصلٌ: في أنواع الإلحاد الواقع في أسماء الله تعالى وصفاته:

أما الإلحاد في أسمائه تعالى، فكثير منه ما يلي:

الأول: التسمي بأسماء الله تعالى الخاصة به، مثل ملك الأملاك ونحوها.

الثاني: أن يُشتق من اسمه تعالى اسمٍ لصنمٍ، أو غيره، كما صنع المشركون، فاشتقوا العزى من العزيز، واللات من الإلاه، وهلمَّ جر.

الثالث: أن يُسمَّى اللهَ بما لم يُسمِّي به نفسه، من الأسماء القبيحة، كما سماه النصارى بالأب، تعالى الله عما يقول الظالمون والكافرون علوًا كبيرًا.

الرابع: تعطيل أسماء الله تعالى، **وهو على قسمين:**

الأول: تعطيل الأسماء بالكلية. **الثاني:** تعطيل الأسماء مما دلت عليه من الكمال.

وأما الإلحاد في صفاته، فأنواع ومنه ما يلي:

الأول: أن يتصف المخلوق بما خص الله به نفسه، مثل الاتصاف بأرحم الراحمين.

الثاني: أن يُشتق من صفاته تعالى الخاصة به صفة لغيره، كقول بعض الصوفية: إن الولي يستطيع أن يخلق من غير أب، أو يقدر على أن يضر وينفع، ونحو ذلك.

الثالث: أن يُوصف الله بصفات ذميمة لا تليق به جل وعلا، كمثل قول اليهود ـ عليهم لعائن الله من يومنا إلى يوم الدين ـ: يد الله مغلولة، وأن الله فقير، ونحو ذلك.

الربع: أن تُعطَّل صفاته جل وعلا، **وهذا على قسمين:**

الأول: أن يُعطل الله عن صفاته، بإنكارها على سبيل النفي والعدم.

الثاني: أن تُعطل عن مدلولها، الذي تدل عليه من الصفات الحسنى، والله أعلم(١).

---

(١) من «معارج القبول» (١/ ١٢٨)، و«القواعد الطيبات» (ص٧٣)، و«القواعد المثلى».

جملة مما فيه نوع إلحاد

الأول: النهي عن التكني بأبي الحكم وأن الله هو الحكم:

عن شريح بن هانئ، عن أبيه هانئ رضي الله عنه، أنه لما وَفَدَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعه وهم يُكنون هانئًا أبا الحكم، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال له: «**إن الله هو الحَكَم، وإليه الحُكم، فَلِمَ تُكنى أبا الحَكم؟**»، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء، أتوني فحكمت بينهم؛ فرضي كلا الفريقين. قال: «**ما أحسن من هذا، فما لك من الولد؟**». قال: لي شريح، وعبد الله، ومسلم. قال: «**فمن أكبرهم؟**». قال: شريح. قال: «**فأنت أبو شريح**»، فدعا له ولولده، رواه أبو داود برقم (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٩)(١).

قال صاحب عون المعبود رحمه الله (١٠/ ٤٨٦): قوله: «**إن الله هو الحَكم وإليه الحُكم**» أي: منه يبتدأ الحكم، وإليه ينتهي الحكم، وفي إطلاق أبي الحكم على غيره يُوهم الاشتراك في وصفه على الجملة، وإن لم يُطلَق عليه سبحانه أبو الحكم، كذا في «المرقاة».

وفي «شرح السنة»: الحَكَم هو الحاكم الذي إذا حَكَمَ لا يُردَّ حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله تعالى، ومن أسمائه الحكم.اهـ

وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ٢٥٠): قوله تعالى: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم:٦٥]: قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي: هل تعلم للرب مثلًا أو شبهًا، وكذلك قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن جريج، وغيرهم.اهـ

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح النسائي» برقم (٥٣٨٧)، و«الصحيح المسند» (١١٨١).



الثاني: التسمي بالرحمن أو القدوس أو المهيمن أو المتكبّر أو خالق الخلق ونحوها:

قال الله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ [الإسراء:١١٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس أحدٌ يُسمَّى الرحمن غيره تبارك وتعالى، وتقدس اسمه، رواه الحاكم برقم (٣٤٢٠)، **وقال**: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.اهـ ووافقه الذهبي.

وقال النوي رحمه الله في «شرح مسلم» (٧/ ٢٦٦) ـ في سياق كلامه على ملك الملوك ـ: واعلم أن التسمي بهذا الاسم حرام، وكذلك التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به، كالرحمن، والقدوس، والمهيمن، وخالق الخلق، ونحوها.اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٧/ ٤١١): قال القاضي عياض رحمه الله في قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك**»، أخرجه الطبراني(١)، قال عياض: ويلتحق ـ في التسمي بملك الأملاك ـ: من تسمَّى بشيء من أسماء الله الخاصة به، كالرحمن، والقدوس، والجبار.اهـ

قلت: وقد نص جمع من أهل العلم: على أن الرحمن، والرحيم، والمتكبر، ونحوها، أسماء خصَّ الله بها نفسه، من تجاوز فيها حده، نال من الله جزاءه، لحديث أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**قال الله تعالى: العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبته**»، رواه مسلم برقم (٢٦٢٠)، وله ألفاظ أخرى، عن صحابة، ومخرجين آخرين، يَصلُ بها حد التواتر، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: رواه الطبراني في «الكبير» برقم (١١٩٤٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. راجع: «صحيح الجامع» برقم (٩٨٨)، والله أعلم.

الثالث: التسمي بملك الأملاك أو قاضي القضاة أو شاهان شاه أو حاكم الحكام أو سلطان السلاطين ونحوها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أخنى الأسماء يوم القيامة، عند الله رجل تسمَّى: ملك الأملاك**»، رواه البخاري برقم (٦٢٠٥)، ومسلم (٥٦١٠).

وقال سفيان رحمه الله ـ غير مرة ـ: **أخنع الأسماء عند الله رجلٌ تسمَّى: بملك الأملاك**»، رواه البخاري برقم (٦٢٠٦)، ومسلم (٥٦١٠).

وفي رواية: قال: «**أخنع اسم عند الله**»، وزاد ابن أبي شيبة، في روايته: «**لا مالك إلا الله** عز وجل».

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه وأغيظه عليه؛ رجل كان يُسمى ملك الأملاك؛ لا ملك إلا الله**»، رواه مسلم برقم (٥٦١١).

قال سفيان: تفسيره: شاهان شاه.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: سألت أبا عمرو عن معنى أخنع؟ فقال: أوضع.اهـ

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٧/ ٢٦٦): وهذا التفسير الذي فسَّره أبو عمرو مشهور عنه، وعن غيره. قالوا معناه: أشد ذلًا وصغارًا يوم القيامة، والمراد: صاحب الاسم، ويدل عليه الرواية الثانية: «**أغيظ رجل**».

وقيل: أخنع بمعنى: أفجر، يُقال: خنع الرجل إلى المرأة، والمرأة إليه أي: دعاها إلى الفجور، وهو بمعنى: أخبث أي: أكذب الأسماء. وقيل: أقبح، وفي رواية البخاري: «**أخنأ**»، وهو بمعنى: ما سبق أي: أفحش وأفجر، والخنى الفحش، وقد يكون بمعنى: أهلك لصاحبه المسمى الخنى الهلاك، يُقال: أخنى عليه الدهر أي: أهلكه.

قال أبو عبيد: ورُوي: «**أنخع**» أي: أقتل، والنخع: القتل الشديد. **ثم قال النووي** رحمه الله: واعلم: أن التسمي بهذا الاسم حرام. اهـ



وقال رَحِمَهُ اللهُ في «الأذكار» (ص٤٥٧): فصل: يحرم تحريمًا غليظًا أن يقول للسلطان وغيره من الخلق: شاهان شاه؛ لأن معناه ملك الملوك، ولا يوصف بذلك غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ثم ساق حديث أبي هريرة السابق ـ.اهـ

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (١٧/ ٤١١): وتقدم أن في رواية همام: «**أغيظ**»، ويؤيده: «**اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك**»، أخرجه الطبراني(١)، على أن الاسم الذي ورد الخبر بذمه، لا ينحصر في ملك الأملاك؛ بل كل ما أدى معناه بأي لسان كان، فهو مراد بالذم، ويؤيد ذلك: أنه وقع عند الترمذي: «**مثل شاهان شاه**».

وقال عياض: واستدل بهذا الحديث: على تحريم التسمي بهذا الاسم؛ لورود الوعيد الشديد، ويلتحق به ما في معناه، مثل خالق الخلق، وأحكم الحاكمين، وسلطان السلاطين، وأمير الأمراء.

ومن النوادر: أن القاضي عز الدين ابن جماعة قال: إنه رأى أباه في المنام، فسأله عن حاله، فقال: ما كان عليَّ أضر من هذا الاسم، فأمر الموقعين أن لا يكتبوا له في السجلات قاضي القضاة بل قاضي المسلمين، وفهم من قول أبيه أنه أشار إلى هذه التسمية مع احتمال أنه أشار إلى الوظيفة، بل هو الذي يترجح عندي.

وفي الحديث: مشروعية الأدب في كل شيء؛ لأن الزجر عن ملك الأملاك، والوعيد عليه يقتضي المنع منه مطلقًا، سواء أراد من تسمى بذلك أنه ملك على ملوك الأرض أم على بعضها، سواء كان محقًا في ذلك أم مبطلًا، مع أنه لا يخفى الفرق بين من قصد ذلك، وكان فيه صادقًا، ومن قصده وكان فيه كاذبًا.اهـ مختصرًا.

---

(١) **صحيحٌ**: رواه الطبراني في «الكبير» برقم (١١٩٤٥)، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. راجع: «صحيح الجامع» برقم (٩٨٨)، والله أعلم.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «تحفة المودود» (ص١١٤): فصل ومن المحرم التسمية بملك الملوك، وسلطان السلاطين، وشاهنشاه... .

وقال بعض العلماء: وفي معنى ذلك كراهية التسمية بقاضي القضاء، وحاكم الحكام، فإن حاكم الحكام في الحقيقة هو الله، وقد كان جماعة من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ قاضي القضاة، وحاكم الحكام قياسًا على ما يبغضه الله ورسوله من التسمية بملك الأملاك، وهذا محض القياس.اهـ مختصرا.



النهي عن قول السلام على الله لأن الله هو السلام:

روى البخاري برقم (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢)، عن ابن مسعود ﷺ قال: كنَّا إذا كنَّا مع النبي ﷺ، في الصلاة، قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: **«لا تقولوا السلام على الله؛ فإن الله هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة، فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإذا قالها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم يتخير من المسألة ما شاء».**

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٢/ ٣١٢): قال البيضاوي ما حاصله: أنه ﷺ أنكر التسليم على الله، وبيَّن أن ذلك عكس ما يجب أن يُقال، فإن كل سلام ورحمة له ومنه، وهو مالكها ومعطيها.

وقال التوربشتي: وجه النهي عن السلام على الله؛ لأنه المرجوع إليه بالمسائل، المتعالي عن المعاني المذكورة، فكيف يُدعى له، وهو المدعو على الحالات.

وقال الخطابي: المراد أن الله هو ذو السلام، فلا تقولوا السلام على الله؛ فإن السلام منه بدأ واليه يعود، ومرجع الأمر في إضافته إليه أنه ذو السلام من كل آفة وعيب.

ويحتمل أن يكون مرجعها إلى حظ العبد، فيما يطلبه من السلامة من الآفات والمهالك.

وقال النووي: معناه: أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، يعني: السالم من النقائص ويقال: المُسلِّم أولياءه، وقيل: المسلِّم عليهم.

قال ابن الأنباري: أمرهم أن يصرفوه إلى الخلق لحاجتهم إلى السلامة، وغناه سبحانه وتعالى عنها.اهـ

فصلٌ: في النهي عن الجزم بنفيٍ أو إثباتٍ فيما اختُلف في إثباته لله أو نفيه من الأسماء والصفات:

وتوضيح ذلك: ما يُسأل عنه بعض أهل العلم من أسماء الله وصفاته: مثل : هل الجليل من أسماء الله تعالى، **فيُجيب بقوله:**

قد ثبت في ذلك حديث، حسَّنه بعض أهل العلم، ونحو ها من العبارات، التي تُفيد إثبات ذلك الاسم أو تلك الصفة لله تعالى.

بينما يُسأل عَالِمٍ آخر، عن ذلك الاسم أو تلك الصفة، فيقول على وجه القطع: ليس الجليل من أسماء الله تعالى، وليس تلك الصفة ثابتة لله تعالى، وما روي في إثبات ذلك لايصح منه شيء.

وكلاهما مجتهد، والأولى لهما تقييد ذلك النفي أو الإثبات بعلم الله تعالى ـ فيقول النافي مثلا: لا أعلمه اسما ثابتا لله ـ لأمورٍ منها:

الأول: أن النفي المطلق أو الإثبات المطلق، قد يدخل تحت قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٣].

الثاني: أن النفي المطلق أو الإثبات المطلق ـ فيما هو متعلِّق بالله تعالى ـ قد يكون أحدهما من أمر الشيطان، الذي قال الله فيه: ﴿**إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٦٩].

الثالث: أن هذا الاسم أو الصفة قد يكون مما أستأثره الله عنده؛ لحديث ابن مسعود رضي الله عنه السابق، وغيرها من الأمور، والله أعلم.



تحريم سب الدهر والسنين والشهور والأيام ونحو ذلك

قال الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ [الجاثية: ٢٤].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر؛ أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما**»، وتلا سفيان هذه الآية: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾ [الجاثية: ٢٤]، رواه الحاكم برقم (٣٦٩٠)، **وقال**: قد اتفق الشيخان على إخراج حديث الزهري هذا بغير هذه السياقة: وهو صحيح على شرطهما.اهـ

وتعقبه الذهبي، **وقال**: على شرط البخاري، ومسلم، وأخرجاه بهذه السياقة.اهـ

قلت: وذكر الآية لم يخرجها سوى الحاكم، فلعل قصده ذلك، والله أعلم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر؛ أقلب الليل والنهار**»، رواه البخاري برقم (٤٨٢٦)، ومسلم (٦٠٠٠).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر؛ فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما**»، رواه مسلم برقم (٦٠٠١).

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لا تقولوا خيبة الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»، رواه البخاري برقم (٦١٨٢)، ومسلم (٦٠٠٤).

ولفظ مسلم: «**لا يسب أحدكم الدهر؛ فإن الله هو الدهر**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»، رواه مسلم برقم (٦٠٠٣).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»، رواه أحمد برقم (٢٣٢١٧)(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل قال: استقرضت عبدي فلم يقرضني، وسبني عبدي، وهو لا يدري، يقول: وادهراه، وادهراه، وأنا الدهر**»، رواه أحمد برقم (١٠٨٥٨)، والحاكم (١٥٢٦).

ولفظ الحاكم: «**وشمتني عبدي** - بدل - **وسبني عبدي**»، **وقال**: صحيح على شرط مسلم. اهـ وسكت عنه الذهبي(٢).

وأخرجه - أيضًا - برقم (٣٨٧٣) بلفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله عز وجل: استقرضت عبدي فأبى أن يقرضني، وسبني عبدي، ولا يدري، يقول: وادهراه وادهراه، وأنا الدهر**»، ثم تلا أبو هريرة قول الله عز وجل: ﴿**إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ**﴾ [التغابن: ١٧]. **وقال**: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. اهـ

وقال الذهبي رحمه الله: على شرط مسلم. اهـ(٣).

(١) **صحيحٌ على شرط الشيخين**: راجع: «مجمع الزوائد» (٣/ ٣٩٨)، و«تحقيق المسند» (١٣/ ١١٠).

(٢) **صحيحٌ لغيره**: راجع: «الصحيحة» برقم (٣٤٧٧).

(٣) **قال شيخنا الوادعي** رحمه الله في «تعليقه على المستدرك» برقم (١٥٢٦) - معلقا على كلام الحاكم والذهبي -: مسلم لم يعتمد على محمد بن إسحاق، وما أخرج له إلا قدر خمسة أحاديث في الشواهد والمتابعات، ثم ابن إسحاق مدلس ولم يصرح بالتحديث، والحديث أصله في «الصحيحين» إلا قوله: «**استقرضت ابن آدم فلم يقرضني**»، فلا داعي لا ستدراكه، ثم أخرجه الحاكم برقم (٣٨٧٣)، باللفظ المذكور، وفيه محمد بن مسلمة ضعيف، وقد اتهم. اهـ

وجاء عن جابر ﵁ بلفظ: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»، رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٦٣٧)(١).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله ﷻ قال: أنا الدهر الأيام والليالي لي أجددها وأبليها، وآتي بملوك بعد ملوك**»، رواه أحمد (١٠٧١٠) (٢).

وقال ابن كثير ﵀ في «تفسيره» (٧/ ٢٦٩): قال الشافعي، وأبو عبيدة، وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر، ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله ﷻ، فكأنهم إنما سبوا الله ﷻ؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نُهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار؛ لأن الله هو الدهر الذي يعنونه، ويسندون إليه تلك الأفعال، هذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم.

الدهر ليس من أسماء الله تبارك وتعالى:

قال الحافظ ابن كثير ﵀ في «تفسيره» (٧/ ٢٦٩): قد غلط ابن حزم، ومن نحا نحوه من الظاهرية: في عدِّهم الدهر من الأسماء الحسنى، أخذًا من هذا الحديث.اهـ

وقال الحافظ ابن حجر ﵀ في «الفتح» (١٠/ ٥٦٥): قال عياض: زعم بعض من لا تحقيق له: أن الدهر من أسماء الله، وهو غلط؛ فإن الدهر: مدة زمان الدنيا.اهـ

قلت: ويأتي في (بيان معنى الدهر): مزيد بيان وإيضاح ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) **قال الهيثمي** ﵀ في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٨٧): فيه إبراهيم بن هشام الغساني، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبو حاتم وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.اهـ

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٣/ ٣٩٨)، و«الفتح» لا بن حجر (١٠/ ٥٦٥)، و«الصحيحة» برقم (٥٣٢)، و«تحقيق المسند» (١٦/ ٢٧٢).

فصلٌ: في معنى قوله ﷺ: «فإن الله هو الدهر».

تقدم كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله ـ قبل أسطر ـ **وقال الحافظ** رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٥٧٥): قوله: «**وأنا الدهر**»: قال الخطابي: معناه أنا صاحب الدهر، ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور؛ عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جُعل ظرفا لمواقع الأمور.

وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر؛ فقالوا: بؤسًا للدهر، وتبًا للدهر.

وقال النووي: قوله: «**أنا الدهر**» ـ بالرفع في ضبط الأكثرين والمحققين، ويقال بالنصب على الظرف ـ أي: أنا باقٍ أبدًا، والموافق لقوله: «**إن الله هو الدهر**»، الرفع، وهو مجاز، وذلك أن العرب كانوا يسبون الدهر عند الحوادث، فقال: لا تسبوه؛ فإن فاعلها هو الله، فكأنه قال لا تسبوا الفاعل، فإنكم إذا سببتموه سببتموني. أو الدهر هنا بمعنى الداهر، فقد حكى الراغب: أن الدهر في قوله: «**إن الله هو الدهر**»، غير الدهر في قوله: «**يسب الدهر**». قال: والدهر الأول: الزمان، والثاني: المدبِّر المصرف؛ لما يحدث، ثم استَضْعَفَ هذا القول؛ لعدم الدليل عليه، ثم قال: لو كان كذلك لعد الدهر من أسماء الله تعالى.اهـ

وقال ـ أيضًا ـ رحمه الله في (١٠/ ٥٦٥): **ومحصَّل ما قيل في تأويله ثلاثة أوجه:**

أحدها: أن المراد بقوله: «**أن الله هو الدهر**»، أي: المدبر للأمور.

ثانيها: أنه على حذف مضافٍ ـ أي: صاحب الدهر ـ.

ثالثها: التقدير: مُقلِّب الدهر، ولذلك عقَّبه بقوله: «**بيدي الليل والنهار**».

ووقع في رواية زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، بلفظ: «**بيدي الليل والنهار، أجدده وأبليه، وأذهب بالملوك**»، أخرجه أحمد(١)....

وعرفه بعضهم بأنه: أمد مفعولات الله في الدنيا، أو فعله لما قبل الموت.

وقد تمسك الجهلة من الدهرية، والمعطلة بظاهر هذا الحديث، واحتجوا به على من لا رسوخ له في العلم؛ لأن الدهر عندهم حركات الفلك وأمد العالم، ولا شيء عندهم، ولا صانع سواه، وكفى في الرد عليهم؛ قوله في بقية الحديث: «**أنا الدهر أقلب ليله ونهاره**»، فكيف يقلب الشيء نفسه، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لا يخفى أن من سب الصنعة فقد سب صانعها، فمن سب نفس الليل والنهار؛ أَقْدَمَ على أمر عظيم بغير معنى، ومن سب ما يجري فيهما من الحوادث، وذلك هو أغلب ما يقع من الناس، وهو الذي يعطيه سياق الحديث، حيث نفى عنهما التأثير، فكأنه قال لا ذنب لهما في ذلك.

وأما الحوادث فمنها ما يجري بوساطة العاقل المكلف؛ فهذا يضاف شرعًا ولغةً إلى الذي جرى على يديه، ويضاف إلى الله تعالى؛ لكونه بتقديره، فأفعال العباد من أكسابهم، ولهذا ترتبت عليها الأحكام، وهي في الابتداء خلق الله، ومنها ما يجري بغير وساطة؛ فهو منسوب إلى قدرة القادر. وليس لليل والنهار فعل ولا تأثير لا لغة ولا عقلًا ولا شرعًا، وهو المعنى في هذا الحديث.

---

(١) **صحيحٌ**: رواه أحمد برقم (١٠٧١٠). راجع: «مجمع الزوائد» (٣/ ٣٩٨)، و«الفتح» لابن حجر (١٠/ ٥٦٥)، و«الصحيحة» برقم (٥٣٢)، و«تحقيق المسند» (١٦/ ٢٧٢).

ويلتحق بذلك: ما يجري من الحيوان غير العاقل، ثم أشار بأن النهي عن سب الدهر تنبيه بالأعلى على الأدنى، وأن فيه إشارة إلى ترك سب كل شيء مطلقًا؛ إلا ما أذن الشرع فيه؛ لأن العلة واحدة، والله أعلم. انتهى كلام أبي جمرة ملخصًا.اهـ

فصلٌ آخر: في تحريم نسبة الأفعال أو شيئ منها إلى الدهر:

قال الحافظ ابن حجر ﵀ في «الفتح» (١٠/ ٥٦٥): قال المحققون: من نسب شيئا من الأفعال إلى الدهر حقيقةً كفر، ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر؛ لكنه يُكره له ذلك؛ لشبهه بأهل الكفر في الإطلاق، وهو نحو التفصيل في قولهم: مطرنا بكذا.اهـ

وقال العلامة العثيمين ﵀ في «القول المفيد» (٢/ ٢٤٠): ـ النوع الثاني من سب الدهر ـ: أن يُسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يَعْتَقِد بسبِّه الدهر، أن الدهر هو الذي يقلِّب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقا، لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقا، فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلها يستحق أن يعبد، فإنه كافر.اهـ



فصلٌ آخر: في كراهية: قول: قوس قزح:

قال الإمام النووي رحمه الله في «الأذكار» (ص٥٨٣): فصل كراهةِ تسمية قوس الله بقوس قُزَح:

يُكره أن يُقال: قوسُ قزح، لهذه التي في السماء، رَوَيْنَا في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٠٩) لأبي نعيم، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«لا تَقولوا: قَوْسَ قُزَحَ، فإنَّ قُزَحَ شيطانٌ، وَلَكِنْ قولوا: قَوْسَ الله عَز وجل، فهُوَ أمانٌ لأهْلِ الأرضِ»**(١).

قلتُ: "قُزَح ـ بضم القاف وفتح الزاي ـ قال الجوهري في «الصحاح» (١/ ٣٩٦) وغيرُه: هي غير مصروفةٍ؛ وتقولهُ العوامُ: قُدَح، بالدالِ، وهو تصحيفٌ.اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الزاد» (٢/ ٤٣٢) ـ تحت فصل: في ألفاظٍ كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يكرأن تُقال ـ:

ومنها: كراهة أن يقول: قوس قزح لهذا الذي يرى في السماء.اهـ

---

(١) **صحيحٌ موقوفًا ضعيفٌ مرفوعًا:**

أمّا المرفوع: فضعيف باتفاق أهل الحديث، راجع: «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ١٤٤)، و«الضعيفة» برقم (٨٧٢).

وأمّا الموقوف: فرواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٨٥)، **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله في «البداية والنهاية» (١/ ٣٨): إسناده صحيح.اهـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢/ ٢٦٤): ويغلب على الظن، أن أصل الحديث موقوف.اهـ

والله أعلم.

تحريم سب الريح أو الشمس أو القمر ونحوها مما هو مأمور بأمر الله تعالى

عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون؛ فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به»**، رواه أحمد برقم (٢١١٣٨)، والترمذي (٢٢٥٢)، **وقال الترمذي** رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا حديثٌ حسن صحيح.اهـ(١).

قال المبارك فوري رَحِمَهُ اللَّهُ في «تحفة الأحوذي» (٦/ ٤٣٥): قوله: **«لا تسبوا الريح»**؛ فإن المأمور معذور، وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي أشار إليه الترمذي: **«لا تلعنوا الريح؛ فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه»**.

قوله: **«فإذا رأيتم ما تكرهون»** أي: ريحًا تكرهونها لشدة حرارتها، أو برودتها، أو تأذيتم لشدة هبوبها؛ **«فقولوا»** أي: راجعين إلى خالقها وآمرها: **«اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح»** أي: خير ذاتها، **«وخير ما فيها»** أي: من منافعها كلها، **«وخير ما أمرت به»** أي: بخصوصها في وقتها وهو بصيغة المفعول.اهـ

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الليل والنهار، ولا الشمس ولا الريح؛ فإنها رحمة لقوم، وعذاب لآخرين**»، رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٦٧٩٥)، وأبو يعلى (٢١٩٤)(٢).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٧٥٧)، والله أعلم.

(٢) **حسنٌ بشواهده**: راجع: «مجمع الزوائد» (٨/ ١٣٧)، والله أعلم.

وروى الإمام أحمد برقم (٧٤١٣)، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا الريح، فإنها تجيء بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله خيرها، وتعوذوا به من شرها»**(١).

قال الحافظ ابن رجب ﷺ في «فتح الباري» (٦/ ٣٢٠): وفي الباب: أحاديث أُخر متعددة:

رُوِيَ عن ابن مسعود ﷺ قالَ: لا تسبوا الريح؛ فإنها بُشُرٌ ونُذُرٌ ولواقح، ولكن استعيذوا بالله من شر ما أُرسلت به.

وعن ابن عباس ﷺ قالَ: لا تسبوا الريح؛ فإنها تجئ بالرحمة، وتجئ بالعذاب، وقولوا: اللَّهُمَّ اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذابًا، خَرَّجَهُمَا ابن أبي الدنيا.

وخرَّج ـ أيضًا ـ بإسناده، عن علي ﷺ: أنه كانَ إذا هبت الريح قالَ: اللَّهُمَّ إن كنت أرسلتها رحمة؛ فارحمني فيمن ترحم، وإن كنت أرسلتها عذابا فعافني فيمن تعافي.

وبإسناده عن ابن عمر ﷺ أنه ـ أي: عمر ﷺ ـ كانَ يقول إذا عصفت الريح: شدوا التكبير، منتقع اللون، فقالَ: مالك يا أمير المؤمنين؟ قالَ: ويحك، وهل هلكت أمة إلا بالريح؟.اهـ

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن ﷺ في «فتح المجيد» (ص٥٥٩): لأنها إنما تهب عن إيجاد الله تعالى وخَلْقَهْ لها، وأمره؛ لأنه هو الذي أوجدها وأمرها، فمسبَّتها مسبة للفاعل، وهو الله سبحانه، كما تقدم في النهي عن سب الدهر وهذا يشبهه، ولا يفعله إلا أهل الجهل بالله جل وعلا ودينه، وبما شرعه لعباده.اهـ

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح ابن ماجه» برقم (٣٠٠٣)، والله أعلم.

مالجمع بين النهي عن سب الدهر والأيام والشهور وقول الله تعالى: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩] ونحوها:

قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩].

وقال الله تبارك وتعالى مخبرًا عن لوط عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧].

والجمع بينهما: أن ثمَّت فرق كبير بين سب الدهر وبين وصفه: فالأول: يُراد به العيب والعتب. والثاني: لا يراد به إلا البيان والخبر ووصف الحال: **قال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ** رحمه الله كما في «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ» (١/ ١٧٢): وأما وصف الدهر بالشدة والرخاء والخير والشر: فلا بأس بذلك، كقوله سبحانه: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [يوسف: ٤٨].

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه**»(١)، والأَدلة على ذلك كثيرة جدًا.

وقال العلامة العثيمين رحمه الله في «القول المفيد» (٢/ ٢٤٠): **سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام**:

الأول: أن يَقصد الخبر المحض دون اللوم: فهذا جائز، مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده، وما أشبه ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٠٦٨)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.



الثاني: أن يَسبَّ الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسببه الدهر، أن الدهر هو الذي يقلِّب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقا، لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقا، فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلها يستحق أن يعبد، فإنه كافر.

الثالث: أن يَسبَّ الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبَّه، لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده، فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل والضلال في الدين؛ لأن حقيقة سبِّه تعود إلى الله سبحانه، لأن الله تعالى هو الذي يصرف الدهر، ويُكَوِّن فيه ما أراد من خير أو شر، فليس الدهر فاعلا، وليس هذا السب يُكَفِّر؛ لأنه لم يسب الله تعالى مباشرة.اهـ

وقال معالي الشيخ صالح آل الشيخ ـ حفظه الله ـ في «التمهيد شرح كتاب التوحيد» (ص٤٦٨): ليس من مسبة الدهر وصف السنين بالشدة، ولا وصف اليوم بالسواد، ولا وصف الأشهر بالنحس، ونحو ذلك، لأن هذا مقيد، وهذا جاء في القرآن في نحو قوله جل وعلا: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [فصلت: ١٦].

فوصف الله جل وعلا الأيام بأنها نحسات، والمقصود: في أيام نحسات عليهم، فوصف الأيام بالنحس، لأنه جرى عليهم فيها ما فيه نحس عليهم، ونحو ذلك قوله جل وعلا في سورة القمر: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩]، فهذا ليس من سب الدهر؛ لأن المقصود بهذا: أن الوصف ما حصل فيها كان من صفته كذا وكذا، على هذا المتكلم.

وأما سبُّه أن ينسب الفعل إليه، فيسب الدهر لأجل أنه فعل به ما يسوؤه، فهذا هو الذي يكون أذية لله جل وعلا، والله أعلم.اهـ

تحريم القول بخلق كلام الله ـ ومنه القرآن ـ

قد نطقت الأدلة الصريحة من كتاب الله، والصحيحة من سنة رسول الله ﷺ، وإجماع أهل السنة والجماعة: بأن كلام الله غير مخلوق، نذكر منها ما يلي:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ**﴾ [التوبة:٦].

وقال الله تعالى: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٧٥].

وقال الله تعالى: ﴿**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم، وموسى؛ فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته، وبكلامه، ثم تلومني على أمر قُدِّر عليَّ قبل أن أُخلق**»، فقال رسول الله ﷺ: «**فحج آدمُ موسى**» ـ مرتين ـ، رواه البخاري برقم (٣٤٠٩)، ومسلم (٦٩١٢).

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (١١/ ٥٠٨): في رواية الأعرج: «**أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء، واصطفاك على الناس برسالته**».

وزاد في رواية يزيد بن هرمز: «**وقربك نجيًا، وأعطاك الألواح فيها بيان كل شيء**».

وفي رواية ابن سيرين: «**اصطفاك الله برسالته، واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة**».

وفي رواية أبي سلمة: «**اصطفاك الله برسالته وكلامه**». وفي رواية الشعبي: «**فقال: نعم**».

وفي حديث عمر: «**قال: أنا موسى، قال: نبي بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أنت الذي كلمك الله من وراء حجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟ قال: نعم**».اهـ

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف، فيقول: «**هل من رجل يحملني إلى قومه؟، فإن قريشًا قد منعوني، أن أبلغ كلام ربي عز وجل**»، رواه أحمد برقم (١٥٥٨٢)، وأبو داود (٤٧٣٤)(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن، والحسين، ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل، وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عينٍ لامه**»، رواه البخاري برقم (٣٣٧١).

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (٦/ ٤١٠): قال الخطابي: كان أحمد يستدل بهذا الحديث، على أن كلام الله غير مخلوق، ويحتج بأن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال ابن عيينة رحمه الله: ما يقول هذه الدويبة ـ يعني: بشرا المريسي؟ـ قالوا يا أبا محمد: يزعم أن القرآن مخلوق، فقال: كذب. قال الله تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾ فالخلق: خلق الله، والأمر: القرآن، رواه الآجري في «الشريعة» (١٦٧)، والطبري في «السنة» (٣٥٨)(٢).

والقرآن أمر الله المنزل، قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ**﴾ [الطلاق:٥].

وقال الإمام الآجري رحمه الله في «الشريعة» (ص١٦٨): باب ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله تعالى، وأن كلامه ليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر:

قال محمد بن الحسين: إعلموا رحمنا الله وإياكم: أن قول المسلمين الذين لم يزغ قلوبهم عن الحق، ووفِّقُوا للرشاد قديمًا وحديثًا: أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق؛ لأن

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٥/ ٤٥٧)، و«صحيح أبي داود» برقم (٤٧٣٤)، و«الصحيح المسند» (٢١٦)، والله أعلم.

(٢) **حسنٌ**: فيه: سعيد بن نصير. **قال الحافظ** رحمه الله في «التقريب» (٢٤٠٤): صدوق.اهـ

القرآن من علم الله، وعلم الله لا يكون مخلوقًا، تعالى الله عن ذلك، دل على ذلك: القرآن، والسنة، وقول الصحابة ﭫ، وقول أئمة المسلمين، لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث، والجهمي عند العلماء كافر...اهـ

وقال الإمام ابن جرير ﭬ في «صريح السنة» (ص٣): القول في القرآن، وأنه كلام الله، فأول ما نبدأ بالقول فيه من ذلك عندنا: القرآن كلام الله، وتنزيله؛ إذ كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا: أنه كلام الله غير مخلوق كيف كُتب، وحيثُ تُلي، وفي أي موضع قُرئ، في السماء وجد، وفي الأرض حيث حفظ، في اللوح المحفوظ كان مكتوبًا، وفي ألواح صبيان الكتاتيب مرسومًا، في حَجَرٍ نُقش، أو في وَرَقٍ خط، أو في القلب حفظ، وبلسانٍ لفظ، فمن قال غير ذلك، أو ادَّعى أن قرآنًا في الأرض، أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا، ونكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد غير ذلك بقلبه، أو أضمره في نفسه، أو قاله بلسانه دائنًا به: فهو بالله كافر، حلال الدم، بريء من الله، والله منه بريء... .اهـ

قلت: وقد نقل جمع من السلف عن الصحابة والتابعين وتابعيهم: كفر من قال بخلق القرآن، منهم: عبدالله بن أحمد، في «السنة»، والآجري، في «الشريعة»، وابن جرير، في «صريح السنة»، وابن قدامة ﭬ في «كتاب العلو» (ص١٢٦)، وغيرهم، والله أعلم.

والحكم فيهم: ما قال عبد الرحمن بن مهدي ﭬ: **قال**: لو أني على سلطان لقمتُ على الجسر، فكان لا يمر بي رجل إلا سألته، فإذا قال: القرآن مخلوق، ضربت عنقه، وألقيته في الماء، رواه الآجري في «الشريعة» برقم (١٦٣)(١). وفي الآتي مزيد أدلة ـ إن شاء الله ـ.

---

(١) **صحيحٌ لغيره**: هو من طريق الحسن بن الصباح، صدوق يهم، لكن تابعه هارون الحمال، كما في «السنة» لعبد الله بن أحمد برقم (١١)، وهو ثقة، والله أعلم.



فصلٌ: في اشتمال كلام الله تعالى على جملٍ وكلماتٍ وحروفٍ وأمرٍ ونهيٍ وهو القول الحق:

فدليل اشتماله على كلمات: قوله تبارك وتعالى: ﴿**فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ**﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿**وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**﴾ [الأنفال:٧].

وقال الله تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الأنعام:١١٥].

وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [الكهف:١٠٩].

وقال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [لقمان: ٢٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعوذ الحسن، والحسين: «**أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عينٍ لامه**»، رواه البخاري برقم (٣٣٧١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة! قال: «**أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات، من شر ما خلق؛ لم تضرك**»، رواه مسلم برقم (٧٠٠٥).

وعن خوله بنت حكيم السلمية رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**من نزل منزلًا، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»، رواه مسلم برقم (٧٠٥٣).

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٧/ ٣١): قيل: معناه الكاملات التي لا يدخل فيها نقص ولا عيب. وقيل: النافعة الشافية.

وقيل: المراد بالكلمات هنا: القرآن، والله أعلم.اهـ



وعن رجل من أسلم قال: جاء رجل فقال: يارسول الله لدغت الليلة؛ فلم أنم، فقال له النبي ﷺ: «**لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضرك**»، رواه أبو داود برقم (٣٨٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٢٣)(١).

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: كان خالد يفزع في منامه، فقال له رسول الله ﷺ: «**قل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه، وعذابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**»، رواه النسائي في «الكبرى» برقم (١٠٦٠٢)(٢).

ودليله اشتماله على أحرف: افتتاح الله لسورٍ من كتابه بأحرف مثل: (ص)، و(ق) وغيرها من الحروف المقطعة، يجمعها قولك: (نص حكيمٍ قاطعٌ له سر). وأنصح بالرجوع إلى تفسير أول سورة البقرة من «تفسير ابن كثير»؛ لبيان معنى ذلك، والله أعلم.

ودليل أنه القول الحق: قوله تعالى: ﴿**ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب: ٤].

وقال الله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [سبأ: ٢٣].

وغيرها من الآيات، والأحاديث في هذا الباب، والله أعلم، وإليه المآب.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «فتح الباري» لا بن حجر (١٠/ ١٩٦)، و«صحيح الجامع» برقم (١٣١٨)، وتقدم أن أصله في «مسلم»، والله أعلم.

(٢) **حسنٌ**: وكلام أهل العلم على رواية عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مشهورة، وأكثر محققي أهل الحديث على تحسينها. راجع: «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٦٤)، والله أعلم.



فصلٌ: في بطلان الاستدلال على خلق القرآن بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]:

استدل بعض من يقول بخلق القرآن بعموم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، وما ماثلها من الآيات، **والجواب عليهم من وجوه:**

الأول: ما تقدم من الأدلة المتواترة، المتكاثرة، الدالة على أنه من كلام الله تعالى.

الثاني: ما رد به إمام أهل السنة والجماعة ـ أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله ـ من أن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، لا تشمل خلق القرآن، لقول ربنا جل وعلا، في الريح، التي دمرت قوم عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٥].

فإن في الآية: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾، علمًا أنها لم تدمِّر إلا ما أُمرت بتدميره، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾.

الثالث: ما ردَّ به الإمام شيخ الإسلام ـ سفيان ابن عيينة رحمه الله ـ، على بشر المريسي، **قال سفيان** رحمه الله: ما يقول هذا الدويبة ـ يعني: بشرا المريسي؟ـ قالوا يا أبا محمد: يزعم أن القرآن مخلوق، فقال: كذب، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فالخلق: خلق الله، والأمر: القرآن، رواه الآجري في «الشريعة» برقم (١٦٧)، والطبري في «السنة» (٣٥٨)، وهو ثابت إليه، والله أعلم.

الرابع: ما ردَّ به أهل العلم، مما أشرنا إليه، في الفصل والباب قبل هذا، ومالم نشر إليه، والله أعلم.

النهي عن حصر كلام الله بما في كُتبه أو ما تكلَّم به مع أنبيائه ورسله وأوليائه

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله «تفسيره» (٥/ ٢٠٤): يقول تعالى: قل يا محمد: لو كان ماء البحر مدادًا للقلم، الذي تُكتب به كلمات ربي وحِكَمُه، وآياته الدالة عليه، ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ أي: لفرغ البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك.

﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: بمثل البحر آخر، ثم آخر، وهلم جرا، بحور تمده ويكتب بها، لما نفدت كلمات الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧].

قال الربيع بن أنس: إن مَثَلَ عِلمَ العباد كلهم في علمِ الله، كقطرة من ماء البحور كلها، وقد أنزل الله ذلك: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، يقول: لو كان البحر مدادا لكلمات الله، والشجر كله أقلام، لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء؛ لأن أحدًا لا يستطيع أن يُقدر قدره، ولا يُثني عليه كما ينبغي، حتى يكون هو الذي يُثني على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ٣٤٨): أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جُعلت أقلامًا، وجعل البحر مدادًا ومده سبعة أبحر معه، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام، ونَفِدَ ماء البحر، ولو جاء أمثالها مَدَدا.



وإنما ذُكرت السبعة على وجه المبالغة، ولم يُرد الحصر، ولا أنَّ ثَمَّ سبعة أبحر موجودة تحيط بالعالم، كما يقوله من تلقاه من كلام الإسرائيليين التي لا تصدَّق ولا تكذب، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى: **﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾** [الكهف:١٠٩]، فليس المراد بقوله: **﴿بِمِثْلِهِ﴾** آخر فقط، بل بمثله ثم بمثله، ثم بمثله، ثم هلم جرا؛ لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته.

وقال الحسن البصري: لو جُعل شجر الأرض أقلامًا، وجعل البحر مدادا، وقال الله: إن من أمري كذا، ومن أمري كذا لنفد مافي البحور، وتكسرت الأقلام.

وقال قتادة: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، فقال الله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ﴾** أي: لو كان شجر الأرض أقلامًا، ومع البحر سبعة أبحر، ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه.اهـ

قلت: وأدلة تَكَلُّمِ الله تعالى بغير ما أنزل على رسله، متكاثرة في الكتاب والسنة، كتكليم الله لوالد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كفاحًا، وهو في «الصحيحين».

وسؤال الله ملائكته، كل يوم كيف تركتم عبادي، وهو في «الصحيحين» ـ أيضًا ـ.

وقوله تعالى في الثلث الأخير من كل ليلة: **«هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفرٍ فأغفر له، هل من داعٍ فأستجيب له»**، وهو في «الصحيحين»، بل هو حديث متواتر، ونحو ذلك من الأدلة الصحيحة الصريحة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والقول الصحيح: هو قول أهل العلم والحديث، الذين يقولون: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، كما قال ابن المبارك وأحمد بن حنبل، وغيرهما من أئمة السنة.اهـ من «تيسر العزيز الحميد» (١/ ٦٤٥)، والله أعلم.

فصلٌ: في تكلُّم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة:١٧٤].

قال العلامة السعدي رحمه الله في «التنبيهات اللطيفة» (ص٥٩): وأما قوله تعالى: ﴿**لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ**﴾: فالمنفي كلام خاص، وهو الكلام الذي يَسُرُّ المكلَّم.اهـ

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران:٧٧].

وروى مسلم برقم (١٠٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**».

قال القرطبي رحمه الله في «المفهم» (٢/ ٦٥): ويجوز أن يُكلمهم بما يُكلَّمْ به من سَخِطَ عليه؛ كما جاء في «البخاري»(١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه: يقول الله لمانع الماء: «**اليوم أمنعك فضلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك**».

وقد حكى الله تعالى أنه يقول للكافرين: ﴿**قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقيل معناه: لا يكلمهم بغير واسطة؛ استهانة بهم.اهـ

---

(١) برقم (٢٣٦٩).



وقـال النـووي رحمه الله في «شرح مسـلم» (٢/ ١١٦): قيـل معنـى «**لا يكلمهـم**» أي: لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات، وبإظهار الرضى، بل بكلام أهل السخط والغضب.

وقال جمهور المفسرين: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم.اهـ

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ثَلاثَة لا يُكَلِّمُهُمُ الله، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**». قلت: يا رسول الله، من هم؟ خابوا وخسروا. قال: وأعاده رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاث مرات، قال: «**الْمُسْبِل، والْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكاذِبِ، والمنانُ**»، رواه مسلم برقم (١٠٦).

قال في «تيسر العزيز الحميد» (١/ ٦٤٥): قوله: «**ثلاثة لا يكلمهم الله**»: نفي كلام الرب تعالى وتقدس عن هؤلاء العصاة، دليل على أنه يُكلم من أطاعه، وأن الكلام صفة من صفات كماله، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه.اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُـمْ الله يَـوْمَ الْقِيَامَـة وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلا يُزَكِّيهِمْ ولَهم عذابٌ أليم: رَجُلٌ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ فَضْـلَ مَـاءٍ عِنْـدَهُ، وَرَجُـلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ كَاذِبًا، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا، فَإِنْ أَعْطَاهُ وَفَّى لَهُ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِـهِ لَمْ يَـفِ لَهُ**»، رواه أحمد (٢/ ٤٨٠)، وأبو داود برقم (٣٤٧٤)، والترمذي (١٥٩٥)، **وقال الترمـذي** رحمه الله: حسن صحيح.اهـ(١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح ابن ماجه» برقم (٢٢٠٧).

قال العلامة العباد ـ حفظه الله ـ في «شرح أبي داود» تحت حديث (٣٤٧٦) ـ: يعني: التكليم الذي فيه راحتهم وسعادتهم، وإلا فإن التكليم يمكن أن يكون على وجه التبكيت والتقريع، ويكون هذا ضررًا عليهم، ومنه قول الله ﷻ: ﴿**قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون:١٠٨]، وهذا كلام، لكنه كلام فيه تقريع وتبكيت لا يحصلون من ورائه على فائدة، ولا يحصل لهم السرور والارتياح والاطمئنان، فهذا لا ينافي ما جاء من أن الله تعالى يخاطب الكفار ويقول: ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون:١٠٨]؛ لأن المنفي غير المثبت.اهـ

وعن سَلمان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أُشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**»، رواه الطبراني في «الصغير» برقم (٨٢١)(١).

وفي الباب: حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيُكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه**»، رواه البخاري برقم (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦) ـ واللفظ للبخاري ـ، وغيرها من الأدلة، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٤/ ١٣٧)، و«صحيح الجامع» برقم (٣٠٧٢).

تحريم القول بأن القرآن أفكٌ قديم

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف:١١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٢٧٩): قوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ﴾ أي: كذب ﴿قَدِيمٌ﴾ أي: مأثور عن الأقدمين، فينتقصون القرآن وأهله، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله ﷺ: **«بطر الحق، وغَمْط الناس»**، رواه مسلم برقم (٩١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.اهـ

تحريم القول بأن القرآن الكريم قولٌ للبشر

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٦٠٣): يقول تعالى مخبرًا عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت: أن محمدًا إنما يُعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشرٌ، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم، غلام لبعض بطون قريش، وكان بياعًا يبيع عند الصفا، فربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يَرُد جواب الخطاب فيما لا بد منه، فلهذا قال الله تعالى رادًا عليهم في افترائهم ذلك: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ يعني: القرآن أي: فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن، في فَصَاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة، التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على نبي أُرسل، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟! لا يقول هذا من له أدنى مُسْكة من العقل.

قال محمد بن إسحاق بن يَسَار في السيرة: كان رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ كثيرًا ما يجلس، وكذا قال عبد الله بن كثير: وعن عِكْرِمة وقتادة: كان اسمه يعيش.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلم قَينًا بمكة، وكان اسمه بلغام، وكان أعجمي اللسان، وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده، قالوا: إنما يعلمه بلغام، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

وقال الضحاك بن مزاحم: هو سلمان الفارسي، وهذا القول ضعيف؛ لأن هذه الآية مكية، وسلمان إنما أسلم بالمدينة.



وقال عبيد الله بن مسلم: كان لنا غُلامان رُوميان يقرآن كتابًا لهما بلسانهما، فكان النبي ﷺ يمر بهما، فيقوم فيسمع منهما، فقال المشركون: يتعلم منهما، فأنزل الله هذه الآية.

وقال سعيد بن المسيب: الذي قال ذلك من المشركين رجل كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فارتد بعد ذلك عن الإسلام، وافترى هذه المقالة، قبحه الله!.اهـ

وقال الله تعالى: **﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾** [المدثر:٢٣ ـ ٣٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٨/ ٢٦٦): قوله: **﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾** أي: صُرف عن الحق، ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن، **﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾** أي: هذا سحر ينقله محمد عن غيره، عمن قبله ويحكيه عنهم، ولهذا قال: **﴿إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾** أي: ليس بكلام الله.

والمذكور في هذا السياق هو: الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان من خبره في هذا، ما رواه العوفي، عن ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة، على أبي بكر بن أبي قحافة، فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش، فقال: يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر، ولا بهذْي من الجنون، وإن قوله لَمِن كلام الله، فلما سمع بذلك النفرُ من قريش ائتمروا، فقالوا: والله لئن صبا الوليد لتصْبُوَنَّ قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألستُ أكثرهم مالا وولدا، فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، فقال الوليد: أقد تحدث به عشيرتي؟! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة، ولا عمر، ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر، فأنزل الله على رسوله ﷺ: **﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾** إلى قوله: **﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾**.اهـ مختصرا.

تحريم القول بأن القرآن أساطير الأولين

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٢٤٧) قوله: **﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾** أي: ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٠ - ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٠ - ١٧].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدا، وما ذكر فيه الكفاية، والله أعلم.



تحريم إنكار صفة الخط والكتابة لله تعالى

وصفة الكتابة لله تعالى على قسمين:

القسم الأول: كتابة مثبتة لله تعالى خاصة به لائقة بجلاله وعظمته:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤ـ١٤٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟»**، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**فحج آدم موسى، فحج آدم موسى**».

وفي حديث ابن أبي عمر وابن عبدة: قال أحدهما: **«خط»**، وقال الآخر: **«كتب لك التوراة بيده»**، رواه البخاري برقم (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢)، واللفظ لمسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»**، رواه البخاري برقم (٣٠٢٢)، ومسلم (٢٧٥١).

وفي رواية للبخاري برقم (٦٩٦٩) بلفظ: **«لما خلق الله الخلق كتب في كتابه، وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي»**.

وفي رواية له برقم (٧١١٥)، عنه رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش**».

قال ابن أبي عاصم رحمه الله في «السنة» (١/ ٢٧٠): باب ذكر قول ربنا عزوجل: **«سبقت رحمتي غضبي»**، وكتب ذلك بيده على نفسه.اهـ

وقال الآجري رحمه الله في «الشريعة» (ص٣٢٣): باب الإيمان بأن الله عزَّ وجلَّ خلق آدم عليه السلام بيده، وخَطَّ التوراة لموسى عليه السلام بيده... .اهـ

وقال ابن منده رحمه الله في «كتاب التوحيد» (٣/ ٩٤): بيان آخر، يدل على أن الله خط التوراة بيده.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٣٣): وأمَّا قوله: **«إن الله كتب التوراة بيده»**، فهذا قد رُوي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطئ ضال، وإذا أنكره بعد معرفة الحديث الصحيح؛ يستحق العقوبة.اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله في «مختصر الصواعق المرسلة» (ص٤٠٥): ورد لفظ اليد في القرآن والسنة، وكلام الصحابة والتابعين، في أكثر من مائة موضع، ورودا متنوعا متصرفا فيه، مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي، والقبض والبسط، والمصافحة والحثيات، والنضح باليد، والخلق باليدين، والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده.اهـ

القسم الثاني: كتابة ويُراد بها قدر الله وأمره للقلم أن يكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامه:

وهذا كثير جدًا، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].



وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (١/ ٥٣١): أي: كتبناه في الكتب المنزلة، بعد ما كتبنا في الكتاب السابق، الذي هو اللوح المحفوظ، وأم الكتاب الذي توافقه جميع التقادير المتأخرة عنه.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾ [يس: ١٢].

وقال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد: ٣٩].

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: يا رب ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد**»، رواه أحمد برقم (٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٥٧٨)، والترمذي (٢١٥٥)، وغيرهم(١)(٢)، وغيرها من الأدلة، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم المذكور أعلا ـ، و«تحقيق المسند» (٣٧/ ٣٧٩).

(٢) راجع: «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (٥/ ٢٤٣٨).

تحريم الإعراض عن كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ﷺ تعلمًا وتعليمًا وعملًا

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ٣٧٠): قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: لا أَظْلَم ممن ذكَّره الله بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها، كأنه لا يعرفها.

قال قتادة رحمه الله: إياكم والإعراض عن ذكر الله، فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرة، وأعوز أشد العوز، وعظم من أعظم الذنوب، ولهذا قال تعالى متهددًا لمن فعل ذلك: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ أي: سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام:٣]، ومثلها في سورة [يس: آية ٤٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:١٠٥].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر:٨٠ ـ ٨٤].

وقال الله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٣٢].



وقال الله جل جلاله وتقدست أسمائه: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الشعراء: ٤ ـ ٦].

ومن الإعراض عن آيات الله تبارك وتعالى، الإعراض عن الوقوف عند أحكامها، وأوامرها، والعمل بمدلولتها، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران:٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٧ـ٤٨].

والآيات الدالة على تحريم الإعراض عن آيات الله جل وعلا كثيرة، سِقتُ بعضًا منها في (الأمر بالتفكر في مخلوقات الله تبارك وتعالى)، والله أعلم.

فصل: في الأمر بتدبُّر كتاب الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٢ - ٢٣]. وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت لما كانت ليلة من الليالي قال لي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«يا عائشة! ذريني أتعبد الليلة لربي»**. قلت: والله إني أحب قربك، وأحب ما يسرك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حِجره، وكان جالساً فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، ثم بكى حتى بلَّ الأرض. فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد أُنزلتْ عليّ الليلَة آيةٌ؛ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ـ الآيات ـ [آل عمران: ١٨٨ـ ٢٠٠]»**، رواه ابن حبان (٦٢٠)(١).

(١) **حسنٌ**: راجع: «تحقيق الألباني على ابن حبان»، و«تعليقات الأرناؤوط على ابن حبان» ـ أيضًا ـ ـ عقب الرقم المذكور أعلاه ـ و«الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رحمه الله برقم (١٦٢٧)، والله أعلم.



تحريم الشك في الله أو شيءٍ من كُتبه أو أنبيائه ورسله أو أمرٍ من أمور الدين

قد وصف الله أقوامًا من أهل الكفر والنفاق والزيغ والضلال بالشك فيه، أو كتابه أو أنبيائه ورسله أو شيء من دينه، وحذر أنبيائه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وعباده الصالحين من ذلك:

فقال تعالى واصفًا من شك فيه أو في وحدانيته جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [إبراهيم: ٩ـ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ * قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦١ـ ٦٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍ؛ فيحجب عن الجنة»، رواه مسلم برقم (٤٥).

وقال تعالى واصفًا من شك في كتبه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠]، ومثلها في سورة فصلت [آية: ٤٥].

وقال جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص: ٨].

وقال تعالى لنبية ﷺ، والمراد من وقع في ذلك من أمته؛ فإنه ﷺ حاشاه أن يقع منه ذلك: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

وقال واصافًا من شك في أنبيائه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ـ ١٥٨].

وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: قال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍ؛ فيحجب عن الجنة**»، رواه مسلم برقم (٤٥).

وقال واصفًا من شك في دينه عمومًا أو في شيءٍ منه خصوصًا: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤].



وقال تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢٠ـ ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان: ٩]، وغيرها من الآيات الدالة على المراد، والله الموفق للصواب.

تحريم الكفر بآيات الله الشرعية والكونية

آيات الله تبارك وتعالى على قسمين:

شرعية: وهي الوحي الذي جاءت به الرسل، عليهم الصلاة والسلام.

وكونية: وهي المخلوقات العظيمة، وما فيها من عجائب الصنعة وبالغ الحكمة.

وقد تضافرت الأدلة على تحريم الكفر بآيات الله تبارك وتعالى عمومًا وخصوصًا: قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ**﴾ [البقرة:٩٩].

وقال الله تعالى: ﴿**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [الزمر:٦٣].

وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾ [الكهف:١٠٣ـ١٠٦].

وقال عز من قائل: ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا**﴾ [مريم:٧٧ ـ ٨٠]. روى البخاري برقم (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥)، عن خباب رضي الله عنه، قال: كنتُ قينًا في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، قال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله، ثم تبعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأُوتى مالًا وولدًا، فأقضيك، فنزلت: ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا**﴾ [مريم:٧٧ـ٧٨].

وهذه إشارة، وفي أبوابٍ تاليةٍ مزيد تتمة ـ إن شاء الله تعالى ـ، والله أعلم.

تحريم إنكار آيات الله تبارك وتعالى الكونية والشرعية

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١].

وقال الله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ﴾ [غافر:٧٩ـ٨١].

قال الحافظ ابن كثير ﷺ في «تفسيره» (٧/ ١٥٩): قوله: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: حججه وبراهينه في الآفاق، وفي أنفسكم، ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ﴾ أي: لا تقدرون على إنكار شيء من آياته، إلا أن تعاندوا وتكابروا.اهـ

وقال العلامة الألوسي ﷺ في «تفسيره» (١٨/ ١٤٢): قوله: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: دلائله الدالة على كمال شؤونه جل جلاله. ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ﴾ أي: فأي آية من تلك الآيات الباهرة ﴿تُنْكِرُونَ﴾ فإن كلاً منها من الظهور بحيث لا يَكادُ يجترِىءُ على إنكارها من له عقل في الجملة.

﴿فَأَيَّ﴾ للاستفهام التوبيخي، وهي منصوبة بتنكرون، وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل؛ لتربية المهابة وتهويل إنكارها، وتنكير (أَيْ) في مثل ما ذُكر هو الشائع المستفيض.اهـ

تحريم إنكار الحِكَمِ والغاياتِ التي في آيات الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩٠ـ ١٩١].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٢ ـ ٧٣].

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٥ ـ ٦].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:٧١ ـ ٧٣].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢ـ ١٣].



وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **لقد أُنزلتْ عليّ الليلَة آيةٌ؛ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** ـ الآية كلها ـ [آل عمران: ١٨٨ـ ٢٠٠]»، رواه ابن حبان برقم (٦٢٠)(١).

قلت: والأدلة في هذا الباب كثيرة في الكتاب والسنة، وإنما أردت الإشارة لا الحصر، وخير طريق للوصول إليها، هو تدبر الآيات الشرعية، وإعمال الفكر في الكونية، والله المستعان، وهو أعلم.

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «تحقيق الألباني رحمه الله على ابن حبان»، و«تعليقات الأرناؤوط رحمه الله على ابن حبان» ـ أيضًا ـ عقب الرقم المذكور أعلا ـ و«الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رحمه الله برقم (١٦٢٧)، والله أعلم.

تحريم الجحود بآيات الله أو رُسله أو شيء من دينه

قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت:٤٧].

وقال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [غافر:٦٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصلت:١٥-١٦].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ٢٧-٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٢-١٤].



والجحود بالآيات شامل للجحود بنوعي الآيات، ولما اشتملت عليه الآيات، مما يجب الإيمان به، ويَحرُم جحوده، ومقترفُ هذا واقع في نوع من أنواع الكفر بالله تعالى، وهو كفر الجحود، قاله العلامة ابن القيم رحمه الله(١)، وغيرُه من أهل العلم، والله أعلم.

فائدة: في ذِكر التسع الآيات التي أُعطيها كليمُ الله موسى عليه الصلاة والسلام:

قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا**﴾ [الإسراء: ١٠١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾ [النمل: ١٢].

قال ابن عاشور رحمه الله في «التحرير والتنوير» (٨/ ٣١٥): والآيات التسع هي: بياض يده كلَّما أدخلها في جيبه وأخرجَها، وانقلاب العصا حية، والطوفان، والجراد، والقُمّل، والضفادع، والدم، والرجز ـ وهو الدمل ـ، والقحط ـ وهو السنون ـ ونقص الثمرات.اهـ

قلت: قال الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾ [الأعراف:١٣٢ـ١٣٦].

---

(١) راجع: «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، وتقدَّم دليل اليد والعصا، في آيات سورة النمل.

وقد جمعها الفيروز آبادي رحمه الله بقوله:

عَصًا سَنَةٌ بَحْرٌ جرادٌ وقُمّل ... يَدٌ ودَمٌ بعد الضفادع طُوفَانُ

.اهـ والله أعلم.



تحريم جحود أحد الكتب السماوية

قد تواتر القرآن وصحيح السنة، على إنزال الله كتبًا على أنبيائه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وقد سمى الله بعضًا منها: قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال الله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٦ ـ ٤٨].

وقال جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

قال ابن عباس رضي الله عنه: قوله: ﴿وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: يعني القرآن.اهـ(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبة:١١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف:١٥٠].

قال البغوي رحمه الله في «تفسيره» (٣ / ٢٨٤): قوله: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ التي فيها التوراة، وكان حاملا لها، فألقاها على الأرض من شدة الغضب. قالت الرواة: كانت التوراة سبعة

---

(١) من «تفسيره ابن كثير» (٣/ ١٤٧).

أسباع، فلما ألقى الألواح تكسـرت، فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع، فرفع ما كان من أخبار الغيب، وبقي ما فيه الموعظة والأحكام، والحلال والحرام.اهـ

قال أبو محمد ـ سدد الله خطاه ـ: **ما أريده**: هو أن الألواح، المراد بها التوراة لا غيرها، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى**﴾ [النجم: ٣٦].

قال الإمام البغوي رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٤١٤): قوله: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ**﴾ لم يُخبَر ﴿**بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى**﴾ يعني: أسفار التوراة.اهـ

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٧٨): قوله: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**﴾ أي: ألم يخبر، ولم يحدّث بما في صحف موسى يعني: أسفاره، وهي التوراة، وبما في صحف إبراهيم، الذي وفى أي: تمم وأكمل ما أمر به.

قال المفسرون: أي: بلغ قومه ما أمر به وأدّاه إليهم.

وقيل: بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه، ثم بيّن سبحانه ما في صحفهما.اهـ

قلت: ما أريده: هو أن صحف موسى، المراد بها التوراة، وإثبات صحف إبراهيم ﷺ، والله أعلم.

وقال جل جلاله: ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [الأعلى:١ـ ١٩].

وعلى هذا يقال: فالمراد بما تقدم التوراة تعددت أسمائها وصفاتها، والله أعلم.



تحريم جحود حرفٍ فأكثر من كتاب الله تعالى

قال الإمام النووي رحمه الله في «التبيان» (ص٩٨): أجمع المسلمون: على أن من جحد منه حرفًا، مما أُجمع عليه، أو زاد حرفًا لم يَقرأ به أحد، وهو عالم بذلك فهو كافر.

قال الإمام الحافظ أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله: اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبهما أو جحد حرفًا منه، أو كذَّب بشيء مما صرح به فيه من حكم، أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفي ما أثبته، وهو عالم بذلك، أو يشك في شيء من ذلك؛ فهو كافر بإجماع المسلمين، وكذلك إذا جحد التوراة والإنجيل، أو كُتُب الله المنزلة، أو كفر بها، أو سبها، أو استخف بها، فهو كافر.

قال: وقد أجمع المسلمون: على أن القرآن المتلو في الأقطار، المكتوب في الصحف الذي بأيدي المسلمين مما جمعة الدفتان، من أول ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة:٢] إلى آخر ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾ [الناس:١] كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفًا مما لم يشمل عليه المصحف الذي وقع فيه الإجماع، وأجمع على أنه ليس بقرآن عامدًا لكل هذا، فهو كافر.

قال أبو عثمان بن الحذاء: جميع أهل التوحيد متفقون: على أن الجحد بحرف من القرآن كفر، واتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرىء أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد؛ لقراءته، وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف، وعقدوا عليه للرجوع عنه والتوبة سجلًا أشهدوا فيه على نفسه، في مجلس الوزير أُبي بن مقلة، سنة (٣٢٣).اهـ

تحريم التكذيب بآيات الله الشرعية والكونية

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:٢١].

وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:١٥٧].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف:٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:١٧]، وغيرها من الأدلة، والله أعلم.



تحريم الجدال في آيات الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ**﴾ [غافر: ٤].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ [غافر: ٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [غافر: ٥٦].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ**﴾ الآيات إلى قوله: ﴿**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٩ ـ ٧٤].

وعن عقبة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**سيهلك من أمتي أهل الكتاب، وأهل اللين**»، فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل الكتاب؟ قال: «**قوم يتعلمون كتاب الله، يجادلون الذين آمنوا**»، رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٤١٤)(١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» لشيخنا الوادعي رحمه الله برقم (٩٤٤).

فصلٌ: في النهي عن الجدال مطلقا إلا لحاجة وبالتي هي أحسن:

قال الله تعالى: ﴿**وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا**﴾ [الكهف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن أبغض الرجال إلى الله، الألد الخصم**»، رواه البخاري برقم (٧١٨٨)، ومسلم (٦٩٥١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أورثوا الجدل**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ [الأنبياء:٩٨]، رواه أحمد برقم (٢٢١٦٤)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)(١)، وغيرها من الأدلة، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الترمذي» برقم (٢٥٩٣)، و«الصحيح المسند» (٤٧٩)، و«تحقيق المسند» (٣٦/ ٤٩٣).



تحريم الصد عن آيات الله الكونية والشرعية أو عن رسوله ﷺ أو سبيله وحُرُمَاتِه

قال تعالى محذرًا نبيه ﷺ، وهو تحذير لأمته أجمع: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص:٨٧].

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء:٥٤ ـ ٥٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٣٣٦): قال ابن عباس رضي الله عنهما: نحن الناس دون الناس، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ أي: فقد جعلنا في أسباط بني إسرائيل ـ الذين هم من ذرية إبراهيم ـ النبوة، وأنزلنا عليهم الكتب، وحكموا فيهم بالسنن ـ وهي الحكمة ـ وجعلنا فيهم الملوك، ومع هذا: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ أي: بهذا الإيتاء، وهذا الإنعام، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أي: كفر به وأعرض عنه، وسعى في صد الناس عنه، وهو منهم ومن جنسهم، أي: من بني إسرائيل، فقد اختلفوا عليهم، فكيف بك يا محمد ولست من بني إسرائيل؟.اهـ

وأما تحريم الصد عن رسول الله ﷺ: فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النِّسَاءِ: ٦٠ ـ ٦١].

وأَمَّا تحريم الصد عن سبيل الله تعالى وحرماته: فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥].

تحريم المكر في آيات الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس:٢١].

قال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٣٦١): يقول تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾، كالصحة بعد المرض، والغنى بعد الفقر، والأمن بعد الخوف، نسوا ما أصابهم من الضراء، ولم يشكروا الله على الرخاء والرحمة، بل استمروا في طغيانهم ومكرهم، ولهذا قال: ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ أي: يسعون بالباطل، ليبطلوا به الحق.

﴿قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ فإن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، فمقصودهم منعكس عليهم، ولم يسلموا من التبعة، بل تكتب الملائكة عليهم ما يعملون، ويُحصيه الله عليهم، ثم يجازيهم الله عليه أوفر الجزاء.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:٣١-٣٣]، والله أعلم.



تحريم تحريف القرآن والزيادة فيه والنقص منه

قال الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٥ـ٧٩].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة:١٣].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم يحرفون ويزيدون، وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كُتب الله، لكنهم يحرفونه: يتأولونه على غير تأويله، رواه البخاري برقم (٢٦٨٥).

وقال مجاهد رحمه الله: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ﴾: يحرفونه، رواه ابن جرير في «تفسيره» برقم (٧٢٩٠).

وقال قتادة رحمه الله: هم أعداء الله اليهود، حرَّفوا كتابَ الله، وابتدعوا فيه، وزعموا أنه من عند الله، رواه ابن جرير في «تفسيره» برقم (٧٢٩٢).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٦٥): قال مجاهد، والشعبي، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ﴾ يحرفونه.اهـ

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم أحدث أخبار الله تقرؤونه محضًا لم يشب؟، وقد حَدَّثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله، وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مُسَاءلتهم؟، ولا والله ما رأينا منهم أحدًا قط: سألكم عن الذي أنزل إليكم، رواه البخاري برقم (٢٦٨٥).

تحريم الخوض في كتاب الله أو حضور أماكن الخوض فيه

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٣/ ٢٧٨): هذه الآية هي المشار إليها في قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠] اهـ

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٢/ ٤٢٩): قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الذين يَخُوضُونَ فِي ءاياتنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، أو لكل من يصلح له.

والمعنى: إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب، والردّ، والاستهزاء فدعهم، ولا تقعد معهم لسماع مثل هذا المنكر العظيم، حتى يخوضوا في حديث مغاير له.

أمره الله سبحانه بالإعراض عن أهل المجالس، التي يُستهان فيها بآيات الله، إلى غاية هي الخوض في غير ذلك.

وفي هذه الآية: موعظة عظيمة لمن يتسمَّح بمجالسة المبتدعة، الذين يحرّفون كلام الله، ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردّون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم ينكر عليهم ويُغَيِّر ما هم فيه، فأقلّ الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير.

وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزّهه عما يتلبسون به: شبهة يشبهون بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر.

وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة: ما لا يأتي عليه الحصر، وقمنا في نصرة الحق، ودفع الباطل بما قدرنا عليه، وبلغت إليه طاقتنا.



ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها؛ علم أن مجالسة أهل البـدع المضـلة فيهـا من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرّمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة؛ فإنه ربما يَنفُق عليه من كذباتهم وهـذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان؛ فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه، ويعسر دفعـه، فيعمـل بذلك مدّة عمره، ويلقى الله به معتقداً أنه من الحق، وهو من أبطل الباطل وأنكر المنكر.اهـ

قلت: ومما يدل على تحريم الخوض فيما لا يجوز الخوض فيه قرآنًا كـان أو غـيره، عمـوم قوله تعالى ـ مخبرا عن أهل النار ـ: ﴿**وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**﴾ [المدثر: ٤٥]، وغيرها من الأدلة، والله أعلم.

تحريم المراء في القرآن والمصادمة بين آياته وبينه وبين سنة رسول الله ﷺ.

عن أبي الجُهيم رضي الله عنه، أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ، وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله ﷺ، فسألا النبي ﷺ، فقال: «**القرآن يُقرأ على سبعة أحرف، فلا تماروا في القرآن؛ فإن مراء في القرآن كفر**»، رواه أحمد (١٨٠٠٥)(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مراءٌ في القرآن كفر**»، رواه أحمد برقم (٨٠٦٧)، وأبو داود (٤٦٠٣)(٢).

قال ابن الأثير رحمه الله في «النهاية» (٤/ ٦٨٤): قال أبو عبيد: ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التأويل، ولكنه على الاختلاف في اللفظ، وهو أن يقول الرجل على حرف، فيقول الآخر: ليس هو هكذا ولكنه على خلافه، وكلاهما منزَّل مقروء به، فإذا جحد كل واحد منهما قراءة صاحبه، لم يُؤمن أن يكون ذلك يخرجه إلى الكفر؛ لأنه نفى حرفًا أنزله الله على نبيه.اهـ

وقال في «عون المعبود» (١٢/ ٢٣٠): «**المراء**» - بكسر الميم والمد - «**في القرآن كفر**»: قال المناوي: أي: الشك في كونه كلام الله، أو أراد الخوض فيه بأنه محدث أو قديم، أو المجادلة في الآي المتشابهة، وذلك يؤدي إلى الجحود، فسماه كفرًا باسم ما يخاف عاقبته.

وقال الطيبي رحمه الله: هو أن يروم تكذيب القرآن بالقرآن؛ ليدفع بعضه ببعض، فينبغي أن يجتهد في التوفيق بين المتخالفين على وجه يوافق عقيدة السلف، فإن لم يتيسر له، فليكله إلى الله تعالى. وقيل: هو المجادلة فيه وإنكار بعضها.اهـ

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» (٤٤٤٤)، و«الصحيح المسند» (١٢١٦).

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٦٦٨٧)، و«الصحيح المسند» (١٣١٨).



تحريم الاختلاف في القرآن والخصومة فيه

عن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم؛ فقوموا عنه**»، رواه البخاري برقم (٥٠٦١)، ومسلم (٦٩٤٩).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٩/ ٢٢): والأمر بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمول عند العلماء على اختلاف لا يجوز، أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز، كاختلافٍ في نفس القرآن، أو في معنى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد، أو اختلاف يوقع في شك أو شبهة، أو فتنة وخصومة، أو شجار ونحو ذلك.

وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه، ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق، واختلافهم في ذلك فليس منهيًا عنه، بل هو مأمور به، وفضيلة ظاهرة، وقد أجمع المسلمون: على هذا من عهد الصحابة إلى الآن، والله أعلم.اهـ

وقال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (٩/ ١٠١): قوله: «**فإذا اختلفتم**» أي: في فَهم معانيه؛ «**فقوموا عنه**» أي: تفرقوا؛ لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر.

قال عياض: يحتمل أن يكون النهي خاصًا زمنه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لئلا يكون ذلك سببًا لنزول ما يسوؤهم، كما في قوله تعالى: ﴿**لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ [المائدة:١٠١].

ويحتمل: أن يكون المعنى اقرءوا والزموا الائتلاف على ما دل عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف أو عرض عارض شبهة يقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق؛ فاتركوا القراءة، وتمسكوا بالمُحكم الموجب للألفة، واعرضوا عن المتشابه المؤدي إلى الفرقة، وهو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فاحذروهم**»(١).

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

ويحتمل أنه ينهى عن القراءة إذا وقع الاختلاف في كيفية الأداء، بأن يتفرقوا عند الاختلاف، ويستمر كل منهم على قراءته.

ومثله: ما تقدم عن ابن مسعود رضي الله عنه لما وقع بينه وبين الصحابيين الآخرين الاختلاف في الأداء، فترافعوا إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: «**كلكم محسن**»، وبهذه النكتة تظهر الحكمة في ذكر ـ البخاري رحمه الله ـ حديث ابن مسعود عقيب حديث جندب رضي الله عنهما.اهـ

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتُها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر، فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما فقرءآ، فحسَّن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم شأنهما. قال: فسقطُ في نفسي، ولا إذ كنت في الجاهلية، فضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله فرقاً، فقال: لي: «**يا أُبي أُرسل إليَّ أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوِّن على أمتي، فرد إليَّ الثانية اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إليَّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف**»، رواه مسلم برقم (١٩١٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال هَجَّرتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُعرف في وجهه الغضب، فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب**»، رواه مسلم برقم (٦٩٤٧).



تحريم تتبع متشابه القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ الآيات إلى قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ [آل عمران:٧ ـ ٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٢/ ٦): يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي: بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر، فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكَّم محكمه على متشابهه عنده؛ فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ أي: أصله تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد.اهـ

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: تلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿**هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿**أُولُو الأَلْبَابِ**﴾، ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فإذا رأيتِ الذين يتَّبِعون ما تشابه منه، فأولئكِ الذين سمَّى الله؛ فاحذروهم**»، رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٦٩٤٧).

وهو عند أحمد (٦/ ٤٨)، وابن ماجه برقم (٤٧)، بلفظ: «**فإذا رأيتم الذين يُجادِلُون فيه، فهم الذين عنى الله؛ فاحذروهم**»(١).

وقال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ: جاء صَبِيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال يا أمير المؤمنين: أخبرني عن ﴿**الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا**﴾ [الذاريات:١]؟، فقال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن ﴿**الْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا**﴾ [الذاريات:٤]؟.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح ابن ماجه» برقم (٤٦)، والله أعلم.

قال: هي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن ﴿الْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ [الذاريات:٣]؟. قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، ثم أَمَرَ به فضُرب مائة، وجُعل في بيت، فلما برأ دعا به، وضربه مائة أخرى، وحمله على قَتَب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: امنع الناس من مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى، فحلف بالأيمان الغليظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئًا، فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب عمر رضي الله عنه: ما إخاله إلا صدق، فخل بينه وبين مجالسة الناس، رواه أحمد برقم (١٠٩٧٠)، والدارمي، في «مقدمة سننه» (١٨٤)، والبزار (٢٢٥٩) كما في «كشف الأستار»، وابن وضاح في «البدع» برقم (١٥٩).

وقال البزار رحمه الله: أبو بكر بن أبي سبرة: لين، وسعيد بن سلام: ليس من أصحاب الحديث.اهـ(١).

---

(١) **صحيحةٌ بشواهدها: قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٤١٤): هذا الحديث ضعيف رفعه، وأقرب ما فيه: أنه موقوف على عمر، فإن قصة صَبِيغ بن عسل مشهورة مع عمر، وإنما ضربه؛ لأنه ظهر له من أمره فيما يَسأل تعنتًا وعنادًا، والله أعلم.اهـ

قلت: وقد رويت بألفاظ عدة، وقد صححها الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الإصابة» (٣/ ٤٦٠)، وكذا صححها بدر بن عبد الله البدر، في تحقيق «البدع والنهي عنها» لابن وضاح (ص١٢٢)، والله أعلم.



تحريم الاستهزاء بشيء من آيات الله الشرعية والكونية أو أحد رسله أو شيءٍ من دينه

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

قال زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللهُ: قال رجلٌ من المنافقين لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما لقُرَّائنا هؤلاء أرغبُنا بطونًا، وأكذبُنا ألسنةً، وأجبُننا عند اللقاء؟! فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله ﷺ! فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره؛ فوجد القرآن قد سبقه، قال زيد: قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ تنكبُهُ الحجارة، يقول: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، فيقول له النبي ﷺ: ﴿أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[التوبة:٦٥] ما يزيده، رواه ابن جرير في «تفسيره» برقم (١٦٩١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ـ أيضًا ـ (١٠٠٤٧)(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا﴾ [البقرة:٢٣١].

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «تحقيق العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ على تفسير ابن جرير» ـ تحت الرقم المذكور أعلا ـ، و«الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص٧١) لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ، والله أعلم.

وقال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣٤ ـ ٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: ٧ - ١٠].

وقال ابن حزم رحمه الله في «المحلى» (١١/ ٤١٣): كل من سب الله تعالى أو استهزأ به، أو سب ملكًا من الملائكة أو استهزأ به، أو سب نبيًا من الأنبياء أو استهزأ به، أو سب آية من آيات الله تعالى، أو استهزأ بها، والشرائع كلها والقرآن من آيات الله تعالى؛ فهو بذلك كافر مرتد له حكم المرتد، وبهذا نقول.اهـ

قلت: ويأتي مزيد بسطٍ وإيضاحٍ في أبوابٍ تاليةٍ ـ إن شاء الله تعالى ـ.

تحريم دوس المصحف أو إهانته وركضه أو الاستخفاف به أو إلقائه في حُشٍ ونحوها

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀، كما في «الفتاوى» (٨/ ٤٢٥): اتفق المسلمون: على أن من استخف بالمصحف، مثل أن يُلقيه في الحش، أو يركضه برجله إهانة له، إنه كافر مباح الدم.اهـ

وقال الإمام النووي ﵀ في «التبيان» (ص٩٨): أجمع المسلمون: على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتنزيهه وصيانته.اهـ

وقال ﵀ في «التبيان» ـ أيضا ـ (ص٩٧): (الباب السابع: في آداب الناس كلهم مع القرآن): ثبت في «مسلم»(١)، عن تميم الداري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**». قلنا: لمن؟. قال: «**لله، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامَّتِهم**».

قال العلماء رحمهم الله: النصيحة لكتاب الله تعالى، هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاغين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتناء بمواعظه والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه، وإلى ما ذكرناه من نصيحته.اهـ

قلت: وأدلة تعظيم القرآن، وحرمة إهانته ونحوه كثيرةٌ، في الكتاب والسنة، ما بين منطوقة ومفهومة، وعامة وخاصة، لا يجهلها مسلم أبدًا، والله المستعان، وهو أعلم.

---

(١) برقم (٩٥).

فصلٌ: في تحريم لعن المصحف:

قال الإمام النووي رحمه الله في «التبيان» (ص٩٩): أفتى محمد بن أبي زيد، فيمن قال للصبي: لعن الله معلمك، وما علمك. قال: أردتُ سوء الأدب ولم أرد القرآن، قال: يؤدَّب القائل. قال: وأما من لعن المصحف؛ فانه يُقتل، هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله.اهـ

النهي عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو إذا خيف عليه

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ نهى أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو، رواه البخاري برقم (٢٩٩٠)، ومسلم (٤٩٤٦).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: كان رسول الله ﷺ ينهى أن يُسافَر بالقرآن إلى أرض العدو؛ مخافة أن يناله العدو، رواه مسلم برقم (٤٩٤٧).

وفي رواية له برقم (٤٩٤٨)، عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسافروا بالقرآن؛ فإني لا آمن أن يناله العدو**». **قال أيوب** رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد ناله العدو، وخاصموكم به.

وفي أخرى له برقم (٤٩٤٩): «**فإني أخاف**»، وبرقم (٤٩٥٠): «**مخافة أن يناله العدو**».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (١٣/ ١٣): فيه: النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار؛ للعلة المذكورة في الحديث، وهي خوف أن ينالوه فينتهكوا حرمته، فإن أُمنت هذه العلة بأن يُدخل في جيش المسلمين الظاهرين عليهم، فلا كراهة، ولا منع منه حينئذٍ؛ لعدم العلة، هذا هو الصحيح، وبه قال أبو حنيفة، والبخاري، وآخرون.

وقال مالك، وجماعة من أصحابنا: بالنهي مطلقًا، وحكى ابن المنذر، عن أبي حنيفة الجواز مطلقًا، والصحيح عنه ما سبق.

وهذه العلة المذكورة في الحديث، هي من كلام النبي ﷺ، وغلط بعض المالكية، فزعم أنها من كلام مالك، واتفق العلماء على أنه يجوز أن يُكتب إليهم كتاب فيه آية أو آيات، والحجة فيه كتاب النبي ﷺ إلى هرقل. قال القاضي: وكره مالك، وغيره معاملة الكفار بالدراهم، والدنانير التي فيها اسم الله تعالى، وذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.اهـ

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «شرح الزرقاني على الموطأ» (٥/ ٢٤٧): أجمع الفقهاء: أن لا يسافر بالمصحف في السرايا والعسكر الصغير، المخوف عليه.اهـ

فصل: في النهي عن السفر بكتب التفسير والحديث وغيرها إلى أرض العدو إذا خِيف عليها:

أقول: وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم: مما يُلحق بالباب السابق: النهي عن السفر بشيء فيه شعيرة من شعائر الدين، وفي مقدمة ذلك كتب المسانيد، وأمهات الأحاديث، وكل علم في بقائه نفع للإسلام والمسلمين، لعموم قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ**﴾ [الحج:٣٠].

وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج:٣٢].

قال الليث بن سعد رَحِمَهُ اللهُ: حرمات الله ما لا يحل انتهاكها.اهـ

وقال الزجاج رَحِمَهُ اللهُ: الحرمة ما وجب القيام به، وحَرُمَ التفريط فيه.اهـ(١).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٥/ ١١٤): والظاهر من الآية: عموم كل حرمة في الحج وغيره؛ كما يفيده اللفظ، وإن كان السبب خاصًا.اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (ص٥٣٧): وحرمات الله: كل ماله حرمة، وأُمر باحترامه، بعبادة، أو غيرها.اهـ **قلت**: ومن المعلوم: أن السنة مثل القرآن بالحرمة؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم:٣ـ ٤].

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيت وحيًا أوحاه الله إلي**»، رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وما أوتيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو القرآن والسنة قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ألا إني أُوتيت الكتاب، ومثله معه**»، رواه أحمد (١٧٦٣٧)، وأبو داود (٤٦٠٦)، عن المقدام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٢). وتقدم قول القاضي: كره مالك وغيره: معاملة الكفار بالدراهم والدنانير التي فيها اسم الله تعالى وذِكْره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.اهـ

---

(١) ذكرهما البغوي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٥/ ٣٨٣). (٢) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح المشكاة» برقم (٢٤).



تحريم تصوير ذوات الأرواح وأنها مضاهاة لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج:٧٣ـ٧٤].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ٤٥٣): لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك، كما قال الإمام أحمد ـ وساق بسنده ـ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو شعيرة**»، رواه البخاري (٧١٢٠)، ومسلم (١٠١).اهـ بتصرف.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ [الأحزاب:٥٧].

قال عِكْرِمة رحمه الله: نزلت في المصوّرين.اهـ(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من صوَّر صورة، فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبدًا**»، رواه البخاري برقم (٥٩٦٣)، ومسلم (٥٥٠٧).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون**»، رواه البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم (٥٥٠٣).

---

(١) من «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٨٠).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أصحاب هذه الصور يُعذبون، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»، ثم قال: «**إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**»، رواه البخاري برقم (٥٩٥٤)، ومسلم (٥٩٤١).

وفي لفظٍ: «**يا عائشة أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة: الذين يضاهون بخلق الله**»، روه البخاري برقم (٦١٠٩)، ومسلم (٥٥٢٥).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٤/ ٩١): وهذه الأحاديث صريحة في تحريم تصوير الحيوان، وأنه غليظ التحريم...ـ إلى أن قال:ـ ويؤيده حديث ابن عباس رضي الله عنه: إن كنت لابد فاعلًا، فاصنع الشجر وما لا نفس له.اهـ

وقال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (١٠/ ٣٨٤): قال الخطابي: إنما عظمت عقوبة المصور؛ لأن الصور كانت تُعبد من دون الله، ولأن النظر إليها يُفتن، وبعض النفوس إليها تميل. قال: والمراد بالصور هنا: التماثيل التي لها روح.اهـ

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه إن النبي ﷺ لعن المصور، رواه البخاري برقم (٢٢٣٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصر بهما، وأذنان يسمع بهما، ولسان ينطق به؛ فيقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، والمصورين**»، رواه أحمد برقم (٨٤١١)، والترمذي (٢٥٧٤)، **وقال**: حديث حسن غريب صحيح(١).

وعن أبي الهياج قال: قال لي علي رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «**أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**»، رواه مسلم برقم (٩٦٩).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٥١٢)، و«الصحيح المسند» (١٤٠٦).



قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٧/ ٣٦): فيه: الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح.اهـ

وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جنازة، فقال: «**أيكم ينطلق إلى المدينة، فلا يدع فيها وثنًا إلا كسره، ولا قبرًا إلا سواه، ولا صورةً إلا لطخها**»، فقال رجل: أنا يا رسول الله، قال: فانطَلَقَ، ثم رَجَعَ، فقال: يا رسول الله، لم أدع وثنًا إلا كسرته، ولا قبرًا إلا سويته، ولا صورةً إلا لطختها، ثم قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**من عاد إلى صُنع شيء من هذا؛ فقد كفر بما أنزل على محمد**»، رواه أحمد برقم (٦٥٧)، وغيره(١).

وقد أُلِّف في هذا الباب كُتب ورسائل عدة، من أشملها ـ مع اشتراط صحة ما فيها ـ، ما كتبه شيخنا العلامة الوادعي رحمه الله، في رسالته المساة: (حكم التصوير)، والله أعلم.

تنبيه:

استثنى بعض أهل العلم من الصور والتصوير: ما قد يلحق المسلم بتركه أذية، في دينه أو دنياه، كالجوازات والبطائق بأنواعها، ونحوها، أو ما يُخاف ضياعه، مثل النقود التي عليها صور بعض الملوك وغيرهم، ونحو ذلك، والله المستعان، وهو أعلم.

---

(١) **جيدٌ**: راجع: «الترغيب والترهيب» برقم (٤٦٢٩)، و«مجمع الزوائد» (٥/ ٢٠٦)، و«ضعيف الترغيب» (٢/ ٢٧٣)، و«جامع الأحاديث» برقم (٣٤٣٠٢). **قلت**: وما عند «مسلم»، يشهد له، والله أعلم.

تحريم الرياء والسمعة ووجوب الإخلاص لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [الأعراف:٢٩].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٤٠٢): لا يتقبل الله تعالى العمل حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة، وأن يكون خالصًا من الشرك.اهـ

وقال تعالى: ﴿**فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ [الزمر:٢ـ٣].

وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي**﴾ [الزمر:١١ـ١٥].

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**﴾ [النساء:١٤٢ـ١٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ [الماعون:٤ـ٧].

وفي الباب: آية البقرة، يأتي ذكرها في الفصل عقب هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه**»، رواه البخاري برقم (١)، ومواضع أُخر، ومسلم برقم (١٩٠٧).

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**من سمَّع سمع الله به، ومن يُرائي يرائي الله به**»، رواه البخاري برقم (٦٤٩٩)، ومسلم (٤٤٧٧).

وفي لفظ للبخاري برقم (٧١٥٢): «**سمَّعَ الله به يوم القيامة**».

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من سَمَّع الناس بعمله، سَمَّع الله به سامعَ خلقه، وحَقَّره وصَغَّره**»، رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٢)(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معيَ غيري؛ تركته وشركه**»، رواه مسلم برقم (٧٤٧٥).

و عند ابن ماجه برقم (٤١٩٢): «**فمن عمل لي عملًا، أشرك فيه غيري؛ فأنا منه بريء، وهو للذي أُشرك**»(٢).

وعن ابن أبي فضالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين ليومٍ لا ريب فيه، ينادي مناد: من كان أشرك في عملٍ عمله لله، فليطلب ثوابه من عند غير الله؛ فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك**»، رواه أحمد برقم (١٥٨٣٨)، وابن ماجه (٤١٩٣)(٣).

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**». قالوا يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء، إن الله تبارك وتعالى**

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٢)، و«الصحيحة» برقم (٢٥٦٦)، و«تحقيق المسند» (١١/ ٥٦)، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الترغيب» (١/ ٨)، و«صحيح وضعيف ابن ماجه» ـ عقب الرقم السابق ـ.

قلت: ويشهد له ما قبله، والله أعلم.

(٣) **حسنٌ**: راجع: «صحيح ابن ماجه» برقم (٣٣٨٨)، و«تحقيق المسند» (٢٥/ ١٦١) والله أعلم.

يقول يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»، رواه أحمد برقم (٢٤٣٥٦)(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من راءى بشيء في الدنيا من عمله، وكله الله إليه يوم القيامة، وقال: انظر هل يغني عنك شيئًا، أخرجه المنذري في «الترغيب» برقم (٣٨)، **ثم قال**: رواه البيهقي موقوفًا.اهـ(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي؟**». قلنا: بلى. قال: «**الشرك الخفي: أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل**»، رواه أحمد برقم (١١٥٥٦)، وابن ماجه (٤٣٤٤)(٣).

وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إن في جهنم لواديًا، تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة، أُعدَّ ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد: لحامل كتاب الله، وللمصدق في غير ذات الله، وللحاج إلى بيت الله، وللخارج في سبيل الله**»، رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٧٥)(٤).

وفي الباب: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عند «مسلم» برقم (١٩٠٥)، في المجاهد، والمنفق، وقارئ القرآن، وهو حديث مشهور، شهرته تُغني عن ذكره، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الترغيب والترهيب» (١/ ٣٤)، و«مجمع الزوائد» (١/ ١٠٢)، و«صحيح الجامع» برقم (١٥٥٥)، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ موقوفًا**: راجع: «صحيح الترغيب» برقم (٢٩)، والله أعلم.

(٣) **حسنٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٧٤٥)، ويتقوى بما قبله، والله أعلم.

(٤) **قال المنذري** رحمه الله في «الترغيب» (١/ ٣٣): رَفْعُ حديث ابن عباس غريب، ولعله موقوف.اهـ



فائدة:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الفوائد» (ص٤٩): العمل بغير إخلاص ولا اقتداء؛ كالمسافر يُملأ جِرابه رملاً يثقله ولا ينفعه، إذا حُمِّلت على القلب هموم الدنيا وأثقالها، وتهاونتَ بأوراده التي هي قوته وحياته، كُنت كالمسافر الذي يُحمِّل دابته فوق طاقتها، ولا يوفِّيها علفها، فما أسرع ما تقف به.اهـ

فصلٌ: في تحريم المن وأنه مدعاة للرياء ودليل على أن العمل ليس لوجه الله تبارك وتعالى:

قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٢٦٢ـ ٢٦٤].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٦٩٣): يمدح تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، ثم لا يُتبعون ما أنفقوا من الخيرات، والصدقات منًا على من أعطوه، فلا يمنون على أحد، ولا يمنون به لا بقول ولا فعل، **وقد وردت الأحاديث بالنهي عن المن في الصدقة:**

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»، رواه مسلم برقم (١٠٦).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى**»، رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٢٠٥)، والدارمي (٢/ ١١٢)، والنسائي (٥/ ٨٠)(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة عاق، ولا منان، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بقدر**»، رواه أحمد (٦/ ٤٤١)، وابن ماجه برقم (٣٣٧٦)(٢).

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٦٧٣)، والله أعلم.

(٢) **حسنٌ**: راجع: «الزوائد» (٣/ ١٠٣)، و«الصحيحة» (٦٧٥)، و«الجامع الصحيح في القدر»، لشيخنا الوادعي رحمه الله، والله أعلم.



تحريم المن على وعلى رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٣٩٠): قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوْا﴾، يعني: الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول، يقول الله ردًا عليهم: ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾، فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم، ولله المنة عليكم فيه، ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في دعواكم ذلك، كما قال النبي ﷺ للأنصار يوم حنين: **«يا معشر الأنصار: ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟، وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي؟، وعالة فأغناكم الله بي؟»** كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن، رواه البخاري برقم (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، أسلمنا وقاتلتك العرب، ولم نقاتلك، فقال رسول الله ﷺ: **«إن فقههم قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم»**، ونزلت هذه الآية: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، رواه النسائي في «الكبرى» برقم (١١٥١٩) من طريق يحيى بن سعيد الأموي به(١).اهـ مختصرًا.

قلت: والآية شاملة لكل ممتنٍّ على الله أوعلى رسوله ﷺ بإسلامه، أو بذل روحه ودمه وماله، وأهله، والله تبارك وتعالى أعلم وأحكم وأرحم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «تحقيق ابن كثير» ـ طبعة أولاد الشيخ عند الآية السابقة ـ، والله أعلم.

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (ص٨٠٢): هذه حالة من أحوال من ادعى لنفسه الإيمان، وليس به، فإنه إمَّا أن يكون ذلك تعليمًا لله، وقد علم أنه عالم بكل شيء، وإما أن يكون قصدهم بهذا الكلام، المنة على رسوله، وأنهم قد بذلوا له وتبرعوا بما ليس من مصالحهم، بل هو من حظوظه الدنيوية، وهذا تجمل بما لا يجمل، وفخر بما لا ينبغي لهم أن يفتخروا على رسوله به، فإن المنة لله تعالى عليهم، فكما أنه تعالى يمن عليهم، بالخلق والرزق، والنعم الظاهرة والباطنة، فمنته عليهم بهدايتهم إلى الإسلام، ومنته عليهم بالإيمان، أعظم من كل شيء، ولهذا قال تعالى: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الحجرات: ١٧].اهـ



تحريم إرادة الإنسان بعمله الدنيا وزينتها

قال الله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود:١٥ ـ ١٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٤/ ٣١٠): يقول: من عمل صالحًا التماس الدنيا، صومًا أو صلاة أو تهجدًا بالليل، لا يعمله إلا للتماس الدنيا، يقول الله: أوفِّيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمله التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين، وهكذا روي عن مجاهد، والضحاك، وغير واحد.اهـ بتصرف.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»، رواه البخاري برقم (٢٨٨٧).

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح المجيد» (ص٣٧٢): فإن قيل: فما الفرق بين هذا الباب وباب ما جاء في الرياء؟.

قلت: بينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وهو ما إذا أراد الإنسان بعمله التزين عند الناس، والتصنع لهم والثناء، فهذا رياء كما تقدم بيانه، كحال المنافقين.

وهو ـ أيضًا ـ إرادة الدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام.

ويفارق الرياء بكونه عمل عملًا صالحا، أراد به عرضًا من الدنيا، كمن يجاهد ليأخذ مالا، كما في الحديث: «**تعس عبد الدينار**» أو يجاهد للمغنم، أو غير ذلك من الأمور التي ذكرها شيخنا، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من المفسرين، في معنى قوله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا**﴾، وأراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الترجمة وما بعدها: أن العمل لأجل

الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال، وهو أعظم من الرياء؛ لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرًا من هذا وهذا.اهـ

فصلٌ: في ذكر بعض الصور الموضحة لإرادة الإنسان بعمله الدنيا:

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في «فتح المجيد» (ص٨٥): سُئل شيخنا المصنف رحمه الله، عن هذه الآية: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**﴾ [الشورى:٢٠].

فأجاب بما حاصله: ذُكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه:

فمن ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله: من صدقة وصلاة، وصلة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يُعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب، وهذا النوع ذكره ابن عباس رضي الله عنهما.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهد، في الآية أنها نزلت فيه: وهو أن يعمل أعمالًا صالحة، ونيته رياء الناس، لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالًا صالحة يقصد بها مالًا، مثل أن يحج لمال يأخذه، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر ـ أيضًا ـ هذا النوع في تفسير هذه الآية، كما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة، لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقعٌ كثيرًا.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله، مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفّره كفرًا يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله، أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة، يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم.

فهذا النوع ـ أيضًا ـ قد ذُكر في هذه الآية، عن أنس بن مالك، وغيره.

وكان السلف يخافون منها، فقال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

ثم قال: بقي أن يُقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس، والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالبًا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا قاصدًا بها الدنيا، مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما.

وقد قال بعضهم: القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخلّص وأهل النار الخلص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله.اهـ

النهي عن فعل مصلحة تُؤدي إلى ضرر في الدين يماثلها أو يفوقها

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

قال قتادة رحمه الله: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فيسب الكفار الله عدوًا بغير علم، فأنزل الله قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ...﴾ الآية، راوه عبد الرزاق في «مصنفه» (١/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (٧٧٦٣)، وغيرهما(١).

وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣ / ٣١٤): يقول تعالى ناهيًا لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو؛ كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية: قالوا: يا محمد، لتنتهين عن سبك آلهتنا، أو لنهجون ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم، ﴿فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ـ إلى أن قال ـ:

ومن هذا القبيل ـ وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ما جاء في «الصحيح»، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**ملعون من سب والديه**». قالوا يا رسول الله، وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: «**يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»، أو كما قال عليه السلام(٢).اهـ

---

(١) وبنحوه قال جماعة من السلف، راجع أقوالهم عند هذه الآية، من «تفسيرَيْ ابن جرير وابن أبي حاتم»، وغيرُهما، والله أعلم.

(٢) **قلت**: اللفظ الذي ذكره ابن كثير رحمه الله أخرجه أحمد (١/ ٢١٧)، والنسائي (٧/ ٢٣٢)، وغيرهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما نبه على ذلك ـ محقق ط ـ دار طيبة ـ.

ولفظ «الصحيحين»: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**». قالوا: يا رسول الله: هل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»، رواه البخاري برقم (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، والله أعلم.



وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (٣/ ١٣٧) ـ باب منع ما يُؤدي إلى الحرام ـ:

الوجه الأول: قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام:١٠٨]، فحرم الله تعالى سب آلهة المشركين، مع كون السب غيظًا وحميَّةً لله، وإهانة لآلهتهم؛ لكونه ذريعة إلى سبهم لله تعالى، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم، وهذا كالتنبيه، بل كالتصريح على المنع من الجائز؛ لئلا يكون سببًا في فعل ما لا يجوز ـ **إلا أن قال**: ـ وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي.

والأمر نوعان: **أحدهما**: مقصود لنفسه. **والثاني**: وسيلة إلى المقصود.

والنهي نوعان: **أحدهما**: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه. **والثاني**: ما يكون وسيلة إلى المفسدة. فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين.اهـ

وقال رحمه الله في «المصدر» ـ أيضا ـ (٤/ ٤٠٠): وللإمام أحمد: إن أكبر الكبائر عقوق الوالدين. قيل: وما عقوق الوالدين؟. قال ﷺ: **«يسب أبا الرجل وأمه، فيسب أباه وأمه»**(١)، وهو صريح في اعتبار الذرائع، وطلب الشرع لسدها، وقد تقدمت شواهد هذه القاعدة بما فيه كفاية.اهـ

وقال الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» (٢/ ٤٦١): وفي هذه الآية: دليل على أن الداعي إلى الحق، والناهي عن الباطل، إذا خَشِيَ أن يتسبب عن ذلك ما هو أشد منه، من انتهاك محرم، ومخالفة حق، ووقوع في باطل أشد، كان الترك أولى به، بل كان واجبًا عليه.اهـ

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا، والله أعلم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية** ـ أو قال: بكفر ـ **لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض، ولأدخلت فيها من الحجر**»، رواه البخاري برقم (١٢٣)، ومسلم (٣٣٠٧).

زاد البخاري: ففعله ابن الزبير.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٤٤١):... فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير ـ وهو أنه بناها على قواعد إبراهيم ـ، **ثم قال** رحمه الله: فلو تُرك ـ أي: فعل ابن الزبير ـ لكان جيدًا، ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال، فقد كَرِه بعض العلماء أن يُغيَّر عن حاله، كما ذُكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد ـ أو أبيه المهدي ـ أنه سَأل الإمام مالكًا عن هدم الكعبة وردِّها؟ إلى ما فعله ابن الزبير، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا تجعل كعبة الله مَلْعَبَة للملوك، لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها، فترك ذلك الرشيد.اهـ

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا**﴾ [الإسراء:١١٠] قال: نزلت ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مختفٍ بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿**وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ**﴾: أي: بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبوا القرآن، ﴿**وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا**﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم، ﴿**وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء:١١٠]، رواه البخاري برقم (٧٥٢٥)، ومسلم (١٠٢٩).



تحريم سب الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم، يَسُبّ الدهر، وأنا الدهر، أقلب ليله ونهاره**»، رواه البخاري برقم (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

وله ألفاظ عدة، تقدم ذكر بعضها في باب (تحريم سب الدهر)، فتراجع.

وفي الفصول الآتية مزيد أدلَّةٍ وبيان ـ إن شاء الله تعالى ـ.

فصلٌ: في حكم ساب الله تعالى وهل يستتاب؟

قال إسحاق بن راهويه ﵀ كما في «التمهيد» (٤/ ٤٢٦): قد أجمع العلماء: على أن من سب الله ﷻ، أو سب رسول الله ﷺ، أو دفع شيئا أنزله الله، أو قتل نبيًا من أنبياء الله، وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله؛ أنه كافر.اهـ **وقال ابن حزم** ﵀ في «المحلى» (١١/ ٤١١): وأمَّا ساب الله تعالى، فما على ظهر الأرض مسلم، يخالف أنه كفرٌ مجرَّد.اهـ

وقال القاضي عياض ﵀ في «الشفاء» (ص٨٣٢): لا خلاف أن ساب الله تعالى، من المسلمين؛ كافر حلال الدم.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في «الصارم المسلول» (ص٥٤٧): من سب الله تعالى، إن كان مسلمًا وجب قتله بالإجماع؛ لأنه بذلك كافر مرتد، وأسوأ من الكافر...

ثم قال ﵀: اختلف أصحابنا، وغيرهم في قبول توبته ـ بمعنى ـ هل يستتاب كالمرتد، ويسقط عنه القتل إذا أظهر التوبة من ذلك بعد رفعه إلى السلطان، وثبوت الحد عليه؟ على **قولين**: ثم رجح ﵀: أنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهو مذهب جمع، منهم: أبو حنيفة، وأصحاب الشافعي ﵀، والله أعلم.

تحريم سب الرسول ﷺ وحكم الشرع فيه

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

قال الشوكاني رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٢٧٦): قوله: ﴿والذين يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ﴾ بما تقدّم من قولهم: هو أُذُنْ، ونحو ذلك مما يَصدُقُ عليه أنه أذية لرسول الله ﷺ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢ـ ١٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ١٠٢): يقول تعالى: وإن نكث المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيمانهم، أي: عهودهم ومواثيقهم وطعنوا في دينكم أي: عابوه وانتقصوه.

ومن هاهُنا: أُخذ قَتْل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه، أو من طعن في دين الإسلام، أو ذكره بنقص، ولهذا قال: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ أي: يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال...، والآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش، فهي عامة لهم ولغيرهم، والله أعلم.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥ـ ٦٦].



وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال العلامة السعدي ؒ في "تفسيره" (ص٦٧١): لما أمر تعالى بتعظيم رسوله ﷺ، والصلاة والسلام عليه، نهى عن أذيته، وتوعد عليها فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾، وهذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية، من سبٍ وشتم، أو تنقص له، أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى.

وقوله: ﴿**لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا**﴾ أي: أبعدهم وطردهم، ومِنْ لَعْنِهِم في الدنيا أنه يُحَتَّمْ قتل من شتم الرسول، وآذاه.

وقوله: ﴿**وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ جزاء له على أذاه، أن يُؤذى بالعذاب الأليم.

فأذية الرسول ﷺ ليست كأذية غيره؛ لأنه ﷺ لا يُؤمن العبد بالله، حتى يُؤمن برسوله ﷺ، وله من التعظيم، الذي هو من لوازم الإيمان، ما يقتضي ذلك، أن لا يكون مثل غيره.اهـ

وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ [الكوثر: ٣].

قال الحافظ ابن كثير ؒ في "تفسيره" (٨/ ٥٠٤): قوله: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ أي: إن مبغضك يا محمد، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق، والبرهان الساطع والنور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره.اهـ

وقال شيخ الإسلام ؒ في «الصارم» (ص٩): (المسألة الأولى: أن من سب النبي ﷺ من مسلم أو كافر؛ فإنه يجب قتله): هذا ما ذهب إليه عامة أهل العلم.

قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم: على أَنَّ حَدَّ من سب النبي ﷺ القتل، وممن قاله: مالك، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي.

قال: وحكي عن النعمان: لا يقتل يعني الذي هم عليه من الشرك أعظم.

وقد حكى أبو بكر الفارسي، من أصحاب الشافعي: إجماع المسلمين: على أن حد من سب النبي ﷺ القتل، كما أن حد من سب غيره الجلد، وهذا الإجماع الذي حكاه محمول على إجماع الصدر الأول، من الصحابة والتابعين، أو أنه أراد به إجماعهم على أن ساب النبي ﷺ يجب قتله؛ إذا كان مسلمًا، وكذلك قيده القاضي عياض، فقال: أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين، وسابه، وكذلك حكي عن غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره.

وقال الإمام إسحاق بن راهويه ـ أحد الأئمة الأعلام ـ: أجمع المسلمون على أن من سب رسوله الله ﷺ، أو دفع شيئًا مما أنزل الله ﷻ، أو قتل نبيًا من أنبياء الله ﷻ: أنه كافر بذلك، وإن كان مقرًا بكل ما أنزل الله.

قال الخطابي: لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله.

وقال ابن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ، والمتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كَفَرَ... .اهـ

قلت: وأدلة قتل سابِّ الرسول ﷺ، واستتَابته، وبيان الحِكمةَ من قتله، وكذا بعض ما يتعلَّق به ﷺ، قد أفردتها في رسالة بعنوان: (تحريم سب رسول الله ﷺ أو أحد من إخوانه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وحكم الشرع فيه)(١).

---

(١) منشورٌ على الموقع المبارك ـ شبكة الألوكة ـ.

تحريم سب نبيٍ أو رسولٍ عليهم الصلاة والسلام وحكم الشرع في السابِّ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الصارم» (ص١٠٤٨): **فصل**: والحكم في سب سائر الأنبياء، كالحكم في سب نبينا، فمن سب نبيًّا مسمًّى باسمه من الأنبياء المعروفين المذكورين في القرآن، أو موصوفًا بالنبوة.

مثل أن يذكر في حديث أن نبيًّا فعل كذا، أو قال كذا، فيسب ذلك القائل أو الفاعل، مع العلم بأنه نبي، وإن لم يعلم من هو أو يسب نوع الأنبياء على الإطلاق، فالحكم في هذا كما تقدم؛ لأن الإيمان بهم واجب عمومًا، وواجب الإيمان خصوصًا بمن قصه الله علينا في كتابه، وسبهم كفر وردة إن كان من مسلم، ومحاربة إن كان من ذمي.

وقد تقدم في الأدلة الماضية: ما يدل على ذلك بعمومه لفظًا أو معنى، وما أعلم أحدًا فرق بينهما، وإن كان أكثر كلام الفقهاء إنما فيه ذكر من سب نبينا، فإنما ذلك لمسيس الحاجة إليه، وأنه وجب التصديق له، والطاعة له جملة وتفصيلًا، ولا ريب أن جرم سابِّه أعظم من جرم ساب غيره، كما أن حرمته أعظم من حرمة غيره، وإن شاركه سائر إخوانه من النبيين والمرسلين، في أن سابهم كافر حلال الدم.

فأمَّا إن سبَّ نبيًّا غير معتقد لنبوته؛ فإنه يستتاب من ذلك، إذا كان ممن علمت نبوته بالكتاب والسنة؛ لأن هذا جحد لنبوته، وإن كان ممن يجهل أنه نبي، فإنه سب محض، فلا يُقبل قوله: إني لم أعلم أنه نبي.اهـ

تحريم سب صحابة رسول الله ﷺ و رضي الله عنهم أجمعين

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:٨].

فمن أمَرَنَا اللهُ أن نطهِّر قلوبنا لهم أيجوز سبهم؟!.

وقال الله جل وعلا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨-٢٠].

فمن رضي الله عنهم، ورضوا عنه، وأعد منازلهم في الجنة كان سبهم من المعاداة لأولياء الله تعالى، الذين تكفَّل الله بالدفاع عنهم، وآذن بالحرب من أجلهم.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، رواه البخاري (٣٤٥٠)، ومسلم (٦٦٣٨).

فمن شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية، وجب لهم علينا التصديق والتطبيق.

ولقد اختار الله صحابة نبيه ﷺ واصطفاهم له: **قال: عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد،



فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ، رواه أحمد برقم (٣٦٠٠)(١).

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»**، رواه البخاري برقم (١٧)، ومسلم (٧٤).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: **«الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»**، رواه البخاري برقم (٣٥٢٧)، ومسلم (٧٥).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**، رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا؛ ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**»، رواه مسلم برقم (٦٦٥١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«لعن الله من سب أصحابي»**، رواه الطبراني في «الكبير» برقم (١٣٥٨٨)(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ذُكر مالك بن الدخشن عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فوقعوا فيه، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«دعوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي»**، رواه البزار برقم (٢٧٧٩)(٣).

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «الصحيح المسند» برقم (٨٤٢)، و«تحقيق المسند» (٦/ ٨٤).

(٢) **حسنٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٣٤٠).

(٣) **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٩/ ٧٤٧): رجاله رجال الصحيح.اهـ

وعن سعيد بن عمرو بن زيد بن نفيل رضي الله عنه، قال: تأمروني بسب أصحابي، بل صلى الله عليهم، وغفر لهم، رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٨٩٠)(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«لا تسبوا أصحابي، لعن الله من سب أصحابي»**، رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٤٧٧١)(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«من سب أصحابي؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**، رواه الطبراني في «الكبير» برقم (١٢٧٠٩)(٣).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله جملة من الأحاديث، التي لم نذكرها، في كتابه «الصارم المسلول»، في باب (حكم سب الصحابة في الكتاب والسنة)، فيُراجع للفائدة.

وقال الإمام أحمد رحمه الله في «أصول السنة» ـ الفقرة التاسعة والعشرون ـ: ومن انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو بغضه بحدثٍ منه، أو ذكر مساويه كان مبتدعًا حتى يترحَّم عليهم جميعًا، ويكون قلبه لهم سليمًا.اهـ

وقال الإمام البربهاري رحمه الله في «شرح السنة» ـ الفقرة السادسة عشرة بعد المائة ـ: واعلم أنه من تناول أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فاعلم أنه إنما أراد محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد آذاه في قبره.اهـ

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في «عقيدته» ـ الفقرة الثالثة والتسعون ـ: ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من

---

(١) **حسن: قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٩/ ٧٤٧): رجاله رجال الصحيح.اهـ

(٢) **حسنٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٩/ ٧٤٧)، و«صحيح الجامع» برقم (٥١١١).

(٣) **صحيحٌ لغيره**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٣٤٠)، والله أعلم.



يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.اهـ

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الطحاوية» (١/ ٣٠٧): يشير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الرد على الروافض والنواصب، وقد أثنى الله على الصحابة، هو ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ووعدهم الحسنى، كما قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٠].

وفي «البخاري»، و«مسلم»(١)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهبًا، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**» ـ انفرد مسلم بذكر سب خالد لعبد الرحمن، دون البخاري ـ.

والمقصود: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نهى من له صُحبة أخرى أن يسب من له صحبة أُولى، لامتيازهم عنهم، من الصحبة بما لا يُمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة، فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة؟ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) البخاري برقم (٣٤٧٠)، ومسلم (٦٦٥٢).

وفي «مسلم» عن جابر، قال: قيل لعائشة ﵂: إن ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر! فقالت: وما تعجبون من هذا؟! انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا يَقْطَعَ عنهم الأجر(١).

وروى ابن بطة بإسناد صحيح، عن ابن عباس ﵄، أنه قال: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة ـ يعني مع النبي ﷺ ـ خير من عمل أحدكم أربعين سنة.

وفي رواية وكيع: خير من عبادة أحدكم عمره(٢).

ولقد صدق عبد الله بن مسعود ﵁ في وصفهم، حيث قال: إن الله نظر في قلوب العباد ـ تقدم ذكره أول الباب ـ.

فمن أضل ممن يكون في قلبه حقد على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فَضَلَهُمْ اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟. قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل

---

(١) **قال صاحب كتاب: «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام»** (٢/ ٨٤٨): ذُكر هذا الحديث، في «جامع الأصول» (٩/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩)، و«مسند عائشة ﵂» للسيوطي (ص١٦٤)، وعزاه لابن عساكر، وذكره شارح الطحاوية (ص٥٣٠)، وعزاه إلى مسلم، وتعقبه الألباني بقوله: هذا حديث غريب عندي... ثم تيقنت عدم وجوده فيه بعد أن فرغت منذ بضعة سنين من اختصار «صحيح مسلم».

والأمر كما قال الشيخ الألباني، وهو عدم وجوده في «صحيح مسلم»، فإني بحثت عنه قبل أن أطلع على كلام الشيخ الألباني هذا.اهـ

قلت: وعلى ضعفه، فإن الأحاديث قد نطقت: بأن المسبوب يُعطى من حسنات الساب، والله أعلم.

(٢) **قال العلامة الألباني** ﵀ في تعليقه على «شرح الطحاوية»: حديث صحيح، وهو مخرَّج في «الظلال» (١٠٠٦).اهـ



للرافضة: من شر أهل ملتكم؟. قالوا: أصحاب محمد!! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة.اهـ مختصرا.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «العقيدة الواسطية» (ص٢٧): ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** [الحشر:١٠].اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ في «لاميته»:

حب الصحابة كلهم لي مذهب ... ومودة القربى بها أتوسل

وقد أُلِّف في هذا الباب ما بين رسالة وكتاب، صرف الله عن المسلمين كل بدعة وضلالة، وزيغ وارتياب.

تحريم سب آل بيت النبوة عليهم السلام

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «العقيدة الواسطية» (ص٢٨): ومن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة: أنهم يُحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حيث قال يوم غدير خم: **«أذكركم الله في أهل بيتي»**(١).

وقال ـ أيضًا ـ للعباس عمه، وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفوا بني هاشم، فقال: «**والذي نفسي بيده؛ لا يُؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي**»(٢).

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»(٣).

قال العلامة الهراس رحمه الله في «شرح الواسطية» (ص٣٣٦): أهل بيته صلى الله عليه وعلى آله وسلم هم من تَحْرُم عليهم الصدقة، وهم: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وكلهم من بني هاشم، ويلحق بهم بنو المطلب؛ لقوله عليه السلام: «**إنهم لم يفارقونا جاهلية ولا إسلامًا**».

فأهل السنة والجماعة يَرْعون لهم حرمتهم وقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما يحبونهم لإسلامهم، وسبقهم، وحسن بلائهم في نصرة دين الله عز وجل.

وغدير خم ـ بضم الخاء ـ قيل: اسم رجل صبَّاغ أضيف إليه الغدير، الذي بين مكة والمدينة بالجحفة.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٠٨).

(٢) **حسنٌ لغيره**: رواه أحمد برقم (١٧٧٧)، والحاكم (٣/ ٣٣٣)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٦٧)، عن العباس رضي الله عنه. راجع: «تخريج الواسطية» للشيخ ياسين العدني رحمه الله (ط ـ ابن تيمية ص٢٥٨).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٢٧٦)، عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

وقيل: خم اسم غيضة هناك نسب إليها الغدير، والغيضة: الشجر الملتف.

وأما قوله عليه السلام لعمه: «**والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي**»؛ فمعناه: لا يتم إيمان أحد حتى يحب أهل بيت رسول الله ﷺ لله:

أولًا: لأنهم من أوليائه وأهل طاعته الذين تجب محبتهم وموالاتهم فيه.

وثانيًا: لمكانهم من رسول الله ﷺ، واتصال نسبهم به.اهـ

وقال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في «شرح الواسطية» (ص١٥١): بيَّن الشيخ رحمه الله في هذا مكانة أهل البيت عند أهل السنة والجماعة، وأنهم يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ.

وأهل البيت هم آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة، وهم: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ، وبناته من أهل بيته، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فأهل السنة يحبونهم ويحترمونهم ويكرمونهم؛ لأن ذلك من احترام النبي ﷺ وإكرامه، ولأن الله ورسوله قد أمرا بذلك، قال تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى: ٢٣].

وجاءت نصوص من السنة بذلك، منها ما ذكره الشيخ، وذلك إذا كانوا متبعين للسنة مستقيمين على الملة، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين، فإنه لا تجوز محبته ولو كان من أهل البيت.اهـ

قلت: ومما يُستدل به في هذا الباب: كل دليل استدل به على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم؛ فإن القرابة الصالحة لها المرتبة العلياء، من فضائل صحابة رسول الله ﷺ، والله المستعان.

تحريم سب نساء النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الصارم المسلول» (ص١٠٥٠): فأمَّا من سب أزواج النبي ﷺ، فقال القاضي أبو يعلى: من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم:

فرُوي عن مالك: من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة قتل قيل له: لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [النور: ١٧].

وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري: سمعت القاسم بن محمد يقول لإسماعيل بن إسحاق: أُتي المأمون بالرقة برجلين شتم أحدهما فاطمة، والآخر عائشة، فأمر بقتل الذي شتم فاطمة، وترك الآخر، فقال إسماعيل: ما حكمهما إلا أن يُقتلا؛ لأن الذي شتم عائشة رد القرآن، وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه، والعلم من أهل البيت وغيرهم.

قال أبو السائب القاضي: كنت يومًا بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطرستان، وكان يلبس الصوف، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويوجه في كل سنة بعشرين ألف دينار إلى المدينة السلام، يُفرَّق على سائر ولد الصحابة، وكان بحضرته رجل، فذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة، فقال: يا غلام اضرب عنقه، فقال له العلويين: هذا رجل من شيعتنا، فقال: معاذ الله، هذا رجل طعن على النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ [النور:٢٦]، فإن كانت عائشة خبيثة، فالنبي ﷺ خبيث، فهو كافر، فاضربوا عنقه، فضربوا عنقه، وأنا حاضر، رواه اللالكائي.



ورُوِيَ عن محمد بن زيد أخي الحسن بن زيد، أنه قدم عليه رجل من العراق، فذكر عائشة بسوء، فقام إليه بعمود فضرب به دماغه، فقتله، فقيل له: هذا من شيعتنا، ومن بني الآباء، فقال: هذا سمى جدي قرنان، ومن سمى جدي قرنان استحق القتل، فقتله.

وأمَّا من سب غير عائشة من أزواجه ﷺ، ففيه قولان:

أحدهما: أنه كساب غيرهن من الصحابة، على ما سيأتي.

والثاني، وهو الأصح: أنه من قذف واحدة من أمهات المؤمنين، فهو كقذف عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم معنى ذلك عن ابن عباس، وذلك لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده، وقد تقدم التنبيه على ذلك فيما مضى عند الكلام على قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ [الأحزاب: ٥٧]، والأمر فيه ظاهر.اهـ

فصلٌ في معنى قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٨/ ١٩٢): قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم، أن ذلك لا يُجدي عنهم شيئا، ولا ينفعهم عند الله، إن لم يكن الإيمان حاصلاً في قلوبهم، ثم ذكر المثل، فقال: ﴿امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ أي: نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلا ونهارا، يؤاكلان ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدَّقاهما في الرسالة، فلم يُجد ذلك كله شيئا، ولا دفع عنهما محذورا، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ أي: لكفرهما، ﴿وَقِيلَ﴾ أي: للمرأتين: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾.

وليس المراد بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: في فاحشة بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء كما قدمنا في سورة النور.

قال سفيان الثوري، عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قتة: سمعت ابن عباس يقول في هذه الآية ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح، فكانت تُخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه.

وقال العوفي، عن ابن عباس قال: كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تِطَّلِعُ على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحدٌ أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتهما في الدين، وهكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك وغيرهم.اهـ



النهي عن الخوض فيما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم.

قال الله تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ في موضعين [البقرة: آية: ١٣٤، وآية:١٤١].

والآيتان عامتان في أن الإنسان يحرص على ما ينفعه، ويترك ما لا يعنيه، مما لن يُسأل عنه أو يستفيد منه، ومن ذلك الخوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم.

وقال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «العقيدة الواسطية» (ص٣٠): ويُمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة.

ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ـ إن صدر ـ، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يُغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.

وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنهم خير القرون، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم.

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب، فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له؛ بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه.

فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا؛ فلهم أجران، وإن أخطؤوا؛ فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

ثم إن القدر الذي يُنكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور، في جنب فضائل القوم ومحاسنهم: من الإيمان بالله، ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم، وأكرمها على الله.اهـ

قلت: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين الصادقين الناصحين، والخوض في ذلك خطير، وتخرص بلا علم لا فائدة فيه للدين.

وقد بَسَطَ القول في هذه المسألة، بما لا نظير له مع تحرٍّ وإنصاف: الإمام ابن العربي، في كتابه: «العواصم من القواصم»، بتعليقات العلامة محب الدين الخطيب، رحمهما الله تعالى، بما قد لا تجده في غيره، والله أعلم.



تحريم سب دين الله تعالى أو شيء منه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

ومما لا شك فيه ولا ريب عند أحدٍ من المسلمين: أن من أذية الله ورسوله ﷺ سبَّ دين الله تبارك وتعالى، أوسب سنة رسول الله ﷺ.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢، ١٥]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ١٠٢): يقول تعالى: وإن نكث المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيمانهم أي: عهودهم ومواثيقهم وطعنوا في دينكم أي: عابوه وانتقصوه، ومن هاهنا أُخذ قَتْل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه، أو من طعن في دين الإسلام، أو ذكره بنقص، ولهذا قال: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ أي: يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال.

وقد قال قتادة وغيره: أئمة الكفر كأبي جهل، وعتبة وشيبة، وأمية بن خلف، وعدد رجالا .

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: مرَّ سعد بن أبي وقاص برجل من الخوارج، فقال الخارجي: هذا من أئمة الكفر فقال سعد: كذبت بل أنا قاتلت أئمة الكفر، رواه ابن مردويه.

وقال الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة أنه قال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مثله.

والصحيح: أن الآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش، فهي عامة لهم ولغيرهم، والله أعلم.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الصارم المسلول» (ص١٦): إن الذمي إذا سب الرسول، أو سب الله، أو عاب الإسلام علانية، فقد نكث يمينه، وطعن في ديننا، لأنه لا خلاف بين المسلمين أنه يعاقب على ذلك، ويؤدب عليه، فعُلم أنه لم يعاهد عليه، لأنا لو عاهدناه عليه، ثم فَعَلَه لم تجز عقوبته عليه، وإذا كنا قد عاهدناه على أن لا يطعن في ديننا ثم يطعن في ديننا، فقد نكث في دينه من بعد عهده، وطعن في ديننا، فيجب قتله بنص الآية، وهذه دلالة قوية حسنة.اهـ



تحريم الاستكبار على الله أو على رُسُلِه عليهم الصلاة والسلام أو شيءٍ من دين الإسلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقال تعالى مخبرا عن قوم نوح عليه السلام: ﴿وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧].

وقال الله تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «العقيدة الصفدية» (٢/ ٣١٤): ومن استكبر عن عبادة الله فلم يستسلم له؛ فهو معطل لعبادته، وهو شر من المشركين، كفرعون وغيره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].اهـ

تحريم الاستهزاء بالله وملائكته وكتبه ورسله أو شيءٍ من دينه

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

وتقدم ذكر سبب نزولها في (تحريم الاستهزاء بآيات الله تبارك وتعالى).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا﴾ [البقرة:٢٣١].

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (١/ ٢٧٥): قال الكلبي: وكل من خالف أمر الشرع؛ فهو متخذ آيات الله هزوًا.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].



وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الجاثية: ٧ - ٩].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٧ - ٥٨].

وقال ابن حزم رحمه الله في «المحلى» (١١/ ٤١٣): كل من سب الله تعالى أو استهزأ به، أو سب ملكًا من الملائكة أو استهزأ به، أو سب نبيًا من الأنبياء أو استهزأ به، أو سب آية من آيات الله تعالى، أو استهزأ بها، والشرائع كلها والقرآن من آيات الله تعالى؛ فهو بذلك كافر مرتد له حكم المرتد، وبهذا نقول.اهـ

تحريم الإيمان ببعض الشرع دون بعض

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٥٠ـ١٥٢].

قال قتادة رحمه الله: قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ...﴾: أولئك أعداء الله ـ اليهود والنصارى ـ: آمنت اليهودُ بالتوراة، وموسى عليه السلام، وكفروا بالإنجيل، وعيسى عليه السلام، وآمنت النصارى بالإنجيل، وعيسى عليه السلام، وكفروا بالقرآن، وبمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فاتخذوا اليهودية والنصرانية، وهما بدعتان ليستا من الله، وتركوا الإسلام، وهو دين الله الذي بَعَثَ به رُسله، رواه ابن جرير، برقم (١٠٧٦٥)، وابن أبي حاتم (٦١٧٩).

وقال السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٥٩): الواجب أن يُؤمن بما أنزل الله مطلقًا، سواء أنزل عليهم، أو على غيرهم، وهذا هو الإيمان النافع، الإيمان بما أنزل الله على جميع رسل الله، وأما التفريق بين الرسل والكتب، وزعم الإيمان ببعضها دون بعض، فهذا ليس بإيمان، بل هو الكفر بعينه.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿قُولُوا آَمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].



وقال جل جلاله: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٤].

وقال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

قال مقاتل بن حيان رحمه الله: قوله: ﴿**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾: لا نَكْفُر بما جاءت به الرسل، ولا نفرق بين أحد منهم، ولا نكذب، رواه ابن أبي حاتم (٣١٢٠).

وقال ابن زيد رحمه الله: قوله: ﴿**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾: كما صنع القوم -يعني: بني إسرائيل- قالوا: فلان نبي، وفلان ليس نبيًا، وفلان نؤمن به، وفلان لا نؤمن به، رواه ابن جرير برقم (٦٥٠٠).

قلت: كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩١].

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، رواه مسلم برقم (٨).

وبنحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم (٩٧).

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، أنه قال يارسول الله: أي الإسلام أفضل؟. قال: «**الإيمان**». قال: وما الإيمان؟. قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت**»، أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» برقم (٢٠١٠٧)، وأحمد (١٧٠٢٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٠١)، وفيه ولد عمرو بن عبسة، لا يُدرى ما اسمه، إلا أن له شواهد:

الأول: عن معاوية بن حيدة، أخرجه أحمد برقم (٢٠٠٢٢)، وأبـو داود (٢١٤٢)، مـن طريق بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، وبهز وأبوه صـدوقان، وبقيـة رجالـه ثقـات، فهـو حديث حسن.

والثاني والثالث: حديثَي عُمر، وأبي هريرة رضي الله عنهما ـ المتقدمان ـ يشهدان للقطعـة الأخـيرة منه.

والرابع والخامس، والسادس: حديث عبد الله ابـن عمـرو رضي الله عنهما، عنـد البخـاري بـرقم (١٢)، ومسلم (٣٩).

وحديث أبي موسى رضي الله عنه، رواه البخاري برقم (١١)، ومسلم (٤٢).

وحديث جابر رضي الله عنه، عند مسلم برقم(١٧١)، ثلاثتها تشهد للقطعة الأولى منه، وغيرها من الأدلة، والله أعلم.

وقد صحح حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، الحافظ العراقي رحمه الله، في «تخـريج الإحيـاء» (٤/ ٣٤٤)، والله أعلم.



فصلٌ: في بيان أن الكفر أو التكذيب بملَكٍ أو كتابٍ أو نبيٍ كفرٌ وتكذيب بهم جميعًا:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِين﴾ [البقرة:٩٧ـ ٩٨].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (ص٦٠): فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك، كفر بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملائكته؛ فإن عداوتهم لجبريل، لا لذاته بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله.

فيتضمن الكفر والعداوة للذي أنزله وأرسله، والذي أرسل به، والذي أُرسل إليه، فهذا وجه ذلك.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ [هود:٥٩].

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٤/ ١٨٤): قوله: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ يعني: هودًا وحده، وذكره بلفظ الجمع؛ لأن مَنْ كذّب رسولا، كان كمن كذَّب جميع الرسل.اهـ

وقال أبو السعود رَحِمَهُ اللهُ «تفسيره» (٤/ ٢١٩): قوله: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾: جَمَعَ الرسل مع أنه لم يُرسل إليهم غير هود عليه الصلاة والسلام، تفظيعًا لحالهم، وإظهارا لكمال كفرهم وعنادهم، ببيان أن عصيانهم له عليه الصلاة والسلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين؛ لاتفاق كلمتهم على التوحيد، لا نفرق بين أحد من رسله.اهـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ «تفسيره» (٤/ ٣٣١): قوله: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: كفروا بها، وعَصَوا رسل الله، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء؛ لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به، فعاد كفروا بنبي الله هود، فنُزِّلَ كفرهم به منزلة من كفر بجميع الرسل.اهـ

ومثل قوله تعالى: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾، قال أهل التفسير، في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥].

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣].

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٤١].

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٦٠].

وقوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٧٦].

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٣].

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر:٢٣]، وغيرها من الأدلة، والله أعلم.

تتمة: في كيفية الإيمان بالملائكة والكتب والرسل:

ذكر جمع من أهل العلم: أن الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، على قسمين: مجمل ومفصل:

فالإيمان بالملائكة على قسمين:

مجملٌ: وهو الإيمان بأنهم عالم غيبي، خُلقوا من نور، لا يأكلون ولا يتزوجون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُأمرون، ولا يُحْصَوْنَ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وغير ذلك مما وُصِفُوا به، عليهم الصلاة والسلام.

ومفصلٌ: وهو الإيمان بمن عرفنا اسمه منهم، وبما وكِّل به من العمل، كجبريل موكل بالوحي، ومالك بالنار، إلى غير ذلك.

والإيمان بالكتب على قسمين:

مجملٌ: وهو الإيمان بالكتب المنزلة، وأنها كلام الله تبارك وتعالى، ونؤمن بما فيها، مما لم يغير، ويبدل وينسخ، إلى غير ذلك مما يجب الإيمان به.



ومفصلٌ: وهو الإيمان بأن التوراة أنزلت على موسى، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمد، والزبور على داود، إلى غير ذلك.

والإيمان بالأنبياء والرسل على قسمين:

مجملٌ: وهو الإيمان بأن الله بعثهم مبشرين ومنذرين، إلى غير ذلك مما وصفهم الله به من الأعمال الجليلة، والصفات الحميدة، منهم من علمنا ومنهم من لم نعلم، قال الله تعالى: ﴿**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾ [غافر: ٧٨].

ومفصلٌ: وهو الإيمان بمن سمَّى الله في كتابه، أو رسوله ﷺ في سنته،كموسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ أُرسلا إلى بني إسرائيل، ومحمد ﷺ أُرسل إلى الناس عامة، وهلمَّ جر، والله أعلم(١).

---

(١) راجع: «شرح الطحاوية» لابن أبي العز رحمه الله (ص٥٨ ـ ٦١)، (٧٣ ـ ٧٥)، و«تفسير السعدي» عند قوله تعالى: ﴿**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وغيرهما من المصادر، والله أعلم.

تتمةٌ متعلِّقة بكُتب الله وملائكته وأنبيائهِ ورُسُلِه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

الأول: ذكر من سُمي في الكتاب والسنة من الملائكة:

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٩٧ ـ ٩٨].

وقال الله تعالى: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾ [الرعد: ١١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله «تفسيره» (٤/ ٤٣٧): أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حَرَس بالليل وحَرَس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار: فاثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدًا من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلًا حافظان وكاتبان، كما جاء في البخاري، ومسلم(١): **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟، فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون»**. وفي الحديث الآخر(٢): **«إن معكم من لا يفارقكم إلاَّ عند الخلاء، وعند الجماع، فاستحيوهم وأكرموهم»**.

---

(١) «البخاري» برقم (٥٥٥)، و«مسلم» (٦٣٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، والله أعلم.

(٢) **فيه كلامٌ وله شواهدُ**: رواه الترمذي برقم (٢٨٠٠)، عن ابن عمر رضي الله عنهما. راجع: «فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار» (٣/ ١٤٧٨)، و«ضعيف الترمذي» برقم (٥٢٩)، والله أعلم.



وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾، والمعقبات من أمر الله، وهي الملائكة.

وقال عِكْرِمة، عن ابن عباس: ﴿**يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾ قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خَلَّوا عنه.

وقال مجاهد: ما من عبد إلا له مَلَك موكل، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال الملك: وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه....

وروى ابن جرير هاهنا حديثا غريبًا جدًا ـ وساق بسنده ـ، عن عثمان رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أخبرني عن العبد، كم معه من ملك؟، فقال: «**ملك على يمينك على حسناتك، وهو آمر على الذي على الشمال، إذا عملت حسنة كتبت عشرا، فإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين: اكتب؟. قال: لا لعله يستغفر الله ويتوب، فإذا قال ثلاثا. قال: نعم، اكتب أراحنا الله منه، فبئس القرين ما أقل مراقبته لله، وأقل استحياءه منا، يقول الله:** ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨]، **وملكان من بين يديك ومن خلفك، يقول الله:** ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾ [الرعد:١١]، **وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبرت على الله قصمك، وملكان على شفتيك، ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد ﷺ، وملك قائم على فيك لا يَدَع الحية أن تدخل في فيك، وملكان على عينيك، فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار؛ لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وإبليس بالنهار، وولده بالليل**»(١).

---

(١) **قال العلامة أحمد شاكر** رحمه الله في «تعليقه على تفسير الطبري» (١٦/ ٣٧٠): فيه نكارة وضعف شديد، وانفرد بروايته أبو جعفر الطبري عن المثنى.اهـ. **ووصفه ابن كثير** رحمه الله **بقوله**: حديث غريب جدًا.اهـ

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: **«ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة»** قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: **«وإياي، ولكن أعانني الله عليه فلا يأمرني إلا بخير»**، رواه مسلم برقم (٧٢٨٦).

وقوله: ﴿**يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾ قيل: المراد حفظُهم له من أمر الله، رواه علي بن أبي طلحة، وغيره، عن ابن عباس، وإليه ذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النَّخَعي، وغيرهم.

وقال قتادة: ﴿**يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾ قال: وفي بعض القراءات: يحفظونه بأمر الله.

وقال بعضهم: ﴿**يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾ بأمر الله، كما جاء في الحديث أنهم قالوا: يا رسول الله، أرأيت رُقَى نسترقي بها، هل ترد من قَدَر الله شيئا؟، فقال: **«هي من قَدَر الله(١)»**.اهـ

وقال الألوسي رحمه الله في «تفسيره» (١٩/ ٣٢٤): روى ابن المنذر، وأبو الشيخ في «العظمة»، عن ابن المبارك أنه قال: وكِّل بالعبد خمسة أملاك، ملكان بالليل، وملكان بالنهار يجيئان ويذهبان، وملك خامس لا يُفارقه لا ليلاً ولا نهاراً.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...**﴾ [الزمر:٧٥]. وقال الله تعالى: ﴿**فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ**﴾ [فصلت:٣٨].

---

(١) **حسنٌ**: رواه الترمذي (٢٠٦٥)، عن أبي خُزامة بن يَعمُر عن أبيه رضي الله عنه. **وقال** رحمه الله: حديث حسن.اهـ

وله شاهد عند ابن حبان برقم (٦٠٦٨)، عن كعب بن مالك رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، أرأيت دواء نتداوى به ورقى نسترقي بها وأشياء نفعلها، هل ترد من قدر الله؟ قال: **«يا كعب بل هي من قدر الله»**.

قال العلامة الألباني رحمه الله في «تعلقاته على ابن حبان»: حسنٌ لغيره.اهـ



وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (ص٨٠٥): قوله: ﴿إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: مراقب له، حاضر لحاله، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢].اهـ

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٣١].

وروى البخاري برقم (٣٠٣٥)، ومسلم (١٦٤)، عن مالك بن صعصعة ﷺ - في حديث الإسراء -: **«فأتيت على إبراهيم فسلمتُ عليه، فقال: مرحبا بك من ابنٍ ونبيٍ، فرُفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يُصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»**.

وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كان ﷺ إذا قام من الليل يقول: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات، والأرض عالم الغيب والشهادة...**»، رواه مسلم (١٨٤٧).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤتى بجهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»، رواه مسلم (٧٣٤٣).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا»**، رواه أحمد برقم (٢١٥٥٥)، والترمذي (٢٣١٢)، **وقال**: حسن غريب.اهـ ورواه ابن ماجه (٤١٩٠)، والحاكم (٣٨٨٣)، **وقال**: صحيح الإسناد.اهـ(١).

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٧٢١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر، ولا كف إلا وفيه ملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا: سبحانك! ما عبدناك حَقَّ عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئًا»**، رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٨٤)(١).

بعض ما وُكّل به الملائكة ـ عليهم السلام ـ من الأعمال:

فمنهم الموكل بالوحي:

وهو جبريل، قال الله تعالى: **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾** [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥].

وهو أفضل الملائكة وأكرمهم على الله، وصفه اللهُ بالقوة والأمانة على تأدية مهمته، قال الله تعالى: **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾** [النجم:٥ـ٧].

وقال الله: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾** [التكوير:١٩ـ ٢١].

المواطن التي رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريلَ على صورته الحقيقية:

رآه صلى الله عليه وسلم في صورته التي خُلق عليها مرتين، وبقيتها كان يأتيه في صورة رجل:

الأولى: قال الله: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾** [التكوير: ٢٣].

---

(١) **حسنٌ بشواهده: قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٢): فيه عروة بن مروان.اهـ **قال الدارقطني** رحمه الله كما في «تاريخ الإسلام» (٥/ ٣٩٦): ليس بالقوى.اهـ **قلت**: ويُقوِّيه ما قبله، والله أعلم.



قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٨/ ٣٣٩): يعني: ولقد رأى محمدٌ جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿**بِالأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ أي: البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء.

وهي المذكورة في قوله: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾ [النجم:٥ ـ ١٠]، كما تقدم تفسيرُ ذلك وتقريره.اهـ

الثانية: ليلة الإسراء في السماء: قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾ [النجم:١٣ـ ١٥].

وروى مسلم (١٧٧)، عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير الآيتين المتقدمتين، فقال: «**إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين: رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بين السماء إلى الأرض**».

إذا سلمنا بأن جبريل عليه السلام هو من نزل بالقرآن فما معنى قول جبريل عليه السلام: «هذا ملك نزل إلى الأرض...أبشر بنورين أوتيتهما... فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة»:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «**هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يُفتح قط إلا اليوم**»، فنزل منه ملك، فقال: «**هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم**»، فسلم، وقال: «**أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما؛ إلا أعطيته**»، رواه مسلم برقم (١٩١٣).

قال القاري رحمه الله في «مرقاة المفاتيح» (١٧/ ١٠٥): قال ابن مسعود: فأُعطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي: تلك الليلة ـ ليلة الإسراء ـ، أو في ذلك المقام والحالة ثلاثًا أي: لها ـ هذه الأمة ـ على ما عداها مزية كاملة:

أُعطي الصلوات الخمس أي: فرضيتها، وأعطي خواتيم سورة البقرة أي: إجابة دعواتها.

فإن قلت هذا بظاهره يُنافي ما ثبت في «صحيح مسلم» وغيره، من حديث ابن عباس بينا جبريل، ـ وذكر الحديث السابق ـ وفيه: فقال يعني الملك الآخر: **«أبشر بنورين أُوتيتهما، لم يُؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما؛ إلا أُعطيته»**.

قلت: لا منافاة، فإن الإعطاء كان في السماء، من جملة ما أَوحى إلى عبده ما أوحى، بقرينة إعطاء الصلوات الخمس في المقام الأعلى، ونزول الملك المعظم لتعظيم ما أعطي، وبشارة ما خص به من بين سائر الأنبياء.

نعم يُشكل هذا بكون سورة البقرة مدنية، وقضية المعراج بالاتفاق مكية، فيُدفع باستثناء الخواتيم من السورة؛ فهي مدنيَّة باعتبار أكثرها، فقد نقل ابن الملك عن الحسن، وابن سيرين، ومجاهد: إن الله تعالى تولى إيحاءها بلا واسطة جبريل ليلة المعراج، فهي مكية عندهم.

وأما الجواب على قول الجمهور: أن السورة بكمالها مدنية، فقد قال التوربشتي: ليس معنى قوله: **«أُعطيَ»** أنها أُنزلت عليه، بل المعنى أنه استجيب له فيما لُقن، في الآيتين من قوله: سبحانه: ﴿**غُفْرَانَكَ رَبَّنَا**﴾ إلى قوله: ﴿**أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦]، ولمن يقوم بحقها من السائلين.

قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: في كلامه إشعار بأن الإعطاء بعد الإنزال؛ لأن المراد منه الاستجابة، وهي مسبوقة بالطلب، والسورة مدنية، والمعراج في مكة.

ويُمكن أن يُقال هذا من قبيل: ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ [النجم:١٠]، والنزول بالمدينة من قبيل: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ [النجم:٣ ـ ٥].اهـ



وحاصله: أنه وقع تكرار الوحي فيه تعظيمًا له، واهتمامًا بشأنه، فأوحى إليه في تلك الليلة بلا واسطة، ثم أوحى إليه في المدينة بواسطة جبريل.

وبهذا يتم أن جميع القرآن نزل بواسطة جبريل، كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤].

ويُمكن أن يُحمل كلام الشيخ، على أن المراد هنا بالإعطاء استجابة الدعاء، مما اشتمل الإتيان عليه، وهو لا ينافي نزولها بعد الإسراء إليه.

قال الطيبي رحمه الله: وإنما أُوثر الإعطاء، لما عبر عنها بكنز تحت العرش، فقد روينا عن أحمد بن حنبل: «**أُعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يعطهن نبي قبل**».اهـ

ومنهم الموكل بالقطر والنبات:

وهو ميكائيل: قال الله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٩٨]، وهو ذو مكانه عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه، ولذا خصَّه الله هنا بالذكر مع جبريل، وعطفهما على الملائكة مع أنهما من جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف الخاص على العام.

وفي الحديث: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل**» ـ تقدم تخريجه ـ.

ومنهم الموكل بالصُّور:

وهو إسرافيل: وهو ثالث الملائكة المفضلين، وأحد حملة العرش.

تعريف الصور:

الصور: قرنٌ عظيم يُنفخ فيه، روى أحمد (٢/ ١٦٢)، والحاكم (٢/ ٥٠٦)، واللفظ له، وصححه، ووافقه الذهبي، عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما الصور؟، فقال: «**قرن ينفخ فيه**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر**». قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟. قال: «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**»، رواه أحمد برقم (٣٠٠٨) والترمذي (٢٤٣١)(٢).

عدد نفخات الصور:

يُنفخ في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث: قال الله: ﴿**وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ**﴾ [النمل:٨٧].

وهذه هي نفخة الفزع، ودل على النفختين الأخريين: قوله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾ [الزمر:٦٨](٣).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع «صحيح الترمذي» برقم (١٩٧٩).

(٢) **حسنٌ لغيره**: راجع «صحيح الترمذي» برقم (١٩٧٩) و«تحقيق المسند» (٥/ ١٤٥).

(٣) راجع: «كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» (ص١٤٧).

الحكمة من تخصيصه ﷺ جبريل وميكائيل وإسرافيل في دعاء قيام الليل:

قال ابن القيم رحمه الله في «الزاد» (١/ ٤٣): فذكر هؤلاء الثلاثة مِن الملائكة؛ لكمال اختصاصهم، واصطفائهم، وقربهم من الله، وكم مِن مَلَك غيرِهم في السماوات، فلم يُسم إلا هؤلاء الثلاثة:

فجبريل: صاحبُ الوحي الذي به حياةُ القلوب والأرواح.

وميكائيلُ: صاحب القَطْرِ الذي به حياةُ الأرض والحيوان والنبات.

وإسرافيل: صاحب الصُور الذي إذا نفخ فيه، أحيت نفختُه بإذن الله الأموات، وأخرجتهم مِن قبورهم.اهـ

ومنهم الموكل بقبض الأرواح:

وهو ملك الموت، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾ [السجدة:١١].

وله أعوان من الملائكة، يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسنًا ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة، قال الله: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ**﴾ [الأنعام:٦١].

ويأتي تفصيل ذلك أكثر ـ إن شاء الله ـ في الكلام على حديث البراء.

ما صحة ما ورد من أن اسم ملك الموت عزرائيل:

في **«شرح الطحاوية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية»** (ص٨٧): وتسميته بعزرائيل لم يثبت في كتاب ولا سنة، وإن ورد عن أهل الكتاب، فلا نثبته ولا ننفيه؛ لقول النبي ﷺ: **«لا تصدقوهم ولا تكذبوهم»**.اهـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «أحكام الجنائز» (ص١٥٦): اسمه في الكتاب والسنة: ملك الموت، وأما تسميته بعزرائيل، فمما لا أصل له، خلافا لما هو المشهور عند الناس، ولعله من الإسرائيليات!.اهـ

وقال رحمه الله في «تخريجه للطحاوية» (ص٧٢): أما تسميته عزرائيل، كما هو الشائع بين الناس، فلا أصل له، وإنما هو من الإسرائيليات.اهـ

ومنهم الموكل بالجبال:

في حديث خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف، ـ قال صلى الله عليه وسلم: «**فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»، رواه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

والأخشبان: هما جبلا مكةَ: أبو قبيس، والذي يقابله.

ومنهم الموكل بالرَّحِم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله لأ وكَّل ملكًا يقول: يا ربِّ! نطفة. يا ربِّ! علقة. يا ربِّ مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه. قال: أذكر أم أنثى؟. شقي أم سعيد؟، فما الرزق والأجل؟، فيكتب في بطن أمه**»، رواه البخاري برقم (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).



ومنهم حملة العرش:

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [غافر: ٧].

وقال الله تعالى: ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة: ١٧].

قال بعض العلماء: الذين حول العرش هم (الكروبيون)، وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة(١).

ومنهم خازن الجنة وأعوانه:

قال تعالى: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ**﴾ [الرعد: ٢٣].

ما صحة ما ورد من أن اسم خازن الجنة رضوان؟

جاء عن أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعا: وفيه: «**ومن قرأ يس وهو في سكرات الموت؛ جاء رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة حتى يسقيه، وهو على فراشه حتى يموت ريان، ويبعث ريان**»(٢).

---

(١) راجع: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٢٠).

(٢) ضعيفٌ: لضعف هارون بن كثير. قاله في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦/ ٢٥٩).

ومنهم مالك خازن النار وأعوانه الخزان، وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٩].

وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٧ـ١٨].

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر:٣٠].

وقال: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧].

وفي حديث سَمُرَة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**رأيت الليلة رجلين أتياني، فقالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل**»، رواه البخاري برقم (٣٢٣٦).

ومنهم زوار البيت المعمور:

يدخل في كل يوم منهم البيت المعمور سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، كما في حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: «**ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل! ما هذا؟. قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم**»، رواه البخاري برقم (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، واللفظ لمسلم.

ومنهم سياحون يتتبعون حِلَق الذكر ويبلغون النبي صلى الله عليه وسلم السلام من أمته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله؛ تنادوا هلموا إلى حاجتكم ـ قال ـ فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**»، رواه البخاري برقم (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩)، واللفظ للبخاري.



وجاء أنهم يبلغونه ﷺ السلام، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: «**إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني من أمتي السلام**»، رواه أحمد (١/ ٤٥٢)، وهذا لفظه، والترمذي (١٢٨٢)(١).

ومنهم الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق:١٧ـ١٨].

قال مجاهد رحمه الله: ملك عن يمينه، وآخر عن يساره، فأمَّا الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر، رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٤).

ومنهم الموكل بفتنة القبر وسؤاله، وهما مُنْكَر ونَكِير:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيُقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا**»، رواه البخاري برقم (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، واللفظ للبخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قبر الميت ـ** أو قال: أحدكم **ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في**

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» ـ عقب رقم ـ (٢١٧٤).

هذا الرجل...الحديث»، رواه الترمذي (١٠٧٣) وابن حبان (٣١١٧)، واللفظ للترمذي، **وقال**: حديث حسن.اهـ(١).

فمما تقدم ذكره: علمنا تسمية من يلي: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وهاروت، وماروت، ورضوان ـ على خلاف في ثبوت خبره ـ، ومنكر، ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم.

وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيب وعتيد.

أو بذكر وظيفته: كملك الموت، وملك الجبال.

أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة: كحملة العرش، والكرام الكاتبين، والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطوَّاف البيت المعمور، والسياحين، إلى آخر من أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم، والله أعلم.

معنى أسماء بعض الملائكة:

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٣٤٣): قال ابن أبي حاتم: ـ وساق بسنده ـ عن ابن عباس. قال: إنما قوله: جبريل، كقوله: عبد الله، وعبد الرحمن. وقيل: جبر: عبد. وإيل: الله.

وقال محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن علي بن الحسين، قال: أتدرون ما اسم جبرائيل من أسمائكم؟. قلنا: لا. قال: اسمه عبد الله. قال: فتدرون ما اسم ميكائيل من أسمائكم؟. قلنا: لا. قال: اسمه عبيد الله. وكل اسم مرجعه إلى إيل فهو إلى الله.اهـ

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» عقب رقم (١٣٩١).



الثاني: **ذكر من سمي في الكتاب والسنة من الكتب:**

قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

ويقول الله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٦ ـ ٤٨].

وقال جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

قال ابن عباس رضي الله عنه: قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: يعني القرآن.اهـ(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبة:١١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف:١٥٠].

قال البغوي رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٢٨٤): قوله: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ التي فيها التوراة، وكان حاملا لها، فألقاها على الأرض من شدة الغضب قالت الرواة: كانت التوراة سبعة

---

(١) من «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٧).

أسباع، فلما ألقى الألواح تكسـرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع، فرفع ما كان من أخبار الغيب، وبقي ما فيه الموعظة والأحكام والحلال والحرام.اهـ

قلت: ما أريدُه: هو أن الألواح، المراد بها التوراة لا غيرها، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى**﴾ [النجم: ٣٦].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٧/ ٤١٤): قوله: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ**﴾ لم يُخبَر ﴿**بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى**﴾ يعني: أسفار التوراة.اهـ

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٧/ ٧٨): قوله: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**﴾ أي: ألم يخبر، ولم يحدّث بما في صحف موسى يعني: أسفاره، وهي التوراة، وبما في صحف إبراهيم، الذي وفَّى أي: تمم وأكمل ما أُمر به.

قال المفسرون: أي: بلَّغ قومه ما أُمر به وأدّاه إليهم.

وقيل: بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه، ثم بيّن سبحانه ما في صحفهما.اهـ

قلت: ما أريده: هو أن صحف موسى، المراد بها التوراة، وإثبات صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والله أعلم.

وقال جل جلاله: ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [الأعلى:١ـ ١٩].

تنبيه:

لم أجد من فرَّق بين التوراة والألواح، أو الصحف التي لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلا ما يأتي في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ المذكور بعد ورقة إن شاء الله تعالى. وعلى هذا يُقال: فالمراد بما تقدم من صحف موسى: التوراة تعددت أسمائها وصفاتها، والله أعلم.

فما علمنا من الكتب: التوراة والإنجيل، والزبور وصحف إبراهيم، والقرآن، والله أعلم.



هل لكل نبي أو رسول كتاب؟.

قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ**﴾ [الرعد: ٣٨].

وقال تعالى وتقدس: ﴿**وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ**﴾ [غافر: ٧٨].

وقال الله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال العلامة العثيمين رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٢٨): قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ**﴾ [البقرة:٢١٣]: والمعية هنا للمصاحبة، والمعية كلما أطلقت فهي للمصاحبة، لكنها في كل موضع بحسبه.

و﴿**الْكِتَابَ**﴾ هنا مفرد يراد به الجنس، فيعم كل كتاب، إذ لكل رسول كتاب.

وقد زعم بعض المفسرين أن قوله تعالى: ﴿**أَنْزَلَ مَعَهُمُ**﴾ أي: مع بعضهم، وقال: ليس كل الرسل معهم كتاب، ولكن هذا خلاف ظاهر القرآن.

وقد قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ**﴾ [الحديد: ٢٥].

فظاهر الآية: أن مع كل رسول كتاباً، وهذا هو مقتضى الحال حتى يكون هذا الكتاب الذي معه يبلغه إلى الناس.

ولا يَرِدُ على هذا: أن بعض الشرائع تتفق في مشروعاتها، وحتى في منهاجها، ولا يكون فيها إلا اختلاف يسير، كما في شريعة التوراة والإنجيل. فإن هذا لا يضر.

المهم: أن كل رسول في ظاهر القرآن معه كتاب؛ وكتاب بمعنى مكتوب، فمنه ما نعلم أن الله كتبه، ومنه ما لا نعلم أن الله كتبه، لكن تكلم به.اهـ

الثالث: ذكر من سُمي في الكتاب والسنة من الأنبياء والرسل:

فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...﴾ الآية [النساء: ١٦٣ـ ١٦٥].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٨٣ـ ٨٦].

وقد نص أهل العلم على أن عدد من ذُكر من الأنبياء والرسل في القرآن خمسة وعشرون، نُظموا في قول الشاعر:

في (تلك حجتنا) منهم ثمانية ... من بعد عشرٍ ويبقى سبعة وهم

إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذا الكفل آدم بالمختار قد خُتموا(١).

وفي الباب: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في «الصحيحين» ـ المشهور بحديث الشفاعة ـ

(١) راجع للمزيد: «شرح الواسطية» لهراس (ص٥٤ ـ طـ دار ابن تيمية).



وروى الحاكم (٢/ ٢٦٢)، عن أبي أمامة ﵁، أن رجلا قال يا رسول الله: أنبيا كان آدم؟. قال: «**نعم، معلم مكلم**». قال: كم بينه وبين نوح؟. قال: «**عشرة قرون**». قال: كم بين نوح وإبراهيم؟. قال: «**عشرة قرون**». قالوا يا رسول الله: كم كانت الرسل؟. قال: «**ثلاث مائة وخمس عشرة، جمًا غفيرا**»(١).

وعند الطبراني في «الكبير» (٧٥٤٥) زيادة: قال ﷺ: «**ثلاث مئة وثلاثة عشر**»(٢).

قلت: والقاعدة عند أهل العلم: أن الأقل يدخل تحت الأكثر، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٦٦٨)، و«الصحيح المسند» (٤٨١).

(٢) **صحيحةٌ**: راجع الصحيحة برقم (٢٦٦٨) و«الصحيح المسند» (٤٨٠)

ثم قال العلامة الألباني ﵀ - في المصدر السابق وبعد سوق الشواهد -: **وجملة القول**: إن عدد الرسل المذكورين في حديث الترجمة - حديث أبي أمامة السابق - صحيح لذاته -، وأن عدد الأنبياء المذكورين في أحد طرقه.

وفي حديث أبي ذر من ثلاث طرق، فهو صحيح لغيره، ولعله لذلك لمَّا ذكره ابن كثير في «تاريخه» (١/ ٩٧)، من رواية ابن حبان في «صحيحه» سكت عنه، ولم يتعقبه بشيء، فدل على ثبوته عنده.

وكذلك فعل الحافظ ابن حجر ﵀ في «الفتح» (٦/ ٢٥٧)، والعيني في «العمدة» (٧/ ٣٠٧)، وغيرهم.

وقال المحقق الألوسي ﵀ في «تفسيره» (٥/ ٤٤٩): زعم ابن الجوزي أنه موضوع، وليس كذلك. نعم. قيل: في سنده ضعف جُبر بالمتابعة.اهـ

وسبقه إلى ذلك والرد على ابن الجوزي الحافظ في «تخريج الكشاف» (٤/ ١١٤)، وهو الذي لا يسع الباحث المحقق غيره، كما تراه مبينًا في تخريجنا هذا، والحمد لله.اهـ

وفي عدد الأنبياء أحاديث أخرى، هي في الجملة متفقة مع الأحاديث المتقدمة، على أن عددهم أكثر من عدد الرسل: رُويت من حديث أبي سعيد الخدري، ومن حديث أنس بن مالك، من طرق عنه، عند أبي يعلى، والطبراني والحاكم، لعلنا نتفرغ لتتبعها، وتخريجها في المكان المناسب لها في فرصة أخرى - إن شاء الله تعالى -، ثم خرجتُها في «الضعيفة» برقم (٦٠٩٠).اهـ

وروى أحمد برقم (٢١٥٤٦)، عن أبي ذر رضي الله عنه ـ في حديث طويل ـ: قال: قلت يا نبي الله: فأي الأنبياء كان أول؟. قال: **«آدم»**. قال: قلت يا نبي الله: أو نبي كان آدم؟. قال: **«نعم، نبي مكلم، خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه من روحه، ثم قال له: يا آدم قبلا»**. قال: قلت: يا رسول الله: كم وفَّى عدد الأنبياء؟. قال: **«مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر، جمًّا غفيرًا»**(١).

ورواه ابن حبان برقم (٣٦١)، وفيه: قلت يا رسول: الله كم الأنبياء؟. قال: «**مئة ألف وعشرون ألفًا**». قلت: كم الرسل من ذلك؟. قال: «**ثلاث مئة وثلاثة عشر جمًّا غفيرا**»، قلت كم كتابًا أنزلهُ الله؟. قال: «**مئة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن**»(٢).

---

(١) **ضعيفٌ**: راجع: «تحقيق المسند» (٣٥/ ٤٣٢)، والله أعلم.

(٢) **ضعيفٌ**: راجع: «الضعيفة» برقم (١٩١٠)، والله أعلم.



تحريم قول: من خلق الله ونحوه وما يقول من ابتُلي بذلك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك، فإذا بلغه؛ فليستعذ بالله، ولينته**»، رواه البخاري برقم (٣٢٧٦)، ومسلم (٣٦٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقال: هذا خَلْقُ اللهِ** ـ الخلق ـ **فمن خلق الله؟، فمن وجد من ذلك شيئا؛ فليقل: آمنت بالله**»، رواه مسلم برقم (٣٦٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا: هذا الله خلقنا فمن خلق الله؟**» قال: ـ وهو آخذ بيد رجل ـ: صدق الله ورسوله، قد سألني اثنان، وهذا الثالث، أو قال: سألني واحد، وهذا الثاني، رواه مسلم برقم (٣٦٤).

وعن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا: هذا الله فمن خلق الله؟**». قال: فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله فمن خلق الله؟، فأخذ حصى بكفه فرماهم، ثم قال: قوموا قوموا، صدق خليلي، رواه مسلم برقم (٣٦٦).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٢٧٢): في رواية بدء الخلق: «**فإذا بلغه؛ فليستعذ بالله، ولينته**».

وفي لفظ لمسلم: «**فمن وجد من ذلك شيئًا، فليقل آمنت بالله**»، وزاد في أخرى: «**ورُسُلِه**».

ولأبي داود، والنسائي من الزيادة: فقولوا: «**الله أحد، الله الصمد** ـ ...السورة ـ، **ثم لِيتفل عن يساره، ثم ليستعذ**».



ولأحمد من حديث عائشة رضي الله عنها: «**فإذا وجد أحدكم ذلك، فليقل آمنت بالله ورسوله؛ فإن ذلك يذهب عنه**».

وقد ورد بزيادة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «**لا يزال الشيطان يأتي أحدكم، فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق الله، فإذا وجد ذلك أحدكم، فليقل آمنت بالله**».

وفي رواية: «**ذاك صريح الإيمان**»، ولعل هذا هو الذي أراد الصحابي، فيما أخرجه أبو داود، من رواية سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه فقالوا: يا رسول الله إنا نجد في أنفسنا الشيء يعظم أن نتكلم به، ما نحب أن لنا الدنيا وأنا تكلمنا به، فقال: «**أو قد وجدتموه؟ ذاك صريح الإيمان**».

ولابن أبي شيبة، من حديث ابن عباس: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أُحدِّث نفسي بالأمر، لأن أكون حُمَمَة أحب إليَّ من أن أتكلم به. قال: «**الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة**».

وقال الطيبي: قوله: «**نجد في أنفسنا الشيء**» أي: القبيح، نحو ما تقدم في حديث أنس، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وقوله: «**يعظم أن نتكلم به**» أي: للعلم بأنه لا يليق أن نعتقده.

وقوله في الحديث الآخر: «**فليستعذ بالله ولينته**» أي: يترك التفكر في ذلك الخاطر، ويستعيذ بالله، إذا لم يزل عنه التفكر.

والحكمة في ذلك: أن العلم باستغناء الله تعالى عن كل ما يوسوسه الشيطان أمر ضروري لا يحتاج للاحتجاج والمناظرة، فإن وقع شيء من ذلك فهو من وسوسة الشيطان، وهي غير متناهية، فمهما عورض بحجة يجد مسلكًا آخر من المغالطة والاسترسال، فيضيع



الوقت إن سلم من فتنته، فلا تدبير في دَفْعِه أقوى من الإلتجاء إلى الله تعالى بالاستعاذة به؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ الآية [الأعراف: ٢٠٠].اهـ

وقال رحمه الله ـ في قوله ﷺ ـ: «**فليقل الله الأحد**»: الصفات الثلاث منبهة على أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مخلوقًا، أما أحد، فمعناه: الذي لا ثاني له ولا مثل، فلو فُرِضَ مخلوقًا لم يكن أحدًا على الإطلاق... .

معنى قوله ﷺ: «ذاك صريح الإيمان»:

قال الحافظ رحمه الله ـ عقب كلامه السابق ـ: قوله: «**ذاك صريح الإيمان**» أي: عِلْمكم بقبيح تلك الوساوس، وامتناع قبولكم ووجودكم النفرة عنها دليل على خلوص إيمانكم، فإن الكافر يصر على ما في قلبه من المحال ولا ينفر عنه.

ونقل الخطابي بأن المراد بصريح الإيمان: هو الذي يعظم في نفوسهم إن تَكلَّمُوا به، ويمنعهم من قبول ما يُلقي الشيطان، فلولا ذلك لم يتعاظم في أنفسهم حتى أنكروه، وليس المراد أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان، بل هي من قبل الشيطان وكيده.

وقال المهلب: قوله: «**صريح الإيمان**»: يعني: الانقطاع في إخراج الأمر إلى ما لا نهاية له، فلا بد عند ذلك من إيجاب خالق لا خالق له؛ لأن المتفكر العاقل يجد للمخلوقات كلها خالقًا لأثر الصنعة فيها، والحدث الجاري عليها، والخالق بخلاف هذه الصفة، فوجب أن يكون لكل منها خالق لا خالق له، فهذا هو صريح الإيمان، لا البحث الذي هو من كيد الشيطان المؤدي إلى الحيرة.اهـ بتصرف.

فصلٌ: في تحريم قول القائل: ما المانع أن يخلق الخالق نفسه!؟ والاسترسال في ذلك:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٢٧٣) ـ قال ابن بطال: فإن قال الموسوس: فما المانع أن يخلق الخالق نفسه؟. قيل له: هذا ينقض بعضه بعضًا؛ لأنك أثبت خالقًا وأوجبت وجوده، ثم قُلْتَ: يخلق نفسه فأوجبت عدمه، والجمع بين كونه موجودًا معدومًا فاسد لتناقضه؛ لأن الفاعل يتقدم وجوده على وجود فعله، فيستحيل كون نفسه فعلا له.

وهذا واضح في حل هذه الشبهة؛ وهو يفضي إلى صريح الإيمان انتهى ملخصًا موضحًا.

وقال ابن التين: لو جاز لمخترع الشيء أن يكون له مخترع، لتسلسل فلا بد من الانتهاء إلى موجد قديم، والقديم من لايتقدمه شيء ولا يصح عدمه، وهو فاعل لا مفعول، وهو الله تبارك وتعالى.

وقال الكرماني: ثبت أن معرفة الله بالدليل فرض عين أو كفاية، والطريق إليها بالسؤال عنها متعين؛ لأنها مقدمتها لكن لما عُرف بالضرورة أن الخالق غير مخلوق أو بالكسب الذي يقارب الصدق كان السؤال عن ذلك تعنتا، فيكون الذم يتعلق بالسؤال الذي يكون على سبيل التعنت، وإلا فالتوصل إلى معرفة ذلك وإزالة الشبهة عنه صريح الإيمان، إذ لا بد من الانقطاع إلى من لا يكون له خالق دفعًا للتسلسل...ـ إلى قوله ـ:

ويُقال: إن نحو هذه المسألة وقعت في زمن الرشيد في قصة له مع صاحب الهند، وأنه كتب إليه: هل يقدر الخالق أن يخلق مثله، فسأل أهل العلم، فبدر شاب فقال: هذا السؤال محال؛ لأن المخلوق محدث، والمحدث لا يكون مثل القديم، فاستحال أن يُقال: يقدر أن يخلق مثله أو لا يقدر، كما يستحيل أن يُقال في القادر العالم: يقدر أن يصير عاجزًا جاهلًا.اهـ



تحريم قول: أن الله في كل مكان وأن ذلك دعوة إلى الحلول

قال الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥].

وقال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [الأعراف:٥٤] ـ في ستة مواضع ـ.

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٤٢٦): قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾: للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.

والظاهر المتبادر إلى أذهان المُشبِّهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]، بل الأمر كما قال الأئمة ـ منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري ـ: من شبه الله بخلقه؛ فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر. وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى.اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي**»، رواه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٦٩٦٩).

وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه**»(١).

---

(١) **صحيحٌ: قال ابن القيم** رحمه الله في «اجتماع الجيوش» (١/ ٢٦): رواه الخلال في «كتاب السنة» بإسناد صحيح، على شرط البخاري. اهـ **وقال العلامة الألباني** رحمه الله في «مختصر العلو» (ص٧٥): رواته ثقات.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١].

وقال الله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦ـ١٧].

وعن معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال: كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَلَ أُحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعظَّم ذلك عليَّ. قلت يا رسول الله: أفلا أعتقها؟. قال: «**ائتني بها**»، فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**». قالت: في السماء. قال: «**من أنا؟**». قالت: أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»، رواه مسلم برقم (٥٣٧).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء**»، رواه البخاري برقم (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال جاء زيد بن حارثة رضي الله عنه يشكو زينب، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**اتق الله، وأمسك عليك زوجك**»، قالت عائشة: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتمًا شيئًا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات، رواه البخاري برقم (٧٤٣٠).

وقال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في «الفتاوى» (٥/ ١٢١): قال بعض أكابر الشافعية: إن أدلة علو الله على عرشه في القرآن، ألف دليل، أو أزيد، وقال غيره: فيه ثلاث مائة.اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله في «اجتماع الجيوش» (١/ ٣٣): لو شئنا لأتينا على هذه المسألة بألف دليل.اهـ

قلت: قد ذكر ابن القيم رحمه الله بعضًا منها، في الكتاب المذكور، وكذا الذهبي، في كتاب «العلو»، وغيرهما.



وقد أجمع المسلمون على استواء الله على عرشه، استواء يليق بجلاله، كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعري رحمه الله في «رسالة إلى أهل الثغر» ـ الإجماع التاسع ـ (ص٩٦).

فائدة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (٣/ ٢١٩): قال أهل السنة في قول الله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ في ستة مواضع: أن الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز.اهـ

حكم من قال بأن الله في كل مكان:

قال أبو عبد الله الحاكم رحمه الله في «علوم الحديث» ـ النوع العشرين ـ: سمعت محمد بن صالح بن هانيء يقول: سمعت أبا بكر بن إسحاق بن خزيمة يقول: من لم يُقِر بأن الله على عرشه، قد استوى فوق سبع سمواته، فهو كافر به، يُستتاب فإن تاب وإلا ضُربت عنقه، وأُلقي على بعض المزابل، حيث لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن ريح جيفته، وكان ماله فيئًا لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر.اهـ(١).

قلت: وما أكثر الجُهال بهذه العقيدة، نسأل من الله أن يُفهنا جميعًا أمور ديننا.

فصلٌ: في معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ ونحوها من الآيات:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢١٩): قال الطلمنكي ـ أحد أئمة المالكية قبل ابن عبد البر، والباجي، وطبقتهما في كتاب ـ «الوصول إلى معرفة

---

(١) من «عون المعبود مع حاشية ابن القيم» (١٣/ ٢٤).

الأصول»: أجمع المسلمون من أهل السنة: على أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد:٤]، ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمُه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على العرش، كيف شاء.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في «العقيدة الواسطية» (ص١٢): وليس معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]: أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا تُوجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق عرشه رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش، وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف.اهـ

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «عون المعبود مع حاشية ابن القيم» (١٣/ ٢٤): **قال الضحاك** رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧] قال هو الله عز وجل، على العرش، وعلمُه معهم، ذكره البيهقي.

وقال مقاتل بن حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: بلغنا ـ والله أعلم ـ في قوله عز وجل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء، ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد كل شيء، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ فوق كل شيء، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣] أقرب من كل شيء، وإنما يعني بالقرب بعلمه وقدرته، وهو فوق.

وفي «الصحيحين»، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لما قضى الله الخلق، كتب في كتاب فهو عنده فوق عرشه، إن رحمتي غلبت غضبي»**.

وفي لفظ البخاري: **«وهو وضع عنده على العرش»**.

وفي لفظ له ـ أيضًا ـ: **«فهو مكتوب فوق العرش»**، ووضع بمعنى: موضوع مصدر بمعنى المفعول كنظائره.اهـ مختصرا.



تحريم الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [الأنعام:٩٣].

وقال الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:٢١]. وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٤].

وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف:٣٧].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس:٦٨-٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تكذبوا عليَّ، فإنه من كذب عليَّ؛ فليلج النار**»، رواه البخاري برقم (١٠٦)، ومسلم (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار**»، رواه البخاري برقم (١١٠)، ومسلم (٤).

وعن المغيرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن كذبًا عليَّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار»**، رواه البخاري برقم (١٢٩١)، ومسلم (٥).

وعن أنس رضي الله عنه قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثًا كثيرًا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«من تعمد عليَّ كذبًا؛ فليتبوأ مقعده من النار»**، رواه البخاري برقم (١٠٨)، ومسلم (٣).

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«من كذب عليَّ؛ فليتبوأ مقعده من النار»**، رواه البخاري برقم (١٠٧).

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **«من يقل عليَّ ما لم أقل؛ فليتبوأ مقعده من النار»**، رواه البخاري برقم (١٠٩).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لا أقول اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«من كذب عليَّ ما لم أقل؛ فليتبوأ بيتًا من جهنم»**، رواه أحمد برقم (١٧٨٢٥)(١).

وقال الإمام الترمذي رحمه الله في «سننه» ـ عقب رقم (٢٦٦٠) ـ: وفي الباب عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، والزبير، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن عمرو، وأنس، وجابر، وابن عباس، وأبي سعيد، وعمرو بن عبسة، وعقبة بن عامر، ومعاوية، وبريدة، وأبي موسى، وأبي أمامة، وعبد الله بن عمر، والمقنع، وأوس الثقفي رضي الله عنهم.اهـ

قلت: وأدلة هذا الباب، مما تواترت الأخبار بتحريمه، **قال الناظم**:

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتًا واحتسب

وحجة شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذا بعضُ.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيح المسند» برقم (٩٣٧)، و«تحقيق المسند» (٢٨/ ٦٥٧).



تحريم القول على الله تعالى بغير علم

قال الله تعالى مخبرا عن اليهود: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٨٠].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٨ـ ١٦٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (١/ ٣١): رتَّب الله المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها، وهو الفواحش، ثم ثنىَّ بما هو أشد تحريمًا منه، وهو الإثم والظلم، ثم ثلَّث بما هو أعظم تحريمًا منهما، وهو الشرك به سبحانه، ثم ربَّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله، وهو القول عليه بلا علم.

وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم، في أسمائه وصفاته وأفعاله، وفي دينه وشرعه.اهـ

تحريم إحلال ما حرم الله أو تحريم ما أحلَّ الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٦ ـ ١١٧].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:١٣٨ـ١٤٠].

قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾، يعني: اللبن، كانوا يحرمونه على إناثهم، ويشربونه ذكرانهم، وكانت الشاة إذا ولدت ذكرًا ذبحوه، فكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تُركت فلم تذبح، رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (٧٩٥٩).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رحمه الله: قال المشركون: إن شئنا جعلنا للبنات فيه نصيبًا، وإن شئنا لم نجعل، وهذا أمر افتروه على الله سيجزيهم بما كانوا يفترون، رواه ابن أبي حاتم ـ أيضًا ـ في «تفسيره» برقم (٧٩٥٨).



وقال الله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٣ ـ ١٤٦].

وقال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨ـ١٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة:٣٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٤/ ١٥٠): كان فيهم من القوة الغضبية والشهامة والحمية ما استطالوا به مدة الأشهر الثلاثة، في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم وتأخيره إلى صفر، فيحلون الشهر الحرام، ويحرمون الشهر الحلال، ليُواطئوا عدة الأشهر الأربعة... .

وقد تكلم الإمام محمد بن إسحاق، على هذا، في كتاب «السيرة» كلامًا جيدًا ومفيدًا حسنًا، فقال: كان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحل منها ما حرم الله، وحرم منها ما أحل الله عَزَّ وَجَلَّ القَلَمَّس، وهو: حذيفة بن عبد مُدْرِكة بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيمة بن مدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعدَّ بن عدنان، ثم

قام بعده على ذلك ابنه عَبَّاد، ثم من بعد عباد ابنه قَلَع بن عباد، ثم ابنه أمية بن قلع، ثـم ابنـه عوف بن أمية، ثم ابنه أبو ثمامة جنادة بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام، فكانـت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه، فقام فيهم خطيبًا، فحرم رجبًا، وذا القعـدة، وذا الحجة، ويحل المحرم عاما، ويجعل مكانه صفر، ويحرمه عاما ليواطئ عدة ما حرم الله، فيحل ما حرم الله، يعني: ويحرم ما أحل الله ...الخ.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ [يونس: ٥٩- ٦٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم أهل الشرك، كانوا يُحِلُّون الأنعام ما شاءوا ويحرمون ما شاءوا، روا ه ابن جرير (١٢/ ٢٠٢)، وابن أبي حاتم برقم (١١٢٧٣)، من طريق العوفي.

وعن جابر رضي الله عنه أن رجلًا قال يا رسول الله: أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئا أ أدخل الجنة؟، قال: «**نعم**»، قال: والله لا أزيد على ذلك شيئًا، رواه مسلم برقم (١١٩).

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١/ ٧٨): وأما قوله: وحرمت الحرام: فقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: الظاهر أنـه أراد بـه أمـرين: أن يعتقـده حرامًـا، وأن لا يفعله بخلاف تحليل الحلال؛ فإنه يكفي فيه مجرد اعتقاده حلالًا.اهـ

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن ربي أمـرني أن أعلمكـم مـا جهلتم مما علَّمني يومي هذا، كل مالٍ نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفـاء كلهـم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم مـا أحللـت لهـم، وأمـرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**»، رواه مسلم برقم (٧٣٨٦).

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٩/ ٢٤٧): ومعنى «**نحلته**»: أعطيته أي: قال الله تعالى: كل مال أعطيته عبدًا من عبادي فهو له حلال، والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة، والوصيلة، والبحيرة، والحامي، وغير ذلك، وأنها لم تصر حرامًا بتحريمهم، وكل مال ملكه العبد فهو له حلال، حتى يتعلق به حق.اهـ

وقال مالك ابن نضلة رضي الله عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هل تنتج إبل قومك صحاحًا آذانها، فتعمد إلى موسى فتقطع آذانها، فتقول هذه بحر، وتشقها ـ أو تشق جلودها ـ، وتقول هذه صرم، وتُحرِّمها عليك وعلى أهلك؟». قال: نعم. قال: «فإن ما آتاك الله عز وجل لك، وساعد الله أشد، وموسى الله أحد ـ وربما قال ـ: ساعد الله أشد من ساعدك، وموسى الله أحد من موساك» رواه أحمد برقم (١٦٣٠٨)، وغيرُه(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله العافية، فإن الله لم يكن نسيًا** ـ ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ [مريم:٦٤] ـ»، رواه الحاكم برقم (٣٤١٩) **وقال**: صحيح الإسناد.اهـ ووافقه الذهبي(٢).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الترغيب» برقم (١٠٣٩)، و«الصحيح المسند» (١٠٩٩)، و«تحقيق المسند» (٣٥/ ٢٢٤).

(٢) **حسنٌ**: وتقدم تخريجه والحكم عليه، مع ذكر شواهده، في (تحريم نسبة السهو أو النسيان إلى الله تبارك وتعالى) فيُراجع، والله أعلم.

فصلٌ: في كفر مستحل ما حرَّم الله أو محرِّم ما أحل الله بشروطه وضوابطه:

قال الإمام ابن حزم رحمه الله في «الفصل» (٣/ ١١٤): من أحل ما حرم الله تعالى، وهو عالم بأن الله تعالى حرَّمه؛ فهو كافر بذلك الفعل نفسه، وكل من حرَّم ما أحل الله تعالى؛ فقد أحل ما حرم الله عز وجل؛ لأن الله تعالى حرَّم على الناس أن يحرموا ما أحل الله.اهـ

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في «النيل» (٩/ ٧٢): ومن استحل ما هو حرام؛ كَفَرَ بالإجماع.اهـ

وقال العلامة ابن باز رحمه الله كما في «مجموع فتاويه» (١/ ١٣١): وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة؛ كالزنا، والخمر، والربا، والحكم بغير شريعة الله، فهو كافر بإجماع المسلمين، ونسأل الله أن يوفقنا جميعًا لما يرضيه، وأن يهدينا وجميع المسلمين صراطه المستقيم إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.اهـ

قلت: وأدلة الإجماع من الكتاب والسنة كثيرة، منها ما سبق قبل هذا الفصل، والله أعلم.



فصلٌ آخر: في النهي عن ترك الحلال بحجة التعبد:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ذُكر لرسول الله ﷺ أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، فقال ﷺ: «**أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي؛ فليس مني**»، رواه البخاري برقم (٥٠٦٣)، ومسلم (٣٤٠٣)، ولفظة: «**ولا آكل اللحم**»، انفرد بها مسلم، والله أعلم.

قال القرطبي رحمه الله في «المفهم» (١٢/ ١٢١): هؤلاء القوم حَصَلَ عندهم: أنَّ الانقطاعَ عن ملاذِّ الدُّنيا من النساء والطَّيِّب من الطَّعام والنوم، والتَّفرغ لاستغراق الأزمان بالعبادات أولى، فلما سألوا عن عمل رسول الله ﷺ وعبادته، ولم يدركوا من عبادته ما وقع لهم: أَبْدَوْا فارقًا بينهم وبين النبي ﷺ: بأنَّه مغفورٌ له، ثمَّ أَخبر كلُّ واحد منهم بما عَزَمَ على فعله، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ أجابهم ببيان المعنى الفارق بقوله: «**إني أخشاكم لله**».

وتَقْرِيرُ ذلك: إني وإن كنت مغفورًا لي فخشية الله وخوفه، يحملني على الاجتهاد وملازمة العبادة، ولكن طريق العبادة ما أنا عليه، فمن رغب عنه وتركه؛ فليس على طريقي في العبادة.

قلت: ويوضح هذا المعنى ويُبيِّنَه: أنَّ عبادة الله إنَّما هي امتثالُ أوامره الواجبة والمندوبة، واجتناب نواهيه المحظورة والمكروهة، وما من زمان من الأزمان إلا وتتوجَّهُ على المكلَّف فيه أوامر أو نواهٍ، فمن قام بوظيفة كل وقت فقد أدَّى العبادة، وقام بها. فإذا قام بالليل مصلِّيًا: فقد قام بوظيفة ذلك الوقت، فإذا احتاج إلى النوم لدفْع ألم السّهر، ولتقوية النفس على العبادة، ولإزالة تشويش مدافعة النوم المشوَّش للقراءة، أو لإعطاء الزوجة حقَّها من المضاجعة: كان نومُه ذلك عبادةً كصلاتِه.

وقد بيّن هذا المعنى سلمان الفارسي لأبي الدرداء رضي الله عنهما بقوله: لكنِّي أقوم وأنام، وأحتسب في نومتي ما أحتسبه في قَوْمتي، وكذلك القول في الصيام.

وأمَّا التزويج: فيجري فيه مثل ذلك وزيادة نيَّة تحصين الفرج، والعين، وسلامة الدين، وتكثير نسل المسلمين، وبهذه القصود الصحيحة تتحقق فيه العبادات العظيمة.اهـ

فصلٌ آخر: **في معنى قوله ﷺ**: **«فمن رغب عن سنتي فليس مني»**:

قال في «المنهاج» (٩/ ٨): معناه: من رغب عنها إعراضًا عنها، غير معتقد على ما هي، والله أعلم.اهـ

وقال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٩/ ١٠٥): قوله: **«فمن رغب عن سنتي فليس مني»**: المراد بالسنة الطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الأعراض عنه إلى غيره.

والمراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري؛ فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفَّوْهُ بما التزموه، وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة، وإعفاف النفس، وتكثير النسل.

وقوله: **«فليس مني»**: إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه، فمعنى **«فليس مني»** أي: على طريقتي ولا يلزم أن يخرج عن الملة، وإن كان إعراضًا وتنطعًا يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله، فمعنى **«فليس مني»**: ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر.اهـ



تحريم طاعة العلماء أو الأمراء والولاة في معصية الله تعالى

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ**... الآية﴾ [التوبة:٣١]، فقلت يا رسول الله: إنهم لم يعبدوهم؟، فقال: «**بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم**»، أخرجه الترمذي برقم (٣٠٩٥) **وقال**: هذا حديثٌ غريبٌ، لا نعرفُه إِلاَّ من حديث عَبْد السَّلام بن حَرْب، وغُطَيْف بن أَعْيَن ليس بمعروفٍ في الحديث.اهـ(١).

قال في «فتح المجيد» (ص٣٩٠): الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان، في معصية الله عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة:٣١].

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام:١٢١].

وهذا قد وقع فيه كثير من الناس مع من قلدوهم، لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المقلد، وهو من هذا الشرك.اهـ

قلت: وما زال ولا يزال، وإلا زماننا هذا: وقوع بعض المسلمين، في أمور حرَّمها الله ورسوله ﷺ، أحلها لهم الأعداء، واعتبَرها البعض دينًا، وعلى وجه الإشارة لا الدلالة: الانتخابات، والمظاهرات، والمساوات، والاختلاط ونحوها، مما لا يمر على المسلمين ساعة فأكثر، إلَّا وهم يذوقون ويلات تحليل تلك المحرَّمات، اللهم عافنا واعف عنا، وارحمنا يارب العالمين، فإنك أعلم وأحكم، وأرحم، والله المستعان.

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم السابق ـ.

تحريم تغيير خلق الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء:١١٧ـ١٢١].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٤١٥): قوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾: قال قتادة، والسدي، وغيرهما: يعني تشقيقها، وجعلها سِمَةً وعلامة للبحيرة، والسائبة.

وقوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾. قال ابن عباس: يعني بذلك خصاء الدواب.

وكذا رُوي عن ابن عمر، وأنس، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، وأبي عياض، وأبي صالح، وقتادة، والثوري، وقد وَرَدَ في حديث النهي عن ذلك.

وقال الحسن ابن أبي الحسن البصري: يعني بذلك الوَشْم، وفي «صحيح مسلم»: النهي عن الوشم في الوجه، وفي لفظٍ: **«لعن الله من فعل ذلك»** ـ يأتي تخريجها إن شاء الله ـ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد ـ يقال لها أم يعقوب ـ، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن هو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللَّوحين فما وجدت فيه ما تقول. قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأتِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧] قالت: بلى. قال: فإنه قد نهى عنه. قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه. قال: فاذهبي

فانظري، فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئا، فقال: لو كانت كذلك ما جامعتنا، رواه البخاري برقم (٤٦٠٤)، ومسلم (٢١٢٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة»**، رواه البخاري برقم (٥٥٩٣)، ومسلم (٢١٢٤).

قال نافع رحمه الله: الوشم في اللثة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة»**، رواه البخاري برقم (٥٥٨٩).

وعن عائشة رضي الله عنها، أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها، فتمعط شعر رأسها، فجاءت إلى النبي ﷺ، فذكرت ذلك له، فقالت: إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها، فقال: **«لا إنه قد لُعن الموصلات»**، رواه البخاري برقم (٤٩٠٩)، ومسلم (٢١٢٣).

وعن أسماء رضي الله عنها قالت: سَألتِ امرأةٌ النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن ابنتي أصابتها الحصبة، فامزَّق شعرها، وإني زوجتها أفأصل فيه؟ فقال: **«لعن الله الواصلة والمستوصلة»**، رواه البخاري برقم (٥٥٩٧)، ومسلم (٢١٢٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ـ في رواية عنه ـ، ومجاهد، وعكرمة ـ أيضًا ـ، وإبراهيم النخَعي، والحسن، وقتادة، والحكم، والسدّي، والضحاك، وعطاء الخُراساني في قوله: **﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾**: يعني: دين الله عز وجل.

وهذا كقوله تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [الروم: ٣٠].

وقول أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من**

جدعاء؟»، ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: **﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾** [الروم:٣٠]، رواه البخاري برقم (١٢٩٢)، ومسلم (٢٦٥٨).

وفي رواية لمسلم برقم (٦٩٢٩): **«فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويشركانه»**.اهـ بتصرف.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لعن الله من غير منار الأرض**»، رواه مسلم برقم (٥٢٣٩).

وعن جابر رضي الله عنه قال مرَّ النبيُ صلى الله عليه وآله وسلم على حمار قد وُسم في وجهه، فقال: «**لعن الله الذي وسمه**»، رواه مسلم برقم (٥٦٧٤).

وعن مالك ابن نضلة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا قشف الهيئة، فقال: «**هل لك مال؟**». قلت: نعم. قال: «**من أي المال؟**». قلت: من كل المال: من الإبل، والرقيق، والخيل، والغنم، فقال: «**إذا آتاك الله مالًا؛ فليُر عليك**»، ثم قال: «**هل تنتج إبل قومك صحاحًا آذانها، فتعمد إلى موسى فتقطع آذانها، فتقول: هذه بحر، وتشقها أو تشق جلودها، وتقول: هذه صرم، وتحرِّمها عليك وعلى أهلك؟**». قال: نعم. قال: «**فإن ما آتاك الله عز وجل لك، وساعد الله أشد، وموسى الله أحد**» ـ وربما قال ـ: «**ساعد الله أشد من ساعدك، وموسى الله أحد من موساك**»، رواه أحمد برقم (١٦٣٠٨)(١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الترغيب» برقم (١٠٣٩)، و«الصحيح المسند» (١٠٩٩)، و«تحقيق المسند» (٣٥/ ٢٢٤).



فصلٌ: في ذكر جملة من الأفعال التي تأخذ حكم تغيير خلق الله تعالى:

مما يدخل في (تحريم تغيير خلق الله تعالى): جملة من الأفعال، أذكرها مختصرة للفائدة، وقد بسطتُ الكلام عليها، مع ذكر الراجح فيما اختُلف فيه منها، في «الشامل في العقيدة» ـ أصل هذا المختصر ـ نفع الله به وبكاتبه الإسلام والمسلمين، وجعله خالصًا لوجهه الكريم.

الأول والثاني: خصي الإنسان، أو الحيوان، لغير ضرورة.

الثالث والرابع: وسم الإنسان، أو الحيوان.

الخامس والسادس: المُثلة بالمسلم أو الكافر، ولو على وجه القصاص.

السابع والثامن: التفلُّج للرجال، أو النساء.

التاسع والعاشر: النمص للرجال، أو النساء.

الحادي عشر والثاني عشر: الوشر للرجال، أو النساء.

الثالث عشر: حلق اللحية للرجال.

الرابع عشر والخامس عشر: حلق شعر الساقين والذراعين وغيرهما، من مواضع الجسم ـ غير ما أمر الشرع أو رخَّص بحلقه أو نتفه، ـ للرجال أو النساء.

السادس عشر: حلق العُنفقة للرجال.

السابع عشر والثامن عشر: قطع العضو الزائد ـ أصبعا كان أو غيره ـ للجنسين.

التاسع عشر: قطع عضو من أعضاء الحيوان لغير ما ضرورة.

العشرون والحادي والعشرون: وصل الشعر للرجال، أو النساء.

الثاني والثالث والعشرون: صَبغ الشعر بالسواد ـ لغشٍ أو غيره ـ للجنسين.

وغيرُها مما يُماثلها فعلا أو حكمًا الكثير، ممايشملها أدلة تحريم تغيير خلق الله تبارك وتعالى، والله أعلم.

النهي عن فعل ما خص الله به نفسه ومنه التعذيب بالنار

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعث، وقال لنا: **«إن لقيتم فلانًا وفلانًا** ـ لرجلين من قريش سماهما ـ **فحرِّقوهما بالنار»**. قال: ثم أتيناه نودِّعه حين أردنا الخروج، فقال: **«إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا بالنار، وإن النار لا يعذِّب بها إلا الله، فإن أخذتموهما، فاقتلوهما»**، رواه البخاري برقم (٢٧٩٥).

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (٦/ ١٥٠): أخرج سعيد بن منصور، عن ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، أن هبَّار بن الأسود، أصاب زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء، وهي في خدرها، فأسقطت، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية، فقال: **«إن وجدتموه فاجعلوه بين حزمتي حطب، ثم أشعلوا فيه النار** ـ ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم ـ: **إني لأستحي من الله، لا ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله»**. وقد أسلم هبار هذا... .

واختلف السلف في التحريق: فكره ذلك عمر، وابن عباس، وغيرهما مطلقًا، سواء كان ذلك بسبب كفر، أو في حال مقاتلة، أو كان قصاصًا، وأجازه علي وخالد بن الوليد وغيرهما.

وقال المهلب: ليس هذا النهي على التحريم، بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة، وقد سمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعين العُرنيين بالحديد المحمى.

وقد حرَّق أبو بكر البغاة بالنار، بحضرة الصحابة.

وحرَّق خالد بن الوليد بالنار ناسًا من أهل الردة، وأكثر علماء المدينة يُجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهلها، قاله الثوري والأوزاعي.

وقال ابن المنير وغيره: لا حجة فيما ذُكر للجواز؛ لأن قصة العرنيين كانت قصاصًا أو منسوخة، وتجويز الصحابي معارض بمنع صحابي آخر.



وقصة الحُصُون والمراكب مقيدة بالضرورة إلى ذلك، إذا تعين طريقًا للظفر بالعدو، ومنهم من قيَّده: بأن لا يكون معهم نساء ولا صبيان.

وأما حديث الباب فظاهر النهي فيه التحريم، وهو ناسخ لأمره المتقدم، سواء كان بوحي إليه أو باجتهاد منه، وهو محمول على من قصد إلى ذلك، في شخص بعينه.

وقد اختلف في مذهب مالك في أصل المسألة، وفي التدخين، وفي القصاص بالنار.

وفيه: كراهة قتل مثل البرغوث بالنار.اهـ مختصرًا.

وعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قَرَصَتْ نملةٌ نبيًا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح»**، رواه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم (٢٢٤١).

قال النووي ﵀ في «شرح مسلم» (١٤/ ٢٣٨): قال العلماء: هذا الحديث محمول على أن شرع ذلك النبى ﷺ كان فيه جواز قتل النمل، وجواز الإحراق بالنار، ولم يعتب عليه فى أصل القتل والإحراق، بل فى الزيادة على نملة واحدة، وأما فى شرعنا: فلا يجوز الاحراق بالنار للحيوان، إلا إذا أُحرق إنسانًا، فمات بالإحراق، فلوليه الاقتصاص بإحراق الجانى، وسواء فى منع الإحراق بالنار القمَّل وغيره؛ للحديث المشهور: «**لا يعذب بالنار إلا الله**».اهـ

وقال ابن مسعود ﵁ كنا مع النبي ﷺ في سفر، فرأى قرية نمل قد حرَّقناها، فقال: «**من حرَّق هذه؟**». قلنا نحن. قال: «**إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلَّا رب النار**»، رواه أبو داود برقم (٢٦٧٧)(١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف أبي داود»: ـ عقب الرقم السابق ـ.

وقال العلامة العباد ـ حفظه الله ـ في «شرح أبي داود» ـ تحت الرقم السابق ـ: قوله: **«إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»**، هذا محل الشاهد، فلا يُعذَّب الإنسان ولا الحيوان بالنار، لا يعذِّب بالنار إلا رب النار.اهـ

وعن عكرمة: أن عليًا رضي الله عنه حرَّق قومًا، فبلغ ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لا تعذبوا بعذاب الله»**، ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«من بدل دينة فاقتلوه»**، رواه البخاري برقم (٢٨٥٤).

وعن حمزة الأسلمي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّره على سرية. قال: فخرجت فيها، وقال: «**إن وجدتم فلانا فأحرقوه بالنار**»، فولَّيتُ، فناداني، فرجعت إليه، فقال: «**إن وجدتم فلانا فاقتلوه ولا تحرقوه؛ فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار**»، رواه أبو داود برقم (٢٦٧٣)(١).

قال العلامة العباد ـ حفظه الله ـ في «شرح سنن أبي داود» ـ تحت الرقم السابق ـ: أورد أبو داود رحمة الله تعالى عليه: حديث حمزة الأسلمي رضي الله عنه، فدل هذا على أن التحريق بالنار لا يجوز، اللهم إلا إذا كان على سبيل القصاص، بأن يكون حرَّق غيره فيحرق هو.اهـ

قلت: وقول العلامة العباد تدعمه أدلة المقاصصة، ولو تركه الإنسان في أحواله كلها، فحسنٌ؛ لعموم النهي، ولقوله صلى الله عليه وسلم: **«وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة»**، وغيرها، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح أبي داود» برقم (٢٣٢٧)، والله أعلم.



فصلٌ: في ذكر بعض ما يلحق بهذا الباب مما له حكمه:

قد ذكر بعض أهل العلم أمورا، تأخذ حكم حرمة التعذيب بالنار، بسطت بعضها في «الشامل في العقيدة» ـ أصل هذا المختصر ـ نفع الله به، وبكاتبه، ومنها على وجه الاشارة لا الاستطراد مايلي:

الأول: قذف الصواريخ والقنابل، والرصاص الحارقة.

الثاني: ما يُستعمل لقتل الذباب، أو البعوض وغيرهما، بواسطة شبكٍ مكهرب.

الثالث: ما يستخدمه بعض من يَقرئ على الممسوسين ـ عافى الله مرضى المسلمين ـ.

الرابع: ما يُعاقب به في بعض سجون المسلمين، وغيرهم، مما فيه إحراق بالنار، وغيرها مما يشمله عموم النهي الوارد في الأدلة، مما هو له حكم التحريق بالنار، سواء كان تحريق كلي أو جزئي، والله المستعان، ونسأله العفو والغفران؛ فإنه أعلم وأحكم وأرحم.

فائدةٌ:

روى الإمام أحمد برقم (٢٢٢٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٦٣)، وغيرهما، عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أقبل من خيبر، ومعه غلامان، فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله أخدمنا، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«خذ أيهما شئت»**، فقال: خر لي، قال: **«خذ هذا ولا تضربه؛ فإني قد رأيته يصلي مَقْبَلْنا من خيبر، وإني قد نُهيت عن ضرب أهل الصلاة»**(١).

والحديث شامل لكل من يُصلي، وقد يَرى ولات أمور المسلمين، نوعَ تأديبٍ وتعزيرٍ؛ لمصلحة عندهم تقتضي ذلك، ولو سلكوا غير الضرب والتعذيب، فحسن، فقد **قال عبد الله**

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «صحيح الأدب المفرد» برقم (١٢١)، و«الصحيح المسند» (٤٨٥)، و«تحقيق المسند» (٣٦/ ٤٧٦)، والله أعلم.

بن عبد الحكم، بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري (المتوفى ٢١٤هـ) في «سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه» (ص٦١) **ما نصه:**

وكتب ـ أي: أمير المؤمنين، عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ ـ إلى عدي بن أرطأة، وكان عاملًا على البصرة: أمَّا بعد: فقد جاءني كتابُك تذكر، أن قبلَك عمالًا قد ظهرَت خيانتهم، وتسألني أن آذن لك في عذابهم، كأنك ترى أني لك جُنَّة من دون الله، فإذا جاءك كتابي هذا، فإن قامت عليهم بيِّنة فخذهم بذلك، وإلا فأحلفهم دُبر صلاة العصر بالله، الذي لا إله إلا هو، ما اختانوا من مال المسلمين شيئًا، فإن حلفوا؛ فخل سبيلهم، فإنما هو مال المسلمين، وليس للشحيح منهم إلا جهد أيمانهم، ولعمري: لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب إليَّ من أن ألقى الله بدمائهم والسلام.اهـ

تحريم الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم إليه ومنه الدساتير والقوانين الوضعية المخالفة للكتاب والسنة

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء:٦٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٣٤٦): ذُكر في سبب نزول هذه الآية: أنها في رجل من الأنصار، ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف.

وقيل: في جماعة من المنافقين، ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، وقيل: غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامَّة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا.اهـ

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أبو بَرْزَة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود، فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾، رواه الطبراني في «الكبير» برقم (١٢٠٤٥)(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ الآية إلى قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٤٩ ـ ٥٠].

---

(١) **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٦٦): رجاله رجال الصحيح.اهـ

وهو في «الصحيح المسند من أسباب النزول» لشيخنا الوادعي رحمه الله ـ عند هذه الآية ـ، والله أعلم.

وقال ابن أبي نَجِيح رَحِمَهُ اللهُ: كان طاوس إذا سأله رجل: أُفضِّل بين ولديَّ في النِحَل؟ قرأ: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ**... الآية﴾ [المائدة:٥٠]، روى ابن أبي حاتم برقم (٦٥٤٠).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٣/ ١٣١): يُنكِرُ تعالى على من خرج عن حكم الله المُحْكَم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه، من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم.

وكما يحكم به التتار من السياسات الملكيَّة، المأخوذة عن مَلِكِهِم جنكزخان، الذي وضع لهم اليَساق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام، قد اقتبسها عن شرائع شتَّى: من اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام، أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بَنِيه شرعًا متبعًا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله، وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ومن فعل ذلك منهم، فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلا يُحكِّم سواه في قليل ولا كثير، قال الله تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ**﴾ أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة:٤٤].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [المائدة:٤٥].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة:٤٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٣/ ١١٩): قال السُّدِّي في قوله: ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾: يقول: ومن لم يحكم بما أنزلتُ، فترَكَه عمدًا، أو جار وهو يعلم، فهو من الكافرين به.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، في قوله: ﴿**هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ قال: ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، رواه الحاكم، في «المستدرك» برقم (٣٢١٩)، وابن أبي حاتم (٦٤٦٧).



وقال الحاكم: صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.اهـ ووافقه الذهبي.

وقال الشعبي رَحِمَهُ اللهُ: الكافرون، في المسلمين، والظالمون في اليهود، والفاسقون، في النصارى، رواه ابن جرير برقم (١٢٠٣٩).

وقال عطاء رَحِمَهُ اللهُ: كفرٌ دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، رواه ابن جرير برقم (١٢٠٤٧).

وقال طاوس رَحِمَهُ اللهُ في قوله: ﴿**هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ قال: ليس بكفر ينقل عن الملة، رواه ابن جرير برقم (١٢٠٥٢).

قلت: وأكثر أهل العلم: على أنه كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، بشروط مبسوطة في مواضعها، منها ما تقدم، والله أعلم.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يا بشير ألك ولد سوى هذا؟**»، قال: نعم، فقال: «**أكلهم وهبت له مثل هذا؟**». قال لا. قال: «**فلا تشهدني إذًا؛ فإني لا أشهد على جور**»، رواه البخاري برقم (٢٦٥٠)، ومسلم (٤٢٦٩)، عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وفي رواية للبخاري برقم (٢٦٥٠)، ومسلم (٤٢٧٠): قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فلا أشهد على جور**».

قال النعمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فرجع أبي، ورد تلك الصدقة.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطالب دم امرئ بغير حق ليُرِيق دمه**»، رواه البخاري برقم (٦٨٨٢).

فائدةٌ:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **«يا معشرَ المهاجرين! خصالٌ خمسٌ إنِ ابتُلِيتُم بهنَّ، ونَزَلْنَ بكم، وأعوذ بالله أنْ تُدركوهنَّ: لم تظهر الفاحشةُ في قوم قطُّ حتى يُعلنوا بها؛ إلا فشا فيهَم الطاعون والأوجاعُ التي لم تكن في أسلافِهم، ولم يَنْقُصُوا المِكيالَ والميزان؛ إلا أخذوا بالسنين وشِدَّةِ المؤنةِ وجَوْرِ السلطان، ولم يَمنعوا زكاةَ أموالِهم؛ إلا مُنعوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولا نَقَضوا عهدَ الله وعهدَ رسولِه؛ إلا سُلِّطَ عليهم عدوٌّ من غيرِهم، فيأْخذ بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جُعِل بأْسهم بينهم»**، رواه ابن ماجه برقم (٤٠١٩)، وغيرُه(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«خمسٌ بخمسٍ»** . قيل: يا رسولَ الله! ما خمسٌ بخمسٍ؟ قال: **«ما نقض قومٌ العهدَ؛ إلا سُلِّط عليهَم عدوُّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله؛ إلا فشا فيهم الفقرُ، ولا ظهرت فيهم الفاحشةُ؛ إلا فشا فيهم الموت، ولا منعوا الزكاة؛ إلا حُبِسَ عنهم القَطْرُ، ولا طَفَّفُوا المكيالَ؛ إلا حُبِسَ عنهم النباتُ، وأُخذوا بالسنين»**، رواه الطبراني في «الكبير» برقم (١٠٨٣٠)(٢).

فالناظر في مدلول هذين الحديثين بتمعنٍ ورويَّةٍ، يرى فيهما الوصف الجلي لحال كثير من المسلمين؛ فإن الجزاء من جنس العمل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله أعلم وأحكم وأرحم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الترغيب» برقم (٧٦٤).

(٢) **صحيحٌ لغيره**: راجع: «الترغيب» (١/ ٣١٠) للمنذري، و «صحيح الترغيب» برقم (٧٦٥).

تحريم الاستهانة بالله جل وعلا والأمر بإجلال الله وتقديره حق قدره

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ٩١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٣/ ٣٠٠): ما عظموا الله حق تعظيمه، إذ كذبوا رسله إليهم.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر: ٦٧].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٧/ ١١٣): قد وردت أحاديث كثيرة، متعلقة بهذه الآية الكريمة، والطريق فيها، وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت، من غير تكييف ولا تحريف:

الأول: عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله عَزَّ وَجَلَّ يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: «**أنا الملك**»، فضحك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**﴾ [الزمر:٦٧]، رواه البخاري برقم (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

الثاني: عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أيضًا ـ: قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم: أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على إصبع، والسموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع؟. قال: فضحك رسول الله

ﷺ حتى بدت نواجذه. قال: وأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾ [الزمر: ٦٧]، رواه البخاري برقم (٧٤٥١)، ومسلم (٢٧٨٦).

الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**»، رواه البخاري برقم (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

الرابع: عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين على إصبع، وتكون السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك**»، رواه البخاري برقم (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٨).

ورواه الإمام أحمد برقم (٥٤١٤) بلفظ: قرأ رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر قوله: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر:٦٧]، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، يحركها يقبل بها ويدبر: «**يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم**»، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: لَيَخِرَّن به.(١).

ورواه مسلم برقم (٢٧٨٨)، عن عبيد الله بن مقسم: أنه نظر إلى ابن عمر رضي الله عنه كيف يحكي النبي ﷺ. قال: «**يأخذ الله سمواته وأرضيه بيده ويقول: أنا الملك** ـ ويقبض أصابعه ويبسطها ـ: **أنا الملك**»، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟(٢).

---

(١) **صحيحٌ على شرط مسلمٍ**: راجع: «تحقيق المسند» (٩/ ٣٠٤).

(٢) **قال المحقق** ـ ط دار طيبة ـ: روى أبو الشيخ في «العظمة» برقم (١٢٨)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٥٢)، من طريق عبادة بن ميسرة ـ وهو ضعيف ـ عن ابن عمر رضي الله عنه، =



الخامس: عن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ، قال: قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا قال: أجل، والله ما تدري، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن قوله: ﴿**وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ [الزمر:٦٧]. قالت: قلت: فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**على جسر جهنم**»، رواه الترمذي برقم (٣٢٤١)(١).اهـ كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ بتصرف.

وقال الله تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا**﴾ [نوح:١٣ـ٢٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٨/ ٢٣٣): قوله: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا**﴾ أي: عظمة، قاله: ابن عباس، ومجاهد، والضحاك.

وقال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمته أي: لا تخافون من بأسه ونقمته.اهـ

وعن أبي موسى ألاشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته**»، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود:١٠٥]، رواه البخاري برقم (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ حتى بلغ: ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر: ٦٧]، فقال المنبر هكذا، فجاء وذهب ثلاث مرات، وعند ابن عدي: فتحرك المنبر مرتين.

ورواه الطبراني من حديث عبيد بن عمير، عن عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقال: حديث صحيح. **ثم قال ـ المحقق ـ**: ـ ولم أجده في المطبوع، من مسند عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.اهـ

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الترمذي» برقم (٢٥٨٩)

وروى الإمام أحمد برقم (٢١٧٣٤)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«أجلُّوا الله يغفر لكم»**(١).

وقد وصف الله نفسه بقوله: **﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾** [الرحمن: ٢٧]، وبقوله: **﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾** [الرحمن: ٧٨].

ووصفه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك، في أكثر من حديث: منها قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ عقب السلام من الصلاة ـ: **«اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»**، رواه مسلم برقم (٥٩٢)، عائشة رضي الله عنها.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام»**، رواه أحمد برقم (١٧٥٩٦)، والحاكم (٤٩٩)، عن ربيعة بن عامر رضي الله عنه. **وقال الحاكم** رحمه الله: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.اهـ(٢).

ثم أقول: ومن شك في عظمة الله تبارك وتعالى: فليقرأ ما ذُكِرَ في شأن قوم نوحٍ، وهودٍ، وصالح، ولوط وغيرهم، مما قص الله علينا في كتابه، من تدميرهم، وإهلاكهم وبطشه بهم، وإحلال نقمه عليهم، فاللهم ارحمنا، واعف عنا يارب العالمين.

فائدةٌ:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن من إجلال الله إكـرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»، رواه أبو داود برقم (٤٨٤٣)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٣٥٧)(١).

---

(١) **صالحٌ في الباب**: راجع: «تحقيق مجمع الزوائد» (١/ ٢٤٦) ـ لحسين سليم أسد رحمه الله ـ، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «تحقيق المسند» (٢٩/ ١٣٨)، للشيخ الأرناؤوط رحمه الله.



قال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللهُ في «عون المعبود مع حاشية ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ» (١٣/ ١٣٢): قوله: **«إن من إجلال الله»** أي: تبجيله وتعظيمه، **«إكرام ذي الشيبة المسلم»** أي: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام، بتوقيره في المجالس والرفق به، والشفقة عليه ونحو ذلك، كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله.

قوله: **«وحامل القرآن»** أي: وإكرام حافظه.

وسماه حاملا له: لما يحمل لمشاق كثيرة، تزيد على الأحمال الثقيلة. قاله العزيزي.

وقال القارىء: أي: وإكرام قارئه، وحافظه ومفسره. **«غير الغالي»** بالجر **«فيه»** أي: في القرآن.

والغلو: التشديد، ومجاوزة الحد. يعني: غير المتجاوز الحد في العمل به، وتَتبُع ما خفي منه، واشتبه عليه من معانيه، وفي حدود قراءته ومخارج حروفه. قاله العزيزي.

قوله: **«والجافي عنه»** أي: وغير المتباعد عنه، المعرض عن تلاوته وإحكام قراءته، وإتقان معانيه، والعمل بما فيه.

وقيل: الغلو: المبالغة في التجويد، أو الإسراع في القراءة، بحيث يمنعه عن تدبر المعنى.

والجفاء أن يتركه بعد ما علمه، لا سيَّما إذا كان نسيه؛ فإنه عُدَّ من الكبائر. قال في «النهاية»: ومنه الحديث: **«اقرؤوا القرآن ولا تجفوا عنه»** أي: تعاهدوه ولا تبعدوا عن تلاوته، بأن تتركوا قراءته، وتشتغلوا بتفسيره وتأويله، ولذا قيل: اشتغل بالعلم بحيث لا يمنعك عن العمل، واشتغل بالعمل بحيث لا يمنعك عن العلم.

= (١) **حسنٌ**: راجع: "صحيح وضعيف أبي داود" ـ عقب الرقم السابق ـ.

وحاصله: أن كلًا من طرفي الإفراط والتفريط مذموم، والمحمود هو الوسط العدل المطابق لحاله ﷺ، في جميع الأقوال والأفعال، كذا في «المرقاة شرح المشكاة».

قوله: **«وإكرام ذي السلطان المقسط»** ـ بضم الميم ـ أي: العادل.اهـ

فائدةٌ أخرى: في قول: مُصيحف ومُسيجد ـ بالتصغير ـ:

روى ابن سعد في "الطبقات" (٥/ ١٣٧)، وابن أبي داود في "المصاحف" (ص٤٩٩)، بإسنادٍ حسن، عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه قال: لا يقولن أحدكم مصيحف، ولا مسيجد، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل.اهـ



النهي عن منع إعطاء من سأل بالله تعالى وأنه منافٍ لإجلال الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

وعن ابن عباس ﵄: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أُخبركم بشر الناس؟**». قلنا: نعم يا رسول الله. قال: «**الذي يُسْأل بالله ﷻ، ولا يُعْطِي به**»، رواه أحمد (١/ ٢٣٧)، والنسائي (٢٥٨١)(١).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه**»، رواه أحمد برقم (١٠٦٥١)، والحاكم (١/ ٤١٣)، **وقال**: إسنادٌ صحيح.اهـ(٢).

وعن ابن عمر ﵄، أن النبي ﷺ قال: «**من سألكم بالله فأعطوه، ومن استعاذكم بالله فأعيذوه**»، رواه أحمد برقم (٥٨٧٦)، وأبو داود (٢٣٨٩)(٣).

قال في «عون المعبود» (٤/ ٧٩): أي: تعظيمًا لاسم الله، وشفقة على حق الله.اهـ

وفي بحر الفوائد المسمى: «بمعاني الأخيار» (١/ ٢١٦): قوله ﷺ: «**من سألكم بالله فأعطوه**»: أي: إجلالًا لله تعالى، وتعظيمًا له، وإيجابًا لحقه.

وقال الشيخ الإمام أبو بكر بن أبي إسحاق ﵀: أي: من سألكم في طاعة الله، وفي إقامة أمره، وفي إظهار منار الدين، وسُبل الخير، فأعطوه.اهـ

وقال المناوي ﵀ في «فيض القدير» (٦/ ٧٢): ورد أن الخضر أعطى نفسه لمن سأله فيه فباعه.اهـ **قلت**: ويأتي كلام الصنعاني ﵀، في الفصل عقب هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٥٥)، و«تحقيق المسند» (٤/ ٢٤).

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٥٤)، و«تحقيق المسند» (١٦/ ٢٨١).

(٣) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» (٢٥٤)، و«الصحيح المسند» (٧٣٦)، و«تحقيق المسند» (٩/ ٢٦٦).

فصلٌ: في تحريم منع من سأل بوجه الله تعالى وأن ذلك منافٍ لإجلال الله تبارك وتعالى:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بوجه الله فأعطوه**»، رواه أحمد برقم (٢٢٤٨)، وأبو داود (٥١٠٨)(١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ملعون من سَأل بوجه الله، وملعون من سُئل بوجه الله، ثم يمنع سائله، ما لم يسأل هجرًا**»، أخرجه الروياني (١/ ٣٢٧) برقم (٤٩٥)، وابن عساكر (٢٦/ ٥٨)(٢).

وقال الصنعاني رحمه الله في «سبل السلام» ـ شرح حديث برقم (١٤٩٦) ـ: ويجب إعطاء من سأل بالله، وإن كان قد ورد أنه لا يُسأل بالله إلا الجنة، فمن سأل من المخلوقين بالله شيئًا وجب إعطاؤه، إلا أن يكون منهيًا عن إعطائه.

وقد أخرج الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح إلا شيخه ـ وهو ثقة على كلام فيه ـ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فذكره إلى قوله: «**هُجْرًا**» أي: أمرا قبيحًا لا يليق.

ويحتمل: ما لم يسأل سؤالًا قبيحًا أي: بكلام يقبح، ولكن العلماء حملوا هذا الحديث على الكراهة.اهـ

فائدة:

قال العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١/ ٢٥٢): روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ٦٨)، بسند صحيح، عن عطاء رحمه الله: أنه كره أن يُسأل بوجه الله، أو بالقرآن شيء من أمر الدنيا.اهـ

(١) **جيدٌ**: راجع: «فيض القدير» (٢/ ٧٦٦)، و«الصحيحة» (١/ ٢٥٢)، و«تحقيق المسند» (٤/ ٢١٣).

(٢) **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٣): فيه يحيى بن عثمان بن صالح، وهو ثقة، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.اهـ



فصلٌ آخر: في النهي عن عدم إعاذة من استعاذ بالله تعالى، وأنه منافٍ لإجلال الله تعالى

عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذكم بالله؛ فأَعيذوه**»، رواه أحمد برقم (٥٨٧٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٦)، وأبو داود (٢٣٨٩)(١).

قال في «عون المعبود» (٤/ ٧٩): أي: تعظيمًا لاسم الله، وشفقة على حق الله.اهـ

وعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه**»، رواه أحمد برقم (٢٢٤٨)، وأبو داود (٥١٠٨)(٢).

قال في «عون المعبود» (٤/ ٧٩): قال الطيبي: أي: من استعاذ بكم، وطلب منكم دفع شركم، أو شر غيركم قائلًا: بالله عليك أن تدفع عني شرَّك فأجيبوه، وادفعوا عنه الشر- تعظيمًا لاسم الله تعالى، **فالتقدير**: من استعاذ منكم متوسلا بالله مستعطفا به.

ويحتمل: أن يكون الباء صلة استعاذ، أي من استعاذ بالله فلا تتعرضوا له بل أعيذوه، وادفعوا عنه الشر، فوضع أعيذوا موضع ادفعوا، ولا تتعرضوا مبالغة.اهـ

وروى البخاري برقم (٥٢٥٥)، عن أبي أسيد ﵁ قال: خرجنا مع النبي ﷺ حتى أتينا إلى حائط، فقال النبي ﷺ: «**اجلسوا ها هنا**» ودخل، وقد أُتي بالجونية، قال: فأهوى بيده يضع يده عليها؛ لتسكن، فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: «**قد عُذت بمعاذ**».

وفي رواية له (٥٢٥٤)، عن الأوزاعي، قال: سألتُ الزهري، أي أزواج النبي ﷺ استعاذت منه؟ قال: أخبرني عروة، عن عائشة ﵂: أن ابنة الجون، لما أُدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها. قالت: أعوذ بالله منك، فقال لها: «**لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك**».

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» (٢٥٤)، و«الصحيح المسند» (٧٣٦)، و«تحقيق المسند» (٩/ ٢٦٦).

(٢) **جيدٌ**: راجع: «فيض القدير» (٢/ ٧٦٦)، و«الصحيحة» (١/ ٢٥٢)، و«تحقيق المسند» (٤/ ٢١٣).

النهي عن خفر ـ أي: نقض ـ ذمة الله وذمة رسوله ﷺ.

عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرا على جيش، أو سرية قال له: **«إذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه؛ فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله»**، رواه مسلم برقم (١٧٣١).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٢/ ٣٩): قال العلماء: **«الذمة»** هنا العهد، وهذا نهي تنزيه أي: لا تجعل لهم ذمة الله؛ فإنه قد ينقضها من لا يعرف حقها، وينتهك حرمتها بعض الأعراب، وسواد الجيش.اهـ مختصرا.

وقال أنس رضي الله عنه: قال ﷺ: **«من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته»**، رواه البخاري برقم (٣٨٤).

وروى الإمام أحمد برقم (١٨٨٠٣)، عن جندب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«من صلى صلاة الفجر؛ فهو في ذمة الله، فلا تخفروا ذمة الله عز وجل، ولا يطلبنَّكم بشيء من ذمته»**(١).

وأصله في «مسلم»، برقم (٦٥٧)، عن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى الصبح؛ فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فيدركه فيكبه في نار جهنم**».

وفي لفظٍ له برقم (٦٥٧): «**من صلى صلاة الصبح؛ فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء؛ يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم**».

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٥/ ١٥٨): قوله ﷺ: **«من صلى الصبح فهو في ذمة الله»** قيل الذمة: هنا الضمان، وقيل: الأمان.اهـ

---

(١) صحيحٌ: راجع: «تحقيق المسند» (٣١/ ١٠٣).

النهي عن عدم الوفاء بالوعد والعهد لله ولرسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل:٩١].

قال المفسر ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٥٩٨): هذا مما يأمر الله تعالى به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق.اهـ

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل:٩٥].

قال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٤٤٨): يحذر تعالى عباده، من نقض العهود والأيمان، لأجل متاع الدنيا وحطامها.اهـ

وأمر الله بالوفاء به مع البر والفاجر، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

وامتدح الله نفسه لوفائه به، فقال: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء:٩].

وامتدح رسوله إسماعيل عليه السلام، فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٤].

وذم الله أقوامًا من أهل الكتاب، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ أَوْفَى

بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٥-٧٧].

وعَتَبَ كليمُ الله موسى عليه السلام على قومه خلفَ الوعد، قال تعالى مخبرًا عنه قوله لقومه: ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه:٨٦-٨٧].

وروى الإمام البخاري برقم (٣٤)، ومسلم (٥٨)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»، وغيرها من الأدلة، وما ذُكر فيه الكفاية، والله أعلم.



تحريم إساءة الظن بالله جل وعلا

قال الله تعالى: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [الفتح:٦].

وقال الله تعالى: ﴿**بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا**﴾ [الفتح: ١٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٧/ ٣٣٧): أي: لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاص، بل تخلف نفاق، ﴿**بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا**﴾ أي: اعتقدتم أنهم يُقْتلون وتستأصل شأفتهم وتستباد خضراؤهم، ولا يرجع منهم مخبر، ﴿**وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا**﴾ أي: هلكى، قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد، وقال قتادة: فاسدين، وقيل: هي بلغة عمان.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ الآيات إلى قوله: ﴿**وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ١٢ ـ ٢٢].

وفضح الله قومًا بقوله: ﴿**وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾ [آل عمران:١٥٤].

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: قوله تعالى: ﴿**ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾ قال: ظن أهل الشرك، رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (٤٤١٧).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»، رواه البخاري برقم (٧٥٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله**»، رواه أحمد (٢/ ٣٩١)، وابن حبان برقم (٢٣٩٤)(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني**»، رواه أحمد برقم (٩٧٩٤)، وأبو يعلى برقم (٣١٤٦)(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاث يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن**»، رواه مسلم رقم (٧٤١٠).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٩/ ٢٥٦): قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة.اهـ

وعن حيان أبي النضر قال: دخلت مع واثلة بن الأسقع على أبي الأسود الجرشي، في مرضه الذي مات فيه، فسلَّم علينا وجلس، فأخذ أبو الأسود يمين واثلة بن الأسقع، فمسح بها على عينيه ووجهه؛ لبيعته رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فقال واثلة: واحدة أسأله عنها قال: وما هي؟ قال: كيف ظنك بربك؟ فقال أبو الأسود ـ وأشار برأسه أي: حسن، فقال واثلة: أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء، إن ظن بي خيرًا فله، و إن ظن شرًا فله**»، رواه أحمد (١٦٤٣٩)، والطبراني في «الأوسط»(٣).

ولابن أبي الدنيا جزء حسن في هذا، يراجع لمزيد من الفائدة، ولابن القيم رحمه الله كلامًا نفيسًا، لولا الإطالة لذكرته هنا، راجعه من «زاد المعاد» (٣/ ٢٢٨ ـ ٢٣٦)، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٤٣١٥)، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ على شرط مسلمٍ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٠١٢)، و«الصحيح المسند» (٨٦)، و«تحقيق المسند» (١٥/ ٤٦٦).

(٣) **صحيحٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٧٦)، و«الصحيحة» (١٦٦٣)، و«تحقيق المسند» (٢٥/ ٣٩٨).



تحريم الظن بأن الله تعالى مُسلِمٌ أوليائه لأعدائه أو مُبطلٌ لأعمالهم الصالحة

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٧/ ٣٢٣) قوله جلت عظمته: ﴿وَاللهُ مَعَكُمْ﴾: فيه بشارة عظيمة بالنصر، والظفر على الأعداء، ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: ولن يُحبطها ويبطلها ويُسْلِبُكُم إِيَّاهَا، بل يوفِّيكم ثوابها، ولا يُنْقِصُكُم منها شيئًا.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٧/ ٣٨٩): قوله: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ أي: لا يَنْقُصُكُم من أجوركم شيئًا، كقوله: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطُّورِ:٢١].اهـ

تحريم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ومغفرته

قال الله تعالى مخبرًا عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

وقال الله تعالى مخبرًا عن قول ملائكته لخليله إبراهيم ﷺ: ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٥-٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٥٤١): أجابهم بأنه ليس يقنط، ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد كبر، وأسنَّت امرأته، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وقال عمر رضي الله عنه: كنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفًا ولا عدلًا ولا توبة؛ عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم، وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا، وقولهم لأنفسهم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾، إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣-٥٥].

قال عمر: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص، فقال هشام: لما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوِّب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم أفهمنيها، فألقى الله عز وجل في قلبي أنها إنما نزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا، فرجعت إلى بعيري فجلست عليه، فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة، رواه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٤٧٥).



وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فـأكثروا، فأتوا محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لـو تخبرنـا أن لما عملنـا كفـارة، فنزل: ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُـونَ الـنَّفْسَ الَّتِـي حَـرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِـالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ**...الآية﴾ [الفرقان:٦٨]. ونزل: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُـوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**...﴾ [الزمر:٥٣]، رواه البخاري برقم (٤٨١٠)، ومسلم (٣٣٧).

وقال جل جلاله: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِـدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾، ثم قال جلت عظمتـه: ﴿**أَفَـلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [المائدة:٧٣ـ٧٤].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٧٥): **قال ابن عباس** رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**قُـلْ يَـا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**...﴾ [الزمر: ٥٣]: قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله، ومن زعم أن عزيـرًا ابن الله، ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومـن زعـم أن الله ثالـث ثلاثـة يقول الله تعالى لهؤلاء: ﴿**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [المائـدة:٧٤]، ثـم دعـا إلى التوبـة مـن هـو أعظـم قـولا مـن هـؤلاء، مـن قـال: ﴿**أَنَـا رَبُّكُـمُ الْأَعْـلَى**﴾ [النازعات:٢٤]، وقال: ﴿**مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾ [القصص:٣٨].

وقال ـ أيضًا ـ رضي الله عنهما: من آيس عباد الله من التوبة بعد هـذا، فقـد جحـد كتـاب الله عز وجل، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه... .

وقال الأعمش رحمه الله: عن أبي سعيد، عن أبي الكنود، قال: مرَّ ابن مسـعود عـلى قـاصٍ، وهو يذكر الناس، فقال: يا مذكر لم تقنِّط الناس من رحمة الله؟، ثم قرأ: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**﴾ [الزمر:٥٣]، رواه ابن أبي حاتم.

وقال تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا**﴾ [البروج:١٠].

قال الحسن البصري رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود: قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، والآيات في هذا كثيرة جدًا.

ثم ذكر رحمه الله حديث أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبًا فسأله، فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقرَّبي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له»**، رواه البخاري برقم (٣٤٧٠)، ومسلم (٧١٨٤).اهـ من تفسير ابن كثير بتصرف.

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أنه قال حين حضرته الوفاة: قد كنت كتمت منكم شيئًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سمعته يقول: «**لولا أنكم تذنبون، لخلق الله** عز وجل **قومًا يذنبون، فيغفر لهم**»، أخرجه مسلم برقم (٧١٣٩).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**والذي نفسي بيده: لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم، والذي نفس محمد** صلى الله عليه وآله وسلم **بيده: لو لم تخطئوا لجاء الله** عز وجل **بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم**»، رواه أحمد برقم (١٣٨٣)(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن عبدًا أصاب ذنبًا** ـ وربما قال: أذنب ذنبًا ـ **فقال: رب أذنبت** ـ وربما قال: أصبت ـ **فاغفر لي، فقال ربه: أعَلِمَ عبدي أن له ربًا يغفر**

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٥)، و«الصحيحة» (٤/ ٥٩٤)، و«تحقيق المسند» (٢١/ ١٤٦)، والله أعلم.

الذنب، ويأخذ به غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا أو أذنب ذنبًا، فقال: رب أذنبت ـ أو أصبت ـ **آخر فاغفره، فقال: أعَلِمَ عبدي أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ به غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبًا** ـ وربما قال: أصاب ذنبًا ـ **قال: قال: رب أصبت** ـ أو أذنبت ـ **آخر فاغفره لي، فقال: أعَلِمَ عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به؛ غفرت لعبدي ثلاثًا، فليعمل ما شاء**»، رواه البخاري برقم (٧٥٠٧).

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: اثنتان مهلكتان: العجب والقنوط. اهـ من «حليلة الألياء» (٧/ ٢٩٨).

فصلٌ: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ [الإسراء:٨٣] وما يُماثها من الآيات:

قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾** [الإسراء: ٨٣].

قال ابن كثير ﷺ في «تفيسيره» (٥/ ١١٣): إذا مسه الشر ـ وهو المصائب والحوادث والنوائب ـ **﴿كَانَ يَئُوسًا﴾** أي: قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير، كما قال تعالى: **﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾** [هود: ١٠ـ ١١]. اهـ وقال الله سبحانه وتعالى: **﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾** [الشورى:٥١].

قال ابن كثير ﷺ في «تفيسيره» (٧/ ١٨٦): أي: يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير. اهـ

وقال السعدي ﷺ في «تفيسيره» (ص٧٥٢): هذا إخبار عن طبيعة الإنسان، من حيث هو، وعدم صبره وجلده، لا على الخير ولا على الشر، إلا من نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال...

وقوله: **﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾** أي: المكروه، كالمرض، والفقر، وأنواع البلايا **﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾** أي: ييأس من رحمة الله تعالى، ويظن أن هذا البلاء هو القاضي عليه بالهلاك، ويتشوش من إتيان الأسباب، على غير ما يحب ويطلب. اهـ



تحريم اعتقاد النفع أو الضّر من غير الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس:١٠٧].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٤/ ٣٠٠): قوله: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾ إلى آخرها، بيان أن الخير والشر، والنفع والضر؛ إنما هو راجع إلى الله تعالى وحده، لا يشاركه في ذلك أحد، فهو الذي يستحق العبادة وحده، لا شريك له.اهـ

وقال الله تعالى آمرا لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٧/ ١٠٠): قوله: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللهُ﴾: أي: الله كافيّ، عليه توكلت وعليه يتوكل المتوكلون، كما قال هود عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين قال له قومه: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِي * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٤ـ٥٦].اهـ

وقال الله تعالى آمرًا نبيه ـ أيضًا ـ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وقال الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٢ ـ ٣].



وقال الله تعالى مخبرًا عن صاحب يس: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يس:٢٢ـ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم:٤٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٧/ ٤٦٧) أي: مَلَّك عباده المال، وجعله لهم قُنْيَة مقيمًا عندهم، لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم، وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين، منهم أبو صالح، وابن جرير، وغيرهما.

وعن مجاهد: ﴿أَغْنَى﴾: مَوَّل، ﴿وَأَقْنَى﴾: أخدم. وكذا قال قتادة.

وقال ابن عباس، ومجاهد ـ أيضًا ـ: ﴿أَغْنَى﴾: أعطى، ﴿وَأَقْنَى﴾: رَضّى.اهـ

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت خلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا، فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»، رواه الترمذي برقم (٢٥١٦)، **وقال**: هذا حديث حسن صحيح.اهـ(١).

وأدلة هذا الباب كثيرة جدا، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ لغيره**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٧٩٥٧)، و«الصحيح المسند» (٦٥٨).

تحريم الالتجاء في كشف الكروب وإزالة الهموم والغموم إلى غير الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك»، رواه البخاري برقم (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

وتقدَّم في الباب قبل هذا بعضًا من الأدلة، فتراجع، والله المستعان.

تحريم الاستسقاء بالنجوم

قال الله تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾ الآيات إلى قوله: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٢].

قال ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٣): قد ذُكر عن الهيثم بن عدي: أن من لغة أزد شَنوءةَ: ما رُزِق فلان بمعنى: ما شكر فلان.اهـ

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما مُطِرَ قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرًا يقولون: مُطِرْنَا بنوء كذا وكذا، وقرأ ابن عباس: ﴿**وتجعلون شكركم أنكم تكذبون**﴾، رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٤)(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**». قال: فنزلت هذه الآية: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ [الواقعة:٧٥ـ٨٢]، رواه مسلم برقم (١٢٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الغيث، فيقولون: بكوكب كذا وكذا**»، رواه مسلم (٧٢).

وعن معاوية الليثي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يكون الناس مجدبين فينزل الله تبارك وتعالى عليهم رزقًا من رزقه؛ فيصبحون مشركين**»، فقيل له كيف ذاك يا رسول الله؟ قال: «**يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا**»، رواه أحمد برقم (١٥٩٣٦)(٢).

---

(١) **قال ابن كثير** رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٥٤٥): وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس.اهـ

(٢) **صحيحٌ: راجع**: «مجمع الزوائد» (١/ ٣٥٩)، و«تحقيق المسند» (٢٤/ ٢٩٨).

وعن زيد بن خالد الجُهَنّي رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**»، رواه البخاري برقم (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

مسألة: هل يَكفُر من قال مطرنا بنوء كذا وكذا؟

قال الإمام النووي رحمه الله ـ في شرح الحديث السابق ـ (١/ ١٦٦): اختلف العلماء في كفر من قال: «**مطرنا بنوء كذا**» **على قولين:**

أحدهما: هو كفرٌ بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الإيمان، مخرج من ملة الإسلام. قالوا: وهذا فيمن قال ذلك معتقدًا أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره.

وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء، والشافعي منهم، وهو ظاهر الحديث.

قالوا: وعلى هذا لو قال: مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله تعالى وبرحمته، وأن النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يكفر.

واختلفوا في كراهته، والأظهر كراهته، لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها.

وسبب الكراهة: أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره، فَيُسَاء الظن بصاحبها، ولأنها شعار الجاهلية، ومن سلك مسلكهم.

والقول الثاني: في أصل تأويل الحديث: أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب، وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب، ويؤيد هذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب: «**أصبح من الناس شاكر وكافر**».

وفي رواية أخرى: «**ما أنعمت على عبادي من نعمة؛ إلا أصبح فريق منهم بها كافرين**».

وفي أخرى: «**ما أنزل الله تعالى من السماء من بركة؛ إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين**»، فقوله: «**بها**»: يدل على أنه كفر بالنعمة، والله أعلم.اهـ

فصلٌ: في تعريف النوء المذكور في قوله: «مُطرنا بنوء كذا وكذا»:

قال النووي رحمه الله ـ عقب كلامه السابق ـ: **وأما النوء**: ففيه كلام طويل، قد لخصه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله، فقال: النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب؛ فإنه مصدر ناء النجم ينوء نوءا. أي: سقط، وغاب.

وقيل: أي: نهض وطلع.

وبيان ذلك: أن ثمانية وعشرين نجمًا معروفة المطالع، في أزمنة السنة كلها، وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط في كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم، في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته؛ وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما. وقال الأصمعي: إلى الطالع منهما.

قال أبو عبيد: ولم أسمع أحدا ينسب النوء للسقوط إلا في هذا الموضع.

ثم إن النجم نفسه قد يُسمى نوءا تسمية للفاعل بالمصدر. قال أبو إسحاق الزجاج في بعض أماليه: الساقطة في الغرب هي الأنواء والطالعة في المشرق هي البوارج، والله أعلم.اهـ

فائدة: في معرفة القائل: مطرنا بنوء كذا وكذا:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٢/ ٥٢٤): وفي «مغازي» الواقدي، أن الذي قال في ذلك الوقت: مطرنا بنوء الشعرى، هو عبد الله بن أُبي، المعروف بابن سلول، أخرجه من حديث أبي قتادة.اهـ

تحريم التوسل بما حرم الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا الله وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥].

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه.

والوسيلة: هي التي يُتوصَّل بها إلى تحصيل المقصود.اهـ(١).

قلت: والمعنى المراد من الآية السابقة: هو أن الله تبارك وتعالى أمرَنا بتغاء الوسيلة الناجحة، المقرِّبة إليه سبحانه، ونهانا عما هو وسيلة إلى غيره، أو إلى ما يُغضبه، ومنه التوسل بما لا يجوز أن يُتوسل به، والله أعلم.

وقال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ قال: هم ناس من الجن، كانوا يُعبَدون، فأسلموا، رواه البخاري برقم (٤٧١٤).

وفي رواية له برقم (٤٧١٥): قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان ناس من الإنس، يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم، وأخرجه مسلم برقم (٧٧٤٢) ـ مطولًا ـ.

والشاهد من آية الإسراء: هو أن من يُتوسَّل بهم إلى الله ـ أنبياء أو صالحين، أو غيرهم ـ فقراء إلى الله تبارك وتعالى، يطلبون لأنفسهم وسيلة شرعية تُقرِّبهم إلى الله تعالى، وهي عبادته وحده لا شريك.

---

(١) من «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٣).

فصلٌ: في ذكر ما يجوز التوسل به:

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ في رسالة «التوسل» (ص٢٩): التوسل المشروع يكون بأمور:

١ـ التوسل باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العليا: دليله قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن ذلك ما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ [النمل: ١٩].

ومنه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي...**»، رواه أحمد برقم (١٨٣٢٥)، والنسائي (١٣٠٥)، والحاكم (١٩٢٣)، **وقال**: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.اهـ ووافقه الذهبي.

ومنها: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سمع رجلًا يقول في تشهده: اللهم إني أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**قد غفر له، قد غفر له**»، رواه أحمد برقم (١٨٩٩٥)، وأبو داود (٩٨٥) وغيرهم، وإسناده صحيح.

٢ـ التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي: دليله قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٦].

وقوله: ﴿**رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران: ٥٣].

وقوله: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ [آل عمران: ١٩٣ـ ١٩٤].

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]، وأمثال هذه الآيات الكريمات المباركات.

وفي قصة أصحاب الغار: «**فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه**» أي: توسلوا بأفضل أعمالكم، رواه البخاري (٢١٠٢)، ومسلم (٢٧٤٣)، عن ابن عمر رضي الله عنه.

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩].

٣ـ التوسل بدعاء الرجل الصالح رجاء أن يُستجاب له: كأن يقع المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى، فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعوا له ربه؛ ليفرج عنه كربه ويزيل عنه همه، فهذا نوع آخر من التوسل المشروع دلت عليه الشريعة المطهرة وأرشدت إليه، وقد وردت أمثلة منه في السنة الشريفة، كما وقعت نماذج منه من فعل الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم، فمن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه حيث قال: أصاب الناس سنة على عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فبينما النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب على المنبر قائمًا في يوم الجمعة قام، ـ وفي رواية ـ: دخل أعرابي من أهل البدو من باب كان وجاه المنبر نحو دار القضاء ورسول الله قائم، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قائما، فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع ـ وفي رواية ـ: هلك العيال...، رواه البخاري برقم (٩٦٧)، ومسلم (٨٩٧).

وحديث أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون، رواه البخاري برقم (٩٦٤).

وقصة: أن السماء قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطى الناس، فأمره معاوية فصعد على المنبر، فقعد عند رجليه، فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجرشي يا زيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه ورفع الناس أيديهم، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب، كأنها ترس وهبت لها ريح، فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم، والقصة صحيحة(١).

وروى ابن عساكر(٢): أن الضحاك بن قيس خرج يستسقي بالناس، فقال ليزيد بن الأسود ـ أيضًا ـ: قم يا بكاء زاد في رواية: فما دعا إلَّا ثلاثا، حتى أُمطروا مطرًا كادوا يغرقون منه، فهذا معاوية رضي الله عنه ـ أيضًا ـ لا يتوسل بالنبي ﷺ لما سبق من أن يكون المطلوب منه الدعاء حيًا.

وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات، ففيه خلاف والذي نعتقده ونَدين الله تعالى أنه غير جائز، ولا مشروع؛ لأنه لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة، وقد أنكره العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة، مع أنه قد قال ببعضه بعض الأئمة، فأجاز الإمام أحمد رحمه الله التوسل بالرسول ﷺ وحده فقط، وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين، ولكننا - كشأننا في جميع الأمور الخلافية - ندور مع الدليل حيث دار ولا نتعصب للرجال، ولا ننحاز لأحد إلا للحق كما نراه ونعتقده، وقد رأينا في قضية

---

(١) رواها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ١١٢)، وذكرها الذهبي في «السير» (٤/ ١٣٧)، وابن كثير في «البداية» (١٢/ ١٦١).

(٢) في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ١١٢) بسند صحيح.

التوسل، التي نحن بصددها الحق مع الذين حظروا التوسل بمخلوق، ولم نر لمجيزيه دليلًا صحيحًا يعتد به، ونحن نطالبهم بأن يأتونا بنص صحيح صريح من الكتاب أو السنة، فيه التوسل بمخلوق، وهيهات أن يجدوا شيئًا يُؤيد ما يذهبون إليه، أو يسند ما يدعونه، اللهم إلا شبهًا واحتمالات سنعرض للرد عليها بعد قليل.

فهذه الأدعية الواردة في القرآن الكريم، وهي كثيرة لا نجد في شيء منها التوسل بالجاه، أو الحرمة أو الحق، أو المكانة لشيء من المخلوقات، وهاك بعض هذه الأدعية الكريمة على سبيل المثال: يقول ربنا رجل شأنه معلمًا إيانا ما ندعو به ومرشدًا: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ويقول: ﴿**فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [يونس: ٨٥ ـ ٨٦]. ويقول: ﴿**قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**﴾ [إبراهيم: ٣٥].اهـ كلام العلامة الألباني رحمه الله.

وساقها العلامة العثيمين رحمه الله في «فتاوى نور على الدرب» (٤/ ٢) مفصَّلة، وقد سبق ذُكر أدلتها في كلام العلامة الألباني رحمه الله، **قال العثيمين** رحمه الله: **أنواع التوسل الجائزة:**

الأول: التوسل بأسماء الله.

الثاني: التوسل إلى الله بصفاته: ومنه قول القائل: يا رحمان برحمتك أستغيث.

الثالث: التوسل إلى الله بأفعاله ـ أي: بأفعال الله ـ فتقول: اللهم كما أنعمت علي بالمال فأنعم عليَّ بالعلم، أو تقول: اللهم كما أنعمت علي بالعلم فأنعم علي بالمال الذي يكفيني عن خلقك، ومنه قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»، فإنه هنا توسل إلى الله بفعله السابق الذي أنعم به على إبراهيم وآل إبراهيم، أن يصلى على محمد وعلى آل محمد.

الرابع: التوسل إلى الله بالإيمان به.

الخامس: التوسل إلى الله بالعمل الصالح.

السادس: التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بذكر حاله، وأنه فقير ظالم لنفسه محتاج لربه:

ومنه قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. ومنه قول الداعي: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فهذا توسل إلى الله تعالى بحال الداعي.

السابع: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح... .

ثم **قال** رحمه الله: وينبغي للإنسان إذا توسل بأسماء الله أن يتوسل بها عمومًا مثل: أسألك بكل اسمٍ هو لك، فأما إذا أراد أن يتوسل باسم خاص، فليكن هذا الاسم مطابقًا للسؤال، فإذا كان يريد المغفرة فيقول: اللهم يا غفور اغفر لي، أو يقول: اللهم اغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، حتى تكون الوسيلة مطابقة للمطلوب.

ولا يليق إطلاقًا أن يقول قائل: اللهم يا شديد العقاب اغفر لي واعف عني وما أشبه ذلك؛ لما في ذلك من التضاد بين الوسيلة والمطلوب. وقد قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: علمني دعاء أدعو به في صلاتي؟ فقال: **«قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»**(١)، وهذا جمع بين وسائل متعددة:

منها ذكر حال الداعي: **«اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا»**.

ومنها: الثناء على الله عز وجل بصفة من صفاته: **«ولا يغفر الذنوب إلا أنت»**.

ومنها: التوسل بالأسماء في قوله: **«إنك أنت الغفور الرحيم»**.اهـ

(١) رواه البخاري برقم (٧٩٩)، ومسلم (٢٧٠٥)، عن أبي بكر رضي الله عنه.

مسألة: ماحكم سُؤال أو طلب الرجل المعتَقَدْ فيه صلاحًا أن يدعوَ لغيره:

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عقب كلامه السابق ـ: وأما سُؤال الرجل من يعتقد فيه صلاحًا، أن يدعو له هو بنفسه، فالأفضل تركه؛ لأن هذا فيه نوع من السؤال الذي يوجب ذل السائل أمام المسؤول، وربما يكون فيه اغترار للمسؤول، حيث يرى نفسه أنه رجل صالح يسأل الدعاء.

وفيه ـ أيضًا ـ: أن الإنسان قد يتكل على طلبه من هذا الرجل الصالح، أن يدعو له فلا يدعو هو لنفسه، وأما ما يُذكر من أن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب: لا تنسنا يا أخي من دعائك، فهذا ضعيف، لا يصح عن النبي ﷺ.

وأمَّا ما جاء في الحديث من وصية الرسول ﷺ: **«من أدرك أويسًا القرني أن يطلب منه الدعاء»**، فهذا خاص به، ولهذا لم يأمر النبي ﷺ أحدًا أن يطلب من صالح من الصحابة، أن يدعو له، والصحابة أفضل من أويس القرني، كأبي بكر، عمر، عثمان، علي، ابن مسعود، ابن عباس، وغيرهم من الصحابة أفضل من أويس بلا شك، ومع ذلك لم يقل النبي عليه الصلاة والسلام لأحدٍ من الناس: من لقي أبا بكر فليطلب منه الدعاء أو نحو ذلك، فهذه أنواع التوسل الجائزة.اهـ

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة أسماها «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، وأخرى للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بسط القول فيها، مع ذكر الشبه والرد عليها.

وفي أصل هذا المختصر ـ «الشامل في العقيدة» مزيد بيان وإيضاح، أسأل من الله العون على إتمامه، والإخلاص له فيه ـ، والله المستعان، وهو أعلم.

تحريم التبرك بغير ما أذنَ الشرعُ أن يُتبرك به

تعريف البركة:

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التعاريف» (ص١٢٥): البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء.اهـ

وقال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في «كتاب التوحيد» (ص١٠٩): التبرك: طلب البركة، وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته، وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه، وهو الله سبحانه، فهو الذي ينزل البركة ويثبتها، أما المخلوق، فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها، ولا على إبقائها وتثبيتها.

فالتبرك بالأماكن والآثار، والأشخاص أحياء وأمواتًا لا يجوز؛ لأنه إما شرك، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة، أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أن زيادته وملامسته والتمسح به سبب لحصولها من الله.

وأما ما كان الصحابة يفعلونه من التبرك بشعر النبي ﷺ وريقه، وما انفصل من جسمه، فذلك خاص به ﷺ في حال حياته، ووجوده بينهم، بدليل أن الصحابة لم يكونوا يتبركون بحجرته وقبره بعد موته، ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها، أو جلس فيها ليتبركوا بها، وكذلك مقامات الأولياء من باب أولى(١).

ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين، كأبي بكر وعمر، وغيرهما من أفاضل الصحابة، لا في الحياة ولا بعد الموت، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى جبل الطور، الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ليصلوا فيه

---

(١) أي: إذا كان الأنبياء لايُتبرك بحُجَرِهِم وقبورهم ومنابرهم، وغير ذلك، فمن باب أولى من دونهم في الصلاح، وأنزل منهم من جُهل حاله، فضلًا عمن عُلم زيغه وهلاكه، ودعا الناس إلى التبرك به، والله أعلم.

ويدعوا، أو إلى غير هذه الأمكنة، من الجبال التي يُقال إن فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، ولا إلى مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء.

و- أيضًا - فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يُصلي فيه بالمدينة النبوية دائمًا لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله، ولا الموضع الذي صلى فيه بمكة وغيرها، فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكريم، ويصلي عليه لم يشرع لأمته التمسح به، ولا تقبيله، فكيف بما يقال إن غيره صلى فيه أو نام عليه، فتقبيل الشيء من ذلك، والتمسح به قد عَلِمَ العلماء بالاضطرار من دين الإسلام، أن هذا ليس من شريعته ﷺ.اهـ(١).

وفي حديث أبي واقدٍ الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين، ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم يُقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول الله: إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده: كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف:١٣٨]»، رواه الترمذي، برقم (٢٣٣٥)، **وقال** رحمه الله: حديث حسن صحيح.اهـ وغيرُهما(٢).

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في «فتح المجيد» (ص١٣١): قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي - المعروف بابن أبي شامة - في كتاب «البدع والحوادث»: ومن هذا القسم - أيضًا - ما قد عمَّ الابتلاء به؛ من تزيين الشيطان للعامة، تخليق الحيطان والعمد، وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد، يَحْكِي لهم حاك: أنه رأى في

---

(١) **قلت**: وللمزيد راجع: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٧٩٥-٨٠٢) - تحقيق: العقل -.

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «ظلال الجنة» (١/ ٣١)، و«تحقيق المسند» (٣٦/ ٢٢٦).



منامه بها أحدًا ممن شُهر بالصلاح والولاية؛ فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه مع تضييعهم لفرائض الله تعالى، وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يَعْظُم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من عيون، وشجر، وحائط، وحجر. وفي مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة، كعوينة الحمى ـ خارج باب توما ـ، والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة ـ خارج باب النصر نفس قارعة الطريق، سَهَّل الله قطعها واجتثاثها من أصلها ـ، فما أشبهها بذات أنواط، الواردة في الحديث.اهـ

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر، وهذه الشجرة، وهذه العين تَقْبَلُ النذر أي: تقبل العبادة من دون الله؛ فإن النذر عبادة وقربة يَتقرب بها الناذر إلى المنذور له ـ **إلى أن قال** ـ: وفي هذه الجملة من الفوائد: أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار، من التبرك بها والعكوف عندها، والذبح لها هو الشرك، ولا يُغتر بالعوام، والطغام، ولا يُستبعد كون الشرك بالله تعالى يقع في هذه الأمة، فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنًا، وطلبوه من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بيَّن لهم أن ذلك، كقول بني إسرائيل: ﴿**اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**﴾ [الأعراف:١٣٨]، فكيف لا يخفى على من دونهم في العلم والفضل بأضعاف مضاعفة؛ مع غلبة الجهل، وبُعد العهد بآثار النبوة؟! بل خَفي عليهم عظائم الشرك في الإلهية، والربوبية، فأكبروا فعله، واتخذوه قربة.

وفيها: أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طِلْبَتَهُمْ كطِلبة بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كيف هم سموها ذات أنواط، فالمشرك مشرك وإن سمى شركه ما سماه، كمن يُسمي دعاء الأموات، والذبح والنذر لهم، ونحو ذلك تعظيمًا، ومحبة فإن ذلك هو الشرك، وإن سماه ما سماه، وقس على ذلك.اهـ

فصل: في ذكر بعض ما أذن الشرع أن يُتبرك به:

قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي تُوفي فيه، طفقتُ أنفثُ على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، رواه البخاري برقم (٤٤٣٩) ومسلم (٢١٩٢).

وفي لفظ للبخاري برقم (٥٧٣٥) عنها رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنتُ أنفث عليه بهن، وأمسح بيد نفسه لبركتها.

وعنها رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات، رواه البخاري برقم (٥٠١٧).



وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُعوذ الحسن، والحسين: «**أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عينٍ لامَّه**»، رواه البخاري برقم (٣٣٧١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: يا رسول الله ما لقيتُ من عقرب لدغتني البارحة! قال: «**أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات، من شر ما خلق؛ لم تضرك**»، رواه مسلم برقم (٧٠٠٥).

وعن خوله بنت حكيم السلمية رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**من نزل منزلًا، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»، رواه مسلم برقم (٧٠٥٣).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٧/ ٣١): قيل: معناه الكاملات التي لا يدخل فيها نقص، ولا عيب. وقيل: النافعة الشافية.

وقيل: المراد بالكلمات هنا: القرآن، والله أعلم.اهـ

وعن رجل من أسلم قال: جاء رجل، فقال: يارسول الله لدغت الليلة فلم أنم، فقال له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضرك**»، رواه أبو داود برقم (٣٨٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٢٣)(١).

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: كان خالد بن الوليد يفزع في منامه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**قل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه، وعذابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**»، رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٦٠٢)(٢).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الفتح» (١٠/ ١٩٦)، و«صحيح الجامع» برقم (١٣١٨)، وأصله في «مسلم».

(٢) **قلت**: وكلام أهل العلم على رواية عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مشهورة، وأكثر محققي أهل الحديث على تحسينها. راجع: «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٦٤)، والله أعلم.

وفي حديث المسور ومروان ـ في صلح الحديبية ـ قالا: ثم إن عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، ثم رجع عروة إلى أصحابه، فقال: أَيْ قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت مَلِكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ، والله إن تنخم نخامة إلا وَقَعَتْ في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدِّون إليه النظر تعظيما له، رواه البخاري برقم (٢٧٣١)، ومسلم (١٧٨٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة، ونحر نسكه، وحلق ناول الحالق شقه الأيمن، فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه، ثم ناوله الشق الأيسر، فقال: «احلق فحلقه، فأعطاه أبا طلحة»، فقال: «**اقسمه بين الناس**»، رواه مسلم برقم (١٣٠٥).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، أنها أخرجت جبَّة رسول الله ﷺ مكفوفة الجيب والكمين والفرجين، بالديباج، رواه أبو داود برقم (٤٠٥٤)(١).

وأصله في «مسلم» برقم (١٦٤١)، وزاد: كانت عند عائشة حتى قُبضت، فقبَضْتُها، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يُستشفى بها.

زاد البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٣٤٨): وكان يلبسها للوفد والجمعة.

وعن ثمامة، عن أنس رضي الله عنه، أن أم سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نطعا، فيَقيل عندها على ذلك النطع. قال: فإذا نام النبي ﷺ أَخَذَتْ من عرقه وشعره، فجمعته في قارورة، ثم جمعته

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف أبي داود» ـ عقب الرقم السابق ـ.



في سك. قال: فلما حضر أنس بن مالك الوفاة، أوصى إليَّ أن يُجعل في حنوطه من ذلك السك، قال: فجُعل في حنوطه، رواه البخاري برقم (٦٢٨١)، ومسلم (٢٣٣١).

وفي الباب: قصة بصقه ﷺ في عين علي رضي الله عنه يوم خيبر، وكان بها رمد، فبرأ رضي الله عنه حتى كأن لم يكن به شيء، وهي في البخاري برقم (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

وكذا رده ﷺ لعين قتادة بن النعمان رضي الله عنه يوم بدر وقد سالت على وجنته وهي عند الحاكم في المستدرك برقم (٥٢٨١) وغيره(١).

وكذا دعائه ﷺ لعمرو بن أخطب رضي الله عنه بقوله: **«اللهم جمله»، قال أبو نهيك الأزدي** رحمه الله ـ الراوي عن عمرو بن أخطب ـ فرأيته وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، وما في رأسه ولحيته شعرة بيضاء، والقصة رواها أبو نعيم في «دلائل النبوة» برقم (٣٨٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٢٨)، وغيرُهما(٢).

وغيرها من الأدلة الدالة على جواز التبرك بما أجاز الشارع، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ لغيره**: راجع: «تحقيق الألباني رحمه الله على بداية السول» للعز بن عبد السلام (ص٤١).

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «التعليقات الحسان» ـ تحت الرقم السابق ـ.

تحريم الغلو في الأنبياء والصالحين وغيرهم

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٧١].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة:٧٢-٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٦-١١٧].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُطْرُوني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد الله ورسوله**»، رواه البخاري برقم (٣٤٤٥).

وفي لفظ له برقم (٣٢٦١): «**فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**».



وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا قال: محمد يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يا أيها الناس: عليكم بقولكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشيطانُ، أنا محمدُ بنُ عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** عَزَّ وَجَلَّ»، رواه أحمد (١٢٥٥١)(١).

وعن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلنا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أنت سيدنا، فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**»، فقلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا، فقال: «**قولوا بقولكم، أو ببعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**»، رواه أحمد برقم (١٦٣٥٤)، وأبو داود (٤٨٠٦)، وغيرهما(٢).

وسمع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الجارية وهي تقول: وفينا نبي الله يعلم ما في غد، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا يعلم الغيب إلا الله، دعي هذا**»، رواه البخاري برقم (٣٧٧٩)، عن الرُبيِّعْ بنت معوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ومن العجيب قول البوصيري، في «البردة» واصفًا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم؟!.

قال بعض أهل العلم: ما أبقى لله شيئا.

وقال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل السنة يُنْزِلون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَنْزلته. أي: أنهم لا يُغالون فيه فوق منزلته، ولا يُنقصونه ما أعطاه الله من الفضل، فهو عبد الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والله أعلم.

قلت: والغلو في الصالحين وغيرهم ممن جُهل حالُهم، فحدِّث عن وجوده في أوساط المسلمين ولا حرج، فقلَّ أن تجد بلدة لا يوجد فيها من يُغلى فيه، **ورحم الله العلامة المعلمي إذ قال في** «التنكيل» (ص٦): من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل.اهـ والله المستعان.

---

(١) **صحيحٌ على شرط مسلم**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٠٩٧)، و«الصحيح المسند» (١٢١).

(٢) **صحيحٌ**: **قال العلامة الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الأدب» برقم (١٥٥): صحيح، وجاء عن أنس، ولفظهما متقارب.اهـ وراجع: «تحقيق المسند» (٢٦/ ٢٣٥).

تحريم البناية على القبور

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ١٤٧): حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين:

أحدهما: أنهم المسلمون منهم.

والثاني: أنهم أهل الشرك منهم، فالله أعلم.

والظاهر أن الذين قالوا ذلك: هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم، وصالحيهم مساجد**»؛ يحذِّر ما فعلوا.

وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه لما وُجِد قبر دانيال في زمانه بالعراق، أمر أن يُخفى عن الناس، وأن تُدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده، فيها شيء من الملاحم، وغيرها(١).اهـ

وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يُجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه»، رواه مسلم برقم (٩٧٠).

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٧/ ٢٧): قال الشافعي رحمه الله في «الأم»: رأيتُ الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يُبنى ـ أي على القباب ـ.اهـ

---

(١) راجع لمزيد من الفائدة: «تحذير الساجد» للعلامة الألباني رحمه الله (ص٥٦).



قلت: وعبارته في «الأم» (٢/ ٦٣١): وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك.اهـ

وقال العيني رحمه الله في «شرح أبي داود» (٦/ ١٨٢): قوله: **«وأن يبنى عليه»** أي: على القبر، ولفظ البناء عام يشمل سائر أنواع البناء، فالكراهة تعم في الجميع.اهـ

وقال المناوي رحمه الله في «فيض القدير» (٦/ ٣٠٩) قوله: **«وأن يُبني عليه»**: قبة أو غيرها، فيُكره كل من الثلاثة تنزيها، فإن كان في مسبلة أو موقوفة حَرُمَ بناؤه والبناء عليه، ووجب هدمه، قال ابن القيم رحمه الله: والمساجد المبنية على القبور يجب هدمها حتى تسوى الأرض، إذ هي أولى بالهدم من مسجد الضرار، الذي هدمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذا القباب والأبنية التي على القبور، وهي أولى بالهدم من بناء الغاصب.اهـ وأفتى جمع شافعيون بوجوب هدم كل بناء، بالقرافة حتى قبة إمامنا الشافعي رضي الله عنه، التي بناها بعض الملوك.اهـ

وقال الصنعاني رحمه الله في «سبل السلام» (١/ ٤٩٨): الحديث دليل على تحريم الثلاثة المذكورة؛ لأنه الأصل في النهي، وذهب الجمهور إلى أن النهي في البناء والتجصيص للتنزيه، والقعود للتحريم، وهو جمع بين الحقيقة والمجاز ولا يُعرف ما الصارف عن حمل الجميع على الحقيقة، التي هي أصل النهي.

وقد وردت الأحاديث في النهي عن البناء على القبور، والكَتْبُ عليها والتَّسْرِيج، وأن يُزاد فيها، وأن توطأ، فأخرج أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**لعن الله زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد، والسرج**».

وفي لفظ للنسائي: نهى أن يُبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص، أو يكتب عليه.

وأخرج البخاري، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في مرضه الذي لم يقم منه ـ: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

واتفقا على إخراج حديث أبي هريرة بلفظ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وأخرج الترمذي: أن عليًا رضي الله عنه قال؛ لأبي الهياج الأسدي: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أن لا أدع قبرًا مشرفًا إلا سويته، ولا تمثالًا إلا طمسته**». قال الترمذي: حديث حسن، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، فكرهوا أن يُرفع القبر فوق الأرض.

قال الشارح رحمه الله: وهذه الأخبار المعبَّر فيها باللعن والتشبيه بقوله: «**لا تجعلوا قبري وثنا يُعبد من دون الله**»، تفيد التحريم للعمارة والتزيين والتجصيص، ووضع الصندوق المزخرف، ووضع الستائر على القبر، وعلى سمائه، والتمسح بجدار القبر، وأن ذلك قد يُفضي مع بُعد العهد وفُشو الجهل، إلى ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان، فكان في المنع عن ذلك بالكلية قطع لهذه الذريعة المفضية إلى الفساد، وهو المناسب للحكمة المعتبرة في شرع الأحكام: من جلب المصالح ودفع المفاسد، سواء كانت بأنفسها، أو باعتبار ما تفضي إليه. انتهى، وهذا كلام حسن، وقد وفينا المقام حقه في مسألة مستقلة.اهـ

وقال الشوكاني رحمه الله في «نيل الأوطار» (٤/ ١٠٤) قوله: «**وأن يُبنى عليه**»: فيه دليل على تحريم البناء على القبر، وفصَّل الشافعي وأصحابه، فقالوا: إن كان البناء في ملك الباني فمكروه، وإن كان في مقبرة مسبلة فحرام، ولا دليل على هذا التفصيل. وقد قال الشافعي: رأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى، ويدل على الهدم حديث علي المتقدم.اهـ

وفي «تطريز رياض الصالحين» (ص٩٩٢): في هذا الحديث: النهي عن تجصيص القبور والبناء عليها، والنهي عن الجلوس عليها وإهانتها، ولا تُعظَّم بالبناء والتجصيص؛ لأن ذلك يجر إلى اتخاذها مساجد وعبادتها، وهذا هو الوسط بين الغلوّ والجفا.اهـ

وقال في «المرقاة شرح المشكاة» (٥/ ٤٣١) قوله: «**وأن يُبنى عليه**»: قال التوربشتي: يُحتمل وجهين: أحدهما البناء على القبر بالحجارة وما يجرى مجراها، والآخر أن يضرب عليه



خباء ونحوه، وكلاهما منهى عنه؛ لأنه من صنيع أهل الجاهلية ـ أي: كانوا يظللون على الميت إلى سنة ـ ولأنه من إضاعة المال.

وعن ابن عمر أنه رأى فسطاطا على قبر أخيه عبد الرحمن، فقال: انزعه يا غلام، وإنما يظله عمله.اهـ ثم ذكر كلام الشوكاني ـ السابق ـ ثم قال: **قُلت**: الأمر كما قال الشوكاني.اهـ

وقال العلامة العثيمين رحمه الله في «شرح رياض الصالحين» (٦/ ٥٢١): نهى النبي ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يُبنى عليه، وأن يكتب عليه؛ لأن تجصيصه ـ يعني تفخيمه وتعظيمه ـ يُؤدي إلى الشرك به، وكذلك البناء عليه، فالتجصيص حرام، والبناء أشد حرمة، والكتابة عليه فيها تفصيل.اهـ

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه، أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر الرسول ﷺ، فَيَدْخُل فيها فيدعو، فنهاه، فقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**»، رواه أحمد برقم (٨٧٩٠)، وأبي داود (٢٠٤٢)(١).

قلت: ويدخل في هذا الباب، ما يأتي ذكره من الأدلة، في (تحريم اتخاذ القبور مساجد)، لأن القبر لا يصير مسجدًا، إلا إذا بُني عليه مكانًا للصلاة فيه، أو جُعل موضعًا لها، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٤/ ٧)، و«تلخيص أحكام الجنائز» برقم (١٠)، والله أعلم.

تحريم اتخاذ القبور مساجد

سبق في الباب قبل هذا: ذكر بعض الأدلة، الصالحة في البابين ـ هذا والـذي قبلـه ـ مـع كلام أهل العلم، وهنا نذكر بعضًا مما يتعلَّق بهذا الباب ـ إن شاء الله تعالى ـ:

قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**﴾ [الكهف:٢١].

وتقدم كلام ابن كثير ﵀، على هذه الآية، في الباب قبل هذا، فيُراجع.

وعن عائشة ﵂، أن أم حبيبة، وأم سلمة ﵄ ذكرتا لرسول الله ﷺ، كنيسـة رأينهـا بأرض الحبشة، يُقال لها مارية، فذكرَتْ له ما رأت فيها من الصـور، فقـال رسـول الله ﷺ: «**أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح** ــ أو الرجـل الصـالح ـ **بنـوا عـلى قـبره مسـجدًا، وصوروا فيه تلـك الصـور، أولئـك شرار الخلـق عنـد الله**»، رواه البخـاري بـرقم (٤٢٧)، ومسلم (١٢٠٩).

وعن عائشة، وابن عباس ﵄ قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له عـلى وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهـود والنصـارى اتخذوا قبور أنبيـائهم مسـاجد**»، يحـذر مـا صـنعوا، رواه البخـاري بـرقم (٤٥٣)، ومسـلم (١٢١٥).

وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ ـ في مرضه الذي لم يقم منه ـ: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، لولا ذلك أُبرز قبره، غير أنه خَشِيَ ـ أو خُشِيَ ـ أن يُتخذ مسجدًا، رواه البخاري برقم (١٣٩٠)، ومسلم (١٢١٢).

وعن أبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، رواه البخاري برقم (٤٣٧)، ومسلم (١٢١٤).

وعند البخاري: «**قاتل الله اليهود** ـ بدل: **لعن الله اليهود**».

وعن جندب ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ ـ قبل أن يموت بخمس ـ يقول: «**ألا وإن من كان قبلكم، كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»، رواه مسلم برقم (١٢١٦).

وعن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»، رواه أحمد برقم (٥٣١٦)، وابن خزيمة (٨٧٩)(١).

وعن أبي عبيدة بن الجراح ﵁ قال: كان آخر ما تكلم به نبي الله ﷺ: «**أن أخرجوا يهود الحجاز من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس، الذين يتخذون القبور مساجد**»، رواه أحمد (١٧١٦)(٢).

وقد جاء هذا الحديث عن أكثر من عشرين صحابي، لولا الإطالة؛ لسقتها.

وقد نص على تواتر أدلة تحريم اتخاذ القبور مساجد، جمع من أهل العلم، منهم: الإمام ابن حزم، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة الشوكاني، والعلامة الألباني ـ رحمهم الله تعالى ـ. راجع: «تحذير الساجد» للإمام الألباني ﵀، والله أعلم.

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٧). **وقال شيخ الإسلام** ﵀ في «الاقتضاء» (٢/ ٥٦٨): إسناده جيد.اهـ **قلت**: وهو من طريق ابن أبي النجود، وحديثه حسن. راجع: «تهذيب التهذيب» (٥/ ٣٥)، والله أعلم.

(٢) **حسنٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٢٥)، و«تحذير الساجد» (ص٢٣)، و«تحقيق المسند» (٣/ ٢٢١).

تحريم اتخاذ القبور محلًا للعبادات من صلاة وطواف ودعاء وقراءة قرآن

عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها**»، رواه مسلم برقم (٩٧٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**الأرض كلها مسجد، إلا المقبرة، والحمام**»، رواه الترمذي برقم (٣١٧)(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يُصلى في سبع مواطن: ومنها المقبرة، رواه الترمذي برقم (٣٤٧)(٢).

فإذا كانت الصلاة إلى القبر، وفوق القبر، وعند القبر محرَّمة، فلا يقل عنها حرمة، الطواف، والدعاء، وقراءة القرآن ونحوها من الطاعات، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: **قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله في «البلوغ» برقم (٢١٥): رواه الترمذي، وله علة.اهـ إلا أنها ليست بعلة قادحة، ولذلك مال الحافظ نفسه، إلى تصحيح الحديث، في «التلخيص» (١/ ٢٧٧)، ونقل ابن تيمية رحمه الله، في «الفتاوى» (٢٢/ ١٦٠): تصحيح الحفاظ له.

راجع: «الصحيح المسند» برقم (٣٨٠)، و«تحقيق زهيري على بلوغ المرام» ـ تحت الرقم السابق ـ.

(٢) **قال الحافظ** رحمه الله في «البلوغ» برقم (٢١٦): رواه الترمذي وضعفه.اهـ

وهذا الحديث عدهَّ العلماء من مناكير، زيد بن جبيرة، كما قال الساجي، وكما هو صنيع ابن عدي، في «الكامل»، والذهبي في «الميزان»، إذْ عدَّا هذا الحديث من مناكيره، ومجيء الحديث من طريق آخر، لا يشفع لمن صححه! كالعلامة أحمد شاكر رحمه الله، إذ هما جميعًا واهيين، كما قال أبو حاتم، في «العلل» (١/ ١٤٨).اهـ من «تحقيق زهيري على بلوغ المرام» ـ تحت الرقم المذكور ـ.

قلت: وهو وإن كان ضعيفًا، فيُعتَضد بها في الباب من الأدلة، والله أعلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **«صلوا في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورًا»**، رواه مسلم برقم (٢٠٩). وقد رُوي عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، بألفاظٍ عدة، ما بين صحيح وحسن، ودون ذلك، في الرتبة، والله أعلم.

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «تلخيص أحكام الجنائز» (ص٨٢): وأما قراءة القرآن عند زيارتها ـ أي: المقابر ـ فمما لا أصل له في السنة، بل الأحاديث المذكورة في المسألة السابقة، تُشعر بعدم مشروعيتها، إذ لو كانت مشروعة لفعلها رسول الله ﷺ، وعلَّمها أصحابه، لا سيَّما وقد سألته عائشة رضي الله عنها ـ وهي من أحب الناس إليه ﷺ ـ عمَّا تقول إذا زارت القبور؟، فعلَّمها السلام والدعاء، ولم يعلمها أن تقرأ الفاتحة أو غيرها من القرآن.

فلو أن القراءة كانت مشروعة لما كتم ذلك عنها، كيف وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، كما تقرر في علم الأصول، فكيف بالكتمان؟ ولو أنه ﷺ علمهم شيئًا من ذلك لنقل إلينا، فإذا لم يُنقل بالسند الثابت، دل على أنه لم يقع.

ومما يُقوي عدم المشروعية: قوله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ فإن الشيطان يفر من البيت، الذي يُقرأ فيه سورة البقرة»**، فقد أشار ﷺ: إلى أن القبور ليست موضعًا للقراءة شرعًا، فلذلك حَضَّ على قراءة القرآن في البيوت، ونهى عن جعلها كالمقابر، التي لا يُقرأ فيها، كما أشار في الحديث الآخر: إلى أنها ليست موضعًا للصلاة ـ أيضًا ـ وهو قوله: **«صلوا في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورًا»**.

وترجم له البخاري بقوله: (باب كراهية الصلاة في المقابر)، فأشار به إلى أنه يُفيد كراهة الصلاة في المقابر، فكذلك الحديث الذي قبله يُفيد كراهة قراءة القرآن في المقابر، ولا فرق.

ولذلك كان مذهب جمهور السلف، كأبي حنيفة، ومالك، وغيرهم: كراهة القراءة عند القبور، وهو قول الإمام أحمد، فقال أبو داود، في «مسائله» (ص١٥٨): سمعت أحمد سُئل عن القراءة عند القبر؟ فقال: لا.اهـ

تحريم شد الرحال إلى غير المساجد الثالثة ـ قبرًا أو مزارًا أو غيرهما ـ

عن أبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: **«لا تُشد الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى»**، رواه البخاري برقم (١١٣٢)، ومسلم (١٣٧٩).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لقيت بُصرة بن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه، فقال: من أين أقبلت؟. قلت: من الطور، فقال: أما لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه، سمعت النبي ﷺ يقول: **«لا تُعمل المُطي إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، وإلى مسجدي، وإلى مسجد إيلياء** ـ أو بيت المقدس ـ، رواه أحمد برقم (٢٣٨٩٩)(١).

قال ابن الأمير الصنعاني رحمه الله في «سبل السلام» (١/ ٥٩٨): الحديث دليل على فضيلة المساجد هذه، ودل بمفهوم الحصر: أنه يَحرم شد الرحال لقصد غير الثلاثة، كزيارة الصالحين أحياء وأمواتا، لقصد التقرب، ولقصد المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها، والصلاة فيها، وقد ذهب إلى هذا الشيخ أبو محمد الجويني، وبه قال القاضي عياض وطائفة، ويدل عليه: ما رواه أصحاب السنن، من إنكار أبي بصرة الغفاري على أبي هريرة خروجه إلى الطور، وقال: لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت، واستدلَّ بهذا الحديث ووافقه أبو هريرة رضي الله عنهما.

وذهب الجمهور: إلى أن ذلك غير محرم، واستدلوا بما لا ينهض، وتأولوا أحاديث الباب بتآويل بعيدة، ولا ينبغي التأويل إلَّا بعد أن يَنهض على خلاف ما أولوه الدليل.اهـ

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٧٣٧١)، و«الصحيح المسند» (١٨٢)، و«تحقيق المسند» (١٨/ ٣٨٣).

وفي **«عون المعبود مع حاشية ابن القيم»** (٦/ ١٢) ـ نقلا عن الشيخ عبد العزيز الدهلوي ـ: الوجه الثاني ـ: لا تشد الرِّحال إلى موضع يُتقرب به، إلَّا إلى ثلاثة مساجد، فحينئذ شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة المعظمة، منهي عنه، بظاهر سياق الحديث، ويؤيده: ما روى أبو هريرة عن بصرة الغفاري، حين رجع عن الطور، وهذا الوجه قوي من جهة مدلول حديث بصرة انتهى.

وقال الشيخ ولي الله في «حجة الله البالغة»: قوله ﷺ **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا»**: كان أهل الجاهلية يقصدون مواضع مُعظَّمة بزعمهم، يزورونها ويتبركون بها، وفيه من التحريف والفساد ما لا يخفى، فَسَدَّ النبيُ ﷺ الفساد؛ لئلا يلتحق غير الشعائر بالشعائر، ولئلا يصير ذريعة لعبادة غير الله، والحق عندي: أن القبر ومحل عبادة ولي من أولياء الله، والطور، كل ذلك سواء في النهي.اهـ

تنبيه:

قد يدور في خلد البعض ما يحصل في الدول الإسلامية وغيرها، من شد الرحال إلى دور الحديث، أو الجامعات، أو غيرهما، لطلب العلم الشرعي أو الدنيوي، علمًا بأن من التعليم ما يكون في مسجد، وقد يكون في غيره، فهل يعتبر ذلك من شد الرحال المحرمة؟

والجواب: قد استثنى ذلك أهل العلم، وقلَّ أن تجد عالما من علماء المسلمين إلا وقد رحل، وكانت رحلته تلك شرفًا له، ودليلا على تحصيله للعلم.

وأهم من ذلك كله هو أنَّ الطالب لن يرحل للعمران والبنيان والبقاع، وإنما لتلقِّي العلم، حيث كان، وقد ألَّف الخطيب وغيرُه كُتبًا في رحلة أهل الحديث، فتُراجع، والله أعلم.

فصلٌ: في ذكر بعض ما يتعلق بزيارة قبر النبي ﷺ للحاج أو المعتمر أو غيرهما:

قال الشيخ البسام رحمه الله في «تيسير العلام» (ص٤٤٣): **آدب الزيارة:**

المسافر إلى المدينة المنورة لقصد العبادة يُشرع له أن يقصد بسفره إليها زيارة المسجد النبوي الشريف، وعبادة الله تعالى فيه؛ لأنه المسجد الثاني في الفضل، ومضاعفة العبادة، والدليل على ذلك: حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»**، رواه أحمد، وصححه ابن حبان.

هذا هو القصد المسنون شرعاً، وليس زيارة قبره الشريف؛ لأنه نص في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، على أن الزيارة للمسجد، وذلك في قوله: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»**.

وليس النهي عن شد الرحل إلى قبره الشريف استخفافاً بحقه ﷺ، فإن محبته مقدمة على محبة كل شيء بعد الله، ولكنه امتثال لأمره، وقد قال الله تعالى في حقه: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** [الحشر:٧].

فإذا وصل الزائر إلى المسجد النبوي الشريف، استُحب له عند الدخول أن يُقدِّم رجله اليمنى، ويقول: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، ثم يصلي ركعتين، والأفضل أن يكونا في الروضة الشريفة؛ لقوله ﷺ: **«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»**، ويزور بعد الصلاة قبر الرسول ﷺ، وقبْرَيْ صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فيقف تجاه القبر مما يلي وجهه الكريم بأدب، وخفض صوت، ثم يسلم على النبي ﷺ، فيقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وذلك لما جاء في «سنن أبي داود»، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من أحدٍ يُسلِّم عليَّ إلَّا ردَّ اللهُ عليَّ روحي حتى أرُدَّ عليه السلام»**.



ثم يمضي الزائر إلى يمينه، قليلاً، فيُسلم على أبي بكر الصديق ﷺ، ثم إلى يمينه ـ أيضًا ـ، فيُسلم على عمر بن الخطاب ﷺ، ثم يتوجه إلى القبلة، ويدعو الله بما أحب، والأفضل أن يدعو بالأدعية الشرعية المأثورة، وما فيه نصرٌ لدين الله وإعلاء كلمته، ويدعو لنفسه ولوالديه، ولمشايخه وأقاربه والمسلمين، ويدعوا الله أن يشفِّع به محمداً ﷺ، وبوالديه وذريته، وأقاربه ومن له حق عليه من المسلمين.

وتستحب زيارة البقيع، والدعاء فيه للموتى بالدعاء المأثور، وكذلك تستحب له زيارة مسجد قباء، فقد كان النبي ﷺ يزوره.

تتمة: في ذكر أشياء يجب على زائر مسجد رسول الله ﷺ اجتنابها:

بما أن الزائر قد جاء إلى المدينة لغاية دِينيَّة ـ وهي العبادة ـ فعليه أن يلتزم باتباع ما شرعه الله ورسوله، وذلك باجتناب ما نَهَيَا عنه، **ومن ذلك:**

١- الابتعاد عن التفوُّه بمطالب تُوجَّه إلى الرسول ﷺ، والله وحده هو القادر عليها، كتفريج الكربات، وإبراء المرضى، وزيادة الرزق، وغير ذلك. أمَّا الشفاعة فتكون بدعاء الله أن يُشفِّع به نبيه المصطفى ﷺ، فإنَّ طلب مالا يَقْدِرُ عليه إلا اللهُ من غيره شرك وضلال.

٢- الاتجاه وقت الدعاء إلى القبلة لا إلى القبر الشريف، فإن ذلك أقرب للإجابة.

٣- عدم الطواف، والتمسح بالقبر الشريف، فقد أجمع العلماء الأئمة، وسلف الأمة: على أن الطواف بغير الكعبة لا يجوز بحال، وأنه لا يُمس إلا الركن اليماني، والحجر الأسود من الكعبة المشرفة.

٤- عدم الإكثار من التردد على القبر الشريف للسلام والزيارةَ، فإن الإكثار غير مشروع، لأنه لم يكن من عادة الصحابة ﷺ، ولا من مذهب السلف الصالح، ويكفي

المسلم أن يُصلي ويسلم على الرسول في أي مكان كان، لأن الصلاة والسلام يبلغانه، ولو كان فاعل ذلك في أقصى المعمورة.

٥- ألا يقف الزائر عند القبر أو بعيدا عنه، وقد اتخذ هيئة الوقوف في الصلاة جاعلاً يديه على صدره، مسبلاً عينيه، ومرخياً حاجبيه، والرسول عليه الصلاة والسلام أهل للاحترام، ولكن بغير هذه الوقفة التي هي من خصائص الوقوف بين يدي الله تعالى.

٦- يُكره عنده رفع الصوت بالسلام والترحم والدعاء، فقد قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** [الحجرات: ٢]. انتهى كلامه رحمه الله، مع تصرفٍ يسير، علمًا بأن ما ذُكر هنا، مما اتفق عليه علماء السنة والتوحيد، والله أعلم.

فإذا كان هذا مع قبره عليه الصلاة والسلام، وهو خير خلق الله أجمعين، فمن باب أولى، قبر غيره من عوام المسلمين، أو من جُهل حاله...، والله المستعان.



النهي عن الغلو والتعمُّق والتنطُّع والتجاوز في الدين

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء:١٧١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٧٧].

قال الإمام البغوي رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٨٣): قوله: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي: لا تتجاوزوا الحد، والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين.اهـ

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»، رواه أحمد برقم (٣٢٤٨)، والنسائي (٥/ ٢٦٨)(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: واصل النبي ﷺ، وواصل أناس معه، فبلغ النبي ﷺ، فقال: «**لو مدَّ بي الشهر لواصلت وصالًا يدع المتعمقون تعمقهم، إني لست مثلكم، إني أظل يطعمني ربي ويسقين**»، رواه البخاري برقم (٦٨١٤)، ومسلم (٢٦٢٥).

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٧/ ٢١٤): قوله ﷺ: «**يدع المتعمقون تعمقهم**»: هم المشددون في الأمور، المجاوزون الحدود في قول، أوفعل.اهـ

وقال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٢٧٨): التعمق معناه: التشديد في الأمر حتى يتجاوز الحد فيه.

وأما الغلو: فهو المبالغة في الشيء، والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق.اهـ

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون**». قالها ثلاثًا، رواه مسلم برقم (٦٩٥٥).

---

(١) **صحيحٌ على شرط مسلمٍ**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٢٨٣)، و«تحقيق المسند» (٥/ ٢٩٨).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (٩/ ٢٦): أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود، في أقوالهم وأفعالهم.اهـ

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «الاقتضاء» (ص٢٨٩): الغلو: مجاوزة الحد، بأن يُزاد في الشيء في حمده، أو ذمه، على ما يستحقه ونحو ذلك.اهـ



تحريم السحر وتعلُّمُه وتعليمه (١).

تعريفُه وحقيقته وتأثيره وأقسامه:

أما تعريفه: فهو لغةً: هو ما لطُف وخَفِيَ سببه.

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللهُ في «المبدع» (٩/ ١٨٨): السحر: عُقَدٌ ورُقى وكلام يُتكلَّمُ به، أويُعمل شيئًا، يُؤثر في بدن المسحور، أو قلبه أو عقله، من غير مباشرة له.اهـ

وشرعًا: أقسام عدة، يأتي ذكرها عقب أسطر ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وأمّا تأثيرُه: فقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللهُ ـ عقب كلامه السابق ـ: وله حقيقة في قول الأكثر، فمنه ما يقتل، ومنه ما يُمرض، ومنه ما يمنع الرجل من وطء امرأته، ومنه ما يفرق بينهما.اهـ

وأمّا أقسامه: فقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (١/ ٣٦٧) ـ نقلًا عن الرازي ـ:

السحر سبعة أقسام:

الأول: سحر الكُلْدانيين والكُشْدانيين: الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة، وهي السيارة، وكانوا يعتقدون أنها مُدَبّرة العالم، وأنها تأتي بالخير والشر، وهم الذين بُعِثَ إليهم إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ مبطلًا لمقالتهم، ورادًّا لمذهبهم.

الثاني: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية: واستدلّ على أن الوهم له تأثير، بأن الإنسان يمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الأرض، ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدودًا على نهر أو نحوه. قال: وكما أجمعت الأطباء على نهي المَرْعُوف عن النظر إلى

---

(١) **قال الحافظ** رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (١٠/ ٢٢٣): وكان السحر موجودًا في زمن نوح، إذ أخبر الله عن قوم نوح أنهم زعموا أنه ساحر...إلخ.اهـ

الأشياء الحُمْر، والمصروع إلى الأشياء القوية اللمعان أو الدوران، وما ذاك إلا لأن النفوس خلقت مُطِيعة للأوهام.

الثالث: الاستعانة بالأرواح الأرضية: وهم الجن، خلافًا للفلاسفة والمعتزلة: وهم على قسمين: مؤمنون، وكفار، وهم الشياطينُ. قال: واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية، لما بَينهُما من المناسبة والقرب، ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا، أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية، يحصل بأعمال سهلة قليلة، من الرقى والدخل والتجريد. وهذا النوع هو المسمى بالعزائم، وعمل التسخير.

الرابع: التخيلات، والأخذ بالعيون والشعبذة: ومبناه على أن البصر قد يُخطئ ويشتغل بالشيء المعين دون غيره، ألا ترى أن المشعبذ الحاذق يُظهر عمل شيء، يُذهل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق ونحوه، عمل شيئًا آخر عَمَلاً بسرعة شديدة، وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه، فيتعجَّبون منه جدًا، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكل ما يفعله.

قال: وكلما كانت الأحوال تفيد حسن البصر نوعًا من أنواع الخلل أشد، كان العمل أحسنَ، مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدًا، أو مظلم، فلا تقف القوة الناظرة على أحوالها بكلالها والحالة هذه.

قلت ـ أي: ابن كثير رحمه الله ـ: وقد قال بعض المفسرين: إن سحر السحرة بين يدي فرعون، إنما كان من باب الشعبذة، ولهذا قال تعالى: **﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾** [الأعراف: ١١٦].

وقال تعالى: **﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾** [طه: ٦٦]. قالوا: ولم تكن تسعى في نفس الأمر، والله أعلم.



الخامس: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة من النِّسب الهندسية: كفارس على فرس في يده بوق، كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق، من غير أن يمسه أحد.

ومنها: الصور التي تُصَوِّرها الرومُ والهند، حتى لا يُفرق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى يصورونها ضاحكة وباكية...ـ إلى أن قال ـ: فهذه الوجوه من لطيف أمور المخاييل. قال: وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل.

قلت ـ أي: ابن كثير رحمه الله ـ: يعني ما قاله بعض المفسرين: أنهم عمدوا إلى تلك الحبال والعُصي، فحشوها زئبقًا، فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق، فيخيل إلى الرائي أنها تسعى باختيارها.

قال الرازي: ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات، ويندرج في هذا الباب علم جَرِّ الأثقال بالآلات الخفيفة، وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يُعد من باب السحر؛ لأن لها أسبابًا معلومة يقينية، من اطلع عليها قدر عليها.

قلت ـ أي: ابن كثير رحمه الله ـ: ومن هذا القبيل حيل النصارى على عامتهم، بما يُرُونَهم إياه من الأنوار، كقضية قُمَامة الكنيسة التي لهم ببلد المقدس، وما يحتالون به من إدخال النار خفية إلى الكنيسة، وإشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على العوام منهم، وأما الخواص فهم يعترفون بذلك، ولكن يتأولون أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم، فيرون ذلك سائغًا لهم.

السادس: الاستعانة بخواص الأدوية: ـ يعني: في الأطعمة والدهانات ـ قال: واعلم أن لا سبيل إلى إنكار الخواص، فإن أثر المغناطيس مشاهد.

قلت ـ أي: ابن كثير رحمه الله ـ: ويدخل في هذا القبيل كثير ممن يَدّعي الفقر، ويتخيل على جهلة الناس بهذه الخواص، مدعيًا أنها أحوال له، من مخالطة النيران، ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات.

السابع: تعليق القلب: وهو أن يدعي الساحرُ أنه عرف الاسم الأعظم، وأن الجن يُطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتفق أن يكون ذلك السامع لذلك ضعيف العقل، قليل التمييز، اعتقد أنه حق، وتعلَّق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرهب والمخافة، فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة، فحينئذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء.

قلت ـ أي: ابن كثير رحمه الله ـ: هذا النمط يقال له: التنبلة، وإنما يروج على ضعفاء العقول من بني آدم، وفي علم الفراسة ما يُرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه، فإذا كان المُتَنْبِلُ حاذقًا في علم الفراسة عرف من ينقاد له مِنَ الناس مِنْ غيره.

الثامن: السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة: وذلك شائع في الناس.

قلت ـ أي: ابن كثير رحمه الله ـ: **النميمة على قسمين:** تارة تكون على وجه التحريش بين الناس، وتفريق قلوب المؤمنين، فهذا حرام متفق عليه.

فأما إذا كانت على وجه الإصلاح بين الناس وائتلاف كلمة المسلمين، كما في الحديث: **«ليس بالكذاب من يَنمّ خيرًا»**، أو يكون على وجه التخذيل، والتفريق بين جموع الكفرة، فهذا أمر مطلوب، كما جاء في الحديث: **«الحرب خدعة»**، وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الأحزاب وبين قريظة، وجاء إلى هؤلاء فنمى إليهم عن هؤلاء كلامًا، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئًا آخر، ثم لأم بين ذلك، فتناكرت النفوس وافترقت، والله المستعان.ثم قال الرازي: فهذه جملة الكلام في أقسام السحر، وشرح أنواعه وأصنافه.

قلت ـ أي: ابن كثير رحمه الله ـ: وإنما أدخل كثيرًا من هذه الأنواع المذكورة، في فَنّ السحر؛ للطافة مداركها؛ لأن السحر في اللغة: عبارة عما لطُف وخفي سببه، والله أعلم.اهـ بتصرف.



وأمَّا أدلَّة تحريم تعلُّمه وتعليمه: فقال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢ ـ ١٠٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (١/ ٣٦٢): استَدلَّ بعضهم بهذه الآية: على تكفير من تعلَّم السحر، ويُستشهد له بالحديث الذي رواه البزار، عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: من أتى كاهنًا، أو ساحرًا، فسأله فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا إسناد جيد، وله شواهد أُخر. اهـ(١).

وقال ـ أيضًا ـ (١/ ٣٦٥): قد استَدلَّ بقوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا**﴾ [البقرة: ١٠٣] من ذهب إلى تكفير الساحر، كما هو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل، وطائفة من السلف. اهـ

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: نعم، أُنزل الملكان بالسحر، ليعلِّما الناس البلاء، الذي أراد الله أن يَبْتَلِيْ به الناس، فأخذ عليهما الميثاق: أن لا يُعلما أحدًا حتى يقولا: ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾، رواه ابن أبي حاتم برقم (١٠١١).

وفي «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٢)، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: إذا أتاهما الآتي يريد السحر نهياه أشد النهي، وقالا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر؛ وذلك أنهما عَلِما الخير والشر،

---

(١) **صحيحٌ**: ويأتي تخريجه والحكم عليه في (تحريم الكهانة) ـ إن شاء الله تعالى ـ.

والكفر والإيمان، فعرَفَا أن السحر من الكفر، فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتي مكان كذا وكـذا، فإذا أتاه عاين الشيطان فَعلَّمه، فإذا تعلَّم خرج منه النور، فنظر إليه ساطعًا في السماء، فيقول: يا حسرتاه! يا ويله! ماذا أصنع؟.

وعن قتادة رحمه الله أنه قال: كان أخذ عليهما ألَّا يُعلما أحدًا، حتى يقولا: **﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾** ـ أي: بلاء ابتلينا به ـ **﴿فَلا تَكْفُرْ﴾**.

وعن ابن جريج رحمه الله أنه قال في هذه الآية: لا يجترئ على السحر إلا كافر.اهـ

وقال الله تعالى: **﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾** [طه:٦٩].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في «فتح المجيد» (٢/ ٢٢): دلت الآية على تحريم السحر، وهو محرم في جميع أديان الرسل ـ عليهم السلام ـ، كما قال تعالى: **﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾** [طه:٦٩]، وقد نص أصحاب أحمد أنه يكفر بتعلُّمه وتعليمه.اهـ

وقال الله تعالى: **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾** [يونس: ٧٩ ـ ٨٢].

ووجه الدلالة من الآية: هو أن الله سمَّى السحر إفسادًا، وأصحابه مجرمين، والله أعلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قالوا: يا رسول الله وما هن؟. قال: «**الشرك بالله، والسحر** ـ الحديث ـ»، رواه البخاري (٢٦١٥)، ومسلم (٨٩). وجاء عن أنس رضي الله عنه، تقدم ذكره، في (تحريم الشرك بالله تعالى).



وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم**»، رواه أحمد برقم (١٩٥٨٧)، والحاكم (٧٢٣٤)، وقال: صحيح الإسناد.اهـ(١).

وعن عبيد بن عمير الليثي، عن أبيه، أن رجلًا قال: يا رسول الله كم الكبائر؟. قال: «**تسع، أعظمهن الإشراك بالله، والسحر**»، رواه الطبراني في «الكبير» برقم (١٠١)(٢).

وفي كتاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ إلى أهل اليمن ـ: «**وإنَّ أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: الإشراك بالله، وتعلُّم السحر**»، رواه النسائي «في الكبرى» برقم (٤٨٥٣)، والحاكم (١/ ٥٥٣)، والبيهقي في «الكبرى» برقم (٧٠٤٧)، وابن حبان (٦٥٥٩)، عن عمرو بن حزم رضي الله عنه(٣).

---

(١) **حسنٌ**: **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٥/ ٩٢): رجال أحمد، وأبي يعلى ثقات.اهـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢/ ٢٩٥): رجال إسناده ثقات، غير أبي حريز، ففيه ضعف، وقد صحَّحَ هذا الحديث الحاكم، والذهبي، وبينت خطأهما في ذلك، في الكتاب الآخر برقم (١٤٦٣)، وذكرتُ له هناك شاهدًا من حديث أبي سعيد، فالحديث بمجموع الطريقين حسن، والله أعلم.اهـ وراجع: «تحقيق المسند» (٣٢/ ٣٣٩).

(٢) **حسنٌ**: راجع: «الترغيب والترهيب» (٢/ ١٩٨)، و«مجمع الزوائد» (١/ ٥٤)، و«الفتح» لابن حجر (١٢/ ١٨٢)، والله أعلم.

(٣) **صحيحٌ**: فقد صححه جمع من الأئمة، منهم: الشافعي، وأحمد، والحاكم، والفسوي، وابن الجوزي، وغيرُهم. راجع: «نصب الراية» (٤/ ١٤٠)، وغيرها، والله أعلم.

حكم تعلم السحر:

تقدَّم ـ قبل أسطر ـ بعض ما يتعلَّق بتعلُّم السحر وتعليمه. **وقال الحافظ ابن كثير** ﵀ في «تفسيره» (١/ ٣٧١) ـ نقلًا عن ابن هبيرة ـ: واختلفوا فيمن يتعلَّم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك.

ومن أصحاب أبي حنيفة ﵀ من قال: إن تَعلَّمه ليتَّقيه أو ليجتنبه فلا يكفر، ومن تعلمه معتقدًا جوازه أو أنه ينفعه كَفَر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

وقال الشافعي ﵀: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك. فإن وصف ما يوجب الكفر ـ مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها ـ، فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته؛ فهو كافر.اهـ

وفي الفصول والأبواب التالية، مزيدُ ذكرٍ وبيان ـ إن شاء الله تعالى ـ.

تحريم إتيان السحرة والذهاب إليهم وتصديقهم

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكهَّن أو تُكهِّن له، أو سحر أو سُحر له، ومن عقد عقدة، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما قال؛ فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ»، رواه البزار برقم (٣٥٧٨) ـ كما في «البحر الزخار» ـ، والطبراني في «الكبير» (٣٥٥)(١).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من أتى كاهنًا، أو ساحرًا، فسأله فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، رواه البزار برقم (١٨٧٣)، ـ كما في «البحر الزخار» ـ(٢).

قلت وقد تقدم في الباب قبل هذا: عن أبي موسى، وأبي سعيد رضي الله عنهما وغيرهما، بعض أدلة هذا الباب، ويأتي بعضًا منها في (تحريم الكهانة) ـ إن شاء الله تعالى ـ، والله أعلم.

---

(١) **جيدٌ**: راجع: «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥٢)، و«مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٠)، و«الفتح» (١٠/ ٢١٧)، و«الصحيحة» برقم (٢١٩٥)، والله أعلم.

(٢) **جيدٌ موقوفًا**: راجع: «الترغيب والترهيب» (٣/ ٩٨)، و«صحيح الترغيب» (٣/ ٩٨)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٢)، و«مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٠)، والله أعلم.

فصلٌ: في حكم النُّشرة وبيان الجائز منها والممنوع:

عن جابر رضي الله عنه، قال: سُئل رسول الله ﷺ عن النشرة؟، فقال: «**هي من عمل الشيطان**»، أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٤)، وأبو داود برقم (٣٨٦٣)، وغيرهما(١).

وفي «**الآداب الشرعية**» لابن مفلح (٣/ ٧٧): **قال أبو داود** رحمه الله: سُئل عنها أحمد بن حنبل رحمه الله، فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.اهـ

وقال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الطب من «صحيحه» ـ الباب الثامن والأربعون: (باب هل يُستخرج السحر؟) ـ وقال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طب ـ أو يُؤخذ عن امرأته ـ أيُحلّ عنه أو يُنشر؟. قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع الناس فلم ينه عنه، ثم ساق بسنده، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سُحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ـ قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا ـ، فقال «**يا عائشة: أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟. قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟. قال لبيد بن أعصم** ـ رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقا ـ. **قال: وفيم؟. قال: في مشط ومشاطة. قال: وأين؟. قال: في جف طلعة ذكر، تحت رعوفة في بئر ذروان**». قالت: فأتى النبي ﷺ البئر، حتى استخرجه، فقال: «**هذه البئر التي أُريتها، وكأنَّ ماءها نقاعة الحناء، وكأنَّ نخلها رؤوس الشياطين**»، فاستُخرج. قالت: فقلت: أفلا؟ ـ

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «الآداب الشرعية» (٣/ ٧٣)، و«الفتح» ـ تحت رقم ـ (٥٧٦٥)، و«صحيح أبي داود» (٢/ ٤٦٤)، و«تحقيق المسند» (٢٢/ ٤٠).

قلت: وقد أعلَّه بعضهم: بأن وهب بن منبه لم يلق جابرا، وإنما هو من كتاب أو صحيفة، وقد ذكره شيخنا الوادعي رحمه الله، في «أحاديث معله» برقم (٨٨)، **والأقرب**: أنه حسن كما سبق، والله أعلم.

أي: تنشرت ـ، فقال: «**أما والله، فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على أحدٍ من الناس شرًا**»، رواه البخاري برقم (٥٤٣٢)، ومسلم (٢١٨٩).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (٤/ ٣٩٦): النشرة: حل السحر عن المسحور، **وهي نوعان:**

الأول: حل سحرٍ بمثله: وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن: فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يُحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية، والتعوذات، والأدوية، والدعوات المباحة: فهذا جائز.اهـ

وقال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (١٠/ ٢٣٣): رَوَى أبو بكر الأثرم، في «كتاب السنن»، من طريق أبان العطار، عن قتادة، ومثله من طريق هشام الدستوائي، عن قتادة بلفظ: يَلتَمِس من يداويه، فقال: إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع.

وأخرجه الطبري في «التهذيب»، عن سعيد بن المسيب، أنه كان لا يرى بأسًا ـ إذا كان بالرجل سحر ـ أن يمشي إلى من يطلق عنه، فقال: هو صلاح.

قال قتادة: وكان الحسن يكره ذلك، يقول: لا يعلم ذلك إلا ساحر. قال: فقال سعيد بن المسيب: إنما نهى الله عما يضر، ولم ينه عما ينفع.

قال ابن الجوزي رحمه الله: النشرة: حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر، وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور؟، فقال: لا بأس به، وهذا هو المعتمد.

ويجاب عن الحديث، والأثر بأن قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**النشرة من عمل الشيطان**»: إشارة إلى أصلها، ويختلف الحكم بالقصد، فمن قصد بها خيرًا كان خيرًا، وإلا فهو شر.

ثم الحصر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره؛ لأنه قد ينحل بالرقى، والأدعية، والتعويذ، ولكن يُحتمل أن تكون النشرة نوعين.اهـ

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «القول المفيد» (١/ ٣٧٦): قوله: عن النشرة: (أل) للعهد الذهني، أي: المعروفة في الجاهلية، التي كانوا يستعملونها في الجاهلية، وذلك طريق من طرق حل السحر، **وهي على نوعين**:

الأول: أن تكون باستخدام الشياطين، فإن كان لا يصل إلى حاجته منهم إلا بالشرك، كانت شركاً، وإن كان يتوصل لذلك بمعصية دون الشرك، كان لها حكم تلك المعصية.

الثاني: أن تكون بالسحر، كالأدوية والرقى والعقد والنفث، وما أشبه ذلك، فهذا له حكم السحر على ما سبق.

ومن ذلك ما يفعله بعض الناس، أنهم يضعون فوق رأس المسحور طستاً فيه ماء ويصبون عليه رصاصاً ويزعمون أن الساحر يظهر وجهه في هذا الرصاص، فيستدل بذلك على من سحره.

وقد سئل الإمام أحمد عن النشرة، فقال: إن بعض الناس أجازها، فقيل له: إنهم يجعلون ماء في طست، وإنه يغوص فيه، وإنه يبدو وجهه، فنفض يده، وقال: ما أدري ما هذا؟ ما أدري ما هذا؟، فكأنه رَحِمَهُ اللَّهُ توقف في الأمر، وكره الخوض فيه.اهـ

قلت: وخلاصة هذه المسألة: أن النشرة على أقسام:

الأول: نشرة بالرقى الشرعية: من القرآن والأدعية الصحيحة الواردة، وهذا مباح بل مأمور به، وعلى ذلك أدلة، سُقنا بعضًا منها في (باب الرقى الشرعية).

الثاني: ما نُشر به سحر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وذلك بأن يُجمع بين الرُّقى الشرعية الصحيحة، وإبطال السحر، بفك عُقده أو إتلافه بحرقٍ أو غيره، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ المتقدم ـ.

الثالث: نشره عن طريق السحرة، أو المشعوذين، وغيرهم، وهذا يجب تركه؛ لحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المذكور في أول الباب، وللإثم الحاصل لمن أتى كاهنًا، وإثم من صدقه، والله أعلم.



تحريم الكهانة وحرمة إتيانهم وتصديقهم

تعريف الكهانة:

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٠/ ٢١٦): الكهانة ـ بفتح الكاف ويجوز كسرها ـ ادِّعاء علم الغيب، كالإِخبار بما سيقع في الأرض، مع الاستناد إلى سبب.

والأصل فيه: استراق الجني السمع من كلام الملائكة، فيُلقيه في أُذْن الكاهن.

والكاهن لفظ يُطلق على العرَّاف، والذي يَضْرِبُ بالحصى، والمنجم.

ويطلق على من يقوم بأمرٍ آخر، ويسعى في قضاء حوائجه.

وقال في «المحكم»: الكاهن القاضي بالغيب.

وقال في «الجامع»: العرب تُسمي كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهنًا.

وقال الخطابي: الكهنة قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريرة، وطباع نارية، فألفتهم الشياطين؛ لما بينهم من التناسب في هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه، وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصًا في العرب؛ لانقطاع النبوة فيهم.اهـ

فصلٌ: في أنواع الكهانة:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٠/ ٢١٦ ـ ٢١٧): **والكهانة أصناف منها:**

الأول: ما يتلقونه من الجن، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء، فيركب بعضهم بعضًا إلى أن يدنو الأعلى، بحيث يسمع الكلام، فيلقيه إلى الذي يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حُرست السماء من الشياطين، وأُرسلت عليهم الشهب، فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى، فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿**إِلا مَنْ خَطِفَ الْخُطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ**

ثَاقِبٌ﴾ [الصافات:١٠]، وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدًا، كما جاء في أخبار شق وسطيح ونحوهما، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جدًا، حتى كاد يضمحل، ولله الحمد.

الثاني: ما يُخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره، مما لا يطَّلِع عليه الإنسان غالبًا، أو يَطَّلِع عليه من قُرب منه لا من بَعُدَ.

الثالث: ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

الرابع: ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر، وقد يعتضد بعضهم من ذلك بالزجر، والطرق والنجوم، وكل ذلك مذموم شرعًا.اهـ

قلت: وذكر غيره أنواعًا أخرى، هي داخلة تحت ما ذكر من الأنواع السابقة، والله أعلم.

وأما أدلة تحريمها: فقال الله تعالى: **﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾** [الشعراء:٢٢١-٢٢٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ١٧٢): تَنْزِل الشياطين على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة؛ ولهذا قال الله: **﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾** أي: أخبركم؟ **﴿عَلَى مَنْ تَنزلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾** أي: كذوب في قوله، وهو الأفاك الأثيم، أي: الفاجر في أفعاله، فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين، كالكهان وما جرى مجراهم، من الكذبة الفسقة.اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعانًا لقوله، كأنها سلسلة على صَفْوان، حتى إذا فُزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟. قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقو السمع، هكذا بعضهم فوق بعض**»- ووصف سفيان بيده فَحَرَّفها، وبَدَّدَ بين

أصابعه ـ «**فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر** ـ أو الكاهن ـ **فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدُق بتلك الكلمة التي سمع من السماء**»، رواه البخاري برقم (٤٨٠٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رجل من الأنصار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إذا قضى الله أمرًا سبَّح حَمَلَةُ العرش، ثم سبّح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه الدنيا، ثم يَستخبِرُ أهلُ السماء الذين يَلُونَ حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟، فيخبرونهم، ويخبر أهلُ كل سماء سماء؛ حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن السمع فيُرمَون، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون**»، رواه مسلم برقم (٢٢٢٩).

وأما أدلة تحريم إتيانهم وتصديقهم: فعن معاوية بن الحكم رضي الله عنه، أن أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قالوا: منا رجال يأتون الكهان؟ قال: «**فلا تأتوا كاهنًا**»، رواه مسلم برقم (١٢٢٧).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ليس منا من تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكهَّن أو تُكهِّن له، أو سحر أو سُحر له، ومن عقد عقدة** ـ أو قال ـ: **عقد عقدة، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما قال؛ فقد كفر بما أنزل على محمد** صلى الله عليه وعلى آله وسلم»، رواه البزار برقم (٣٥٧٨) ـ كما في «البحر الزخار» ـ، والطبراني في «الكبير» (٣٥٥)(١).

---

(١) **جيدٌ**: راجع: «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥٢)، و«مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٠)، و«الفتح» (١٠/ ٢١٧)، و«الصحيحة» برقم (٢١٩٥)، والله أعلم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما قال؛ فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ»، رواه البزار برقم (٣٥٧٨) ـ كما في «البحر الزخار» ـ(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن ينال الدرجات العلى من تكهن، أو استقسم، أو رجع من سفرٍ تطيرًا**»، رواه الطبراني برقم (٢٦٦٣)(٢).

وعن أبي هريرة، والحسن بن علي رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى كاهنًا، أو عرافًا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ»، رواه أحمد برقم (٩١٧١)، وأبو داود (٣٤٠٥)، والترمذي (١٢٥)، **وقال**: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكم الأثرم، عن أبي تميمة الجهيني، عن أبي هريرة، وضعف محمد ـ أي: البخاري ـ هذا الحديث من قبل إسناده.اهـ ورواه الحاكم (١/ ٨) **وقال**: على شرط الشيخين.اهـ(٣).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من أتى كاهنًا، أو ساحرًا، فسأله فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، رواه البزار برقم (١٨٧٣)، ـ كما في «البحر الزخار» ـ(٤).

---

(١) **جيدٌ**: راجع: «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٧)، و«الفتح» (١٠/ ٢١٧)، والله أعلم.

(٢) **حسنٌ**: راجع: «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٨)، و«مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٠)، والله أعلم.

(٣) **قلت**: والحديث قد صححه العلامة الألباني رحمه الله، في «الإرواء» (٧/ ٦٨)، والله أعلم.

(٤) **جيدٌ موقوفًا**: راجع: «الترغيب والترهيب» (٣/ ٩٨)، و«صحيح الترغيب» (٣/ ٩٨)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٢)، و«مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٠)، والله أعلم.



تحريم التنجيم وحُرمة إتيان المنجم وتصديقه

تعريف التنجيم:

قال في «التمهيد شرح كتاب التوحيد» (ص٣٢٤): المنّجم: هو الذي يستخدم علم التنجيم والتأثير، يقول: إذا ظهر نجم كذا والتقى بنجم كذا، فمعناه: أنه سيحدث كذا وكذا، أو إذا ولد لفلان ولد، في برج كذا، فإنه سيحصل كذا وكذا له من الغنى والفقر، أو السعادة، أو الشقاوة، ونحو ذلك، فيستدلون بحركة النجوم على حال الأرض، وحال الناس فيها.اهـ وقيل في تعريفه غير هذا، وهذا من أحسنها، والله أعلم.

فصلٌ: في أنواع التنجيم:

قال في «التمهيد شرح كتاب التوحيد» (ص٤٨٢): التنجيم ينقسم إلى جائز ومحرم، والمحرم منه نوع من أنواع السحر، وهو كفر وشرك بالله جل وعلا، فادعاء معرفة المغيبات عن طريق النجوم، هو التنجيم المذموم المحرم، الذي هو من أنواع الكهانة والسحر.اهـ

وقال في «الشرح الميسر لكتاب التوحيد» (ص١٧٦): إن تَعلُّم حروف (أبا جاد) وكتابتها تنقسم في حكمها إلى نوعين: **الأول**: مباح، وذلك إذا كانت كتابتها وتعلمها للتهجي، وحساب الجُمل، كمن يدون تواريخ المواليد والوفيات، وذلك باستعمال حروف (أبجد هوز...) التي وضعت في مقابل الأرقام الحسابية.

الثاني: محرم، وذلك إذا كانت كتابتها وتعلمها على وجه ادعاء علم الغيب، والنظر في النجوم لمعرفة الحوادث الأرضية، من فقر ومرض، وغلاء أسعار وغير ذلك، وهذا النوع هو الذي قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما أن من فعله ليس له نصيب عند الله؛ لأن ذلك داخل في حكم العرافين مدعي علم الغيب.اهـ

وأمَّا أدلة تحريم التنجيم وحرمة إتيانهم وتصديقهم: فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**من اقتبس علماً من النجوم؛ اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**»، رواه أحمد برقم (٢٨٤١)، وأبو داود (٣٩٠٥)(١).

قلت: وإذا كان التنجيم شُعبةً من السحر، فإن أدلة تحريم السحر وتعلُّمِه وتعليمِه والذهاب إلى فاعلة ـ المتقدم بعضها قبل بابين ـ يُستدل بها على تحريم التنجيم، وإتيان المنجم وتصديقه، والله أعلم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ـ في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم ـ: ما أدري من فعل ذلك له عند الله من خلاق، رواه البيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٣٩)، وعبد الرزاق في «مصنفه» برقم (١٩٨٠٥)، وابن أبي شيبة (٨/ ٤١٤)(٢).

قال العلامة العثيمين رحمه الله في «القول المفيد» (١/ ٣٧٣): ظاهر كلام ابن عباس رضي الله عنهما، أنه يرى كفرهم؛ لأن الذي ليس له نصيب عند الله هو الكافر، إذ لا يُنفى النصيب مطلقًا عن أحد من المؤمنين، وإن كان له ذنوب عُذِّبَ بقدر ذنوبه، أو تجاوز الله عنها، ثم صار آخر أمره إلى نصيبه الذي يجده عند الله.اهـ

وقال قتادة رحمه الله: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به، رواه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٩١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» (٦٠٧٤)، و«الصحيح المسند» (٦٤٢)، و«تحقيق المسند» (٥/ ٤١).

(٢) **صحيحٌ إلى ابن عباس** رضي الله عنهما: والله أعلم.



وقال الحافظ المنذري رحمه الله في «الترغيب» (٤/ ١٩): والمنهي عنه من علم النجوم؛ هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية، في مستقبل الزمان، كمجيء المطر، ووقوع الثلج، وهبوب الريح، وتغيير الأسعار، ونحو ذلك، ويزعمون أنهم يُدركون ذلك بسير الكواكب واقترانها وافتراقها، وظهورها في بعض الأزمان، وهذا علم استأثر الله به، لا يعلمه أحد غيره، فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم؛ الذي يُعرف به الزوال، وجهة القبلة، وكم مضى من الليل والنهار، وكم بقي، فإنه غير داخل في النهي، والله أعلم.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (٣٥/ ١٩٢): وصناعة التنجيم، التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية، بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكي والقوابل الأرضية: صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين، في جميع الملل. ...اهـ

تحريم العرافة والعيافة والطَّرق بالحصى والضرب بالرمال

تعريف العرَّاف والعِيافة والطَّرق والرَّمَّال:

أمَّا العرَّاف، فقال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٤/ ٢٢٧): قال الخطابي، وغيرُه: العرَّاف: هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق، ومكان الضالة، ونحوهما.اهـ

وقال العلامة العثيمين رحمه الله في «القول المفيد» (١/ ٣٦٩): قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات، يستدل بها على المسروق، ومكان الضالة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يُخبر عن المغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يُخبر عمَّا في الضمير.اهـ

وظاهر كلام البغوي رحمه الله: أنه شامل لمن ادعى معرفة المستقبل والماضي؛ لأن مكان المسروق يُعلم بعد السرقة، وكذلك الضالة قد حصل الضياع، ولكن المسألة ليست اتفاقية بين أهل العلم... ـ **إلى أن قال** ـ: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ كما في «مختصر الفتاوي المصرية» (١/ ١٤٤) ـ: العراف: اسم للكاهن، والمنجم، والرمال ونحوهم.اهـ

ثم قال رحمه الله: وعلى كل حال، فشيخ الإسلام ساق هذا القول وارتضاه، ولو قيل: إنه اسم خاص لبعض هؤلاء: الرمال والمنجم ونحوهم، فإنهم يدخلون فيه بالعموم المعنوي؛ لأن عندنا عمومًا معنويًا، وهو ما ثبت عن طريق القياس، وعمومًا لفظيًا، وهو ما دل عليه اللفظ، بحيث يكون اللفظ شاملًا له.اهـ

وقال الطرفاوي في «نواقض الإيمان» (ص٨): العرَّاف: هو الذي يدعي علم ما مضي، كمعرفة السارق ومكان السرقة، واسم من يأتيه ومكانه، وذلك من خلال اتصاله بالجن.اهـ

وأما العيافة: فقال عوف ـ أحد رواة حديث قبيصة، الآتي عقب أسطر، إن شاء الله تعالى ـ: **العيافة**: زجر الطير.

والطرق: الخط يُخط يعنى في الأرض. **والجبت**: **قال الحسن** رحمه الله: إنه الشيطان.اهـ



وقال ابن الأثير رحمه الله في «النهاية» (٣/ ٣٣٠): العيافة زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب كثيرًا، وهو كثير في أشعارهم، يقال عاف يعيف عيفًا، إذا زجر وحدس وظن.اهـ

وأمَّا الطَّرق ـ فهو الضرب بالحصى ونحوه ـ: فقال ابن الأثير رحمه الله في «النهاية» (٣/ ١٢١): الطرق: الضرب بالحصا الذي يفعله النساء. وقيل: هو الخط في الرمل.اهـ

وأمَّا الرمَّال: فقال في «التمهيد شرح كتاب التوحيد» (ص٣٢٤): هو صاحب الطرق، أو الذي يَخُطُّ في الرمل، أو يستخدم الحصى على الرمل، ونحوهم. يعني: مِن مثل الذين يقرؤون الكف، ويقرؤون الفنجان، أو في هذا العصر الذين يكتبون في الصحف والجرائد والمجلات البروج، وما يحصل في ذلك البرج، وأنت إذا ولدت في هذا البرج، فمعناه: أنه سيحصل لك في هذا الشهر كذا وكذا، هذه كلها من أنواع الكهانة.اهـ

وأمَّا أدلة تحريم ما سبق فقد ذهب العلماء: إلى أن العِرافة والعِيافة، والطرق والضرب بالرمال، ضُروبٌ من الكهانة(١)، فعن قَبِيصَة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**العِيافة، والطَّرق، والطِّيرة؛ مِن الجبت**»، رواه أحمد برقم (٢٠٦٢٢)، وأبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٠٨)، والبيهقي في «الكبرى» (١٦٢٩٢)(٢).

---

(١) راجع: «القول المفيد» للعثيمين (١/ ٥١٤)، و«موسوعة العقيدة والأديان والفرق» (٤/ ١٩٢٢)، و«معجم التوحيد» (٣/ ٣٤٦)، وغيرها.

وتقدم قول شيخ الإسلام رحمه الله: العراف: اسم للكاهن، والمنجم، والرمال ونحوهم.اهـ

(٢) **حسنٌ بشواهده: قال النووي** رحمه الله في «الرياض» عقب برقم (١٦٧٠): إسناده حسن.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٩٢): إسناده حسن.اهـ

=

قال السِّندي رحمه الله في «تعليقه على مسند أحمد» (٢٥/ ٢٥٧): قوله: «**من الجبت**»، ـ بكسرٍ فسكون ـ: هو المذكور في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: ٦٠]، أي: من التكهن والسحر.اهـ

وعن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى عرَّافًا، فسأله عن شيء؛ لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة**»، رواه مسلم برقم (٥٩٥٧).

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرافًا لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»، رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٩١٢٧)(١).

قلت: وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ مرفوعًا، في (تحريم الكهانة) ـ ولفظه: «**من أتى كاهنًا، أو عرافًا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد**».

وبنحوه من قول ابن مسعود رضي الله عنه، فيراجع.

= **وقال الذهبي وأحمد شاكر** رحمهما الله تعالى: إسناده صحيح.اهـ ـ عزاه إليهما صاحب كتاب «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (٢/ ٩١٨) ـ.

وقال المناوي رحمه الله كما في «جامع الأحاديث» (٧/ ٤٠٢): إسناد أحمد جيد.اهـ

قلت: والحديث صالح بشواهده، والأدلة في معناه كثيرة، وإن كان العلامة الألباني رحمه الله قد أودعه في «ضعيف الجامع» (٣٩٠٠)، والله أعلم.

(١) **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٠): رجاله ثقات.اهـ



فصلٌ: في معنى قوله ﷺ: «من أتى عرافًا فسأله؛ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة».

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٤/ ٢٢٧): وأما عدم قبول صلاته؛ فمعناه: أنه لاثواب له فيها، وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلى إعادة، ونظير هذه الصلاة في الأرض المغصوبة مجزئة مسقطة للقضاء، ولكن لاثواب فيها، كذا قاله جمهور أصحابنا. قالوا: فصلاة الفرض، وغيرها من الواجبات اذا أُتي بها على وجهها الكامل ترتب عليها شيئان: سقوطا الفرض عنه، وحصول الثواب، فإذا أداها في أرض مغصوبة؛ حصل الأول دون الثاني، ولابد من هذا التأويل في هذا الحديث؛ فان العلماء متفقون: على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلوات أربعين ليلة؛ فوجب تأويله، والله أعلم.اهـ

تحريم تعليق التمائم والوَدْع والحروز والتِّوَلَة والجوامع والقلائد والوتر ونحوها

تعريف التميمة والوَدْعة والحرز والتولة والجوامع والقلادة والوتر:

أمَّا تعريف التميمة: فقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٦/ ١٤٢): التميمة: ما عُلِّق من القلائد خشية العين، ونحو ذلك.

قال ابن عبد البر: إذا اعتقد الذي قلدها أنها ترد العين، فقد ظن أنها ترد القدر، وذلك لا يجوز اعتقاده.اهـ

وأمَّا تعريف الوَدْع: فقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ في «النهاية» (٥/ ١٦٨): الوَدْع ـ بالفتح والسكون ـ: جمع ودْعة، وهو شيء أبيض، يُجلب من البحر، يُعلَّق في حلوق الصبيان وغيرهم.اهـ

قال في «التجريد شرح كتاب التوحيد» (١/ ١٢٢): ونُهي عنها، لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين.اهـ

وأمَّا تعريف الحرز: فقال الجوهري رَحِمَهُ اللهُ في «الصحاح» (٣/ ٨٧٣): الحرز: الموضع الحصين. يقال: هذا حرز حريز، ويسمى التعويذ حرزًا، واحترزت من كذا وتحرزت توقيته.اهـ

وقال غيره: الحرز: العُوِذة ـ تميمة أو تعويذة ـ، يُكتب عليها آيات أو غيرها، وتحمل لتحمي حاملها من المرض والخطر، كما يزعم المعوذون.اهـ

وأمَّا تعريف التولة: فقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ في «النهاية» (١/ ٥٥٢): التِّوَلَة ـ بكسر التاء وفتح الواو ـ ما يُحبّب المرأة إلى زوْجها من السّحر، وغيره، جعله من الشرك؛ لاعتقادهم أن ذلك يؤثر، ويَفْعل خلاف ما قدّره الله تعالى.اهـ

وأمَّا الجوامع: فقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ ما معناه: أنه اسم يُطلق على كل ما عُلِّق، لدفع الضرر، فيشمل التمائم والحروز، وغيرهما من التعويذات، والله أعلم.



وأمَّا تعريف القلادة والوَتَر: فقال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (٦/ ١٤٢): التميمة ما عُلِّق من القلائد خشية العين، ونحو ذلك.اهـ

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في «فتح المجيد» (ص١٢٤): الوتر - بفتحتين - أحد أوتار القوس، وكان أهل الجاهلية إذا اخْلَوْلَقَ الوَتَر أبدلوه بغيره، وقلَّدوا به الدواب؛ اعتقادا منهم أنه يدفع عن الدابَّة العين(١).

وقال رحمه الله (ص١٢٥): قال البغوي في «شرح السنة»: تأول مالك أمره عليه الصلاة والسلام، بقطع القلائد: على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم، ويعلِّقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي ﷺ عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئا.

قال أبو عبيد: كانوا يُقلِّدون الإبل الأوتار؛ لئلا تصيبها العين، فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها إعلامًا لهم بأن الأوتار لا ترد شيئا، وكذا قال ابن الجوزي وغيره. قال الحافظ: ويؤيده: حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، رفعه: **«من تعلَّق تميمة فلا أتم الله له»**.اهـ

---

(١) **قال الشيخ محمد حامد الفقي** رحمه الله في «تعليقاته على فتح المجيد»: وأصل معنى القلادة: ما يُوضع في العنق من الحلي والزينة للنساء، والحبل يوضع في عنق الدابة لتقاد به.

ومثل ذلك: ما يُعلِّقه بعض الناس اليوم على السيارات، من صورة قرد ونحوه، وما يضعه بعضهم على أبواب البيوت، والحوانيت من حذوة حمار، أو حصان، وتعليق سنابل من الحنطة أو غير ذلك، كله من عمل الجاهلية المنهي عنه أشد النهي، وقد يصل إلى الشرك الأكبر عند بعضهم، حين يعتقد فيه أنه هو الذي يدفع حقيقة الضر والسوء.اهـ

وأمَّا أدلة تحريم تعليق ما تقدم: فيقول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [يونس:١٠٧].

وقال الله: ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وعن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه، أنه كان مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بعض أسفاره، فأرسل صلى الله عليه وعلى آله وسلم رسولًا: «**أن لا يبقين في رقبة بعيرٍ قلادةٍ من وترٍ، أو قلادةٍ؛ إلا قُطعت**»، رواه البخاري برقم (٢٨٤٣)، ومسلم (٢١١٥).

وعن رُويفع بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يا رُويفع: لعل الحياة ستطول بك؛ فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلَّد وترًا، أو استنجى برجيع دابة، أو عظم؛ فإن محمدًا بريء منه**»، رواه أحمد برقم (١٦٩٩٦)، وأبو داود (٣٦)(١).

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أقبل إليه رهط، فبايع تسعة، وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا؟. قال: «**إنَّ عليه تميمة**»، فأدخل يده فقطعها، فبايعه، وقال: «**من علَّق تميمة؛ فقد أشرك**»، رواه أحمد برقم (١٧٤٢٢)، وغيرُه(٢).

---

(١) **صحيحٌ**: **قال العلامة الألباني** رحمه الله في «صحيح أبي داود» برقم (٢٧): حديث صحيح. وقال النووي: إسناده جيد.اهـ

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٤٩٢)، و«الصحيح المسند» (٩٤٢)، و«تحقيق المسند» (٢٨/ ٦٣٧).



وفي رواية لأحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم برقم (٧٥٠١)، **وقال**: صحيح الإسناد، بلفظ: «**من تَعَلَّق تميمة؛ فلا أتم الله له، ومن تعلق ودَعَةً؛ فلا ودع الله له**»(١).

وعن قيس بن السكن الأسدي قال: دخل عبد الله بن مسعود ﷺ على امرأة، فرأى عليها خرزًا من الحمرة، فقطعه قطعًا عنيفًا، ثم قال: إن آل عبد الله عن الشرك أغنياء، وقال: كان مما حفظنا عن النبي ﷺ: «**إن الرقى، والتمائم، والتولة شرك**»، رواه الحاكم (٤/ ٢١٧)، **وقال**: صحيح الإسناد.اهـ ووافقه الذهبي(٢).

وعن عيسى بن حمزة قال: دخلنا على أبي معبد نعوده، فقلنا إلا تُعلِّق شيئًا، فقال: الموت أقرب من ذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من علَّق شيئًا وكل إليه**»، رواه أحمد (٤/ ٣١٠)، والترمذي برقم (٢٠٧٢) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى، به(٣).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الترغيب والترهيب» (٤/ ٣٠٧)، و«مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٣): رجاله ثقات.اهـ

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٣٣١)، و«الصحيح المسند» (٨٣٠).

(٣) **ثم قال الترمذي** ﷺ: وحديث عبد الله بن حكيم، إنما نعرفه من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الله بن حكيم لم يسمع النبي ﷺ، وكان في زمن النبي ﷺ يقول: كتب إلينا رسول الله ﷺ.اهـ

ورواه الطبراني في «الكبير» برقم (٩٦٠) ـ في ترجمة أبي معبد الجهني، في «الكنى» ـ **وقال**: قد قيل: إنه عبد الله بن عكيم، ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» برقم (٦٣٧٤).

وقال الهيثمي ﷺ في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٩١): فإن كان هو فقد ثبتت صحبته بقوله: سمعت، وفي إسناده محمد بن أبي ليلى، وهو سيء الحفظ، وبقية رجاله ثقات.اهـ

وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٤/ ٣٨٧): هذا إسناد مرسل ضعيف؛ لضعف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.اهـ

قلت: وما في الباب يشهد له، وهو في «صحيح الترغيب» برقم (٣٤٥٦)، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٤/ ٤١٨): وثمَّ شرك آخر خَفيٌّ، لا يَشعرُ به غالبًا فاعله، كما روى حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النَّجُود، عن عُرْوَة قال: دخل حذيفة على مريض، فرأى في عضده سيرًا فقطعه ـ أو انتزعه ـ ثم قال: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [يوسف: ١٠٦].اهـ(١).

وروى وكيع، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه دخل على مريض يعوده، فلمس عضده، فإذا فيه خيط، فقال: ما هذا؟ قال: شيء رُقيَ ليَ فيه، فقطعه، وقال: لو مِتَّ وهو عليك ما صليتُ عليك.اهـ من «فتح المجيد» (١/ ١٢٢).

---

(١) **حسنٌ**: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠٨)، وسنده حسن، من أجل عاصم، والله أعلم.



فصلٌ: في النهي عن تعليق الرُّقى بأنواعها ولو كانت من القرآن وصحيح السنة:

تقدم ـ قبل أسطر ـ ذكر جملة من الأحاديث، الدالة على حرمة تعليق الحروز، والتمائم، والتولة والقلائد، والودع، والجوامع وغيرها، والمعلَّقُ نوعان:

الأول: معلَّق مُشتمل على ما تقدم من حروز وطلاسم، ونحو ذلك، وهذا محرم بالاتفاق؛ للأدلة السابقة، وغيرها.

الثاني: معلَّق مُشتَمِل على بعض الآيات أو السور، أو الأدعية، وهذا محل خلاف بين أهل العلم، فقد أجازه جمع، كما أشار إلى ذلك الحافظ رحمه الله في «الفتح» (٦/ ١٤٢)، وكرهه جمع، **وهو الأقرب**.

قال إبراهيم النخعي رحمه الله: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن، وغير القرآن، رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥/ ٤٢٧).

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في «فتح المجيد» (ص١٠٨): قوله: كانوا يكرهون التمائم إلى آخره، مراده بذلك أصحاب عبد الله بن مسعود؛ كعلقمة، والأسود، وأبي وائل، والحارث بن سويد، وعبيدة السلماني، ومسروق، والربيع بن خثيم، وسويد بن غفلة، وغيرهم ـ وهو من سادات التابعين ـ وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم من حكاية أقوالهم؛ كما بين ذلك الحفاظ العراقي، وغيره.اهـ

وقال العلامة السعدي رحمه الله في «القول السديد» (ص٤٨): وأمَّا التعاليق التي فيها قرآن، أو أحاديث نبوية، أو أدعية طيبة محترمة، فالأولى تركها؛ لعدم ورودها عن الشارع، ولكونها يُتوسل بها إلى غيرها من المحرم، ولأن الغالب على متعلقها: أنه لا يحترمها، ويدخل بها المواضع القذرة.اهـ

قلت: وأمَّا ما رُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنه كان يُعلِّق على صدور الأولاد بعض الآيات، فإنه من طريق محمد بن إسحاق، مدلس وقد عنعن، ومن حسَّنه من أهل العلم فقد حمله: على أن ذلك كان ليحفظ الأولاد، ما قُرِّر عليهم حفظه، والله أعلم.

فصلٌ: في شروط الرقية الشرعية:

عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا نَرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟، فقال: «**اعرضوا عليَّ رُقاكم، لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شرك**»، رواه مسلم برقم (٥٨٦٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: يا رسول الله! إنه كانت عندنا رقية، نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى. قال: فَعَرَضُوهَا عليه، فقال: «**لا أرى به بأسًا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه؛ فليفعل**»، رواه ومسلم برقم (٢١٩٩).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٠/ ١٩٥) ـ: أجمع العلماء: على جواز الرقى عند اجتماع **ثلاثة شروط**: **الأول**: أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته.

الثاني: أن تكون باللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره.

الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى.اهـ

وقال العلامة العثيمين رحمه الله في «القول المفيد» (١/ ١٣٣): **شروط جواز الرقية:**

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع بذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله، فهو محرم، بل شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون مما يخالف الشرع، كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله، أو استغاثة بالجن، وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.



الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة، فإنها لا تجوز.

أمَّا بالنسبة للتمائم: فإن كانت أمر محرم، أو اعتقد أنها نافعة لذاتها، أو كانت بكتابة لا تفهم، فإنها لا تجوز بكل حال، وإن تمت فيها الشروط الثلاثة السابقة في الرقية، فإن أهل العلم اختلفوا فيها كما سبق.اهـ

وقال الدكتور طارق الطواري ـ نفع الله به ـ في كتاب «الرُّقى والطب» (ص٥): **ضوابط الرقية الشرعية:**

١ـ ألَّا تكون شركية أي: لا يكون بها قَسَم بالمخلوقات، أو بالنجوم، أو ذكر لأسماء الشياطين، كما هو حال كثير من السحرة والمشعوذين، وقراءتهم بالطلاسم، ومن هنا قال ﷺ لآل عمرو بن حزم: «**اعرضوا علي رقاكم**... الحديث» ـ تقدم ذكره قبل أسطر ـ.

٢ـ ألَّا تكون الرقية من ساحرٍ. **قال شيخ الإسلام** رحمه الله في «الفتاوى» (٢٩/ ٣٢٤): أكثر العلماء: على أن الساحر كافر يجب قتله، ولم تجز الرقية من الساحر.اهـ

٣ـ أن تكون بعبارات ومعانٍ مفهومة؛ لأنَّ ما لا يُعقل معناه لا يُؤمن أن يكون شركا.

٤ـ ألَّا تكون من كاهن أو عراف، ولو لم يكن ساحرًا.

٥ـ ألَّا تكون الرقية بهيئة محرمة، كأن يَطلب الراقي من المرقي أن يكون جنبًا، أو في مقبرةٍ، أو حمَّامٍ، أو حال نظره في النجوم، أو بالتلطخ بالدم، أو النجاسات... .

٦ـ ألَّا تكون بعبارات محرَّمة كسب الإله مثلًا.

٧ـ ألَّا يظن الراقي والمرقي بأن الرقية وحدها تستقل بالشفاء. **قال العلامة ابن القيم** رحمه الله في «الجواب الكافي» (ص٨): الرُّقَى كالسلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط.اهـ

تحريم الطيرة والتشاؤم

قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف:١٣١].

وقال الله تعالى: ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**﴾ [النمل:٤٧].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ١٩٨): قوله: ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ**﴾ أي: ما رأينا على وجهك ووجوه مَنْ اتبعك خيرًا، وذلك أنهم لشقائهم كان لا يُصيب أحدًا منهم سوءٌ إلا قال: هذا من قبلِ صالح وأصحابه، وقال مجاهد: تشاءموا بهم.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾ [يس: ١٨ ـ ١٩].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ٥٦٩): قال لهم أهل القرية: ﴿**إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ**﴾ أي: لم نرَ على وجوهكم خيرًا في عيشنا، وقال قتادة: يقولون إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم.

وقال مجاهد: يقولون: لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عُذِّب أهلها.اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لا طيرة، وخيرها الفأل**». قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»، رواه البخاري برقم (٥٧٥٤)، ومسلم (٥٩٣١).

قال البيهقي رحمه الله في «الكبرى» (٨/ ١٣٧) ـ عقب ذكره لهذا الحديث ـ: سُئل الأصمعي عن الكلمة الصالحة؟ فقال: الرجل يضل له الشيء، فيذهب فيسمع يا واجد.اهـ



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**»، رواه البخاري برقم (٥٧٠٧)، ومسلم (٥٩٢٠).

زاد البخاري: «**وفر من المجذوم كما تفر من الأسد**».

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أنه قال: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل**». قالوا: وما الفأل؟ قال: «**كلمة طيبة**»، رواه البخاري برقم (٥٧٧٦)، ومسلم (٥٩٣٤).

وفي لفظ للبخاري برقم (٥٧٥٦): «**ويعجبني الفأل الصالح** ـ الكلمة الحسنة ـ».

وفي أخرى لمسلم برقم (٥٩٣٣): «**ويعجبني الفأل** ـ الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة ـ».

وعن عروة بن عامر رضي الله عنه قال: ذُكِرَتِ الطيرة عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: «**أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأيت من الطيرة ما تكره، فقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»، رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» برقم (٢٦٣٩٢)، وأبو داود (٣٩١٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٦٢٩٨)(١).

وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملًا سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به، ورُئي بُشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رُئي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه اسمها فرح

---

(١) **قال النووي** رحمه الله في «الرياض» برقم (١٦٨٦): حديث صحيح.اهـ

وقال الحافظ رحمه الله في «الإصابة» (٤/ ٤٩٠): رجاله ثقات.اهـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «تخريج الرياض» (ص٥٧٥): في التصحيح المذكور نظر بيِّن؛ لأن عروة بن عامر مختلف في صحبته، ثم إن فيه عنعنة مدلس، فانظر: «الكلم الطيب» رقم التعليق (١٩٣).اهـ

قلت: والمدلس هو حبيب بن أبي ثابت، وللحديث شواهد تقويه، والله أعلم.

بها ورُئي بُشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رُئي كراهية ذلك في وجهه، رواه أحمد برقم (٢٢٩٤٦)، وأبو داود (٣٩٢٠)(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**الطيرة شرك**»، وما منا إلا ولكن الله عز وجل يذهبه بالتوكل، رواه أحمد (١/ ٣٨٩)، وأبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (٥/ ٢٣٨)(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**من ردَّته الطيرة عن حاجة؛ فقد أشرك**». قالوا: يا رسول الله ما كفارة ذلك؟. قال: «**أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»، رواه أحمد برقم (٧٠٤٥)(٣).

وفي الفصلين والأبواب المذكورة عقب هذا الباب، مزيد أدلة وبيان ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الفتح» (١٠/ ٢١٥)، و«مجمع الزوائد» (٧/ ٣٥٩)، و«الصحيحة» (٢/ ٢٦١)، و«تحقيق المسند» (٣٨/ ٣٤).

(٢) **صحيحٌ**: **قال الحافظ** رحمه الله في «الفتح» (١٠/ ٢١٣): صححه الترمذي، وابن حبان، وقوله: (وما منا إلا ولكنَّ الله يذهبه بالتوكل): من كلام ابن مسعود رضي الله عنه، إذ أُدرج في الخبر، وقد بينه سليمان بن حرب ـ شيخ البخاري ـ فيما حكاه الترمذي، عن البخاري، عنه.اهـ

قلت: وهو في «الصحيحة» برقم (٤٢٩)، و«الصحيح المسند» (٨٥٨).

(٣) **حسنٌ**: **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٦): فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات، وساق له شاهدان:

الأول: عن بريدة، عند البزار، وفيه: الحسن بن أبي جعفر، وهو متروك، وقد قيل فيه: صدوق منكر الحديث.

والثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عند البزار ـ أيضًا ـ، وفيه: عمرو بن أبي سلمة، وثقه ابن حبان، وغيره، وضعفه شعبة، وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.اهـ وراجع: «تحقيق المسند» (١١/ ٦٢٣).

فصلٌ: في معنى قوله ﷺ: «فرّ من المجذوم فرارك من الأسد» وبيان: أن العدوى لا بنفسها وإنما بإرادة الله تبارك وتعالى:

أما معنى قوله ﷺ: «فر من المجذوم كما تفر من الأسد»، فقال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٤/ ٢٢٨): قال القاضي: قد اختلف الآثار عن النبي ﷺ في قصة المجذوم، فثبت عنه الحديثان المذكوران.

وعن جابر أن النبي ﷺ أكل مع المجذوم، وقال له: **«كُلْ ثقةً بالله، وتوكلًا عليه»**.

وعن عائشة قالت: كان لي مولى مجذوم، فكان يأكل في صحافي، ويشرب في أقداحي، وينام على فراشي.

وذهب عمر رضي الله عنه وغيره من السلف: إلى الأكل معه، ورأوا أن الأمر باجتنابه منسوخ.

والصحيح: الذي قاله الأكثرون ويتعين المصير إليه: أنه لانسخ، بل يجب الجمع بين الحديثين، وحمل الأمر باجتنابه، والفرار منه على الاستحباب، والاحتياط لا للوجوب، وأما الأكل معه، ففعله لبيان الجواز، والله أعلم.اهـ

قلت: وعلَّل بعضهم: بأن من جالس مجذومًا، أو أكل معه، فأُصيب بالجذام بقضاء من الله وقدره، لا عن طريق العدوى، ظنَّ أنه إنما أُصيب بسبب جلوسه، وأكله وشربه معه، ونسي أن الأمر بيد الله وبإرادته ومشيئته، كما قال الله تعالى: **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾** [الحديد: ٢٢ـ ٢٣].

وكما قال: رسول الله ﷺ: «**لا عدوى، ولا صفر، ولا هامة**»، فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها، فيجربها كلها؟ قال: «**فمن أعدى الأول**»، رواه مسلم برقم (٥٩١٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي لفظ له برقم (٥٩٢٤): أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى**»، ويحدِّثُ مع ذلك: «**لا يورد الممرض على المصح**». والله أعلم.

راجع للمزيد: «تأويل مختلف الحديث» (١/ ١٠٢)، و«الفتح» (١٠/ ١٥٩).

تتمة: **في بيان شؤم المرأة والمسكن والدابة**:

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة، والشؤم في ثلاث، في المرأة، والدار، والدابة**»، رواه البخاري برقم (٥٧٥٣)، ومسلم (٥٩٣٨).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن كان - يعني: الشؤم - ففي المرأة، والفرس، والمسكن**»، رواه مسلم برقم (٥٩٤٦).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن كان في شيء، ففي الرَّبع، والخادم، والفرس**»، رواه مسلم برقم (٥٩٤٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «**كان أهل الجاهلية يقولون: إنما الطيرة في المرأة، والدابة، والدار**»، ثم قرأت: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾ [الحديد: ٢٢]، رواه الحاكم برقم (٣٧٨٨)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، والبيهقي في «الكبرى» (١٦٣٠٢)(١).

---

(١) **صحيحٌ**: **قال العلامة الألباني** رحمه الله في «الصحيحة» (٣/ ٦٧): ووافقه الذهبي - أي: وافق الحاكم على التصحيح السابق - وهو كما قالا، بل هو على شرط مسلم، فإن أبا حسان هذا قال الزركشي- في «الإجابة» (ص١٢٨): اسمه مسلم الأجرد، يروي، عن ابن عباس، وعائشة، ثم **قال الألباني** رحمه الله: وهو ثقة من رجال مسلم. اهـ



وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله: إنا كنا في دارٍ كثيرٌ فيها عددنا، وكثير فيها أموالنا، ثم تحولنا إلى دار أخرى فقلَّ فيها عددنا، وقلَّت فيها أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوها ذميمة**»، رواه البخاري في «الأدب المفرد» (ص٣١٦)(١).

وجاء عن عبد الله بن شداد بنحوه، **قال البيهقي** في «الكبرى» (٨/ ١٣٧): مرسل.اهـ

وقال معمر: سمعت من تفسير هذا الحديث: شؤم المرأة إذا كانت غير وَلُوْدٍ، وشؤم الفرس إذا لم يُغز عليه، وشؤم الدار جار السوء، رواه البيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٣٧).

وقال ابن القاسم: سُئل مالك عن الشؤم في الفرس، والدار؟. **فقال**: كم من دار سكنها ناس فهلكوا، ثم سكنها آخرون فهلكوا، فهذا تفسيره فيما نرى، والله اعلم، رواه البيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٣٧).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٧٩٠)، و«الصحيح المسند» (١٠٨).

تحريم اعتقاد أن بعض المخلوقات كصفر أو الهامَّة والنوء والغول تضر أو تنفع من دون الله وتعالى

تعريف الصفر والهَامَّة والنوء والغول:

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٤/ ٢١٤): قوله صلى الله عليه وسلم: **«ولاصفر»** فيه تأويلان:

أحدهما: المراد تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر، وهو النسيء الذى كانوا يفعلونه وبهذا قال مالك، وأبو عبيدة.

والثانى: أن الصفر دواب فى البطن، وهي دود، وكانوا يعتقدون أن في البطن دابة تهيج عند الجوع، وربما قتلت صاحبها، وكانت العرب تراها أعدى من الجرب.

وهذا التفسير هو الصحيح، وبه قال مطرف وابن وهب وابن حبيب وأبو عبيد، وخلائق من العلماء.

وقد ذكره مسلم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، راوي الحديث، فيتعين اعتماده.

ويجوز أن يكون المراد هذا، والأول جميعًا، وأن الصفرين جميعًا باطلان لاأصل لهما، ولاتصريح على واحد منهما.

قوله صلى الله عليه وسلم: **«ولاهَامَةَ»**: فيه تأويلان:

أحدهما: أن العرب كانت تتشاءم بالهامة، وهي الطائر المعروف من طير الليل.

وقيل: هي البومة، قالوا: كانت اذا سقطت على دار أحدهم رآها ناعية له نفسه، أوبعض أهله، وهذا تفسير مالك بن أنس.

والثاني: أن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت، وقيل: روحه تنقلب هامة تطير، وهذا تفسير أكثر العلماء، وهو المشهور.



ويجوز أن يكون المراد النوعين؛ فإنهما جميعًا باطلان، فبيَّن النبي ﷺ إبطال ذلك وضلالة الجاهلية فيما تعتقده من ذلك.

والهامة ـ بتخفيف الميم على المشهور ـ الذى لم يذكر الجمهور غيره، وقيل: بتشديدها قاله جماعة، وحكاه القاضي عن أبي زيد الأنصارى الإمام فى اللغة.

قوله ﷺ: **«ولانوء»** أي: لاتقولوا مطرنا بنوء كذا، ولاتعتقدوه، وسبق شرحه واضحًا فى كتاب الصلاة(١).

قوله ﷺ: **«ولاغول»**: قال جمهور العلماء كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات وهي جنس من الشياطين، فتتراءى للناس، وتتغول تغولا أي تتلون تلونًا فتضلهم عن الطريق، فتهلكهم، فأبطل النبي ﷺ ذاك.

وقال آخرون: ليس المراد بالحديث نفي وجود الغول، وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها.

قالوا: ومعنى لاغول أي لاتستطيع أن تضل أحدا، ويشهد له حديث آخر : **«لاغول ولكن السعالى»**. قال العلماء: ـ السعالى بالسين المفتوحة والعين المهملتين ـ، وهم سحرة الجن أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخيل.

وفي الحديث الآخر: **«إذا تغولت الغيلان، فنادوا بالأذان»** أى: ارفعوا شرها بذكر الله تعالى، وهذا دليل على أنه ليس المراد نفي أصل وجودها.

وفى حديث أبي أيوب كان لي تمر في سهوة، وكانت الغول تجيء فتأكل منه.اهـ

---

(١) **قلت**: قد ذكرتُ ذلك، في (فصلٌ في معرفة النوء المذكور في الحديث)، ـ من باب تحريم الاستسقاء بالنجوم ـ.

وأمَّا تحريم اعتقاد وقوع الضرر، أو تصرُّف المخلوقات بعضها في البعض الآخر، بغير قَدَرٍ سابق من الله تعالى: فلقول أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا عدوى، ولا هامة، ولا نوء، ولا صفر**»، رواه مسلم برقم (٥٩٢٦).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا غول**»، رواه مسلم برقم (٥٩٢٨).

وفي لفظ له برقم (٥٩٢٩): «**لا عدوى، ولا غول، ولا صفر**».

وله برقم (٥٩٣٠) زيادة، وهي: **قال ابن جريج**: وسمعت أبا الزبير يذكر أن جابرًا رضي الله عنه فسر لهم قوله: «**ولا صفر**».

فقال أبو الزبير: الصفر: البطن، فقيل لجابر كيف؟. قال: كان يُقال دواب البطن. **قال**: ولم يفسر الغول.

قال أبو الزبير: هذه الغول التي تغول.

وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا عدوى، ولا صفر، ولا هامة**»، رواه مسلم برقم (٥٩٢١).



تحريم الاستقسام بالأزلام ووجوب استبدالها بالاستخارة أو الاستهام

تعريف الأزلام:

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٦/ ٥٨): **الأزلام**: قداح الميسر ـ واحدها زُلم ـ بضم الزاي ـ وزَلم ـ بفتح الزاي ـ.

وذكر محمد بن جرير: أن ابن وكيع حدثهم، عن أبيه، عن شريك، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير: أن الأزلام حصى بيض كانوا يضربون بها.

قال محمد بن جرير: قال لنا سفيان بن وكيع: هي الشطرنج.

وقال مجاهد: الأزلام هي كعاب ـ جمع كعب ـ وهو فص كفص النرد، وهي كعاب فارس والروم، التي يتقامرون بها(١).

وقال سفيان، ووكيع: هي الشطرنج.

ثم قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: فالاستقسام بهذا كله، هو طلب القسم والنصيب، وهو من أكل المال بالباطل، وهو حرام، وكل مقامرة بحمام أو بنرد أو شطرنج، أو بغير ذلك من هذه الالعاب؛ فهو استقسام بما هو في معنى الأزلام حرام كله، وهو ضرب من التكهن، والتعرض لدعوى علم الغيب.

قال ابن خويز منداد: ولهذا نهى أصحابنا عن الأمور التي يفعلها المنجمون، على الطرقات من السهام التي معهم، ورقاع الفأل في أشباه ذلك.

---

(١) **قال ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٣/ ٢٤): وهذا الذي ذُكر عن مجاهد في الأزلام، أنها موضوعة للقمار، فيه نظر. اللهم إلَّا أن يقال: إنهم كانوا يستعملونها في الاستخارة تارة، وفي القمار أخرى ـ والله أعلم ـ؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد فرَّق بين هذه وبين القمار، وهو الميسر، فقال في آخر السورة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾ الآيات [المائدة: ٩٠ـ٩١].

وقال الكَيا الطبري: وإنما نهى الله عنها فيما يتعلق بأمور الغيب، فإنه لا تدري نفس ماذا يصيبها غدا، فليس للأزلام في تعريف المغيبات أثر.اهـ بتصرف.

قلت: وقول القرطبي رحمه الله: أنه شامل لكل ما سبق هو الأقرب، والله أعلم.

وأما أدلة تحريم ما سبق: فقال الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة:٩٠].

وقال الله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ**﴾ [المائدة:٣].

قال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ٥٨): أي: وحرَّم عليكم الاستقسام.اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٢٤): أي: حَرَّم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام.اهـ **وقال** رحمه الله في (٣/ ٢٥): وقوله: ﴿**وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ**﴾ أي: تعاطيه فسق وغي، وضلال وجهالة وشرك.اهـ

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكعبة، ووجد إبراهيم وإسماعيل مُصوَّرَين فيها، وفي أيديهما الأزلام، فقال: «**قاتلهم الله، لقد علموا: أنهما لم يستقسما بها أبدًا**»، رواه البخاري برقم (٤٢٨٨).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لن يَلِج الدرجات، من تَكَهَّن، أو استقسم، أو رجع من سفرٍ طائرًا**»، رواه الطبراني في «مسند الشاميين» برقم (٢١٠٤)، وتمّام الرازي في «الفوائد» (١٤٤٤)(١).

---

(١) **قال الحافظ** رحمه الله في «الفتح» (١٠/ ٢١٣): رجاله ثقات، إلا أنني أظن أن فيه انقطاعًا.اهـ

قلت: قد رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٢٦٦٣)، **قال فيه المنذري** رحمه الله في «الترغيب» (٤/ ١٨): رواه الطبراني بإسنادين، رواة أحدهما ثقات.اهـ

وقال الهيثمي رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٠): رجال أحدهما ثقات.اهـ



وقوله: **«رجع من سفرٍ طائرًا»** أي: ترك سفره بسبب الطيرة، والله أعلم.

تتمة: في أنواع أزلام العرب:

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (٦/ ٥٨): **أزلام العرب ثلاثة أنواع:**

النوع الأول: الثلاثة التي كان يتخذها كل إنسان لنفسه، على أحدها: أفعل، وعلى الثاني: لا تفعل، والثالث: مهمل لا شيء عليه، فيجعلها في خريطة معه، فإذا أراد فعل شيء أدخل يده، وهي ـ أي: الأزلام ـ متشابهة، فإذا خرج أحدها ائتمر وانتهى، بحسب ما يخرج له، وإن خرج القدح الذي لا شيء عليه أعاد الضرب.

وهذه هي التي ضَرَبَ بها سراقة بن مالك بن جعشم، حين اتَّبَعَ النبي ﷺ، وأبا بكر وقت الهجرة.

وإنما قيل لهذا الفعل: استقسام لأنهم كانوا يستقسمون به الرزق وما يريدون، كما يُقال: الاستسقاء في الاستدعاء للسقي.

والنوع الثاني: سبعة قِداح، كانت عند هبل في جوف الكعبة، مكتوب عليها: ما يدور بين الناس من النوازل، كل قدح منها فيه كتاب، قدح فيه العقل من أم الديات، وفي آخر: منكم، وفي آخر: من غيركم، وفي آخر: ملصق(١)، وفي سائرها أحكام المياه وغير ذلك،

---

(١) كان العرب إذا شكُّوا في نسب أحدهم، ذهبوا به إلى هبل، وبمائة درهم، وجزور، فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا، فأخرج الحق فيه، ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب، فإن خرج عليه: منكم؛ كان منهم وسيطا، وإن خرج: من غيركم؛ كان حليفًا، وإن خرج: ملصق؛ كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف.اهـ من «سيرة ابن هشام» (١/ ١٥٢).

وهي التي ضَرَبَ بها عبد المطلب على بنيه، إِذْ كان نذر نَحْرَ أحدِهم، إذا كَمُلُوا عشرة ـ الخبر المشهور ـ ذكره ابن إسحاق.

وهذه السبعة ـ أيضًا ـ كانت عند كل كاهن من كهان العرب وحكامهم، على نحو ما كانت في الكعبة عند هبل.

والنوع الثالث: هو قداح المسير، وهي عشرة، سبعة منها فيها حظوظ، وثلاثة أغفال، وكانوا يضربون بها مقامرة لهوًا ولعبًا، وكان عقلاؤهم يقصدون بها إطعام المساكين، والمعدم في زمن الشتاء، وكلب البرد وتعذر المحترف.اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٣/ ٢٤): وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك، وهي عبارة عن قداح ثلاثة، على أحدها مكتوب: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث غُفْل ليس عليه شيء.

ومن الناس من قال: مكتوب على الواحد: أمرني ربي، وعلى الآخر: نهاني ربي. والثالث: غفل ليس عليه شيء، فإذا أجالها فَطَلَعَ السهم الآمر فَعَلَه، أو الناهي تَرَكَه، وإن طلع الفارغ أعاد الاستقسام.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكر ابن إسحاق وغيره: أن أعظم أصنام قريش هُبَل، وكان داخل الكعبة، منصوب على بئر فيها، توضع الهدايا وأموال الكعبة فيه، وكان عنده سبعة أزلام مكتوب فيها ما يتحاكمون فيه، مما أشكل عليهم، فما خرج لهم منها رجعوا إليه، ولم يعدلوا عنه.

وروى البخاري(١): أن سراقة بن مالك، لما خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر، حال الهجرة. قال: فاستقسمت بالأزلام، هل أضرهم أم لا؟. فخرج الذي أكره: لا تضرهم.

---

(١) برقم (٣٩٠٦).

قال: فعصيت الأزلام، وأتَّبعتهم، ثم إنه استقسم بها ثانية وثالثة، كل ذلك يخرج الذي يكره: لا تضرهم، وكان كذلك، وكان سراقة لم يسلم إذ ذاك، ثم أسلم بعد ذلك.اهـ

فرعٌ: في بيان أن طلب الفأل ليس من التطير أو التكهن أو الاستقسام بالأزلام:

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٦/ ٦٠): وليس من هذا الباب طلب الفأل، وكان عليه الصلاة والسلام، يُعجبه أن يسمع يا راشد يا نجيح، أخرجه الترمذي وقال: حديث صحيح غريب، وإنما كان يعجبه ﷺ الفأل؛ لأنه تنشرح له النفس، وتستبشر بقضاء الحاجة وبلوغ الامل، فيحسن الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ، وقد قال: «**أنا عند ظن عبدي بي**». وكان عليه السلام يكره الطيرة؛ لأنها من أعمال أهل الشرك، ولأنها تجلب ظن السوء بالله عَزَّ وَجَلَّ.

قال الخطابي: الفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل إنما هو من طريق حسن الظن بالله، والطيرة إنما هي من طريق الاتكال على شيء سواه.

وقال الاصمعي: سألت ابن عون عن الفأل، فقال: هو أن يكون مريضًا، فيسمع يا سالم، أو يكون باغيًا، فيسمع يا واجد، وهذا معنى حديث الترمذي.

وفي «صحيح مسلم»(١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا طيرة وخيرها الفأل**». قيل: يا رسول الله وما الفأل؟. قال: «**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**».

ورُوي عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحرَّ الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه، وثلاثة لا ينالون الدرجات العلا، من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر من طيرة.اهـ

قلت: تقدم الكلام على الطيرة، والله المستعان، وهو أعلم.

---

(١) بل في البخاري برقم (٥٧٥٤)، ومسلم (٥٩٣١).

تتمة: في بيان أن في الاستخارة غُنية عن الاستقسام بالإزلام ونحوه:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (٣/ ٢٥): وقد أمر الله المؤمنين إذا تردَّدوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه، ثم يسألوه الخِيَرَة في الأمر الذي يريدونه، كما روى أحمد، والبخاري(١)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة، كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول: «**إذا هَمَّ أحدُكُم بالأمرِ فليركع ركعتين، من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أسْتَخِيرِكَ بعلمكَ، وأسْتَقْدِرُك بقدرتكَ، وأسألُكَ من فَضْلك العظيم؛ فإنك تَقْدِر ولا أقْدِر، وتَعْلَمُ ولا أَعْلَم، وأنت عَلام الغيوب، اللهم إن كنتَ تعلم هذا الأمر ـ ويسميه باسمه ـ خيرًا لي في دِينِي ومَعاشي وعاقِبة أمري، فاقدُرْهُ لي، ويَسِّره لي، وبارك لي فيه، اللهم إن كنتَ تَعْلَمْهُ شرا لي في ديني، ومَعاشي، وعاقبة أمري، فاصْرِفْنِي عنه، واصرفه عنِّي، واقْدُرْ لي الخير حيث كان، ثم رَضِّني به**» ـ وهذا لفظ أحمد ـ.اهـ

فصلٌ آخر: في القرعة وأنها ليست من الاستقسام بالأزلام:

قال الله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٤٤].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (٤/ ٨٦): استدل بعض علمائنا بهذه الآية على إثبات القرعة، وهي أصل في شرعنا لكل من أراد العدل في القسمة، وهي سنة عند جمهور الفقهاء، في المستويين في الحجة؛ ليعدل بينهم وتطمئن قلوبهم، وترتفع الظنة عمن يتولى قسمتهم، ولا يفضل أحد منهم على صاحبه، إذا كان المقسوم من جنس واحد، اتباعًا للكتاب والسنة.

---

(١) أحمد برقم (١٤٧٠٧)، والبخاري (١١٦٢).

وردَّ العمل بالقرعة أبو حنيفة وأصحابه، وردوا الأحاديث الواردة فيها، وزعموا أنها لا معنى لها، وأنها تشبه الأزلام التي نهى الله عنها.

وحكى ابن المنذر عن أبي حنيفة: أنه جوزها، وقال: القرعة في القياس لا تستقيم، ولكنا تركنا القياس في ذلك، وأخذنا بالآثار والسنة.

قال أبو عبيد: وقد عمل بالقرعة ثلاثة من الأنبياء: يونس، وزكريا، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

قال ابن المنذر: واستعمال القرعة، كالإجماع من أهل العلم، فيما يقسم بين الشركاء، فلا معنى لقول من ردها.

وترجم البخاري في آخر كتاب الشهادات (باب القرعة في المشكلات، وقول الله ﷻ: ﴿**إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ**﴾ [آل عمران: ٤٤].

وساق حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، مثل قوم استهموا على سفينة...**» الحديث، رواه البخاري برقم (٢٦٨٦).

وحديث أم العلاء، أن عثمان بن مظعون طار لهم سهمَه في السكنى، حين اقترعت الأنصار سُكنى المهاجرين...الحديث، رواه البخاري برقم (٧٠١٨).

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا؛ أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها؛ خرج بها، الحديث، رواه البخاري برقم (٢٥٩٣) ومسلم (٢٤٤٥).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه؛ لاستهموا**»، رواه البخاري برقم (٥٩٠) ومسلم (٤٣٧).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكيفية القرعة مذكورة في كتب الفقه والخلاف.

واحتج أبو حنيفة بأن قال: إن القرعة في شأن زكريا وأزواج النبي ﷺ كانت مما لو تراضوا عليه دون قرعة لجاز.

قال ابن العربي: وهذا ضعيف؛ لأن القرعة إنما فائدتها استخراج الحكم الخفي عند التشاح، فأما ما يخرجه التراضي فيه فباب آخر، ولا يصح لأحد أن يقول: إن القرعة تجري مع موضع التراضي؛ فإنها لا تكون أبدًا مع التراضي، وإنما تكون فيما يَتَشَاحّ الناس فيه ويُضَن به.اهـ بتصرف.

قلت: وممَّا يؤيِّد القول بأن القرعة، لا تكون إلا فيما تنازع أو تشاح فيه الخصمان: قول الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٤/ ١٥٨): وفي ـ حديث أبي هريرة ـ «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه؛ لاستهموا**»ـ: اثبات القرعة في الحقوق التي يزدحم عليها، ويتنازع فيها.اهـ، والله أعلم.

تتمة في صفة القرعة:

قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ**﴾ [الصافات: ١٣٩ ـ ١٤١].

قال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٨٧): وصفة القرعة عند الشافعي، ومن قال بها: أن تقطع رقاع صغار مستوية، فيكتب في كل رقعة اسم ذي السهم، ثم تُجعل في بنادق طين مستوية لا تفاوت فيها، ثم تجفف قليلا، ثم تلقى في ثوب رجل لم يحضر ذلك، ويغطي عليها ثوبه، ثم يدخل ويخرج، فإذا أخرج اسم رجل أعطي الجزء الذي أقرع عليه.اهـ

قلت: وأي طريقة متعارف عليها، خالية من محذور شرعي، جاز العمل بها، والله أعلم.

تحريم ادعاء علم الغيب

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾ [النمل:٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿**فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلهِ**﴾ [يونس:٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ**﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال الله تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا**﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [لقمان: ٣٤].

وفي سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الساعة: تلا صلى الله عليه وعلى آله وسلم قوله تعالى: «﴿**إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ... الآية**﴾»، رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم (١٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**مفاتح الغيب خمس**: ﴿**إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ... الآية**﴾»، رواه البخاري برقم (٤٣٥١).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر**»، رواه البخاري برقم (٩٩٢).

وقال الله تعالى: ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[المؤمنون: ٩٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاة الليل بقوله: **«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة**... الحديث»، رواه مسلم برقم (٢٠٠).

وقال الله تعالى آمرًا نبيه نوح عليه السلام أن يقول لقومه: **﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾** [هود:٣١].

وقال مخبرا عن عيسى عليه السلام قوله: **﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾** [المائدة: ١١٦].

وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم: **﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾** [الأنعام: ٥٠].

وقال: **﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف:١٨٨].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رأى ربه؛ فقد كذب، وهو يقول: **﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾** [الأنعام: ١٠٣]، ومن حدثك أنه يعلم الغيب؛ فقد كذب، وهو يقول: **«لا يعلم الغيب إلا الله»**، رواه البخاري برقم (٧٣٨٠)، ومسلم (٤٥٧) مطولًا.

وعن الرُّبَيِّع بنت معوِّذ بن عفراء رضي الله عنها قالت: جاء النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف، ويندبن من قُتل من أبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: «**دعي هذا، وقولي بالذي كنت تقولين**»، رواه البخاري برقم (٤٨٥٢).

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (٩/ ٢٠٣): وإنما أنكر عليها ما ذُكر من الإطراء حيث أطلق علم الغيب له، وهو صفة تختص بالله تعالى، كما قال تعالى: **﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾** [النمل: ٦٥].



وقوله لنبيه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وسائر ما كان النبي ﷺ يُخبر به من الغيوب بإعلام الله تعالى إياه، لا أنه يَسْتَقِل بعلم ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ـ ٢٧].اهـ

وقال الله تعالى مخبرًا عن الجن جهلهم بالغيب: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ:١٤].

وأدلة هذا الموضوع تفوق المائة الدليل، من الكتاب وصحيح السنة، والله أعلم.

تحريم إنكار القَدَرِ والخوض فيه

قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أي: بأجل، حَفِظَ أرزاق خلقه وآجالهم، وجعل لذلك أجلا معلومًا.اهـ(١).

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٧/ ٤٨٢): إستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة: على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها، وردّوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرْقة القَدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة.اهـ

وعن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء شفاعتي قريش إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يخاصمونه في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩ - ٥٠]، رواه مسلم برقم (٢٦٥٦).

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ما نزلت هذه الآيات: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ

---

(١) من «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٣٦).



شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨ ـ ٥٠]، إلا في أهل القدر، رواه البزار في «مسنده» برقم (٢٢٦٥)(١).

وعن زُرَارة بن أوفى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية: **﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾** [القمر: ٤٩ـ٥٠] ثم قال: «**نزلت في أناس من أمتي، يكونون في آخر الزمان، يكذِّبون بقدر الله**»، رواه الطبراني في «الكبير» (٥/ ٢٧٦)(٢).

وقال عطاء بن أبي رَبَاح رحمه الله: أتيتُ ابن عباس رضي الله عنهما وهو يَنزع من زمزم، وقد ابتلّت أسافل ثيابه، فقلت له: قد تُكُلّم في القدر، فقال: أو قد فعلوها؟. قلت: نعم. قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم: **﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾**، أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تُصَلّوا على موتاهم، إن رأيتُ أحدا منهم فقأت عينيه بأصبعيّ هاتين، رواه أحمد، من طريقين برقم (٣٠٥٥)، وبرقم (٣٠٥٦)(٣).

وقال نافع رحمه الله: كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه عبد الله بن عمر: إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إليّ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر**»، رواه أحمد برقم (٤٦١٣)، وأبو داود (٤٦١٣)، والحاكم (٢٨٥)، **وقال**: صحيح على شرط مسلم.اهـ(٤).

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧)، و«الصحيحة» برقم (١٥٣٩).

(٢) **حسنٌ بشواهده**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٥٣٩)، والله أعلم.

(٣) **حسنٌ بشواهده**: راجع: «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧)، و«الصحيحة» برقم (١٥٣٩)، والله أعلم.

(٤) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٣٦٦٩)، والله أعلم.



وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من لم يرض بقضاء الله، ويؤمن بقدره؛ فليلتمس إلهًا غير الله**»، رواه الطبراني في «الصغير» (٩٠٢)، و«الأوسط» (٧٢٧٣)(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بقدر**»، رواه أحمد برقم (٢٧٥٢٤)، وابن ماجه (٣٣٧٦)(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**صنفان من أمتي لا يَرِدَانِ على الحوض، ولا يدخلان الجنة: القدرية، والمرجئة**»، رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٤٢٠٤)(٣).

وعن أبي الأسود الدؤلي، أنه سأل عمران بن حصين، وعبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب رضي الله عنهم عن القدر؟ فقال: إني قد خاصمت أهل القدر حتى أخرجوني، فهل عندكم من علم فتحدثوني؟ فقالوا: «**لو أن الله عز وجل عذب أهل السماء والأرض عذبهم وهو غير ظالم، ولو أدخلهم في رحمته كانت رحمته أوسع من ذنوبهم، ولكنه كما قضى يعذب من يشاء ويرحم من**

---

(١) **صالحٌ في الباب: قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٠): فيه سهيل بن أبي حزم، وثقه ابن معين، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.اهـ

قلت: وهو في «الضعيفة» برقم (٥٠٦) إلا أنه صالح في الباب، والله أعلم.

(٢) **حسنٌ**: راجع: «الزوائد» للبوصيري (٣/ ١٠٣)، و«الصحيحة» للعلامة الألباني رحمه الله برقم (٦٧٥)، و«الجامع الصحيح في القدر» لشيخنا الوادعي رحمه الله.

(٣) **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٩): رجاله رجال الصحيح؛ غير هارون بن موسى الفروي، وهو ثقة.اهـ

وفي «تراجعات الألباني» (ص٣) برقم (٢٤): أنه رحمه الله كان قد أودعه في «ضعيف الجامع» برقم (٣٤٩٧)، ثم تراجع عن تضعيفه، كما في «الصحيحة» برقم (٢٧٤٨).



يشاء، فمن عذب فهو الحق، ومن رحم فهو الحق، ولو كان لك مثل أحد ذهباً تنفقه في سبيل الله، ما قُبل منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره»، ثم قال عمران لأبي الأسود ـ حين حدثه الحديث ـ: سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، وسمعه معي عبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب، فسألهما أبو الأسود؟، فحدثاه عن رسول الله ﷺ(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان؛ حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه**»، رواه أحمد (٦/ ٤٤١)(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره**».

قال أبو حازم رحمه الله: لعن الله دينًا أنا أكبر منه ـ يعني التكذيب بالقدر ـ، رواه أحمد برقم (٦٧٠٣)(٣).

وعن عبادة بن الوليد بن عبادة قال: حدثني أبي. قال: دخلت على عبادة رضي الله عنه، وهو مريض ـ أتخايل فيه الموت ـ فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني: إنك لَمَّا تطعم طعم الإيمان، ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما

---

(١) **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): رواه الطبراني بإسنادين، في «الكبير» برقم (٥٥٦)، و(١٠٥٦٤)، ورجال هذه الطريق ـ أي: الأولى ـ ثقات.اهـ

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧)، و«الصحيحة» برقم (٢٤٧١)، وانظر للمزيد رقم (٢٤٣٩)، والله أعلم.

(٣) **صحيحٌ**: **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): رجاله ثقات.اهـ

أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**» يا بني إن متَّ ولستَ على ذلك دخلت النار، رواه أحمد (٥/ ٣١٧)، والترمذي برقم (٣٣١٩)، **وقال**: حسن صحيح غريب.اهـ(١).

وبنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، عند أبي يعلى، في «مسنده» برقم (٢٣٢٩)(٢).

وفي الباب: حديث جبريل المشهور وفيه: «**وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**».

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم (٨).

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه ــ المشهور ـ: «**إن أحدكم يجمع خلقه**»، وهو في «الصحيحين».

وبنحوه، عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، رواه مسلم برقم (٢٦٤٥).

وبنحوهما، عن أنس رضي الله عنه، رواه البخاري برقم (٣١٢)، ومسلم (٢٦٤٦).

وقد ذكر شيخنا الوادعي رحمه الله، في كتابه «الجامع الصحيح في القدر»: ما يزيد عن مائتي دليل، فتراجع للفائدة، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ لغيره**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٢٠١٨)، و«ظلال الجنة» برقم (١١١)، و«الصحيح المسند في القدر» لشيخنا الوادعي رحمه الله برقم (١٣٤)، و«تحقيق المسند» (٣٧/ ٣٧٩).

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيح المسند في القدر» لشيخنا الوادعي رحمه الله برقم (١٣٤).

فصلٌ: في النهي عن الاحتجاج بالقدر أو المشيئة ونحوهما على فعل المعصية:

روى البخاري برقم (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، ثلاثًا»**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (٨/ ٢٤١): ومن احتج بالقدر على المعاصي فحجَّته داحضة، ومن اعتذر به فعذره غير مقبول، بل هؤلاء الضالون، كما قال فيهم بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري، أيُّ مذهب وافق هواك تمذهبت به، فإن هؤلاء إذا ظلمهم ظالم، بل لو فعل الإنسان ما يكرهونه، وإن كان حقًا لم يعذروه بالقدر، بل يقابلوه بالحق والباطل، فإن كان القدر حجة لهم فهو حجة لهؤلاء، وإن لم يكن حجة لهؤلاء لم يكن حجة لهم.

وإنما يَحتج أحدهم بالقدر عند هواه ومعصية مولاه، لا عند ما يُؤذيه الناس ويظلمونه.

وأما المؤمن فهو بالعكس في ذلك، إذا آذاه الناس نظر إلى القدر، فصبر واحتسب، وإذا أساء هو تاب واستغفر، كما قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ [غافر: ٥٥].

فالمؤمن يصبر على المصائب ويستغفر من الذنوب والمعايب، والمنافق بالعكس لا يستغفر من ذنبه، بل يحتج بالقدر، ولا يصبر على ما أصابه، فلهذا يكون شقيًا في الدنيا والآخرة، والمؤمن سعيدًا في الدنيا والآخرة، والله سبحانه أعلم.

فلا يجوز لأحدٍ أن يحتج بالقدر على ترك مأمور، ولا على فعل محظور، ولو جاز لأحدٍ أن يحتج بالقدر على ما يفعله من السّيئات؛ لم يُعاقب ظالم، ولم يُقتل مشرك، ولم يُقم حدًا، وهذا من الفساد في الدِّين والدنيا، المعلوم با لضرورة، فالقدر نؤمن به ولا نحتج به على فعل المعاصي.

وقد دل على هذا الكتاب، والسنة، والإجماع: قال الله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ**﴾، فأبطل الله احتجاجهم هذا بالقدر بقوله: ﴿**كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا**﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [النساء: ١٦٥]، فبيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أن الحجة قامت على الناس بإرسال الرسل، وأنه لا حجة لهم على الله بعد ذلك، ولو كان القدر حجة لما حصل بإرسال الرسل فائدة، ولما كان هناك داعٍ أصلًا لإرسال الرسل!.

وروى البخاري برقم (٤٦٦٣)، عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما منكم من أحدٍ، إلا وقد كُتب مقعده من النّار، ومقعده من الجنة**». قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟. قال: «**اعملوا، فكل ميسر لما خلق له**».

وفي لفظٍ للبخاري برقم (١٢٩٦)، ومسلم (٢٦٤٧)، عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ما من نفسٍ إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار**»، فقالوا: يا رسول الله فلم نعمل. أولا نتكل؟. قال: «**لا. إعملوا فكل ميسرٌ لما خلق له**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى**﴾ ـ الآيات إلى قوله ـ: ﴿**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠].

والشاهد: هو بيان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، أنَّ تقدُّم علم الله بأعمال العباد وكتابته لها، وقضاؤه وقدَره لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة والشقاوة، بل بيّن لهم أن كلٌّ ميسر لما خلق له، ونهى أن يتكل الإنسان على القدر السابق، ويدع العمل، فلا يجعل القدر حجة له على ترك العمل، فمن ترك العمل الواجب عليه، أو فعل المحظور محتجًا بالقدر كان من جملة أهل الشقاوة.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ ـ أيضًا ـ كما في «الفتاوى» (٨/ ١٧٩): وليس لأحدٍ أن يحتج بالقدر على الذنب؛ باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء.اهـ

وقال ابن الوزير رَحِمَهُ اللهُ في «الروض الباسم» (٢/ ٤٦٥) ـ بعد أن ذكر حديث محاجة آدم وموسى ـ عليهما السلام ـ قال ـ: لأن ظاهره يقتضي أن يَحتج العصاة بالقدر على الله تعالى، وذلك ممنوعٌ بإجماع المسلمين.اهـ

إشكالٌ وجوابه: في قوله ﷺ: «فحاج آدمُ موسى»:

قد يَسْتدلُّ مستدل بقول آدم لموسى عليهما السلام: **«أتحاجني على شيءٍ قد كتبه الله عليَّ...الحديث»**.

والجواب: قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ في «شرح البخاري» (١٠/ ٣١٥): قال المهلب وغيره: **«فحج آدم موسى»** أى: غلبه بالحجة. قال الليث بن سعد: وإنما صحَّت الحجة فى هذه القصة لآدم على موسى؛ من أجل أن الله قد غفر لآدم خطيئته، وتاب عليه، فلم يكن لموسى أن يُعيِّر بخطيئة قد غفرها الله له، ولذلك قال له آدم: **«أنت موسى الذى آتاك الله التوراة»**، وفيها علم كل شيء فوجدت فيها أن الله قد قدّر عليَّ المعصية، وقدَّر عليَّ التوبة منها، وأسقط بذلك اللوم عني، أتلومني أنت، والله لا يلومني، وبمثل هذا احتج ابن عمر على الذي قال له: إن عثمان فرّ يوم أحد، فقال ابن عمر: ما على عثمان ذنب؛ لأن الله تعالى قد عفا عنه بقوله: **﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾** [آل عمران:١٥٥]، وأما من عمل الخطايا ولم تأته المغفرة، فإن العلماء مجمعون أنه لا يجوز له أن يحتج بمثل حجة آدم...إلخ.اهـ

فصلٌ: في بيان أن من قُتل خطأً أو عمدًا أو قصاصا ونحو ذلك لم يُخرم أجله ولم ينقُص:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٨ ـ ٣٩].

وقال الله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠ ـ ١١].

وقال الله تعالى مخبرًا عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٢ـ٤].



وعن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن روح القدس قد نفث في رَوعي: أنها لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**»، رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦)، وله شاهد عند «الحاكم» (٢/ ٤)، وابن حبان برقم (٣٢٣٩)، وغيرهما من حديث جابر، وهو على شرط مسلم(١).

وقال الطحاوي رحمه الله في «عقيدته» الفقرة (١٨ـ٢٣): خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالًا، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن.اهـ

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (٨/ ٥١٦) عن المقتول: هل مات بأجله، أم قَطَعَ القاتلُ أجله؟.

فأجاب: المقتول كغيره من الموتى، لا يموت أحد قبل أجله، ولا يتأخر أحد عن أجله، بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر، فإن أجل الشيء هو نهاية عمره، وعمره مدة بقائه، فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء، وقد ثبت في «صحيح مسلم»، وغيره، عن النبي ﷺ أنه قال: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**».

وفي «البخاري»: أن النبي ﷺ قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**».

وفي لفظ: «**ثم خلق السموات والأرض**».

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٦٠٧)، و«الصحيح المسند» (٢٥٠).

وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤]، والله يعلم ما كان قبل أن يكون، وقد كتب ذلك، فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن، أو ذات الجنب، أو الهدم، أو الغرق، أو غير ذلك من الأسباب، وهذا يموت مقتولًا: إمَّا بالسم، وإمَّا بالسيف، وإمَّا بالحجر، وإمَّا بغير ذلك من أسباب القتل، وعلم الله بذلك وكتابته له، بل مشيئته لكل شيء، وخلقه لكل شيء لا يمنع المدح، والذم والثواب والعقاب، بل القاتل: إن قتل قتيلًا أمر الله به ورسوله ـ كالمجاهد في سبيل الله ـ أثابه الله على ذلك، وإن قتل قتيلًا حرمه الله ورسوله ـ كقتل القطاع والمعتدين ـ عاقبه الله على ذلك، وإن قتل قتيلًا مباحًا ـ كقتيل المقتص ـ لم يثب، ولم يعاقب إلا أن يكون له نية حسنة، أو سيئة في أحدهما.

والأجل أجلان: أجل مطلق: يعلمه الله، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: **«من سرَّه أن يُبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه»**، فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلا، وقال: إن وصل رحمه زدته كذا، وكذا، والملك لا يعلم أيزداد أم لا؛ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر، ولو لم يُقتل المقتول، فقد قال بعض القدرية: إنه كان يعيش، وقال بعض نفاة الأسباب: إنه يموت وكلاهما خطأ؛ فإن الله علم أنه يموت بالقتل، فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديرًا لما لا يكون لو كان كيف كان يكون، وهذا قد يعلمه بعض الناس، وقد لا يعلمه فلو فرضنا أن الله علم أنه لا يُقتل أمكن أن يكون قدر موته في هذا الوقت، وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر، فالجزم بأحد هذين على التقدير الذي لا يكون، جهل.

وهذا كمن قال: لو لم يأكل هذا ما قدر له من الرزق، كأن يموت، أو يرزق شيئًا آخر، وبمنزلة من قال: لو لم يُحبِّل هذا الرجل هذه المرأة هل تكون عقيمًا، أو يُحبلها رجل آخر؟، ولو لم تزرع هذه الأرض هل كان يزرعها غيره، أم كانت تكون مواتًا لا يزرع فيها، وهذا



الذي تعلَّم القرآن من هذا لو لم يعلمه: هل كان يتعلم من غيره؟ أم لم يكن يتعلم القرآن ألبته، ومثل هذا كثير.اهـ

وروى مسلم برقم (٢٦٦٣)، عن أم حبيبة رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ ـ: أنها قالت: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال النبي ﷺ: «**قد سألتِ اللهَ لآجالٍ مضروبة، وأيامٍ معدودة، وأرزاقٍ مقسومة، لن يُعجِّل شيئا قبل حِلِّه، أو يُؤخر شيئا عن حله، ولو كنتِ سألتِ الله أن يُعيذك من عذابٍ في النار، أو عذاب في القبر، كان خيرًا وأفضل**».

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٦/ ٢١٣): وهذا الحديث صريح، في أن الآجال والأرزاق مقدرة، لا تتغير عما قدره الله تعالى، وعلمه في الأزل، فيستحيل زيادتها ونقصها حقيقة عن ذلك.

وأمَّا ما ورد في حديث: «**صلة الرحم تزيد في العمر**»، ونظائره فقد سبق تأويله، في باب صلة الأرحام واضحًا، قال المازري هنا: قد تقرر بالدلائل القطعية، أن الله تعالى أعلم بالآجال والأرزاق وغيرها، وحقيقة العلم: معرفة المعلوم على ماهو عليه، فإذا علم الله تعالى أن زيدا يموت سنه خمسمائة، استحال أن يموت قبلها أو بعدها؛ لئلا ينقلب العلم جهلا، فاستحال أن الآجال التي علمها الله تعالى تزيد وتنقص، فيتعين تأويل الزيادة، أنها بالنسبة إلى ملك الموت أو غيره، ممن وكله الله بقبض الأرواح، وأمره فيها بآجال ممدودة، فإنه بعد أن يأمره بذلك، أو يثبته في اللوح المحفوظ ينقص منه ويزيد، على حسب ما سبق به علمه في الأزل، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد: ٣٩]، وعلى ماذكرناه يحمل قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ**﴾ [الأنعام: ٢].

واعلم أن مذهب أهل الحق: أن المقتول مات بأجله، وقالت المعتزلة: قُطع أجله، والله أعلم.

إشكال وجوابه:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عقب كلامه السابق ـ: فإن قيل: ما الحكمة في نهيها عن الدعاء بالزيادة في الأجل؛ لأنه مفروغ منه، وندبها إلى الدعاء بالاستعاذة من العذاب، مع أنه مفروغ منه ـ أيضًا ـ كالأجل؟

فالجواب: أن الجميع مفروع منه، لكن الدعاء بالنجاة من عذاب النار، ومن عذاب القبر ونحوهما عبادة، وقد أمر الشرع بالعبادات، فقيل: أفلا نتكل على كتابنا، وما سبق لنا من القدر، فقال: **«اعملوا فكل ميسر لما خلق له»**.

وأمَّا الدعاء بطول الأجل فليس عبادة، وكما لا يحسن ترك الصلاة والصوم والذكر اتكالا على القدر، فكذا الدعاء بالنجاة من النار ونحوه، والله أعلم.

النهي عن قول (لو) إذا قُرن بها تسخُّط أو اعتراض على أقدار الله أو احتُجَّ به على معصية الله

قال الله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٧ـ ١٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وقال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الصافات: ١٦٧ـ ١٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤].

وقال الله تعالى: ﴿**أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الزمر: ٥٧ ـ ٥٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا؛ ولكن قل قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان**»، رواه مسلم برقم (٢٦٦٤).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٦/ ٢١٦): قال القاضي عياض: قال بعض العلماء: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقدًا ذلك حتمًا، وأنه لو فعل ذلك لم تُصبه قطعًا؛ فأما من ردَّ ذلك إلى مشيئة الله تعالى؛ بأنه لن يُصيبه إلا ما شاء الله، فليس من هذا، واستدل بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الغار: لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا.

قال القاضي: وهذا لا حجة فيه؛ لأنه إنما أخبر عن مستقبل، وليس فيه دعوى لرد قدرٍ بعد وقوعه. قال: وكذا جميع ما ذكره البخاري في (باب ما يجوز من اللو)، كحديث: «**لولا حُدثان عهد قومك بالكفر؛ لأتممت البيت على قواعد إبراهيم**». «**ولو كنت راجمًا بغير بينة لرجمت هذه**». «**ولولا أن أشق على أمتي؛ لأمرتهم بالسواك**»، وشبه ذلك.

فكله مستقبل لا اعتراض فيه على قدر، فلا كراهة فيه؛ لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع، وعما هو في قدرته، فأما ما ذهب فليس في قدرته.

قال القاضي: فالذي عندي في معنى الحديث: أن النهي على ظاهره وعمومه، لكنه نهي تنزيه، ويدل عليه قوله ﷺ: «**فإن لو تفتح عمل الشيطان**» أي: يلقي في القلب معارضة القدر، ويوسوس به الشيطان، هذا كلام القاضي.

قلت ـ أي: النووي رحمه الله ـ: وقد جاء من استعمال لو في الماضي؛ قوله ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت؛ ما سُقت الهدي**»، وغير ذلك.



فالظاهر: أن النهي إنما هو عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه، فيكون نهي تنزيه لا تحريم، فأمَّا من قاله تأسفًا على ما فات من طاعة الله تعالى، أو ما هو متعذر عليه من ذلك، ونحو هذا؛ فلا بأس به، وعليه يُحمل أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث، والله أعلم.اهـ

وقال ـ أيضًا ـ رحمه الله في (١١/ ١٢١) ـ عند قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مخبرًا عن نبي الله سليمان عليه السلام: «**لو قال إن شاء الله؛ لجاهدوا**»(١): فيه جواز قول لو، ولولا.

قال القاضي عياض: هذا يستدل به على جواز قول لو، ولولا، وقد جاء في القرآن كثيرًا، وفي كلام الصحابة والسلف، وترجم البخاري على هذا (باب ما يجوز من اللو)، وأدخل فيه قول لوط عليه السلام: ﴿**لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً**﴾ [هود:٨٠]، وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لو كنت راجمًا بغير بينة لرجمت هذه**»، «**ولو مُدَّ لي الشهر لواصلت**»، «**ولولا حدثان قومك بالكفر؛ لأتممت البيت على قواعد إبراهيم**»، «**ولولا الهجرة؛ لكنت امرأ من الأنصار**»، وأمثال هذا.

قال: والذي يُفهم من ترجمة البخاري، وما ذكره في الباب من القرآن والآثار: أنه يجوز استعمال لو ولولا، فيما يكون للاستقبال مما امتنع من فعله لامتناع غيره، وهو من باب الممتنع من فعله؛ لوجود غيره، وهو من باب لولا؛ لأنه لم يدخل في الباب سوى ما هو للاستقبال، أو ما هو حق صحيح متيقن؛ كحديث: «**لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار**»، دون الماضي والمنقضي، أو ما فيه اعتراض على الغيب والقدر السابق.

وفي «صحيح مسلم»: قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**وإن أصابك شيء**... الحديث».

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٦٤)، ومسلم (١٦٥٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال القاضي: قال بعض العلماء: هذا إذا قاله على جهة الحتم والقطع بالغيب أنه لو كان كذا لكان كذا، من غير ذكر مشيئة الله تعالى، والنظر إلى سابق قدره، وخفي علمه علينا، فأما من قاله على التسليم، ورد الأمر إلى المشيئة فلا كراهة فيه.اهـ

تتمة: في بيان أن (لولا) مثل (لو):

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عقب كلامه السابق ـ: قال القاضي: أشار بعضهم: إلى أن لولا بخلاف لو، والذي عندي أنهما سواء إِذَا اسْتُعْمِلَتَا فيما لم يُحِط به الإنسان علما، ولا هو داخل تحت مقدور قائلهما مما هو تحكُّم على الغيب واعتراض على القدر؛ كما نبه عليه في الحديث.

ومثل قول المنافقين: ﴿**لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**﴾ [آل عمران:١٦٨]، ﴿**لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا**﴾ [آل عمران: ١٥٦]، و﴿**لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا**﴾، فرد الله تعالى عليهم باطلهم، فقال: ﴿**فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٦٨]، فمثل هذا هو المنهي عنه.اهـ

معنى قوله ﷺ: «لو قال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن شاء الله لجاهدوا»:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عقب كلامه السابق ـ: وأما هذا الحديث، فإنما أخبر النبي ﷺ فيه، عن يقين نفسه: «**أن سليمان لو قال إن شاء الله لجاهدوا**»، إذ ليس هذا مما يُدرك بالظن والاجتهاد، وإنما أخبر عن حقيقة أعلمه الله تعالى بها، وهو نحو قوله ﷺ: «**لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها**»، فلا معارضة بين هذا، وبين حديث النهي عن لو، وقد قال الله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾ [الأنعام: ٢٨]، وكذلك ما جاء من لولا، كقوله تعالى: ﴿**لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ**﴾ [الأنفال:٦٨] ﴿**وَلَوْلَا أَنْ**



يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا﴾ [الزخرف:٣٣] **﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْـمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤]؛ لأن الله تعالى مخبر في كل ذلك عما مضى، أو يأتي عن علم خبرا قطعيًا.

وكل ما يكون من لو، ولولا مما يُخبر به الإنسان عن علة امتناعه من فعله، مما يكون فعله في قدرته فلا كراهة فيه؛ لأنه إخبار حقيقة عن امتناع شيء لسبب شيء، وحصول شيء لامتناع شيء، وتأتي لو غالبًا لبيان السبب الموجب، أو النافي؛ فلا كراهة في كل ما كان من هذا، إلا أن يكون كاذبًا في ذلك؛ كقول المنافقين: **﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾** [آل عمران: ١٦٧]، والله أعلم.اهـ

وقد أطال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٢٢٥) ـ تحت (باب ما يجوز من لو) ـ ، الكلام عموما بما خلاصته: ماقاله النووي ونقله عن القاضي، رحمهم الله جميعًا، والله أعلم.

تحريم قول: إن الله خلق شيئًا عبثًا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ١٨): قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ أي: ما خلقت هذا الخلق عَبَثًا، بل بالحق؛ لتجزي الذين أساؤوا بما عملوا، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ثم نَزَّهُوهُ عن العَبَثِ وخلق الباطل؛ فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي: عَنْ أن تخلق شيئاً باطلًا.اهـ

وقال الله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨ـ ٣٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦ـ١٧].

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (١٤٩٠١)، عن رجل من آل سعيد بن العاص قال: كان آخر خطبةٍ خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أن حمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم لم تخلقوا عبثًا، ولن تتركوا سدى... .

قلت: وفي الباب أدلة كثيرة، يأتي ذكرُ بعضها، في الباب والفصل، الآتيان عقب هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ، والله أعلم.

فصلٌ: في ذكر بعض الحكم والغايات التي خلق الله الخلق لأجلها:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٥ ـ ٦].

وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٩ ـ ٤٠].

وقال تعالى: ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ثلاثة مواضع: [الحديد: ١]، و[الحشر: ١]، و[الصف: ١]، ومثلها في القرآن كثير.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا للهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨]

وروى البخاري برقم (٤٨٠٣)، ومسلم (١٥٩)، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ في الشمس ـ: «**فإنها تذهب؛ فتسجد تحت العرش**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل، فقال: يا رسول الله، رأيتني الليلة، وأنا نائم، كأني أصلي خلف شجرة، فسجدتُ فسجَدَت الشجرة لسجودي، فسمعتُها وهي تقول: **«اللهم، اكتب لي بها عندك أجرًا، وضع عني بها وزرًا، واجعلها لي عندك ذخرًا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود»**، فقرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سجدة، ثم سَجَد، فسمعته، وهو يقولُ مثلَ ما أخبره الرجل عن قول الشجرة، رواه الترمذي برقم (٥٧٩)، وابن ماجه (١٠٥٣)(١).

وقال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾** [النور: ٤١].

وقال تعالى: **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾** [الإسراء: ٤٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ٧٨): وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد، وهذا أشهر القولين، كما ثبت في «البخاري»(٢)، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنا نسمع تسبيح الطعام، وهو يُؤكل.

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ في يده حصيات، فسمع لهن تسبيح كحنين النحل، وكذا يد أبي بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم أجمعين.

ثم **قال** رحمه الله: وهو حديث مشهور، في «المسانيد»(٣).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح ابن ماجه» برقم (١٠٥٣).

(٢) برقم (٣٥٧٩).

(٣) **صالحٌ في الباب**: رواه أحمد (٤/ ٤١٥)، والبهقي في «الدلائل» (٦/ ٦٤)، وضعفه الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٩٢)، إلا أن ضعفه حفيفا، **فقد قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله ـ عقب ذكره له ـ حديث مشهور.اهـ
=



وفي «سنن النسائي»، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع، وقال: نقيقها تسبيح(١).

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن نوحًا عليه السلام لما حضرته الوفاة، دعا ابْنَيْه وقال لهما: وآمركما بسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق كل شيء»**، رواه أحمد (٢/ ٢٢٥)، والبخاري في «الأدب» برقم (٥٤٨)، والحاكم (١٥٤)، **وقال**: صحيح الإسناد.اهـ(٢).

= **وقال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٠٢): رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف.اهـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «ظلال الجنة» برقم (١١٤٦): صحيح.اهـ

قلت: راجع للمزيد: «أنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري» (٤/ ٢٧٧٣)، والله أعلم.

(١) رواه النسائي في «الكبرى» برقم (٤٨٦٧)، دون قوله: فإن نقيقها تسبيح.

ورواه بتمامه: ابن أبي شيبة في «مصنفه» برقم (٢٣٧١٠)، والبيهقي في «الكبرى» (١٩٣٧٢)، وصحح إسناد الموقوف

وقال ابن الملقن رحمه الله في «البدر المنير» (٦/ ٣٤٦): صحَّ موقوفًا عنه رضي الله عنه، وبه قال المقدسي في «الذخيرة» (٥/ ٢٦٢٨)، وهو المفهوم من حكم العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١٠/ ٣٣٠)، والله أعلم.

وأمَّا النهي عن قتلها عمومًا: فقد صح عن جمع، منهم عائشة رضي الله عنها، رواه عبد الرزاق في "مصنفه" برقم (٨٣٩٢)، وهو على شرط الشيخين. راجع: «تحقيق المسند» (٤١/ ٨١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، رواه أحمد (٣/ ٣٥٤)، والنسائي (٢/ ٢٠٢)، ورجاله ثقات رجال الشيخين، غير سعيد بن خالد، وهو القارظي الكتاني، وهو ثقة، كما قال النسائي وغيرُه. راجع: «الضعيفة» (١٠/ ٣٣٠)، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٩٨)، و«الصحيحة» (١٣٤)، و«الصحيح المسند» (٨٠١).

وقال عكرمة رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾** قال: الأسطوانة تسبح، والشجرة تسبح. ـ الأسطوانة: السارية ـ.

وقال بعض السلف: إن صرير الباب تسبيحه، وخرير الماء تسبيحه.

وقال سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم قال: الطعام يسبح، ويشهد لهذا القول آية السجدة، أول سورة الحج.

وقال آخرون: إنما يسبح ما كان فيه روح يعنون من حيوان، أو نبات.

وقال قتادة: كل شيء فيه الروح يسبح من شجر، أو شيء فيه.

وقال الحسن، والضحاك: كل شيء فيه الروح.

وقال جرير أبو الخطاب: كنا مع يزيد الرَّقاشي، ومعه الحسن في طعام، فقدموا الخوان، فقال يزيد الرقاشي: يا أبا سعيد، يسبح هذا الخِوَان؟ فقال: كان يسبح مرة.

والخِوَان هو المائدة من الخشب، فكأن الحسن رَحِمَهُ اللهُ ذهب إلى أنه لما كان حيًا فيه خُضرة، كان يسبح، فلما قُطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه.

وقد يُستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مر بقبرين يعذبان، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، ثم قال: **«لعلَّه يُخفَّف عنهما ما لم يَيْبسا»**، رواه البخاري برقم (٢١٣)، ومسلم (٢٩٢).

قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء: إنما قال: **«ما لم ييبسا»**؛ لأنهما يُسبحان ما دام فيهما خضرة، فإذا يبسا انقطع تسبيحهما، والله أعلم. اهـ بتصرف.

قلت: وممن ذهب إلى العموم، وعدم تخصيص التسبيح بالرَّطب، أو بما له روح: **العلامة ابن القيم قال** رَحِمَهُ اللهُ في «مقدمة الزاد» (١/ ٣٥): سبحان من سبحت له السماوات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، والنجوم والجبال والشجر والدواب والآكام، والرمال وكل رطب ويابس، وكل حي وميت، **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ**



السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ في «شفاء العليل» (١/ ١٩٨): **النوع الحادي عشر**: إنكاره سبحانه على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية، ولا لحكمة، كقوله: **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾** [المؤمنون: ١١٥]، وقوله: **﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾** [القيامة: ٣٦]. وقوله: **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [الدخان: ٣٨ ـ ٣٩].

والحق: هو الحِكَم والغايات المحمودة، التي لأجلها خلق ذلك كله، وهو أنواع كثيرة:

منها: أن يُعرف الله تعالى بأسمائه وصفاته، وأفعاله وآياته.

ومنها: أن يُحب ويُعبد ويُشكر ويُذكر ويُطاع.

ومنها: أن يَأمر وينهى، ويُشرِّع الشرائع.

ومنها: أن يُدبر الأمر ويُبرم القضاء، ويَتصرَّف في المملكة بأنواع التصرفات.

ومنها: أن يُثيب ويعاقب، فيُجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فَيُوجَدْ أثرُ عدله وفضله موجودًا مشهودًا، فيُحمد على ذلك ويُشكر.

ومنها: أن يعَلم خلقه أنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

ومنها: أن يَصدُق الصادق فيُكرمه، ويكذب الكاذب فيهينه.

ومنها: ظُهور آثار أسمائه وصفاته على تنوُّعها وكثرتها في الوجود الذهني والخارجي، فيعلم عباده ذلك علمًا مطابقًا لما في الواقع.

ومنها: شهادة مخلوقاته كلها بأنه وحده ربها وفاطرها ومليكها، وأنه وحده إلهها ومعبودها.

ومنها: ظُهور أثرِ كماله المقدَّس، فإن الخلق والصنع لازم كماله، فإنه حي قدير، ومن كان ذلك كذلك لم يكن إلا فاعلًا مختارًا.

ومنها: أن يَظهَر أثر حكمته في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه، الذي يليق به ومحبته على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بحسنه، فتشهد حكمته الباهرة.

ومنها: أنه سبحانه يُحب أن يجود وينعم ويعفو ويغفر ويسامح، ولا بد من لوازم ذلك خلقًا وشرعًا.

ومنها: أنه يُحب أن يُثنى عليه ويُمدح، ويمجَّد ويسبَّح ويعظَّم.

ومنها: كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته وإلهيته، إلى غير ذلك من الحكم التي يتضمنها الخلق مُخلق مخلوقاته بسبب الحق، ولأجل الحق وخَلقها ملتبس بالحق، وهو في نفسه حق فمصدره حق وغايته حق، وهو يتضمن للحق.

وقد أثنى على عباده حيث نزهوه عن إيجاد الخلق لا لشيء ولا لغاية، فقال: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ**﴾ [آل عمران: ١٩١].

وأخبر أن هذا ظن أعدائه لا ظن أوليائه، فقال: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [ص: ٢٧].

وكيف يتوهم أنه عرَفَه من يقول أنه لم يُخلَقْ لحكمة مطلوبة له، ولا أمرَ لحكمة، ولا نهى لحكمة، وإنما يصدر الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة ولا لغاية مقصودة.

وهل هذا إلَّا إنكار لحقيقة حمده، بل الخلق والأمر إنما قام بالحِكَمِ والغايات، فهما مظهران بحمده، وحكمته، فإنكار الحكمة إنكار لحقيقة خلقه وأمره، فإن الذي أثبته المنكرون من ذلك يُنزَّه عنه الرب، ويتعالى عن نسبته إليه، فإنهم أثبتوا خلقًا وأمرًا لا رحمة فيه ولا مصلحة، ولا حكمة، بل يجوز عندهم، أو يقع أن يأمر بما لا مصلحة للمكلف فيه البتة، وينهى عما فيه مصلحة، والجميع بالنسبة إليه سواء.

ويجوز عندهم: أن يأمر بكل ما نهى عنه، وينهى عن جميع ما أمر به، ولا فرق بين هذا وهذا إلا لمجرد الأمر والنهي، ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعصه طرفة عين، بل أفنى عمره في طاعته وشكره وذكره، وينعم على من لم يُطعه طرفة عين، بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والفجور، فلا سبيل إلى أن يُعرف خلاف ذلك منه إلا بخبر الرسول، وإلا فهو جائز عليه، وهذا من أقبح الظن، وأسوأه بالرب سبحانه وتنزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور، بل هذا هو عين الظلم الذي يتعالى الله عنه.

والعجب العجاب: أن كثيرًا من أرباب هذا المذهب يُنزهونه عما وصف به نفسه من صفات الكمال، ونعوت الجلال، ويزعمون أن إثباتها تجسيم وتشبيه، ولا ينزهونه عن هذا الظلم والجور، ويزعمون أنه عدل وحق، وأن التوحيد عندهم لا يتم إلا به كما لا يتم إلا بإنكار استوائه على عرشه، وعلوه فوق سماواته، وتكلُّمه وتكلِيمه وصفات كماله، فلا يتم التوحيد عند هذه الطائفة إلا بهذا النفي، وذلك الإثبات، والله وليُّ التوفيق.اهـ

الأمر بالتفكر في مخلوقات الله جل وعلا

قال الله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سبأ:٩]. وقال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢٠ـ٢١].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:١٧ـ٢٠].

وغيرها من الأدلة الدالة على أهمية هذه العبادة، التي خص الله بها أُولي الألباب من عباده، فما أبعدنا منها معشر المسلمين، والله حسبنا ونعم الوكيل، وقد تقدم في الباب والفصل قبل هذا بعض أدلة ـ خاصة وعامة ـ، والله المستعان، وهو أعلم، وأحكم.

النهي عن التعبيد لغير الله تعالى

قال الله تعالى واصفًا رسوله ﷺ: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾ [الإسراء:١].

وقال تعالى واصفًا جماعة من أنبيائه ورسله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ: ﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ**﴾ [ص: ٤٥].

ومقام العبودية لله تعالى مقام رفيع، وصف الله بها نبيه ﷺ، في مقام التحدي، والدعوة، والاصطفاء، فقال في مقام التحدي: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال في مقام الدعوة: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**﴾ [الجن:١٩]، وتقدم ذكر مقام الاصطفاء في آية الإسراء، والله أعلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن**»، رواه مسلم برقم (٥٧٠٩).

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٤/ ١١٣): فيه: التسمية بهذين الاسمين، وتفضيلهما على سائر ما يُسمَّى به.اهـ

وعن جابر رضي الله عنه قال: ولد لرجل منا غلام، فسماه القاسم، فقلنا: لا نُكنيك أبا القاسم ولا كرامة، فأخبر النبي ﷺ، فقال: «**سم ابنك عبد الرحمن**»، رواه البخاري برقم (٥٨٣٢)، ومسلم (٢١٣٣).

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (١٠/ ٥٧٠): قال القرطبي: يلتحق بهذين الأسمين: ما كان مثلهما، كعبد الرحيم، وعبد الملك، وعبد الصمد، وإنما كانت أحب إلى الله؛ لأنها تضمنت ما هو وصف واجب لله، وما هو وصف للإنسان وواجب له، وهو العبودية، ثم

أضيف العبد إلى الرب إضافة حقيقية، فصدقت أفراد هذه الأسماء، وشرفت بهذا التركيب، فحصلت لها هذه الفضيلة.

وقال غيره: الحكمة في الاقتصار على الاسمين: أنه لم يقع في القرآن إضافة عبد إلى اسم من أسماء الله تعالى غيرهما، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وقال في آية أخرى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٣].اهـ

وعن أبي وهب الجشمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها: حارث، وهمام، وأقبحها: حرب، ومرة»**(١).

وقال الإمام ابن حزم رحمه الله في «مراتب الإجماع» (ص١٥٤): اتفقوا: على استحسان الأسماء المضافة إلى الله عز وجل، كعبد الرحمن، وما أشبه ذلك.اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «تحفة المودود» (ص١٨٤): اختلف الفقهاء في أحب الأسماء إلى الله، فقال الجمهور: أحبها إليه عبد الله، وعبد الرحمن.

وقال سعيد بن المسيب: أحب الأسماء إليه أسماء الأنبياء، والحديث الصحيح يدل: على أن أحب الأسماء إليه عبد الله، وعبد الرحمن.اهـ

(١) **صحيحٌ**: رواه أحمد (٤/ ٣٤٥)، وأبو داود برقم (٤٩٥٠)، وكان العلامة الألباني رحمه الله أودعه، في «ضعيف الجامع» برقم (٢٤٣٥)، ثم تراجع، وأودعه في «الصحيحة» برقم (٩٠٤)، كما في «التراجعات» برقم (٤٣)، والله أعلم.



فصلٌ في معنى قوله ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم ...»:

روى البخاري برقم (٢٧٣٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: **«تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة؛ إن أُعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض»**.

وفي لفظ له ـ بالرقم السابق ـ: **«تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»**.

قال العلامة العثيمين رحمه الله في «القول المفيد» (١/ ٥٦): سمَّى النبي ﷺ من كان هذا همَّه، سماه: عبدًا له.اهـ

وقال رحمه الله في (٢/ ٩٥): **قوله: «عبد الدينار»**: سماه عبد الدينار؛ لأنه تعلَّق به تعلق العبد بالرب، فكان أكبر همه، وقدمه على طاعة ربه، ويقال في عبد الدرهم ما قيل في عبد الدينار.

وإيراد المؤلف لهذا الحديث يتبين أن من الناس من يعبد الدنيا أي: يتذلل لها ويخضع لها، وتكون مُناه وغايته، فيغضب إذا فُقدت ويرضى إذا وُجدت، ولهذا سَمَّى النبي ﷺ من هذا شأنه عبدًا لها، وهذا من يُعْنى بجمع المال من الذهب والفضة، فيكون مريدًا بعمله الدنيا.

قوله: **«تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة»**: وهذا من يُعنى بمظهره، وأثاثه؛ لأن الخميصة كساء جميل، والخميلة فراش وثير، ليس له هم إلا هذا الأمر، فإذا كان عابدًا لهذه الأمور؛ لأنه صرف لها جهوده وهمته، فكيف بمن أراد بالعمل الصالح شيئاً من الدنيا، فجعل الدين وسيلة للدنيا؟! فهذا أعظم.اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «تحفة المودود» (ص١٨٥): **فصل**: وأما المكروه منها، والمحرَّم، فقال أبو محمد بن حزم: اتفقوا: على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله، كعبد العزى، وعبد هبل، وعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب. انتهى.

فلا تحل التسمية بعبد علي، ولا عبد الحسين، ولا عبد الكعبة.

وعن هانىء بن يزيد رضي الله عنه قال: وفد على النبي صلى الله عليه وسلم قوم، فسمعهم يسمون عبد الحجر، فقال له صلى الله عليه وسلم: «**ما اسمك؟**»، فقال: عبد الحجر، فقال: «**إنما أنت عبد الله**»، رواه ابن أبي شيبة برقم (٥٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨١١)(١).اهـ بتصرف.

الجمع بين النهي عن التعبيد لغير الله وقوله صلى الله عليه وسلم: «أنا ابن عبد المطلب»؟:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «تحفة المودود» (ص١٨٥): فإن قيل كيف يتفقون على تحريم الاسم المعبد لغير الله، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد القطيفة**»(٢)، وصح أنه قال:

«**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**»(٣).

ودخل عليه رجل، وهو جالس بين أصحابه، فقال أيكم ابن عبد المطلب؟، فقالوا هذا، وأشاروا إليه(٤).

فالجواب: أمَّا قوله: «**تعس عبد الدينار**»، فلم يرد به الاسم، وإنما أراد به الوصف، والدعاء على من يعبد قلبه الدينار والدرهم، فرضي بعبوديتها عن عبودية ربه تعالى... .

وأمَّا قوله: «**أنا ابن عبد المطلب**»: فهذا ليس من باب إنشاء التسمية بذلك، وإنما هو من باب الإخبار بالاسم الذي عُرف به المسمى دون غيره، والأخبار بمثل ذلك على وجه تعريف المسمى لا يحرم، ولا وجه؛ لتخصيص أبي محمد ابن حزم ذلك بعبد المطلب خاصة،

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الأدب» برقم (٦٢٧)، والله أعلم.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري برقم (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٤) **حسنٌ**: رواه أحمد برقم (٢٣٨٠)، وأبو داود (٤٨٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. راجع: «صحيح وضعيف أبي داود» ـ عقب الرقم السابق ـ و«تحقيق المسند» (٤/ ٢١٠).



فقد كان الصحابة يُسمُّون بني عبد شمس، وبني عبد الدار بأسمائهم، ولا يُنكِر عليهم النبي ﷺ، فباب الإخبار أوسع من باب الإنشاء، فيجوز ما لا يجوز في الإنشاء.اهـ

وبنحوه قال العلامة العثيمين رحمه الله في «القول المفيد» (١/ ٢١٢) فيراجع، والله أعلم.

فصلٌ: في ارتباط معنى الاسم بالمسمى:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «تحفة المودود» (١/ ١٤٦): الفصل التاسع في بيان ارتباط معنى الاسم بالمسمى، وقد تقدم ما يدل على ذلك من وجوه:

أحدها: قول سعيد بن المسيب: ما زالت فينا تلك الحزونة، وهي التي حصلت من تسمية الجد بحزن، وتقدم قول عمر لجمرة بن شهاب: أدرك أهلك، فقد احترقوا.

ومنع النبي ﷺ من كان اسمه حربًا، أو مرة أن يحلب الشاة تلك التي أراد حلبها، وشواهد ذلك كثيرة جدًا، فَقَلَّ أن ترى اسمًا قبيحًا، إلا وهو على مسمى قبيح، كما قيل:

و قلَّ ما أبْصَرَتْ عيناك ذا لقبٍ إلا و معناه إن فكرت في لقبه

والله سبحانه بحكمته في قضائه وقدره، يلهم النفوس أن تضع الأسماء على حسب مسمياتها؛ لتناسب حكمته تعالى بين اللفظ ومعناه، كما تناسبت بين الأسباب ومسبباتها.

قال أبو الفتح ابن جني: ولقد مرَّ بي دهر وأنا أسمع الاسم لا أدري معناه، فآخذ معناه من لفظه، ثم أكشفه فإذا هو ذلك بعينه، أو قريب منه.

فذكرت ذلك لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله، فقال: وأنا يقع لي ذلك كثيرًا.

ومنه قوله ﷺ: «**أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، وعصية عصت الله ورسوله**».

ولما أسلم وحشي قاتل حمزة، وقف بين يدي النبي ﷺ فكره اسمه وفعله، وقال: «**غيب وجهك عني**».

وبالجملة: فالأخلاق والأعمال، والأفعال القبيحة تستدعي أسماء تناسبها، وأضدادها تستدعي أسماء تناسبها.

وكما أن ذلك ثابت في أسماء الأوصاف، فهو كذلك في أسماء الأعلام، وما سُمِّيَ رسول الله محمدًا وأحمد إلا لكثرة خصال الحمد فيه، ولهذا كان لواء الحمد بيده، وأمته الحمادون.

وهو أعظم الخلق حمدًا لربه تعالى، ولهذا أمر رسول الله ﷺ بتحسين الأسماء، فقال: «**حسنوا أسماءكم، فإن صاحب الاسم الحسن قد يستحي من اسمه**».

وقد يحمله اسمه على فعل ما يناسبه وترك ما يضاده، ولهذى ترى أكثر السُفَّل أسماؤهم تناسبهم، وأكثر العِلية أسماؤهم تناسبهم، وبالله التوفيق.اهـ



فصلٌ: في معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ الآيات إلى قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠ـ ١٩١].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله «في روضة المحبين» (ص٢٨٩): واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما، ولا يلتفت إلى غير ذلك، مما قيل: إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد، فأتاهما إبليس، فقال: إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا؛ فإن الله سبحانه اجتباه وهداه، فلم يكن ليشرك به بعد ذلك.اهـ

وقال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٣١١): أي: جَعلَا لله شركاء في ذلك الولد، الذي انفرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقرَّ به أعين والديه، فَعَبَّدَاه لغير الله، إمَّا أن يُسمِّياه بعبد غير الله، كـ عبد الحارث، وعبد العُزَير، وعبد الكعبة، ونحو ذلك.اهـ

قال أبو محمد السليماني ـ سدده الله ـ: وقد قيل في معنى الآيتين السابقتين غير ما ذُكر، وحقه في التوجيه ما وجَّه به ابن القيم رحمه الله، وغيرُه من أهل التحقيق، والله أعلم وأحكم.

وقد نص غير واحد من أهل العلم: على أن التعبيد لغير الله شرك أصغر(١)، والله أعلم.

---

(١) راجع: كتاب «الشرك في القديم والحديث» (ص٢١٨).

النهي عن إضاعة الوقت في معصية الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ـ ١٦٣].

قال العلامة السعدي رحمه الله في «القواعد الحسان» (ص١١): فإنها ـ أي: هذه الآية ـ تعم الصلوات كلها، والأنساك كلها، وجميع ما العبد فيه وعليه في حياته ومماته، الجميع من الله فضلاً وإحساناً، وأنك قد أتيت ما أتيت منه وأوقعته وأخلصته لله وحده، لا شريك له.اهـ

وفي مناقب الشافعي للبيهقي رحمه الله (٢/ ٢٠٨): قال: صحبتُ الصوفية عشر سنين، فلم أستفد منهم سوى حرفين: **أحدها**: قولهم: الوقت سيف، فإنْ قطعته، وإلاّ قطعك.اهـ بتصرف.

فَلْيَخَفِ العبدُ المسلمُ، أن يكون ممن قد سُلِّط عليهم الشيطان، في أموالهم وأولادهم، وأوقاتهم، قال الله تعالى مخبرًا عنه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢ ـ ٦٥].

وقال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ـ ١٨].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء» (ص٣٥٨) ـ في كلامه على الخطرات ـ:



الخامس: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته، وجمع الهمّ كلّه عليه، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلُّها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيّعه لم يستدركه أبدًا.

ـ ثم ذكر رحمه الله قول الشافعي رحمه الله السابق ـ **ثم قال**: فوقت الإنسان هو عُمُرُه في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضّنْك في العذاب الأليم، وهو يمرّ أسرع من مرّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله، فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته، وإن عاش فيه عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته.

وإذا كان العبد، وهو في الصلاة، ليس له إلا ما عقل منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله وله.اهـ

قلت: ولا بد للمسلم في حياته من ترويح يسيرٍ للنفس، ومن ذلك ما رواه عطاء بن أبي رباح رحمه الله قال: رأيت جابر بن عبد الله، وجابر بن عمير الانصاريين رضي الله عنهما يرتميان، فملَّ أحدهما فجلس، فقال له صاحبه: أجلست؟ أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: **«كل شيء ليس من ذكر الله، فهو سهو ولهو إلا أربع: مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وتعلُّمه السباحة، وملاعبته أهله»**، رواه النسائي في «الكبرى» برقم (٨٩٣٨)، والطبراني في «الأوسط» برقم (٨١٤٧)، وفي «الكبير» (١٧٦٠)(١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٦٩)، و«الإصابة» (١/ ٤٣٩)، و«صحيح الجامع» برقم (٤٥٣٤)، والله أعلم.

فصلٌ: في أهمية المحافظة على الوقت وأنه رأس مال الإنسان وثمرته في الدينا والآخرة:

قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ»**، رواه البخاري برقم (٢٣٥٧).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة، من عند ربه حتى يُسئل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم»**، رواه الترمذي برقم (٢٤١٦)(١).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما تُزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه؟»**، رواه المنذري في «الترغيب» برقم (٢٦٧٦)(٢).

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»**، رواه الترمذي برقم (٢٤١٧)، **وقال** رحمه الله: حديث حسن صحيح.اهـ(٣).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء» (١/ ١٣٨): وحقيقة الحياة هي حياة القلب، ولهذا جعل الله سبحانه الكافر ميتًا غير حيّ، كما قال تعالى: **﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾** [النحل: ٢١]، فالحياة في الحقيقة حياة القلب، وعمر الإنسان مدة حياته، فليس عمره إلا

---

(١) **صحيحٌ بشواهد**: راجع: «الصحيحة» برقم (٩٤٦)، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ بشواهد**: راجع: «صحيح الترغيب» برقم (١٢٧)، والله أعلم.

(٣) **صحيحٌ بشواهد**: راجع: «الصحيحة» (٢/ ٦٦٧)، والله أعلم.



أوقات حياته بالله، فتلك ساعات عمره، فالبرّ والتقوى والطاعة تزيد في هذه الأوقات التي هي حقيقة عمره، ولا عمر له سواها.

وبالجملة: فالعبد إذا أعرض عن الله، واشتغل بالمعاصي، ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية، التي يجد غبَّ إضاعتها يوم يقول: ﴿**يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾ [الفجر:٢٤].

فلا يخلو إمّا أن يكون له مع ذلك تطلّع إلى مصالحه الدنيوية والأخروية، أو لا.

فإن لم يكن له تطلع إلى ذلك، فقد ضاع عليه عمره كلّه، وذهبت حياته باطلًا.

وإن كان له تطلع إلى ذلك طالت عليه الطريق بسبب العوائق، وتعسّرت عليه أسباب الخير، بحسب اشتغاله بأضدادها، وذلك نقصان حقيقي من عمره.

وسرّ المسألة: أنّ عمر الإنسان مدة حياته، ولا حياة له إلا بإقباله على ربه، والتنعم بحبه وذكره، وإيثار مرضاته.اهـ

وصفٌ لحال كثيرٍ منا في هذا الزمان:

قال ابن الجوزي رحمه الله في «صيد الخاطر» (ص٢٤١): ولقد شاهدتُ خلقًا كثيرًا لا يَعرفون معنى الحياة: فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله، فهو يقعد في السوق أكثر النهار، ينظر إلى الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر! ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج! ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحديث عن السلاطين، والغلاء والرخص، إلى غير ذلك: فعلمت أن الله تعالى لم يُطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفَّقه وألهمة اغتنام ذلك، ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت: ٣٥].اهـ

قلت: وفي الباب الكثير من الأدلة، الدالة على أهمية الوقت، وأنه رأس مال الإنسان، وفيما ذُكر من الأحاديث، عظةٌ وترهيبٌ كثير، لمن ألقى السمع وهو شهيد، والله أعلم.

تحريم الكفر بنعم الله تعالى وإنكارها وإضافتها إلى غيره جل وعلا

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢].

قال مقاتل بن سليمان رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٤٩٠): قوله: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا﴾ يعني: وصف الله شبهًا ﴿قَرْيَةً﴾ يعني: مكة ﴿كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ أهلها من القتل والسبي. ﴿يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً﴾ يعني: ما شاءوا ﴿مِنْ كُلِّ مَكانٍ﴾ يعني: من كل النواحي من اليمن، والشام، والحبش، ثم بعث فيهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم رسولا يدعوهم إلى معرفة ربِّ هذه النعم وتوحيده جل ثناؤه، فإنه من لم يُوحِّده لا يعرفه. ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ﴾ حين لم يوحدوه، وقد جعل الله لهم الرزق، والأمن في الجاهلية.

ونظيرها في القصص والعنكبوت قوله سبحانه: ﴿يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص:٥٧]، وقوله عز وجل في العنكبوت: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧].

﴿فَأَذاقَهَا اللهُ﴾ في الإسلام ما كان دفع عنها في الجاهلية ﴿لِباسَ الْجُوعِ﴾ سبع سنين، ﴿وَالْخَوْفِ﴾ يعني: القتل ﴿بِما كانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يعني: بما كانوا يعملون من الكفر والتكذيب.اهـ

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٣): يذم الله سبحانه من يُضيف إنعامه إلى غيره ويُشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة والملاح حاذقا، ونحو ذلك مما هو جرى على ألسنة كثير.اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٥٩٢): قوله: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا**﴾ [النحل:٨٠] أي: يعرفون أن الله تعالى هو المسدي إليهم ذلك، وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلى غيره، ﴿**وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ**﴾.اهـ

قلت: وفي الباب حديث زيد بن خالد الجُهَنّي رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**»، رواه البخاري برقم (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

وفي أبوابٍ تاليةٍ مزيد أدلَّةٍ وبيان ـ إن شاء الله تعالى ـ.

تحريم النأي بالجانب والإعراض عن الله تبارك وتعالى عند الصحة والغنى

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٢٥٢): إذا فرَّج الله شدته وكشف كربته، أعرض ونأى بجانبه، وذهب كأنه ما كان به من ذاك شيء ﴿مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾، ثم ذم تعالى من هذه صفته وطريقته، فقال: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ [الإسراء:٨٣]، وفي فصلت: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت:٥١].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ١١٣): يُخبر تعالى عن نقص الإنسان من حيث هو، إلا من عَصَمَ الله تعالى في حالتي سرائه وضرائه، بأنه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية، وفتح ورزق ونصر، ونال ما يريد، أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه. وقال مجاهد: بَعُد عنا.اهـ

وقال السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٤٦٥): هذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من هداه الله، فإن الإنسان، عند إنعام الله عليه يفرح بالنعم ويبطر بها، ويعرض وينأى بجانبه عن ربه، فلا يشكره ولا يذكره.اهـ

قلت: ويُستثنى مما سبق: من إذا ابتُلي صبر، وإذا أُعطي شكر، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩ ـ ١١].



تحريم قول: إنما أُوتيتُ هذا على علم عندي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٧٦ ـ ٨٣].

قال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٦٢٣): قوله: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ ـ إلى آخر القصة ـ: يُخبر تعالى عن حالة قارون وما فعَلَ، وفُعِلَ به ونُصِحَ ووُعِظَ، فقال: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ أي: من بني إسرائيل، الذين فُضِّلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، وامتن الله عليهم بما امتن به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، بغى على قومه وطغى، بما أُوتِيَهُ من الأموال العظيمة المطغية.

﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ أي: كنوز الأموال شيئًا كثيرًا ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾.

والعصبة: من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك أي: حتى أن مفاتح خزائن أمواله، لتُثْقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ ناصحين له محذرين له عن الطغيان: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة؛ فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدَّق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات.

﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعا، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك.

﴿وَأَحْسِنْ﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ بهذه الأموال.

﴿وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾ بالتكبر والعمل بمعاصي الله، والاشتغال بالنعم عن المنعم.

﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة.

فـ﴿قَالَ﴾ قارون ـ رادًا لنصيحتهم، كافرًا بنعمة ربه ـ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾. أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحذقي، أو على علم من الله بحالي، يعلم أني أهلٌ لذلك، فلم تنصحوني على ما أعطاني الله تعالى؟ قال تعالى مبينا أن عطاءه، ليس دليلا على حسن حالة المعطي: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾، فما المانع من إهلاك قارون، مع مُضِيِّ عادتنا وسنتنا بإهلاك من هو مثله وأعظم، إذ فعل ما يوجب الهلاك؟... إلى آخر كلامه رحمه الله.اهـ



تحريم قول: وررثت هذا كابرًا عن كابر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا: فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، فأُعطي لونا حسنا، وجلدا حسنا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل ـ أو قال: البقر ـ، فأُعطي ناقة عشراء، فقال: يُبَارَكْ لَكَ فيها.

وأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب وأُعطي شعرا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقرةً حاملا، وقال: يُبَارَكْ لَكَ فيها.

وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إليَّ بصري، فأُبْصر به الناس. قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من غنم.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، تقطعت بِيَ الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرا أتبلغ عليه في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله؟، فقال: لقد ورثته كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيَّرَكَ الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له: مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بِيَ الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنتُ أعمى فرد الله بصري، وفقيرا فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك»، رواه البخاري برقم (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

تحريم قول: أنا أكثر مالًا وولدًا وادِّعاء أن ذلك سببُ رَفعِ العذاب

قال الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ الآيات إلى قوله: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٣٢ ـ ٤٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٣ ـ ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠].

ووجه الدلالة بيِّنٌ من الآيات:

فدليل قول: نحن أكثر مالا وولدا: قوله في آية الكهف: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، وقوله في آية سبأ: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾.

ودليل إنكار العذاب: قوله في آية الكهف: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾، وقوله في آية سبأ: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، وقوله في آية فصلت: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾. اهـ من «تفاسير القرآن» ـ عند الآيات السابقة ـ والله أعلم.



تحريم التألِّي أو الإقسام على الله تبارك وتعالى

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك»**، رواه مسلم برقم (٢٦٢١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **«كان في بني إسرائيل رجلان، كان أحدهما مجتهدًا في العبادة، وكان الآخر مسرفًا على نفسه، فكانا متآخيين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا أقصر، فيقول: خلني وربي أَبُعثت عليَّ رقيبًا؟ إلى أن رآه يومًا على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك اقصر. قال: خلني وربي أبعثت عليَّ رقيبًا؟، فقال: والله لا يغفرُ اللهُ لك،** ـ أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا ـ، **فبعث الله إليهما ملكًا، فقَبَضَ أرواحهما واجتمعا، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنت بي عالمًا؟ أكنت على ما في يدي خازنًا؟، اذهبوا به إلى النار، فوالذي نفس أبي القاسم بيده: لتكلَّم بالكلمة، أو بقت دنياه وأخرته»**، أخرجه أحمد برقم (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٩٠١)(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كان رجل يصلى، فلما سجد أتاه رجل فوطئ على رقبته، فقال: الذى تحته: والله لا يغفر الله لك أبدًا، فقال الله: تألَّ عليَّ عبدي أن لا أغفر لعبدي، فإني قد غفرت له، رواه الطبراني في «الكبير» برقم (٨٧٩٥)(٢).

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومًا، فرأيته متغيرًا، فقلت: بأبي أنت وأمي ما لي أراك متغيرًا؟، قال: ما دخل جوفي ما يدخل جوف ذات كبد منذُ ثلاث. قال:

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «صحيح المشكاة» (٢٣٤٧)، و«الصحيح المسند» (١٣٠٢)، و«تحقيق المسند» (١٤/ ٤٦).

(٢) **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٩٤): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.اهـ

فذهبتُ، فإذا يهودي يسقي إبلًا له، فسقيت له على كل دلو تمرة، فجمعتُ تمرًا، فأتيت به النبي ﷺ، فقال: **«من أين لك يا كعب؟»**، فأخبرته، فقال رسول الله ﷺ: **«أتحبني يا كعب؟»**، قلت: بأبي أنت، نعم. قال: **«إن الفقر أسرع إلى من يُحبني من السيل إلى معادنه، وإنه سيصيبك بلاء فأعد له تجفافا»**. قال: ففقدني رسول الله ﷺ، فسأل عني، فقالوا: مريض، فخرج يمشي حتى أتاني، فلما دخل عليَّ قال: **«أبشر يا كعب»**، فقالت أمي: هنيئًا لك الجنة يا كعب، فقال: **«من هذه المتأليَّة على الله؟»**. قلت: هي أمي يا رسول الله، فقال: **«وما يدريكِ يا أم كعب، لعل كعبًا قال ما لا يعنيه، أو منع ما لا يغنيه»**، رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٧١٥٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٧٢)(١).

فعُلم ممَّا تقدم: تحريم التألي على الله بأنواعه، سواء كان في دخول الجنة أو النار، أو صلاحًا أو فسادا، أو غير ذلك، وفي الفصل عقب هذا مزيد بيان ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٣١٠٣)، والله أعلم.



تحريم الاغترار بالعمل الصالح

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن الرجل منكم ليعمل، حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**»، رواه البخاري برقم (٣٠٣٦)، ومسلم (٢٦٤٣).

وعن ضمضم بن جوس اليمامي قال: قال لي أبو هريرة رضي الله عنه: يا يمامي لا تقولنَّ لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا. قلت: يا أبا هريرة إن هذه لكلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب. قال: فلا تقلها، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**كان في بنى إسرائيل رجلان كان أحدهما مجتهدًا في العبادة، وكان الآخر مسرفًا على نفسه، فكانا متآخيين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا أقصر، فيقول خلني وربي أبعثت عليَّ رقيبًا؟، إلى أن رآه يومًا على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك أقصر. قال: خلني وربي أبعثت عليَّ رقيبًا، فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا، فبعث الله إليهما ملكًا، فقبض أرواحهما واجتمعا، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنت بي عالمًا؟ أكنت على ما في يدي خازنًا؟ اذهبوا به إلى النار، فوالذي نفس أبي القاسم بيده: لتكلَّم بالكلمة أو بقت دنياه وآخرته**»، رواه أحمد (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٩٠١)(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رجل يصلى، فلما سجد أتاه رجل فوطئ على رقبته، فقال: الذى تحته: والله لا يغفر الله لك أبدًا، فقال الله: تألَّ عليَّ عبدي أن لا أغفر لعبدي، فإني قد غفرت له، رواه الطبراني في «الكبير» برقم (٨٧٩٥)(٢).

---

(١) **حسنٌ**: وتقدم في الباب قبل هذا.

(٢) **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٩٤): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.اهـ

فصلٌ: في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]:

أردتُ بهذا الفصل ذكر بعض الصور، التي حصل من أصحابها نوع اعتراض وتألٍ، وتدخُّل فيما لم يبلغ علمهم كنهه وحقيقته، ومن ذلك:

قوله تعالى عن ابن آدم الأول: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة:٢٧_٣١].

وقول الله تبارك وتعالى عن اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٥ ـ ١٤١].

وقوله تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠ ـ ٨٢].



وقوله تعالى عنهم ـ أيضًا ـ: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١ ـ ١١٢].

وقوله تعالى عن قوم: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٢ ـ ٦٤].

وقوله تعالى عن بعض كفار قريش: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣١ ـ ٣٥].

وأمر الله صفوة خلقه أن يقولوا لقومهم ما أخبر عنهم: فقال مخبرًا عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٣١].

وقال مخبرًا عن صالح عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣].

وقال مخبرًا عن شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال مخبرا عن محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال تعالى لنبيه: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ * قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧ـ ٥٨].

وقال تبارك وتعالى لنبيه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف :١٨٨]. وقال تعالى عن نبيه ـ أيضًا ـ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟، فقال: لا. فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟، فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت: ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله، وقالت: ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين؛ فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة**». قال قتادة: فقال الحسن: ذُكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره، رواه البخاري برقم (٣٢٧٣)، ومسلم (٧١٨٤)، واللفظ له.

قلت: ومن هذا الباب ما تقدم قبل بـابين، مما اشتملت عليه آيات سورة الكهف، وغيرها، والله أعلم.

تحريم كراهية الله أو رسوله ﷺ أو شيءٍ مما جاءا به

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد: ٨ ـ ٩].

قال ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٢): يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهم، من الإتعاس وإضلال الأعمال، من أجل أنهم كرهوا كتابنا، الذي أنزلناه إلى نبينا محمد ﷺ، وسخطوه، فكذّبوا به، وقالوا: هو سحر مبين.اهـ

وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٣): أي: ذلك الإضلال والإتعاس، لأنهم كرهوا ما أنزل الله، من الكتب والشرائع. ﴿**فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ أي: ما لهم من صور الخيرات، كعمارة المسجد، وقرى الضيف، وأصناف القرب، ولا يقبل الله العمل إلا من مؤمن.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ**﴾ [محمد: ٢٥ـ ٢٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٢٩٦): ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ**﴾ أي: زين لهم ذلك وحسَّنه، ﴿**وَأَمْلَى لَهُمْ**﴾ أي: غرهم وخدعهم. ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ**﴾ أي: مالؤوهم وناصحوهم في الباطن على الباطل، وهذا شأن المنافقين يُظهرون خلاف ما يبطنون، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿**وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ**﴾ أي: ما يسرون وما يخفون، الله مطلع عليه وعالم به، كقوله تبارك وتعالى: ﴿**وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ**﴾ [النساء: ٨١].

وفي بَابَيْ وجوب حب الله وحب رسوله ﷺ، زيادة أدلة وبيان لهذا الباب، والله المستعان، وهو أعلم.

وجوب حبِّ الله تبارك وتعالى وتحريم حبِّ شيءٍ كحبِّ الله أو أشد

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال تعالى مخبرًا عن خليله إبراهيم: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٩].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ثلاث من كُن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**»، رواه البخاري برقم (١٦)، ومسلم (٤٣).

وفي رواية للبخاري برقم (٦٠٤١): «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان ... فذكره**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الحسنة والسيئة» (ص١٢٧) - وهو يتكلم على توحيد الله -: وهو يتضمن أن يُحب الله حبًا لا يماثله ولا يساويه فيه غيره، بل يقتضي أن يكون رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحب إليه من نفسه، فإذا كان الرسول لأجل أنه رسول الله يجب أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه، فكيف بربه سبحانه وتعالى.اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الجواب الكافي» (١/ ١٣٤): هنا أربعة أنواع من الحب، يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها:

أحدها: محبة الله، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.



الثاني: محبة ما يحبه الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة، وأشدهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب الله، ولا يستقيم محبة ما يحب الله إلا بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله، وهى المحبة الشركية، وكل من أحب شيئا مع الله، لا لله، ولا من أجله، ولا فيه فقد اتخذه ندًا من دون الله، وهذه محبة المشركين.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ في «كتاب الروح» (١/ ٢٥٤): والفرق بين الحب في الله والحب مع الله ـ وهذا من أهم الفروق، وكل أحد محتاج، بل مضطر إلى الفرق بين هذا وهذا ـ فالحب في الله هو من كمال الإيمان، والحب مع الله هو عين الشرك.اهـ

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٦): من أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه؛ أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويُرضي ما يُرضي الله ورسوله، ويُسخط ما يُسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه، دل ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة.

قال أبو يعقوب النهرجوري: كل من ادعى محبة الله تعالى، ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطل، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور.

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده.

وسُئل رويم عن المحبة، فقال: الموافقة في جميع الأحوال، وأنشد:

ولو قلت لي مت متُّ سمعًا وطاعة ... وقلت لداعي الموت أهلًا ومرحبا

ولبعضهم:

تعـــصي الإلــه وأنــت تــزعم حبــه هــــذا لعمـــري في القيـــاس شـــنيع

لـــو كــــان حبــك صـــادقًا لأطعتـــه إن المحـــب لمـــن يحـــب مطيع.اهـــ

وفي رسالة «الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام» (ص١٠): الرابع: شرك المحبة: وهو أن يُحبَّ مع الله غيره، كمحبته لله أو أشد، قال تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾** [البقرة: ١٦٥]، فسماهم أندادًا من دون الله.

ومن أهل الشرك من يجعل لله تعالى مساويًا ومثيلًا يحبه كمحبته لله، وربما يزيد على ذلك، ويختلف المشركون في قدر محبتهم لمعبودهم من دون الله، ولكن المؤمنون يحبون الله أشد من محبة أهل الشرك لله، ولما يعبدونه من دون الله.

فإذا كان من أحب غير الله، فوق محبة رسول الله ﷺ، قد قال فيه رسول ﷺ، فيما رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، عن أنس رضي الله عنه: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين»**، فنفى عنه الإيمان، فكيف بمن أحب غير الله فوق محبة الله؟.

وحقيقة المحبة: أن يُحب الشيء وما يحبه، ويكره ما يكرهه، فالمشرك يُحب آلهته من صنمٍ، ووثنٍ أو قبرٍ وضريحٍ، فيغضب إذا امتهنت وأُهينت أشد من غضبه لله، ويُسر لها أشد من سروره لله، وذلك لأنه يُحب غير الله أشد من حبه لله، والمحبة تقتضي عدم مخالفة المحبوب، فبقدر ورود المخالفة للمحبوب يكون نقص المحبة له، قال الله تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾** [آل عمران: ٣١].اهـ

وقد تناولت بعض ما يتعلق بهذا الباب في مبحث خاص أسميته: (أسباب محبة الله للعبد وما يتعلق بها)، أطلب من الله العون في إتمامه والتوفيق والإخلاص فيه، إنه جواد كريم.



وجوب حب رسول الله ﷺ وتقديم حبّه على النفس والمال والوالد والولد

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الصارم المسلول» (ص٤٢٥): ومن حقه ﷺ أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه، وولده وجميع الخلق، كما دل على ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ... الآية﴾.اهـ

وقال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٣٣٢): هذه الآية الكريمة أعظم دليلٍ على وجوب محبة الله ورسوله ﷺ، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد على مَن كان شيءٌ من المذكورات أحبَّ إليه من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله.

وعلامةُ ذلك: أنه إذا عُرض عليه أمران: أحدهما: يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر: تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفوِّت عليه محبوباً لله ورسوله أو يُنقصه، فإنه إن قدَّم ما تهواه نفسه على ما يحبه الله؛ دل على أنه ظالمٌ تاركٌ لما يجب عليه.اهـ

وبوب الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الإيمان من «صحيحه»: (باب حب الرسول ﷺ من الإيمان) ـ ثم ساق بسنده ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«فوالذي نفسي بيده: لا يؤمن أحدكم؛ حتى أكون أحب إليه من والده وولده»**، رواه البخاري برقم (١٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم؛ حتى أكون أحب إليه من والده وولده، والناس أجمعين»**، رواه البخاري برقم (١٥)، ومسلم (٤٤).

وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: **«لا**

والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: **«الآن يا عمر»**، رواه البخاري برقم (٦٢٥٧).اهـ

وقال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٦): لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يُقدِّم محبة الرسول ﷺ على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة مرسله، والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة، في حب المحبوبات وبغض المكروهات، قال تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [آل عمران: ٣١]. قال الحسن: قال أصحاب النبي ﷺ: يا رسول الله إنا نحب ربنا حبًا شديدًا، فأحبَّ الله أن يجعل لحبه علمًا، فأنزل الله هذه الآية.

وفي «الصحيحين»(١)، عن النبي ﷺ قال: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُلقي في النا»**.

فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه؛ أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضي ما يرضي الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه، دل ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة.اهـ

---

(١) البخاري برقم (١٦)، ومسلم (٤٣)، عن أنس رضي الله عنه.



اختصاص نبيَّا الله إبراهم ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ بخلَّة الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وفي حديث أنس رضي الله عنه ـ في الشفاعة ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«فيقول نوح** عليه السلام: **لست هناكم، ائتوا إبراهيم، الذي اتخذه الله خليلًا»**، رواه البخاري برقم (٧١٩٧)، ومسلم (٤٩٥).

وعن جندب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلا**»، رواه مسلم برقم (١٢١٦).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن من أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته»**، رواه البخاري برقم (٣٤٥٤)، ومسلم (٦٣٢٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي»**، رواه البخاري برقم (٣٤٥٦).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لو كنت متخذا خليلًا؛ لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله** عز وجل **صاحبكم خليلا**»، رواه مسلم برقم (٦٣٢٢)، وغيرها من الأدلة، والله أعلم.

بعض ما يتعلَّق بالخلة:

الأول: طريقة السلف في وصف الله بالمحبة والخلة:

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ في «شرح الطحاوية» (ص١٦٥): إعلم أن وَصْف الله تعالى بالمحبة والخلة، هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة والود والمحبة والخلة، حسبما ورد النص.اهـ

الثاني: الحكمة من أمر الله لخليله إبراهيم ﷺ بذبح ولده إسماعيل:

قال الله تعالى: **﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾** [الصافات: ١٠٢ - ١٠٧].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «فتح الباري» (٣/ ٢٧٤): ومن هنا قيل: إن إبراهيم ﷺ إنما أُمر بذبح ولده إسماعيل لتفريغ قلبه من محبته وشدة تعلقه به، حيث وُهِبَ له على الكبر، فلما بادر إلى اضطجاعه وإخراجه من قلبه امتثالا لأمر الله وطاعته أسقط عنه ذبحه بعد ذلك؛ لأنه لم يكن المقصود إراقة دمه، بل تفريغ محل الخلة منه، حتى لا تُزاحم خلة الواحدِ الأحد محبة الولد.اهـ

الثالث: الحكمة من براءة رسول الله ﷺ في اتخاذه خليلا غير الله:

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «فتح الباري» (٣/ ٢٧٤): وقد أشار ﷺ إلى سبب براءته من خلة المخلوقين، وهو أن الله اتخذه خليلًا لنفسه، كما اتخذ إبراهيم خليلا، ومن كان خليلا لله، فلا يصلح له أن يخالل بشرا.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣].

الرابع: الفهم الصحيح لقول أبي هريرة وأبي ذر وغيرهما ﭫ: قال: خليلي:

عن أبي هريرة ﺁ قال: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على الوتر، رواه البخاري (١١٢٤) ومسلم (١٦٠٥).

وعن أبي هريرة ﺁ قال سمعت خليلى ﷺ يقول: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»، رواه مسلم برقم (٦٠٩).

وعن أبي ذر ﺁ قال: إن خليلى أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا مجدع الأطراف، وأن أصلي الصلاة لوقتها، «**فإن أدركت القوم وقد صلوا؛ كنت قد أحرزت صلاتك، وإلا كانت لك نافلة**»، رواه مسلم برقم (١٤٩٩).

قال الإمام النووي ؒ في «شرح مسلم» (٥/ ٢٣٤): قوله: أوصاني خليلي: لا يخالف قوله ﷺ: «**لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا**»؛ لأن الممتنع أن يتخذ النبي ﷺ غيره خليلا، ولا يمتنع اتخاذ الصحابي وغيره النبي ﷺ خليلا.اهـ

وقال ؒ في (١٥/ ١٥١): واما قول أبي هريرة وغيره من الصحابة ﭫ سمعت خليلي ﷺ، فلا يخالف هذا؛ لأن الصحابي يحسن في حقه الانقطاع إلى النبي ﷺ.اهـ

وقال الحافظ ؒ في «الفتح» (٣/ ٥٧): قول أبي هريرة هذا لا يعارضه ما تقدم من قوله ﷺ: «**لو كنت متخذا خليلا؛ لاتخذت أبا بكر**»؛ لأن الممتنع أن يتخذ هو ﷺ غيره خليلا لا العكس، ولا يقال: أن المخاللة لا تتم حتى تكون من الجانبين؛ لأنا نقول: إنما نظر الصحابي إلى أحد الجانبين، فأطلق ذلك، أو لعلَّه أراد مجرد الصحبة أو المحبه.اهـ

تحريم ادعاء النبوة أو الرسالة بعد رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ٤٢٨): هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس.

وبذلك وردت الأحاديث المتواترة، عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة:

عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارًا، فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لَبنة لم يَضَعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه، ويقولون: لو تمَّ موضع هذه اللبنة؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة»**، رواه أحمد برقم (٢١٢٤٣)، والترمذي برقم (٣٦١٣)، **وقال**: حسن صحيح.اهـ(١).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثلي ومثل النبيين من قبلي، كمثل رجل بنى دارًا فأتمها إلا لَبنَة واحدة، فجئتُ أنا فأتممت تلك اللبنة»**، رواه مسلم برقم (٢٢٨٦).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا، فأكملها وأحسنها إلا موضع لَبنة، فكان مَنْ دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة!، فأنا موضع اللبنة، خُتم بي الأنبياء عليهم السلام»**، رواه البخاري برقم (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٢٨٧).

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٥٨٥٧)، و«تحقيق المسند» (٣٥/ ١٦٧).



وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي»**، رواه أحمد برقم (١٣٨٢٤)، والترمذي (٢٢٧٢)، **وقال**: صحيح غريب.اهـ(١).

وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا نبوة بعدي إلا المبشرات»**. قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟. قال: **«الرؤيا الحسنة ـ أو قال ـ الرؤيا الصالحة»**، رواه أحمد برقم (٢٣٧٩٥)(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل ابتنى بيوتًا، فأحسنها وأكملها وأجملها، إلا موضع لَبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان، ويقولون: ألا وَضَعْتَ هاهنا لبنة فيتم بنيانك؟!** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«فكنت أنا اللبنة»**، رواه مسلم برقم (٢٢٨٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«فُضِّلتُ على الأنبياء بست: أعْطِيتُ جوامع الكلم، ونُصِرْتُ بالرعب، وأحِلَّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»**، رواه مسلم برقم (٥٢٣).

وعن العِرْباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنْجَدِل في طينته»**، رواه أحمد برقم (١٧١٥٠)(٣).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» برقم (٢٢٧٢)، و«تحقيق المسند» (٢١/ ٣٢٧).

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧٣)، و«تحقيق المسند» (٣٩/ ٢١٣)، والله أعلم.

(٣) **صحيحٌ**: راجع: «ظلال الجنة» برقم (٤٠٩)، و«تحقيق المسند» (٢٨/ ٣٩٧)، والله أعلم.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي**»، رواه البخاري برقم (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

ثم قال رحمه الله: والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد، صلوات الله وسلامه عليه، إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له.

وقد أخبر تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل مَنِ ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل، ولو تخرق وشعبذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنَيرجيَّات، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العَنْسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما عَلم كل ذي لب وفَهْمٍ وحِجى، أنهما كاذبان ضالان، لعنهما الله.

وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة، حتى يُختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله معه من الأمور، ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب مَنْ جاء بها.اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون، قريبًا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله**»، رواه البخاري (٣٤١٣)، ومسلم (١٥٧).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم**»، رواه مسلم برقم (١٦).

قلت: وفي الباب من الأدلة غير الذي ذكر، ولمزيد من البسط راجع: «شرح الطحاوية» لابن أبي العز رحمه الله (١/ ٧٧) عند قول الطحاوي رحمه الله: (وأن محمدًا عبده المصطفى)، وكذا ما كُتب في الموضوع من المباحث الخاصة، والله المستعان، وهو أعلم.

فصلٌ: في بطلان قول من زعم بأن من الجن أو النساء رسلا وأنبياء:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: ٤٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٤٢٢): يخبر تعالى أنه إنما أرسل رُسُلَه من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات بني آدم وحي تشريع.

وزعم بعضهم: أن سارة امرأة الخليل، وأم موسى، ومريم أم عيسى نبيات، واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وبقوله: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [القصص:٧]، وبأن الملك جاء إلى مريم فبشرها بعيسى عليه السلام، وبقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [آل عمران:٤٢ ـ٤٣].

وهذا القدر حاصل لهن، ولكن لا يلزم من هذا أن يكنَّ نبيات بذلك، فإن أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف، فهذا لا شك فيه، ويبقى الكلام معه في أن هذا: هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة بمجرده أم لا؟.

الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عنهم: أنه ليس في النساء نبية، وإنما فيهن صديقات، كما قال تعالى مخبرا عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [المائدة: ٧٥].

فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقية، فلو كانت نبية لـذكر ذلـك في مقـام التـشريف والإعظام، فهي صديقة بنص القرآن.اهـ

قلت: وقد نقل أبو يعلى والكرماني وغيرهم ـ كما في «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٣٩٦)، و«الفتح» (٦/ ٥٤٤): إجماع أهل العلم: على أنه لم يُوجد من الجن رسل، ولكن منهم نذر ومبلغين، وأنه لم يوجد من النساء نبيات، ولكن فيهن صديقات ملهمات، ولم يخالف في ذلك سوى ابن حزم، وقد رد كلامه أهل العلم. وانظر: «الفصل والنحل» (٦/ ٤٤٧).

إشكال وجوابه:

قد يُشكل على البعض أو يستدل مُستدل بقوله تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ**﴾ [الأنعام:١٣٠].

وقد أجاب على ذلك أهل العلم بأجوبة عدة منها:

الأول: أن المراد بالرسل الدعاة إلى الله، من علماء وناصحين، وهذا مُسلَّمٌ به ومعلوم.

الثاني: أن آية الأنعام السابقة تُحمل على مثل قوله تعالى: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ [الرحمن:٢٢]، ومن المعلوم: أن الذي يَخرج منه اللؤلؤ والمرجان، هو البحر المالح فقط(١).

وقد اختصر الكلام على هذه المسألة ـ بما قد لا تجده عند غيره ـ الشيخ ياسين العدني رحمه الله في «تعليقاته على شرح الواسطية» (ص٣٨ ـ ٣٩)، فيُراجع للفائدة، والله أعلم.

تتمة: في أنَّ رُسل الله إلى خلقه بشر:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٤٢٢): قال الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**﴾ [يوسف: ١٠٩] أي: ليسوا من

(١) راجع: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٩٦)، و«الثوابت» (ص٢٥٥)، و«لوامع الأنوار» (٢/ ٢٦٥).



أهل السماء كما قلتم. وهذا القول من ابن عباس يعتضد بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ * ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٨ ـ ٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ الآية [الأحقاف: ٩] .

وقال رحمه الله في «تفسيره» ـ أيضًا ـ (٤/ ٥٧٣): قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

قال الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما بعث الله محمدا ﷺ رسولا أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، فأنزل الله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٢].

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أهل الكتب الماضية: أبشر كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد ﷺ رسولا؟.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩] ليسوا من أهل السماء كما قلتم.اهـ

النهي عن إنكار دلائل نبوات الأنبياء ومعجزاتهم وكرامات الأولياء

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٧].

وقال تعالى مخبرًا عن مريم وابنها ـ عليهما السلام ـ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ الآيات إلى قوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٦ـ٣٣].

وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة الكثير من ذلك، مثل: قصة ناقة صالح، ويد موسى وعصاه، وإحياء عيسى للموتى، وانشقاق القمر، وتكلم الحيوانات والأحجار، مع نبينا



الكريم عليه الصلاة والسلام، وقصة الغلام والراهب، وغيرها مما ذكره الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ في «دلائل النبوة»، وشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجامع الصحيح في دلائل النبوة»، وكذا ما ذكر الإمام اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ، والشيخ عبد الرقيب الإبي في كتابيهما «كرامات الأولياء».

ولو أفردنا ذكر بعضها لا حتجنا إلى أسفار، وفي الإشارة كفاية، والله ولي الهداية.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «الواسطية» (ص٣١): من أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.اهـ

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الطحاوية» (١/ ٧٦): الطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر، تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقد رُوي ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك.

ولاريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدَّعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ وما أحسن ما **قال حسان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لو لم يكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الإسراء: ١].اهـ

ولأنه قد وجد من المتقدمين، كالمعتزلة، ومن شابههم من المتأخرين، من يُنكر ذلك، لشبهٍ أوهى من بيت العنكبوت، لقلَّت علمهم، وعدم توفيق الله في هذا الباب ونحوه لهم، فإني أُحيل القارئ الكريم، إلى ما لخصه شيخنا الوادعي رحمه الله، من كلام أهل العلم، في نحو من خمسين صفحة، في مقدمة كتابه: «الصحيح المسند من دلائل النبوة»، فيراجع، والله أعلم.

فائدة في عدد معجزات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١/ ٢): أُيِّد المصطفى بمعجزات زائدات على الألف والمئين.اهـ بتصرف.



تحريم الأمن من مكر الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:٩٧ ـ ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ * أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥٠ ـ ٥١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦ ـ ٤٧].

وأخبر الله عن نوح عليه السلام قوله: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٩ ـ ٣٠].

وأخبر الله عن قوم هود عليه السلام، فقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٤ ـ ٢٥].

وهذا نبي الله صالح عليه السلام يقول: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ [هود: ٦٣ـ ٦٨].

وأخبر الله عن نبيه الله شعيب عليه السلام قوله: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ـ الآيات إلى قوله ـ: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٨٨ ـ ٩٥].

بل الله جل وعلا يقول لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود: ١١٢ ـ ١١٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٢٧ ـ ٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وعن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾. قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«أعوذ بوجهك»**. قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾. قال: **«أعوذ بوجهك»**. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥]. قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«هذا أهون، ـ أو هذا أيسر ـ»**، رواه البخاري برقم (٤٣٥٢).

وأدلة هذا الباب من الكتاب والسنة كثيرة جدًا، وفي الدليل الواحد كفاية لطالب الحق والهداية، فكيف بجمعٍ من الأدلة، والله المستعان، وهو أعلم.



تحريم استعمال المكر والخداع والحيل في الصد عن هذا الدين الحنيف

قال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:٧٢-٧٤].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٥٩): هذه مكيدة أرادوها ليلبسُوا على الضعفاء من الناس أمْر دينهم، وهو أنهم اشْتَوروا بينهم أن يُظهروا الإيمان أول النهار، ويُصَلّوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدُّوا إلى دينهم، ليقول الجهلة من الناس: إنما رَدّهم إلى دينهم اطّلاعهُم على نقيصة وعيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.قال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، في قوله تعالى إخبارًا عن اليهود بهذه الآية: يعني يهود، صَلَّت مع النبي ﷺ صلاة الفجر وكفروا آخر النهار، مكرًا منهم، ليُرُوا الناس أن قد بَدَت لهم منه الضلالة، بعد أن كانوا اتبعوه.

وقال العَوْفِي، عن ابن عباس: قالت طائفة من أهل الكتاب: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فَصَلّوا صلاتكم، لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا، وهكذا رُوي عن قتادة، والسدي، والربيع، وأبي مالك.

وقوله: ﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي: لا تطمئنوا وتظهروا سركم وما عندكم إلا لمن اتبع دينكم، ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين، فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.اهـ

تحريم الابتداع في الدين ووجوب اتباع الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال: ١٣]، والابتداع من أعظم أنواع المشاقة لله ولرسوله ﷺ.

وقال الله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣].

وقال الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الحشر: ٧].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»، رواه مسلم برقم (٢٠٤٢).

زاد النسائي في «السنن الصغرى» (١/ ٢٣٤): «**وكل ضلالة في النار**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم، سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر؛ فأتوا منه ما استطعتم**»، أخرجه البخاري برقم (٦٨٥٨)، ومسلم (١٣٣٧).

---

(١) **قال العلامة الألباني** رحمه الله في رسالة «خطبة الحاجة» (ص٢٥): وهي عند «النسائي» (١/ ٢٣٤)، مع اللفظين الأولين، من طريق ابن المبارك، وإسنادها صحيح، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «إقامة الدليل على إبطال التحليل» من «الفتاوى» (٣/ ٥٨).اهـ



وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. قلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا؟ قال: «**أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فيسرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»، رواه أحمد برقم (١٧٦٠٦)، والترمذي (٢٨٩١)(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، و﴿**إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾ [الأنعام:١٣٤]، رواه البخاري برقم (٦٨٤٩).

وأدلة هذا الباب كثيرة جدًا، قد أُفرد بعضها بمباحثٍ خاصة، فتراجع، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ بشواهده**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٧٣٥)، و«الصحيح المسند» (٩٢١)، و«تحقيق المسند» (٢٨/ ٣٦٧).

فصلٌ: في وجوب اتباع الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦ ـ ١٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨–١٠]، وغيرها من الأدلة، والله أعلم.



شاء الله تبارك وتعالى: أن يكون حال عباده كما قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩].

وحرَّم الله الفرقة والاختلاف في الدين، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. قلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا؟ قال: «**أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فيسرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»، رواه أحمد برقم (١٧٦٠٦)، والترمذي (٢٨٩١)(١).

---

(١) **صحيحٌ بشواهده**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٧٣٥)، و«الصحيح المسند» (٩٢١)، و«تحقيق المسند» (٢٨/ ٣٦٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفرَّقت اليهود على إحدى وسبعين ـ أو اثنتين وسبعين ـ فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»، رواه الترمذي برقم (٢٦٤٠)(١).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة**»، رواه ابن ماجه برقم (٣٩٩٢)(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**»، رواه أحمد برقم (١٢٢٠٨)، وابن ماجه (٣٩٨٣)(٣).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتينَّ على أمَّتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانيِّة، لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملَّة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»، رواه الترمذي برقم (٢٦٤١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٧٦)، من طريق عبد الرحمن بن أنعم الإفريقي، وهو ضعيف، كما في «التقريب»(٤).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» برقم (٢٦٤٠).

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح ابن ماجه» برقم (٣٢٢٦).

(٣) **صحيحٌ بشواهده**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٢٠٤٢)، و«تحقيق المسند» (١٩/ ٢٤١).

(٤) **حسنٌ لغيره**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم المذكور أعلا ـ، ويتقوى بحديث أنس السابق ـ إن شاء الله تعالى ـ.



وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله تعالى، رواه الآجري في الشريعة برقم (٤)(١).

وفي الباب غير هذه الأدلة الكثير، وإنما اقتصرنا منها على اليسير؛ لأن اليسير لطالب الحق كثير، والله المستعان، وهو العليم الكبير.

(١) وهو من طريق عبد الله بن صالح، كاتب الليث، وهو صالح في الباب، والله أعلم.

تحريم اتباع السُّبل والأهواء المضلة

قال الله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطاً، ثم قال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط خطوطاً عن يمينه، وعن شماله، ثم قال: «**هذه سُبُل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام:١٥٣]»، رواه أحمد برقم (٤٢٢٥).

وفي لفظٍ له برقم (٤٥٣٠): قال: خط خطًّا بيده، ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيما**»، ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: «**هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**»(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فخط خطًّا هكذا أمامه، فقال: «**هذا سبيل الله**»، وخطين عن يمينه، وخطين عن شماله، وقال: «**هذه سبيل الشيطان**»، ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآية: «﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا**... الآية﴾»، رواه أحمد (٣/ ٣٩٧)، وابن ماجه برقم (١١)(٢).

وروى ابن جرير في «تفسيره» (١٢/ ٢٣٠)، عن أبَان أن رجلًا قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جَوَادّ، وعن يساره جَوَادّ، وثَمَّ رجال يدعون من مرَّ بهم، فمن أخذ في تلك الجوادّ انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**...﴾.

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «ظلال الجنة» برقم (١٩)، و«الصحيح المسند» (٨٣٩)، و«تحقيق المسند» (٨/ ٢٠٨).

(٢) **حسنٌ بشواهده**: فيه مجالد ضعيف، ولكنَّه يتقوى بما سبق، وهو في «صحيح بن ماجه» برقم (١١).



وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضرب الله مثلا صراطًا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك، لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم**»، رواه أحمد (١٧٦٣٤)(١).

وقال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [الجاثية: ١٨ـ ١٩].

وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٠].

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيخرج من أمتي أقوام، تجارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**»، رواه أحمد برقم (١٦٩٣٧)، وأبو داود (٤٥٩٧)(٢).

---

(١) **صحيحٌ لغيره**: راجع: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٩)، و«ظِلال الجنة» برقم (١٩)، و«الصحيح المسند» (١١٧٩)، و«تحقيق المسند» (٢٩/ ١٨٢)، والله أعلم.

(٢) **حسنٌ**: راجع: «صحيح أبي داود» برقم (٣٢٢٥)، و«تحقيق المسند» (٢٨/ ١٣٤)، والله أعلم.

النهي عن النظر أو القراءة في كُتب أهل الكتاب أو الأخذ منها

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٨ ـ ٤٩].

وعن جابر رضي الله عنه، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فغضب، فقال: **«آمتهوكون فيها يا بن الخطاب؟، والذي نفسي بيده: لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده: لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني»**، أخرجه الدارمي في «مقدمة سننه» برقم (٤٤٩)، وأحمد (١٥١٥٦)، وغيرهما(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أَنزل على نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا؟، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلًا قط يسألكم عن الذي أُنزل عليكم، رواه البخاري برقم (٢٥٣٩).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء؛ فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا؛ أن تُكذِّبوا بحق أو تُصدِّقوا بباطل، إن كُنتم سائليهم لا محالة؛ فانظروا ما واطأ كتاب الله

---

(١) وهو من طريق مجالد بن سعيد، وهو ضعيف، إلا أن له شواهد، ذكرها العلامة الألباني رحمه الله، في «الإرواء» برقم (١٥٨٩)، وحسنه بمجموعها، وحسنه غيره ـ أيضًا ـ، والله أعلم.



فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه، رواه عبد الرزاق في «المصنف» برقم (١٠١٦٢)، وابن عبد البر، في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٠)(١).

وقال العلامة البهوتي رحمه الله في «كشاف القناع» (١/ ٤٣٤): ـ معلقًا على قول صاحب «الإقناع» ـ: (ولا يجوز النظر في كتب أهل الكتاب نصًا)؛ لأنه ﷺ غضب حين رأى مع عمر صحيفة من التوراة، وقال: «**أفي شك أنت يا ابن الخطاب**» الحديث.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [العنكبوت: ٥١].

وعن يحيى بن جعدة قال: أُتِيَ النبي ﷺ بكتاب في كتف، فقال: «**كفى بقوم حمقًا، أو ضلالة؛ أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى غير نبيهم، أو كتاب غير كتابهم**»، فأنزل الله: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [العنكبوت:٥١]، رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» برقم (١٤٨٥)(٢).

قلت: وهذا ما عليه عمل أهل الإسلام كافة، إلَّا من شذَّ، والله أعلم.

---

(١) وفيه حريث ابن ظهير. **قال الحافظ** رحمه الله في «القريب»: مجهول.اهـ ويعضده ما في الباب، والله أعلم.

(٢) **مرسلٌ صحيح**: ورواته ثقات، والله أعلم.

فصلٌ: في بيان أن القرآن والسنة قد اشتملا على على كل ما نحتاجه من أمور الدين وأن فيهما الغُنية عما سواهما من الكتب السماوية ودونها من كُتب الضلال:

قال الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣]، فهذه الآية نصٌ صريحٌ من الله تبارك وتعالى، في إثبات الكمال المطلق لديننا وكتابنا، وأن فيهما الغنية عما سواهما، **ويوضحها**:

قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٧ـ٣٨].

قوله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل: ٨٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٥٩٤): قال ابن مسعود رضي الله عنه: قد بُيِّن لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء.

وقال مجاهد: كل حلال وحرام، وقول ابن مسعود: أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علمٍ نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم.اهـ مختصرًا.

وقال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٤٤٦): قوله: ﴿**تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾، من أصول الدين وفروعه، وأحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مُبَيَّن فيه أتم تبيين بألفاظٍ واضحة ومعانٍ جلية، حتى إنه تعالى يُثْنِي ـ أي: يعيد ـ فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة، وأدلة متنوعة؛ لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى



يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة، يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس.اهـ بتصرفٍ يسير.

قلت: فظاهر الآية، وكذا ما قاله المفسر الكبير ـ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ، وما نقله عن حبر الأمة في زمنه، في التفسير ـ عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ، وهو الظاهر من كلام العالم الكبير ـ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ ومن وافقهم من علماء المسلمين ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ: أن القرآن بيَّن كل أمور الدين.

وتقدم حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وما بعده، في الباب قبل هذا الفصل، مفادها ما عُنون لها، **ثم أقول**: ولكن قد لايَعلَم تفاصيل ذلك إلا راسخٌ في العلم، قد رُزق الفقه فيه؛ فإن من الأحكام والتشريع ما يُفهم من العموم، وبعضها بالإشارة، وبعضها بالضد، وهلمَّ جرَّ، والله أعلم.

النهي عن النظر أو القراءة في كتب أهل الأهواء والبدع إلَّا لحاجة

مما لا شك فيه: أن خير جليس في الزمان كتاب، فالكتاب جليس مُطَالِعِه، فقد يكون جليس خير، أو جليس سوء، وقد قال رسول الله ﷺ: **«مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة»**، رواه البخاري برقم (٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقال الإمام اللالكائي رحمه الله في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٢٠١): وجدت في بعض كتب أبي حاتم الرازي رحمه الله، مما سُمع منه يقول: مذهبنا واختيارنا، اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه، والتابعين، ومن بعدهم بإحسان...، وترك رأي الملبسين المموهين المزخرفين الممخرقين الكذابين، وترك النظر في كتب الكرابيسي، ومجانبة من يناضل عنه من أصحابه، وشاجر فيه، مثل داود الأصبهاني وأشكاله ومتَّبعيه.اهـ

وقال الإمام أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله كما في «عقيدة أهل السنة» (١/ ١٧٩): قال أبو محمد: وسمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، يغلظان في ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام، والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدًا.اهـ

وقال رحمه الله (١/ ٢٥٢): ثم من السنة ترك الرأي والقياس في الدين، وترك الجدال والخصومات، وترك مفاتحة القدرية وأصحاب الكلام، وترك النظر في كتب الكلام وكتب النجوم، فهذه السنة التي اجتمعت عليها الأئمة.اهـ

وقال الإمام الذهبي رحمه الله في «السير» (٤/ ٧٨) ـ في ترجمة الزمخشري ـ: كن حذرًا من «كشافه».اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أيضًا ـ في «السير» (١٩/ ٣٢٨) ـ في ترجمة أبي حامد الغزالي ـ: قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة كتاب: «التهافت»، وكشف عوارهم، ووافقهم في مواضع ظنًا منه أن ذلك حق، أو موافق للملَّة، ولم يكن له علم بالآثار، ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحُبب إليه إدمان النظر في كتاب «رسائل إخوان الصفا»، وهو داء عضال، وجرب مرد، وسم قتال، ولولا أن أبا حامد من كبار الاذكياء، وخيار المخلصين، لتلف.

فالحذار الحذار من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلَّا وقعتم في الحيرة، فمن رام النجاة والفوز، فليلزم العبودية، وليجدَّ من الاستغاثة بالله، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الاسلام، وأن يُتوفى على إيمان الصحابة، وسادة التابعين، والله الموفق، فبحسن قصد العالم يُغفر له، وينجو ـ إن شاء الله ـ.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في «الميزان» (١/ ٤٣١): قال الحافظ سعيد بن عمرو البردعي: شهدت أبا زرعة ـ وقد سُئل عن الحارث المحاسبى وكتبه ـ، فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر، فإنك تجد فيه ما يغنيك. قيل له: في هذه الكتب عبرة، فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفيان ومالكا والاوزاعي، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس إلى البدع!.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: مات الحارث سنة (٢٤٣)، وأين مثل الحارث، فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين، كـ«القوت» لأبي طالب، وأين مثل القوت! كيف لو رأى «بهجة الأسرار» لابن جهضم، و«حقائق التفسير» للسلمي؛ لطار لبه، كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسى في ذلك، على كثرة ما في «الإحياء» من الموضوعات، كيف لو رأى «الغنية» للشيخ عبد القادر!، كيف لو رأى «فصوص الحكم»، و«الفتوحات المكية»! بلى، لَمَّا كان الحارث لسان القوم في ذاك العصر، كان معاصره ألف إمام في الحديث، فيهم مثل أحمد بن

حنبل، وابن راهويه، ولما صار أئمة الحديث مثل ابن الدخميسي، وابن شحانة، كان قطب العارفين، كصاحب «الفصوص»، وابن سفيان، نسأل الله العفو، والمسامحة آمين.اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الطرق الحكمية» (ص٣٢٧): قال الخلال أخبرني محمد بن أبي هارون، أن أبا الحارث حدثهم قال: قال أبو عبد الله: أهلكهم وضع الكتب، تركوا آثار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأقبلوا على الكلام.اهـ

وقال رحمه الله (ص٤٠١): قال محمد بن زيد المستملي: سَأل أحمدَ رجلٌ، فقال أكتبُ كتب الرأي؟ قال: لا تفعل عليك بالحديث والآثار، فقال له السائل: إن ابن المبارك قد كتبها، فقال له أحمد: ابن المبارك لم ينزل من السماء، إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق.اهـ

وقال ابن مفلح رحمه الله في «الآداب الشرعية» (١/ ٢١٩): فصل في النظر إلى ما يخشى منه الوقوع في الضلال والشبهة: ويحرم النظر فيما يخشى منه الضلال والوقوع في الشك والشبهة، ونص الإمام أحمد رحمه الله على المنع من النظر، في كتب أهل الكلام والبدع المضلة، وقراءتها، وروايتها. ـ وله كلام آخر ذكرته في الباب بعد هذا فيراجع ـ.

وقال العلامة منصور البهوتي رحمه الله في «كشاف القناع» (١/ ٤٣٤) ـ معلقًا على قول صاحب «الإقناع» ـ: (ولا) النظر في (كتب أهل البدع، و) لا النظر في (الكتب المشتملة على الحق والباطل، ولا روايتها)؛ لما في ذلك من ضرر إفساد العقائد.اهـ

وقال العلامة أحمد عتيق رحمه الله كما في «الدرر السنية» (٣/ ٣٥٧): وليحذر طالب الحق من كتب أهل البدع، كالأشاعرة والمعتزلة ونحوهم؛ فإن فيها من التشكيك والإِيهام، ومخالفة نصوص الكتاب والسنة: ما أخرج كثيرًا من الناس، عن الصراط المستقيم، نعوذ بالله من الخذلان.اهـ

ولشيخ الإسلام رحمه الله كلامًا سُقته في (النهي عن مجالستهم)، فيراجع، وقد أُلِّف في هذه المسألة الكثير، مابين رسالة وكتاب، فتراجع، والله المستعان، وهو أعلم بالصواب.



النهي عن مجالسة أهل البدع وكلامهم والسماع لهم والسلام عليهم

عن أبي الدرداء ﭬ قال: عهد إلينا رسول الله ﷺ: **«إن أخوف ما أخاف عليكم؛ الأئمة المضلون»**، رواه أحمد برقم (٢٧٥٢٥)، والدارمي (٢١١)(١).

---

(١) **قال العلامة الألباني** ﬀ في «الصحيحة» (٤/ ١٠٩): ورد من حديث عمر بن الخطاب، وأبي الدرداء، وأبي ذر الغفاري، وثوبان مولى رسول الله ﷺ، وشداد بن أوس، وعلي ابن أبي طالب ﭫ:

أما حديث عمر: فيرويه صفوان بن عمرو، عن أبي المخارق زهير بن سالم، عن كعب، عن عمر ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره.

قال كعب: فقلت: والله ما أخاف على هذه الأمة غيرهم، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٤٦)، وقال: غريب من حديث كعب، تفرد به صفوان.

قلت ـ الألباني ﬀ ـ: وهو ثقة احتج به مسلم، وزهير بن سالم. قال الحافظ: صدوق فيه لين، فالسند حسن ـ إن شاء الله تعالى ـ، وهو صحيح قطعًا بما بعده.

وأخرجه أحمد (١/ ٤٢) قال: حدثنا عبد القدوس بن الحجاج. حدثنا صفوان. حدثني أبو المخارق زهير بن سالم، أن عمير بن سعد الأنصاري كان ولاه عمر حمص، فذكر الحديث. قال عمر ـ يعني لكعب ـ: إني أسألك عن أمر فلا تكتمني. قال: والله لا أكتمك شيئًا أعلمه. قال: ما أخوف شيء تخافه على أمة محمد ﷺ؟. قال: «**أئمة مضلين**». قال عمر: صدقت. قد أَسرَّ ذلك إلي، وأعلمنيه رسول الله ﷺ.

وأما حديث أبي الدرداء: فيرويه أخ لعدي بن أرطأة، عن رجل، عنه. قال: عهد إلينا رسول الله ﷺ: **«أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون»**، أخرجه أحمد (٦/ ٤٤١)، وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة الرجل، والراوي عنه، ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني ـ أيضًا ـ كما في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٣٩).

وأما حديث أبي ذر: فيرويه ابن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن أبي تميم الجيشاني. قال: سمعت أبا ذر يقول: كنت مخاصر النبي ﷺ يومًا إلى منزله، فسمعته يقول: **«غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال»**، فلما خشيت أن يدخل. قلت: يا رسول الله أي شيء أخوف على أمتك من الدجال؟. قال: **«الأئمة المضلين»**، أخرجه أحمد (٥/ ١٤٥).

قلت ـ الألباني ﬀ ـ: ورجاله ثقات إلا أن ابن لهيعة سيء الحفظ. =



فهذا خوفٌ منه ﷺ شامل لمجالستهم والاستماع إليهم، وما كان من بابهما، فبالمجالسة يحصل التأثر، وبالسماع يَمْرَضُ القلب، ويدخل فيه الشكوك والريب، والله أعلم.

قال ابن عون رحمه الله: كان محمد يرى أن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى أن هذه الآية أُنزلت فيهم: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ [الأنعام: ٦٨]، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم (٣٥٨).

= **وأما حديث ثوبان**: فيرويه أبو قلابة عبد الله بن يزيد الجرمي، حدثني أبو أسماء الرحبي، أن ثوبان حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»، أخرجه أبو داود (٢/ ٢٠٣)، والدارمي (١/ ٧٠)، (٢/ ٣١١)، والترمذي (٣/ ٢٣١)، وأحمد (٥/ ١٧٨) من طريق حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة به، وقال الترمذي: حديث صحيح.

قلت ـ الألباني رحمه الله ـ: وإسناده صحيح على شرط مسلم، وتابعه يحيى بن أبي كثير حدثنا أبو قلابة به، وسياق الإسناد له، وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٤٩)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

قلت ـ الألباني رحمه الله ـ: أبو أسماء، واسمه عمرو بن مرثد لم يحتج به البخاري، وخالف معمر في إسناده، فقال: أخبرني أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أبي أسماء الرحبي، عن شداد بن أوس مرفوعًا به، أخرجه ابن حبان (١٥٦٤)، وأحمد (٤/ ١٢٣)، فجعله من مسند شداد، وأدخل بينه وبين أبي قلابة أبا الأشعث الصنعاني، فإن كان معمر قد حفظه، فيكون لأبي قلابة إسنادان في هذا الحديث:

أحدهما: عن أبي أسماء، عن ثوبان. **والآخر**: عن أبي الأشعث، عن أبي أسماء، عن شداد، والله أعلم.

و **أما حديث شداد**: فقد تقدم في الذي قبله.

وأما حديث علي: فيرويه جابر، عن عبد الله بن نجي، عنه، وهذا إسناد ضعيف، كما بينته في «تخريج السنة لابن أبي عاصم» برقم (١٠٠).اهـ

قال رحمه الله في «ظلال الجنة» (١/ ٤٠): إسناده ضعيف من أجل جابر، وهو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، وعبد الله بن نجي مختلف فيه، وفي سماعه من علي، لكن الحديث صحيح قطعًا، فإن له شواهد من حديث عمر بن الخطاب، وأبي الدرداء، وأبي ذر، وثوبان، وشداد بن أوس بعضها صحيح الإسناد، وقد خرجتها في «الصحيحة».اهـ



ومجالسة أهل البدع مما يجب الحذر منه: لقول أبي هريرة ﵁، قال رسول الله ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»، رواه أحمد برقم (٤٨٣٥)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، **وقال** ﵀: حديث حسن.اهـ(١).

وقال أبو موسى الأشعري ﵁: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة**»، رواه البخاري برقم (٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

ولا يخفى على ذي لب، أن مجالسة أهل البدع والزيغ، ومحادثتهم والانبساط لهم، أضر من الكير على نافخه، فإنَّ خَرق الثوب يخُاط، واتساخه يُنظَّف، بخلاف خَرق الدين، فقد لا يرقَّع، واتساخ العقيدة لا يُنظَّف، والله أعلم كما نسأله اللُّطف.

وعن ابن عمر ﵁، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يا ابن عمر دينك دينك، إنما هو لحمك ودمك، فانظر عمن تأخذ، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا(٢)**».

وقال الإمام مالك ﵀: بئس القوم أهل الأهواء، لا نسلم عليهم.اهـ من «شرح السنة للبغوي» (١/ ٢٢٩).

وفي لفظٍ: أهل الأهواء بئس القوم، لا يُسَلَّم عليهم، واعتزالهم أحب إِليَّ.اهـ من «مجمل اعتقاد أئمة السلف» (ص٤٠).

---

(١) **صحيحٌ**: **قال النووي** ﵀ في «الرياض» برقم (٣٧١): سنده صحيح.اهـ **قلت**: وهو في «الصحيحة» برقم (٩٢٧)، و«الصحيح المسند» (١٢٧٢)، وراجع: «تحقيق المسند» (١٣/ ٣٩٨)، والله أعلم.

(٢) وهو في «العلل المتناهية» برقم (١٨٦)، والعمل عليه، كما يأتي من كلام السلف ـ إن شاء الله تعالى ـ والله أعلم.

وقال أبو قلابة رحمه الله: لا تجالسوهم ـ يعني: أهل البدع ـ، ولا تخالطوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم كثيراً مما تعرفون، رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٤)، وابن وضاح في «البدع» برقم (٥٥).

وقال رحمه الله: يا أيوب، لا تمكِّن أصحاب الأهواء من سمعك، رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٤).

وقال إبراهيم النخعي رحمه الله: لا تجالسوا أصحاب البدع، ولا تكلموهم؛ فإني أخاف أن ترتد قلوبكم، رواه ابن وضاح في «البدع» برقم (٥٦).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إذا رأيت مبتدعًا في طريق، فخذ في طريق آخر، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٤٧٥).

وقال مفضل بن مهلهل رحمه الله: لو كان صاحب البدعة، إذا جلست إليه يُحدثك ببدعته حذرته، وفررت منه، ولكنه يحدثك بأحاديث السنة في بدو مجلسه، ثم يدخل عليك بدعته، فلعلها تلزم قلبك، فمتى تخرج من قلبك، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم (٣٩٩)(١).

قلت: ويكون هذا عن تقصُّد منهم، أو ابتلاء من الله لعباده، والله أعلم.

وقال هشام رحمه الله: كان الحسن ومحمد يقولان: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم (٤٠٠).

---

(١) **ومن أشهر ما يُستدل به عليهم في هذا الباب**: أنهم يُكثرون من ذكر أدلة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكذا أدلة تحريم الظلم ونُصح الظلمة، وكذا ونحوها، ثم ما تدري إلا وقد استلوا منها جواز الخروج على ولاة أمر المسلمين، وهلم جر، والله أعلم.



وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تمكن أذنيك من صاحب هوى، فيمرض قلبك، ولا تجيبن أميرًا وإن دعاك لتقرأ عنده سورة من القرآن؛ فإنك لا تخرج من عنده إلا بشر مما دخلت، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم (٤٠١).

وقال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ: قال لي أبو قلابة: يا أيوب احفظ عني أربعًا: لا تقل في القرآن برأيك، وإياك والقدر، وإذا ذُكر أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فأمسك، ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك؛ فينبذوا فيه ما شاءوا، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم (٤٠٢).

وقال سعيد بن عامر رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت جدتي أسماء تحدث قالت: دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟. قال: لا. قالا : فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟. قال: لا. لتقومان عني أو لأقومن، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم (٤٠٣).

وقال هشام بن حسان رَحِمَهُ اللَّهُ: قال رجل لابن سيرين: إن فلانا يريد أن يأتيك، ولا يتكلم بشيء. قال: قل لفلان: لا يأتيني، فإن قلب ابن آدم ضعيف، وإني أخاف أن أسمع منه كلمة، فلا يرجع قلبي إلى ما كان، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم (٤٠٤).

وقال معمر رَحِمَهُ اللَّهُ: كان ابن طاوس جالسًا، فجاء رجل من المعتزلة، فجعل يتكلم قال: فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيه قال: وقال لابنه: أي بني، أدخل إصبعيك في أذنيك واشدد، ولا تسمع من كلامه شيئًا. قال معمر: يعني: أن القلب ضعيف، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم (٤٠٥).

وقال عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ: قال لي إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى: أرى المعتزلة عندكم كثيرا. قلت: نعم وهم يزعمون أنك منهم. قال: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك. قلت: لا. قال: لم؟. قلت: لأن القلب ضعيف، والدين ليس لمن غلب، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم (٤٠٦).

وعن سلام بن أبي مطيع، أن رجلا من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة؟. قال أيوب وجعل يشير بإصبعيه: ولا نصف كلمة، ولا نصف كلمة، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم (٤٠٧).

وروى ابن بطة ـ أيضًا ـ في «الإبانة الكبرى» برقم (٤١٩)، عن أبي حمزة. قال: سئل الشعبي عن مسألة، فقال: لا تجالس أصحاب القياس؛ فتحل حراما، أو تحرم حلالا.

قلت: وليس هذا على إطلاقه، فمن القياس ما قد يُستدل به في أصول الدين.

وروى برقم (٤١٤)، عن ابن شوذب. قال: قال لي عقيل بن طلحة، وكانت لطلحة صحبة: هل لقيت عمرو بن عبيد؟، فقلت: لا. قال: فلا تلقه لست آمنه عليك، وكان عمرو بن عبيد يرى رأي الاعتزال.اهـ

وقال الإمام أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ كما في «عقيدة أهل السنة» (١/ ١٧٩): قال أبو محمد: وسمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، يغلظان في ذلك أشد التغليظ...، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ (١/ ٢٥٢): من السنة ترك الرأي والقياس في الدين، وترك الجدال والخصومات، وترك مفاتحة القدرية وأصحاب الكلام، وترك النظر في كتب الكلام وكتب النجوم، فهذه السنة التي اجتمعت عليها الأئمة.اهـ

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ في «لمعة الاعتقاد» (ص١١٣): ومن السنة هجران أهل البدع، ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة بدعة، وكل متسم بغير الإسلام مبتدع، كالرافضة والجهمية والخوارج، والقدرية والمرجئة والمعتزلة، والكرامية والكلابية، والسالمة ونظائرهم، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، كما في «الفتاوى» (١٥/ ٣٣٦) ـ وهو يذكر كل ما رَغَّب في معصية ونهى عن طاعة، فهو من معصية الله ـ: ومن هذا الباب: سماع كلام أهل البدع، والنظر فى كتبهم؛ لمن يضره ذلك ويدعوه إلى سبيلهم، وإلى معصية الله، فهذا الباب تجتمع فيه الشبهات والشهوات، والله تعالى ذم هؤلاء فى مثل قوله: ﴿**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ [الأنعام: ١١٢].

وفى مثل قوله: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

ومثل قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [لقمان: ٦].

وقوله: ﴿**مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٧].

ومثل قوله: ﴿**وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا**﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ومثل قوله: ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام: ١١٦].اهـ

وقال رحمه الله في «الاستقامة» (١/ ١٠٨): قال محمد بن الحسين: رأيت بخط أبي عمرو بن مطر يقول: سُئل ابن خزيمة عن الكلام في الأسماء والصفات، فقال بدعة ابتدعوها، ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب، وأئمة الدين مثل مالك وسفيان، والأوزاعي والشافعي، وأحمد وإسحاق، ويحيى بن يحيى وابن المبارك، ومحمد بن يحيى وأبي حنيفة، ومحمد بن الحسن وأبي يوسف يتكلمون في ذلك، وينهون عن الخوض فيه، ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة، فإياك والخوض فيه، والنظر في كتبهم بحال.اهـ

وقال العلامة ابن مفلح رحمه الله في «الآداب الشرعية» (١/ ٩٨): ذكر الشيخ موفق الدين رحمه الله، في المنع من النظر في كتب المبتدعة قال: كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع

والنظر في كتبهم، والاستماع لكلامهم ـ إلى أن قال ـ: وإذا كان أصحاب النبي ومن اتبع سنتهم، في جميع الأمصار والأعصار، متفقين على وجوب اتباع الكتاب والسنة، وترك علم الكلام، وتبديع أهله وهجرانهم، والخبر بزندقتهم وبدعتهم، فيجب القول ببطلانه، وأن لا يلتفت إليه ملتفت، ولا يغتر به أحد.اهـ

قلت: والآثار وكلام الأئمة الأعلام إلى يومنا هذا كثيرٌ جدًا، وقد أَلَّف فيه جمعٌ من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين، وبالله التوفيق، وهو أعلم.

فصلٌ: في بيان أهل البدع والزيغ والباطل والضلال:

قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٥].

وللعلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «الفوائد» (ص١٠٨): قاعدة جليلة، خُلاصتها ما يأتي في الأسطر التالية ـ إن شاء الله تعالى ـ ويراجعها المريد، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٥ـ ١٧٦].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنفال:٢٢ـ ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الجمعة: ٥].

ووصف الله أقوامًا بأنهم كفار، وأقوامًا بأنهم منافقين، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [التوبة: ٧٣].

وقال الله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾ [المسد:١ـ ٥]، وغيرها من آيات القرآن الكريم.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لابن صياد: «**اخسأ، فلن تعدو قدرك**»، رواه البخاري برقم (٦٢٤٤)، ومسلم (٢٩٢٤) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: ذَكرتُ لرسول الله ﷺ: أن معاوية بن أبي سفيان، وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد**»، رواه مسلم برقم (١٤٨٠).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رجل على النبي ﷺ، فلما رآه ﷺ قال: «**بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة**». فلما جلس تطلَّق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قلت: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلَّقت في وجهه وانبسطت إليه؟، فقال ﷺ: «**يا عائشة متى عهدتيني فحاشًا، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة؛ من تركه الناس اتقاء شره**»، رواه البخاري برقم (٥٦٨٥)، ومسلم (٢٥٩١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا شيئًا**». **قال الليث**: كانا رجلين من المنافقين، رواه البخاري برقم (٦٠٦٧).

وفي لفظ له برقم (٦٠٦٨)، قالت رضي الله عنها: دخل عليَّ النبي ﷺ يومًا، وقال: «**يا عائشة ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان ديننا الذي نحن عليه**».

وقال الإمام النووي رحمه الله في «الأذكار» (ص٤٣٠): بابُ بَيانِ ما يُبَاحُ مِن الغِيبَة: اعلم أنَّ الغيبةَ وإن كانت محرّمة، فإنها تُباح في أحوال للمصلحة، والمُجوِّزُ لها غرض صحيح شرعي لا يمكن الوصولُ إليه إلا بها، وهو أحد ستة أسباب ـ ذكرها ومنها ـ:

الرابع: تحذير المسلمين من الشرّ ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

منها: جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: ما استشارك إنسان في مصاهرته، أو مشاركته، أو إيداعه، أو الإِيداع عنده، أو معاملته بغير ذلك، وجب عليك أن تذكر له ما تعلمه منه على جهة النصيحة، فإن حصل

الغرض بمجرّد قولك لا تصلحُ لك معاملتُه أو مصاهرُته، أو لا تفعلْ هذا، أو نحو ذلـك لم تجز الزيادةُ بذكر المساوىء، وإن لم يحصل الغرض إلا بالتصـريح بعينه فاذكره بصريحه.

ومنها: إذا رأيتَ مَن يشتري عبدًا معروفًا بالسرقة أو الزنا أو الشـرب أو غيرها، فعليك أن تبيّن ذلك للمشتري إن لم يكن عالمًا به، ولا يختصّ بذلك، بل كل من علم بالسلعة المبيعـة عيبًا؛ وجب عليه بيانه للمشتري إذا لم يعلمه.

ومنها: إذا رأيت متفقهًا يتردَّدُ إلى مبتدعٍ أو فاسقٍ يأخذ عنه العلم خِفْتَ أن يتضرَّرَ المتفقّه بذلك، فعليك نصيحته ببيان حاله، ويُشترط أن يقصدَ النصيحةَ، وهذا مما يُغلَطُ فيه، وقد يَحملُ المُتكلمَ بذلك الحسدُ، أو يُلَبِّسُ الشيطانُ عليه ذلك، ويُخَيِّلُ إليه أنه نصيحةٌ وشفقةٌ، فليتفطَّنْ لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما بـأن يكون فاسقًا أو مغفلًا ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيلَه ويُولِّي مـن يَصلحُ، أو يعلم ذلك منه لتعامله بمقتضـة حالـه ولا يغـترّ بـه، وأن يسـعى في أن يحثَّـه عـلى الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مُجاهرًا بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر، أو مصـادرة النـاس وأخذ المُكس، وجباية الأموال ظلمًا، وتولّي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يُجاهر به، ويحـرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخـر ممـا ذكرنـاه...، فهـذه سـتة أسـباب ذكرها العلماء مما تُباح بها الغيبة على ما ذكرناه، وممّن نـصّ عليهـا هكـذا الإِمـام أبـو حامـد الغزالي في «الإِحياء» وآخـرون مـن العلـماء، ودلائلُهـا ظـاهرة مـن الأحاديـث الصـحيحة المشهورة، وأكثرُ هذه الأسباب مجمع على جواز الغيبة بها.اهـ

وقال العلامة ابن مفلح رحمه الله في «الآداب الشرعية» (١/ ٩٨): قال أبو داود لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أرى رجلا من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه. قال: لا،

أَوَ تُعْلِمْهُ أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه فكلِّمه، وإلا فألحقه به.

قال ابن مسعود: المرء بخدنه.

وقال عبد الله بن محمد بن الفضل الصيداوي: قال لي أحمد: إذا سلم الرجل على المبتدع؛ فهو يحبه، قال النبي ﷺ: **«ألا أدلكم على ما إذا فعلتموه تحاببتم؟، أفشوا السلام بينكم»**، ويجب الإغضاء عمن سترها وكتمها. زاد في «الرعاية الكبرى»: وشق عليه إشاعتها عنه.

قال المروذي قلت لأبي عبد الله: اطَّلعنا من رجل على فجور، وهو يتقدم يصلي بالناس أخرج من خلفه. قال: اخرج من خلفه خروجًا لا تُفحش عليه.

وقال ابن منصور لأبي عبد الله: إذا عُلم من الرجل الفجور أنخبر به الناس؟. قال: لا، بل يُستر عليه إلا أن يكون داعية.

ويتوجه أن في معنى الداعية: من اشتهر وعُرف بالشر والفساد يُنكر عليه، وإن أسر المعصية، وهو يشبه قول القاضي فيمن أتى ما يوجب حدًا إن شاع منه استُحب أن يُذهب إلى ولي الأمر؛ ليأخذه به، وإلا ستر نفسه.اهـ



تحريم تفضيل الكافر على المسلم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهِ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥١ـ ٥٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٢/ ٣٣٤): قوله: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا﴾ أي: يُفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم، وقلة دينهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم.

وروى ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ(١)، عن عكرمة قال: جاء حُيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنَّا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد؟، فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور، قطَّع أرحامنا، واتَّبعه سُراق الحجيج بنو غفار، فنحن خير أم هو؟، فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلا، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا﴾.

وقد رُوي هذا من غير وجه، عن ابن عباس، وجماعة من السلف.

وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة ـ أو عن سعيد بن جبير ـ، عن ابن عباس قال: كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان، وبني قريظة حُيي بن

---

(١) في «تفسيره» برقم (٥٤٧٩).

أخطب، وسلام بن أبي الحقيق أبو رافع، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وأبو عمار، ووحوح بن عامر، وهوذة بن قيس.

فأما وحوح وأبو عمار وهوذة، فمن بني وائل، وكان سائرهم من بني النضير، فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكُتب الأُوَل فسلوهم: أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم، فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه، فأنزل الله ﷻ: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهِ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾** إلى قوله: **﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾**.

وهذا لعن لهم، وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين، وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلى نصرتهم، وقد أجابوهم، وجاؤوا معهم يوم الأحزاب، حتى حفر النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم حول المدينة الخندق، فكفى الله شرهم، **﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾** [الأحزاب:٢٥].اهـ

قلت: والآية عامَّة فيهم، وفيمن سار بسيرهم، واستن بسنتهم إلى يوم الدين، والله أعلم.

تحريم المساواة بين المسلم والكافر والبار والفاجر والسُّني والبدعي

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٧ ـ ٢٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٨ - ٢٠].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية:٢١ ـ ٢٢].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مرَّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: **«ما تقولون في هذا؟»**. قالوا: حريٌّ إن خطب أن يَنكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يُسمع. قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: **«ما تقولون في هذا»**. قالوا: حري إن خطب أن

لا يَنكح، وإن شفع أن لا يُشفع، وإن قال أن لا يُسمع، فقال رسول الله ﷺ: **«هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»**، رواه البخاري برقم (٤٨٠٣).

فصلٌ: في أن الكفار شرُّ البرية:

قال الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** [الأعراف: ١٧٩].

وقال الله تعالى: **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾** [الأنفال: ٢٢ ـ ٢٣].

وقال تعالى: **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأنفال: ٥٥].

وقال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾** [البينة: ٦].

وقال جل وعلا في المؤمنين: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾** [البينة: ٧].

فبعد هذه الأدلة، لا يقول عاقل: بتسوية المسلم والكافر، أو أن المسلم السُنِّي كالمسلم المبتدع، أو أن المسلم العامِّي الباقي على فطرته كا لمسلم العامِّي المتأثر ببدعة، وهلم جرَّ، والله أعلم وأحكم.

النهي عن إنكار زيادة الإيمان ونقصانه وأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٤/ ١١): استدل البخاري وغيرُه من الأئمة بهذه الآية، وأشباهها، على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة، كالشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد، كما بينَّا ذلك مستقصى في أول «شرح البخاري»، ولله الحمد والمنة.اهـ

قلت: ومما يُؤيد ما ذهب إليه أئمة السلف والخلف، وهو المذهب الحق: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ـ ١٢٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٤/ ٢٣٩): وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف، من أئمة العلماء، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد....

والمؤمن يزيد أيمانه بقوة الثقة، والاعتماد، والتوكل على الله، والإيمان بالقدر، وكل هذه الأسباب الأربع دليلها، قول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران:١٧٣].اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان**»، أخرجه البخاري برقم (٩)، ومسلم (٣٥).

وفي رواية لمسلم برقم (١٦٢): «**الإيمان بضع وسبعون** ـ أو بضع وستون شعبة ـ، **فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٢/ ٤): قد قدمنا أن كمال الإيمان بالأعمال، وتمامه بالطاعات، وأن التزام الطاعات، وضم هذه الشعب من جملة التصديق، ودلائل عليه، وأنها خُلُقُ أهل التصديق، فليست خارجة عن اسم الإيمان الشرعي ولا اللغوي.اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير**»، رواه مسلم برقم (٦٩٤٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**».

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يُلحق معهنَّ: «**ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها، وهو مؤمن**»، رواه مسلم برقم (٢١٦).

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٢/ ٤١): هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون: أن معناه لا يفعل هذه المعاصي، وهو كامل الإيمان.اهـ **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في «العقيدة الواسطية» (ص٢٤) ـ عقب ذكره لهذا الحديث ـ: نقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يُعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم.اهـ



قلت: والكلام على هذه المسألة يطول جدًا، وقد ذكر البخاري رحمه الله في (كتاب الإيمان) من «صحيحه» أكثر من خمسين دليل، يُرجع إليها. وقد أُلِّف فيها رسائل وكتب عدة، تُراجع للفائدة، والله أعلم.

وجوب تكفير الكافر وتحريم الشك في كفره أو تصحيح دينه

وأدلة تكفير الكافر المقطوع بكفره في الكتاب والسنة والإجماع، وعدم الشك في كفره، أو تصحيح ديانته، وأن ذلك تكذيب لله ولرسوله ﷺ، ومن نواقض الإسلام: كثيرة جدًا، ما بين عامَّةٍ وخاصة، فمن الأدلة العامة: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومن الأدلة الخاصة: قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٤].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفس محمد بيده: لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار**»، رواه مسلم برقم (١٥٣).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ في «الشفا» (٢/ ٦٠٣): وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدًا من النصارى واليهود، وكل من فارق دين المسلمين، أو وقف في تكفيرهم، أو شك.

قال القاضي أبوبكر: لأن التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم، فمن وقف في ذلك فقد كذَّب النص والتوقيف، أو شك فيه، والتكذيب أو الشك فيه لا يقع إلا من كافر.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ ـ أيضًا ـ في (٢/ ٦١٠): ولهذا نُكفِّر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك.اهـ

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «روضة الطالبين» (١٠/ ٧٠): ومن لم يُكفر من دان بغير الإسلام كالنصارى، أو شك في تكفيرهم، أو صحح مذهبهم، فهو كافر، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «الفتاوى» (٢/ ٣٦٨): ومن شك في كفر هؤلاء ـ أي: القائلين بوحدة الوجود ـ بعد معرفة قولهم، ومعرفة دين الإسلام، فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين.اهـ

وقال البهوتي رَحِمَهُ اللهُ في «كشاف القناع» (٦/ ١٧٠): من لم يكفر من دان ـ أي: تديَّن بغير الإسلام كالنصارى واليهود ـ أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، فهو كافر؛ لأنه مكذب لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٨٥].اهـ

الأمر بالهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ١٠٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين، يُكثِّرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، يأتي السهم فيُرمى به، فيُصيب أحدَهم فيقتله، أو يَضرب عنقه فيُقتل، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ...الآية﴾، رواه البخاري برقم (٤٥٩٦).

وروى ابن أبي حاتم برقم (٥٨٦٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم بفعل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأُكرهوا، فاستَغْفَروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُم...الآية﴾. قال: فَكُتِبَ إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية: لا عذر لهم، فخرجوا فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٣٩٠): قال عكرمة رحمه الله: نزلت هذه الآية في شباب من قريش، كانوا تكلموا بالإسلام بمكة، منهم: علي بن أمية بن خَلَف، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العاص بن منبه بن الحجاج، والحارث بن زَمْعة.

ثم قال رحمه الله: وهذه الآية الكريمة عامَّة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حرامًا بالإجماع.

وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ**﴾ أي: بترك الهجرة ﴿**قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ**﴾ أي: لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ ﴿**قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ**﴾ أي: لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض. ﴿**قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء:٩٧].

وقال السدي: لما أُسِرَ العباس وَعقِيل ونَوْفَل، قال رسول الله ﷺ للعباس: «**افد نفسك وابن أخيك**». قال: يا رسول الله، ألم نُصلِّ قبلتك، ونشهد شهادتك؟. قال: «**يا عباس، إنكم خاصمتم، فخُصمتم** ـ ثم تلا عليه هذه الآية: ـ ﴿**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ٩٧]، رواه ابن أبي حاتم (٥٨٦٩).

وقوله: ﴿**وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً**﴾: هذا تحريض على الهجرة، وترغيب في مفارقة المشركين، وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عنهم مندوحة وملجأ يتحصن فيه.

والمراغم قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو التحول من أرض إلى أرض، وكذا رُوي عن الضحاك والربيع بن أنس، والثوري.

وقال مجاهد: ﴿**مُرَاغَمًا كَثِيرًا**﴾ يعني: متزحزحًا عما يكره.

وقال سفيان بن عيينة: ﴿**مُرَاغَمًا كَثِيرًا**﴾ يعني: بروجا.

والظاهر: ـ والله أعلم ـ أنه التمنّع الذي يُتَحصَّن به، ويراغم به الأعداء...



وقوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ أي: ومن خرج من منزله بنية الهجرة، فمات في أثناء الطريق، فقد حصل له من الله ثواب من هاجر، كما روى البخاري ومسلم(١)، عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»، وهذا عام في الهجرة، وفي كل الأعمال.

ومنه الحديث الذي رواه البخاري ومسلم(٢): «**في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نَفْسًا، ثم أكمل بذلك العابد المائة، ثم سأل عالمًا: هل له من توبة؟ فقال: ومن يَحُول بينك وبين التوبة ؟ ثم أرشده إلى أن يتحول من بلده إلى بلد آخر يعبد الله فيه، فلما ارتحل من بلده مهاجرا إلى البلد الآخر، أدركه الموت في أثناء الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقال هؤلاء: إنه جاء تائبا. وقال هؤلاء: إنه لم يَصِلْ بَعْدُ، فأمروا أن يقيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أقرب كان منها، فأمر الله هذه أن تقرب من هذه، وهذه أن تبعد فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بِشِبْر، فقبضته ملائكة الرحمة**».

وفي رواية: «**أنه لما جاءه الموت ناء بصدره إلى الأرض التي هاجر إليها**».

وعن عبد الله بن عَتِيك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من خرج من بيته مهاجرًا في سبيل الله** ـ ثم قال بأصابعه هؤلاء الثلاث: الوسطى والسبابة والإبهام، فجمعهن وقال ـ: **وأين المجاهدون؟ فخرَّ عن دابته فمات؛ فقد وقع أجره على الله، أو لدغته دابة فمات؛ فقد وقع**

(١) البخاري برقم (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) البخاري برقم (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

أجره على الله، أو مات حَتْف أنفه؛ فقد وقع أجره على الله ـ والله! إنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله ﷺ ـ **«ومن قتل قَعْصًا؛ فقد استوجب المآب»**، رواه أحمد، والحاكم، وصححه(١).

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»**، رواه أبو داود، والنسائي(٢).اهـ مختصرًا.

وقال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** [الممتحنة:١٠].

وهذه الآية ظاهرة الدلالة، في هجرة النساء من بلد الكفر إلى بلاد الإسلام، فمن بابٍ أولى الرجال، كما تقدم، والله أعلم.

---

(١) **حسنٌ**: رواه أحمد برقم (١٦٤١٤)، والحاكم (٢٤٤٥)، وصححه، ووافقه الذهبي. وراجع: «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٦٠)، و«تحقيق المسند» (٢٦/ ٣٤١).

(٢) **حسنٌ**: رواه أبو داود (٧/ ١٥٦)، والنسائي (٥/ ٢١٧). **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله ـ عقب ذكره له ـ: وفيه: أبو هند البجلي مجهول، وقد تُوبع، وبقية رجاله ثقات، وللحديث شواهد يصلح بها للاحتجاج.

وقال رحمه الله في «البداية» (١/ ١٧٠): هذا إسناد جيد قوي.اهـ

قلت: وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٥/ ٣٣)، والله أعلم.



تحريم بقاء المسلمين بين ظهراني الكفار

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«من جامع المشرك، وسكن معه؛ فإنه مثله»**، رواه أبو داود برقم (٢٧٨٧)(١).

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين المشركين»**، رواه أبو داود برقم (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)(٢).

وعند ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» برقم (٢٥٢٦)، عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة**»(٣).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ١٠٧): عند قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾** [آل عمران:١١٨] **قال**: وأما الاستضاءة بنار المشركين فمعناه: لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم، بل تَبَاعَدُوا منهم وهَاجروا من بلادهم؛ ولهذا روى أبو داود رحمه الله: **«لا تَتَرَاءَى نَاراهُمَا»**.

وفي الحديث الآخر: **«من جامع المشرك أو سكن معه؛ فهو مثله»**.اهـ

أقول: وانظر للمزيد: ما ذكرنا في بَابَيْ (تحريم اتخاذ الكفار بطانة للمشورة)، و(تحريم اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين)، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف أبي داود» برقم (٢٧٨٧)، وقد بسط القول فيه بما فيه الكفاية، في «الصحيحة» برقم (٢٣٣٠)، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ**: **قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله في «البلوغ» برقم (١٢٦٤): إسناده صحيح، ورجح البخاري إرساله.اهـ والله أعلم.

(٣) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٦٠٧٣)، والله أعلم.

فصلٌ: في النهي عن بقاء المسلم في بلد البدعة أو المعصية إذا خاف على دينه:

أما التحول من بلد المعصية، إلى بلد الطاعة، فدليلُها حديث أبي سعيد ﵁ ـ المتقدم ذكره وتخريجه ـ، وفيه: قال ﷺ: **«انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء»**.

قال النووي ﵀ في «شرح مسلم» (١٧/ ٨٣): قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح، والعلماء والمتعبدين الورعين، ومن يقتدى بهم، وينتفع بصحبتهم، وتتأكد بذلك توبته.اهـ

وقال الحافظ ﵀ في «الفتح» (٦/ ٥١٧): وفيه: فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية؛ لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك، إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك، والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضُّه عليه، ولهذا قال له الأخير: **«ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء»**، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها، والاشتغال بغيرها.اهـ

وقال القحطاني ﵀ في «نونيته» (ص٣٨):

ومتى أمرت ببدعة أو زلة ... فاهرب بدينك آخر البلدان

الدين رأس المال فاستمسك به ... فضياعه من أعظم الخسران

قلت: والبدعة أخطر من المعصية، ومفارقة أماكنها أولى من مفارقة أماكن المعصية، وهذا بإجماع السلف، وعليه فتوى أهل العصر، وقد بسطتُ بعض القول حول هذه المسألة، في «تتمة الإنعام شرح فضل الإسلام» (باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر)، فيَرْجِعْ إليه المريد، والله أعلم وهو الفعَّالُ لما يريد.



النهي عن السفر إلى بلاد الكفار للتجارة أو السياحة أو غيرهما إلَّا للحاجة وبشروط

كلام أهل العلم في هذه المسألة كثير، ما بين مكتوب ومنصوص، وطلبًا للاختصار رأيتُ أنَّ كلام العلماء، يتلخَّص بما أجاب به فقيه زمانه، العلامة العثيمين ﷺ، حيث سُأل عن ذلك، **فأجاب قائلاً**: السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز، إلَّا **بثلاثة شروط**:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجًا إلى ذلك، فإن لم تتم هذه الشروط، فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار؛ لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة، وفيه إضاعة المال؛ لأن الإنسان ينفق أموالًا كثيرة في هذه الأسفار، أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج، أو تلقي علم لا يوجد في بلده، وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار: فهذا ليس بحاجة، وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يُحافظ أهلَها على شعائر الإسلام، وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلادًا سياحية في بعض المناطق، فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها.اهـ من «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (٣/ ١٠)، وله فتوى عقب المذكورة فصَّل فيها أكثر، والله أعلم.

ثم لِنتصوَّر لو أن شخصًا طالَبَنَا بعلَّة تحريم السفر إلى بلاد الكفار؟

فإن الجواب: يكون بأن يُقال للسائل: ما الحكمة من فرضيِّة الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، وتحريم مولاة الكفار، والبقاء بين أظهرهم، وتحريم اتخاهم بطانة وللمشورة، ونحو ذلك.

علمًا: بأن هذه الأسئلة، قد ذكرنا أجوبتها، في أبوابٍ سالفة ولاحقة، فتنبه وفقك الله، وهو أعلم، وأحكم، وأرحم.

تحريم توَّلي الكفار من دون الله ورسوله والمؤمنين وتحريم إعانتهم أو مضاهرتهم حسًا أو معنا على المسلمين

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ١ ـ ٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٨/ ٨٢): كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة، قصة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطبًا هذا كان رجلا من المهاجرين، وكان من أهل بدر ـ أيضًا ـ، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفًا لعثمان، فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على فتح مكة، لَمَّا نقض أهلُها العهد، فأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم، وقال: «**اللهم عَمِّ عليهم خبرنا**»، فعمد حاطب فكتب كتابًا، وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يُعْلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ ليتخذ بذلك عندهم يدًا، فأطلع الله رسوله على ذلك استجابة لدعائه، فبعث في أثر المرأة، فأخذ الكتاب منها، وهذا بيِّن في هذا الحديث المتفق على صحته:

عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنا، والزبير، والمقداد، فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظَعِينة معها كتاب، فخذوه منها**»، فانطلقنا تَعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب قالت: ما معي كتاب. قلنا: لتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لنُلقِينَّ الثياب. قال: فأخرجت الكتاب من عِقَاصها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة،



يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«يا حاطب ما هذا؟»**. قال: لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأ مُلصَقًا في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، ولا رضى بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **«إنه صَدَقكم»**، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: **«إنه قد شهد بدرًا، ما يدريك لَعَلّ الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم»**، رواه البخاري برقم (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

وزاد البخاري برقم (٤٢٧٤)، فأنزل الله السورة: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾** [الممتحنة: ١]... .**ثم قال** رحمه الله ـ:

وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾** يعني: المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين، الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم، ونهى أن يُتخذُوا أولياء وأصدقاء وأخلاء، كما قال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾**، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد.اهـ بتصرف.

وقال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [المائدة: ٥٥].

وقال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [التوبة: ٢٣].

وقال الله: **﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾** [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

وقال الله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠ ـ ٨١].

وقال ﷻ: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ـ ١٣٩].

وقال الله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وعن رفاعة القرظي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما أوليائي المتقون**»، أخرجه البخاري في «الأدب» برقم (٥٥)، والحاكم (٣٣٢٦)(١).

وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن أهل بيتي هؤلاء، يرون أنهم أولى الناس بي، وليس كذلك، إن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا**»، رواه أحمد (٢٢٠٥٢)(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن أوليائي منكم يوم القيامة المتقون، وإن كان نسب أقرب من نسب، فلا يأتيني الناس بالأعمال، وتأتوني بالدنيا**»، رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢/ ٢٤٢)(٣)، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ بشواهده**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٦٨٨)، ومن شواهد، ما ذكر عقبه، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «ظلال الجنة» (٢١٢)، و«الصحيح المسند» (١١٠٨)، و«تحقيق المسند» (٣٦/ ٣٧٦).

(٣) **حسنٌ**: راجع: «ظلال الجنة» برقم (٢١٣)، و«الصحيح المسند» (١٤٠٩).



فصلٌ: في وجوب تولّي الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين دون غيرهم

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، في ثلاثة مواضع ـ [البقرة:١٠٧]، و[التوبة:١١٦]، و[العنكبوت:٢٢] ـ.

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود:١١٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٧٣].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ـ ٥٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨]. وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفي الباب: حديث أبي هريرة، ومعاذ، ورفاعة رضي الله عنهم ـ السابق ذكرها قبل ـ، والله أعلم.

تحريم اتخاذ الكفار بطانة للرأي والمشورة من دون المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨ـ ١٢٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ١٠٦): يقول تبارك وتعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة أي: يُطْلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خَبَالا أي: يَسْعَوْنَ في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يُعْنتُ المؤمنين ويخرجهم ويَشُقّ عليهم.

وقوله: ﴿لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل: هم خاصّة أهله الذين يَطَّلِعُون على داخل أمره، **ثم ذكر** رحمه الله:

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: **«ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى»**، رواه البخاري برقم (٦٧٧٣).

وأثر ابن أبي الدِّهْقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن هاهنا غُلامًا من أهل الحِيرة، حافظ كاتب، فلو اتخذته كاتبًا؟، فقال: قد اتخذت إذًا بطانة من دون المؤمنين، رواه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٥٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٦٥٨)، وسنده صحيح.



ثم قال رحمه الله: **ففي هذا الأثر مع هذه الآية**: دلالة على أن أهل الذِّمَّة لا يجوز استعمالهم في الكتابة، التي فيها استطالة على المسلمين، واطِّلاع على دَوَاخل أمُورهم التي يُخْشَى أن يُفْشوها إلى الأعداء من أهل الحرب، ولهذا قال تعالى: ﴿**لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ**﴾.

ثم ساق حديث أنس رضي الله عنه: «**لا تَسْتَضِيئوا بِنَارِ الْمُشْرِكِينَ، ولا تَنْقُشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرَبيا**»، فقال الحسن: أما قوله: «**ولا تَنْقُشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرَبيًا**»: يعني: محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وأما قوله: «**لا تَسْتَضِيئوا بِنَارِ الشِّرْكِ**» يقول: لا تستشيروا المشركين في أموركم.

ثم قال الحسن: تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ**﴾، رواه البيهقي في «الشعب» برقم (٩٣٧٥)، والطبري (٧/ ١٤٢)، وغيرهما(١).

ورواه أحمد (٣/ ٩٩)، والنسائي برقم (٥٢٢٤) من غير تفسير الحسن البصري رحمه الله.

ثم قال رحمه الله: وهذا التفسير فيه نظر.

قلت: ومراد ابن كثير رحمه الله بقوله: فيه نظر: أن تفسير الحسن رحمه الله لا يُطابق معنى الآية، لَا أنَّ مدلولها الصحيح الظاهر، البيِّن الواضح، الذي لا غبار عليه، مردود، والله أعلم.

ثم قال ابن كثير رحمه الله وقوله تعالى: ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ أي: قد لاح على صَفَحات وجوههم، وفلتات ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل، ولهذا قال: ﴿**قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾.اهـ بتصرف

وقال الله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [التوبة: ١٦].

---

(١) وهو في «الضعيفة» برقم (٤٧٨١).

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ١١٨): يقول تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾** أيها المؤمنون أن نترككم مهملين، لا نختبركم بأمور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب؟ ولهذا قال: **﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾** أي: بطانة ودخيلة.اهـ

قلت: وقد يُلحق بالكافر في حرمة اتخاذه بطانة للمشورة والرأي والإطلاع: المنافق والفاسق، والمبتدع ومن شاكلهما، وكلًا بحسبه، والله المستعان، وهو أعلم.

لطيفة مهمة:

ختم الله تبارك وتعالى آية آل عمران السابقة بقوله: **﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [آل عمران: ١١٨]، فعُلِمَ يقينيًا أن اتخاذ الكفار بطانة للرأي والمشورة، وإطلاعهم على ذلك ونحوه ـ مما يخصُّ الإسلام والمسلمين ـ، من خفَّة العقل أو فقده بالمرَّةِ، والابتلاء بضده، والإصابة بالفشل وسوء الحال ودونه، فنسأل من الله السلامة والعافية، وأن يُصلح أحوالنا في الدنيا والآخرة، وأن يُصلح ولات أمورنا، ويرزقهم البطانة الصالحة، إنه على كل شيء قدير، وهو الغفور الرؤوف الرحيم.

تحريم جعلِ سلطة للكافرين على المؤمنين

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٢/ ٤٣٦): قد استدل كثير من العلماء بهذه الآية الكريمة على أصح قولَي العلماء، وهو المنع من بيع العبد المسلم من الكافر، لما في صحة ابتياعه من التسليط له عليه والإذلال، ومن قال منهم بالصحة يأمره بإزالة ملكه عنه في الحال؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾.اهـ

وقال الألوسي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٤/ ٢٧٦): احتج بظاهرها بعض الأصحاب على وقوع الفرقة بين الزوجين بِرِدَّةِ الزوج؛ لأن عقد النكاح يُثْبِتُ للزوج سبيلاً في إمساكها في بيته، وتأديبها ومنعها من الخروج، وعليها طاعته فيما يقتضيه عقد النكاح.اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (ص٢١٠): قوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ أي: ـ لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين ـ تسلطًا واستيلاءً عليهم، بل لا تزال طائفة من المؤمنين على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

ولا يزال الله يُحدث من أسباب النصر للمؤمنين، ودفعٍ لتسلُّط الكافرين، ما هو مشهود بالعيان، حتى إن بعض المسلمين الذين تحكمهم الطوائف الكافرة، قد بقوا محترمين لا يتعرضون لأديانهم، ولا يكونون مستصغرين عندهم، بل لهم العز التام من الله، فله الحمد أوّلا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.اهـ

قلت: والآية عامة: ولشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كلام، ذكرته في (النهي عن توريث الكافر من المسلم)، وللمزيد راجع: «تفسير القرطبي» (٥/ ٣٩٦)، وغيره، عند الآية والله أعلم.

تحريم الرُّكون إلى أهل الكفر والظلم والفجور ونحوهم

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ الآية [هود: ١١٣].

قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (٩/ ٩٢): الركون حقيقةً الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرِّضا به.

وقوله: ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قيل: أهل الشرك، وقيل: عامَّة فيهم وفي العصاة.

وهذا هو الصحيح في معنى الآية، وأنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي، من أهل البدع وغيرهم، فإنَّ صُحبَتهم كفر أو معصية، إذ الصُحبة لا تكون إلا عن مودة.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدي

فإن كانت الصحبة عن ضرورة وتقية، فقد مضى القول فيها، في (آل عمران) و(المائدة)، وصحبة الظالم على التقية مستثناة، من النهي بحال الاضطرار، والله أعلم.اهـ بتصرف

وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٣٥٤): قوله: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا تُدهنُوا. وقال العوفي، عن ابن عباس: هو الركون إلى الشرك. وقال ابن جُرَيج، عن ابن عباس: لا تميلوا إلى الذين ظلموا، **وهذا القول حسن** أي: لا تستعينوا بالظلمة، فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ أي: ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم، ولا ناصر يخلصكم من عذابه.اهـ بتصرف.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن رجلا من المشركين لحق بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليقاتل معه، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ارجع؛ إنا لا نستعين بمشرك**»، رواه أحمد (٢٤٣٨٦)، وأبو داود (٢٧٣٤)، وهذا لفظه(١).

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف أبي دواد» برقم (٢٧٣٤)، و«تحقيق المسند» (٤٠/ ٤٥٠).



النهي عن بدء اليهود والنصارى والمشركين بالسَّلام

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ [النساء: ٨٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٢/ ٣٦٨): أي: إذا سلَّم عليكم المسلم، فردوا عليه أفضل مما سلَّم، أو ردوا عليه بمثل ما سلَّم به.اهـ

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ في «الآداب الشرعية» (١/ ٩٨): قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ**﴾ أي: أيها المسلمون، ﴿**فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا**﴾، وهذا فيه الحض على تمام المحبة، ولا محبة بين المسلم والكافر، قال عبد الله بن محمد الصيداوي: قال لي أحمد: إذا سلَّم الرجل على المبتدع؛ فهو يُحبه، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أدلكم على ما إذا فعلتموه تحاببتم؟، أفشوا السلام بينكم**».اهـ

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق؛ فاضطروه إلى أضيقه**»، رواه مسلم برقم (٥٧٨٩).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (١٤/ ١٤٥): اختلف العلماء في رد السلام على الكفار وابتدائهم به، فمذهبنا تحريم ابتدائهم به، ووجوب رده عليهم بأن يقول: وعليكم، أو عليكم فقط.

ودليلنا في الابتداء: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا تبدأوا اليهود، ولا النصارى بالسلام**»، وفي الرد قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فقولوا: وعليكم**»، وبهذا الذي ذكرناه عن مذهبنا، قال أكثر العلماء، وعامة السلف.

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ: أربعة أقوال أخرى، وحكم عليها بالضعف، وصوَّاب تحريم ابتدائهم، كما تقدم، والله أعلم.

قلت: وما قاله هو الأقرب، لورود النص صريحًا صحيحًا متواترًا في ذلك؛ فإن الحديث قد رواه جمع من الصحابة بألفاظ عدة، والله المستعان، وهو أعلم.

تحريم التشبه بالكفار ـ أهل الكتابِ وغيرهم ـ

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«بعثتُ بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»**، رواه أحمد برقم (٥١١٤)(١).

وقال سعيد بن جلبة رحمه الله: حدثني طاوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**، وهو في «مسند الشهاب» برقم (٣٩٠)(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**، رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٨٣٢٧)(٣).

قلت: ويتقوَّى بما تقدم، وله شواهد أُخرى، **قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله في «الدراية في تخريج أحاديث الهداية» (٢/ ٢٦٧): قال ابن مسعود رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: **«من كثَّر سواد قوم؛ فهو منهم، ومن رضي عمل قوم؛ كان شريك من عَمِلَ به»**.

---

(١) **صحيحٌ**: **قال شيخ الإسلام** رحمه الله في «الاقتضاء» (ص٨٢): قد احتج الإمام أحمد وغيره بهذا الحديث.اهـ

وقال الحافظ العراقي رحمه الله في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٣٤٣): سنده صحيح.اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٦/ ٩٨): في الإسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف في توثيقه، وله شاهد مرسل بإسناد حسن، أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بتمامه.اهـ

قلت: وهو في «صحيح الجامع» برقم (٢٨٣١)، وكان شيخنا الوادعي رحمه الله يستشهد به كثيرًا، والله أعلم.

(٢) **مرسلٌ بإسنادٍ حسن**: راجع: «الفتح» (٦/ ٩٨)، والله أعلم.

(٣) **قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٧٨): فيه علي بن غراب، وثقه غير واحد، وضعفه بعضهم، وبقية رجاله ثقات.اهـ

وأخرج ابن المبارك، في «الزهد»، عن أبي ذر رضي الله عنه نحوه موقوفًا، ـ ثم ذكر حديث ابن عمر، وحذيفة رضي الله عنهما ـ، **ثم قال**: ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عند البزار، وأخرجه أبو نعيم، من حديث أنس رضي الله عنه، في «تاريخ أصبهان».اهـ(١).

وقد وردت الأدلة بذم من سار بسيرهم، واقتدى بهم، مع بيان ما في ذلك من أضرار:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**»، فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟، فقال: «**ومن الناس إلا أولئك**»، رواه البخاري برقم (٦٨٨٨).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**». قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»، رواه البخاري برقم (٦٨٨٩)، ومسلم (٢٦٦٩).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليأتينَّ على أمَّتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانيّة، لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملَّة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»، رواه الترمذي برقم (٢٦٤١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٧٦)(٢).

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا من مكة، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين، فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، كانت للكفار يعكفون عندها، ويعلِّقون بها أسلحتهم ـ يقال لها:

---

(١) وانظر: «كشف الخفاء» (٢/ ٢٤٠).

(٢) حسنٌ: وهو من طريق عبد الرحمن بن أنعم الإفريقي، وهو ضعيف، كما في «التقريب». **قال العلامة الألباني** رحمه الله في «صحيح وضعيف الترمذي» (٦/ ١٤١): حسن.اهـ

ذات أنواط ـ، فقلنا: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: **«قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف:١٣٨]، **إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة»**، رواه أحمد برقم (٢١٩٤٧)، والترمذي (٢١٨٠)، **وقال** ﷺ: حديث حسن صحيح.اهـ(١).

وأدلة هذا الباب كثيرة جدًا، وقد أفردتُ هذا الفصل ببحثٍ أسميته: «إعلام ذوي الألباب بتحريم التشبه بأهل الكتاب وغيرهم من أهل الشرك والارتياب»، أسأل من الله الكريم الإعانة على إتمامه، والإخلاص في رقم حروفه، والانتفاع به، إنه على كل شيء قدير.

(١) **صحيحٌ**: راجع: «ظلال الجنة» (١/ ٣١)، و«تحقيق المسند» (٣٦/ ٢٢٦).



النهي عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم فيما لم نحط به علمًا

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٦]»، رواه البخاري برقم (٤٢١٥).

قال الحافظ ﵀ في «الفتح» (٨/ ١٧٠): قوله: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**»: أي: إذا كان ما يخبرونكم به محتملًا؛ لئلا يكون في نفس الأمر صدقًا فتكذبوه، أو كذبًا فتصدقوه؛ فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نبه على ذلك الشافعي ﵀.اهـ

وقال عمر بن الخطاب ﵁ لكعب: إن كنت تعلم أنها التوراة، التي أنزلها الله ﷻ على موسى بن عمران ﵇؛ فاقرأها آناء الليل والنهار، رواه ابن عبد البر ﵀ في «جامع بيان العلم وفضله» برقم (٩٥١).

وفي الباب: آيتي البقرة وآل عمران، المذكورتَي في (تحريم الإيمان ببعض الشرع دون بعض)، والله أعلم.

تحريم الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والنياحة وأنها من أمور الجاهلية

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»**، رواه مسلم برقم (٦٧).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»**، رواه مسلم برقم (٩٣٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم وآدم من تراب**»، رواه الترمذي برقم (٣٩٥٦)، **وقال** رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح.اهـ(١).

وعند أحمد برقم (٨٧٣٦)(٢)، ـ زيادة ـ: **«لينتهين أقوام فخرهم برجال، أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان(٣) التي تَدفع بأنفها النتن»**.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خِلال من خلال الجاهلية: الطعن في الأنساب، والنياحة، والاستسقاء بالأنواء، رواه البخاري برقم (٣٨٥٠).

وأدلة هذا الباب فاقت التواتر، فتنبه رزقنا الله وإياك الفقه في الدين، والله أعلم.

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم السابق ـ.

(٢) **حسنٌ**: راجع: «تحقيق المسند» (١٤/ ٣٤٩).

(٣) **قال ابن الأثير** رحمه الله في «النهاية» (١/ ٧٧٤): الجُعَل: حيَوان معروف كالخُنْفُسَاء.اهـ



فصلٌ: في النهي عن تحديد النسل باستعمال موانع الحمل أو الإجهاض لغير محذورٍ شرعي وأنه من التشبه بأعداء الإسلام وسوء ظن بالله تبارك وتعالى.

لا خلاف بين أهل العلم: أن تحديد النسل أو إجهاض الأجنة بأي وسيلة، أو حيلة، إذا كان لخشية الفقر والإملاق أنه محرم؛ لقول الله تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾ [الأنعام: ١٥١].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٣٦١): قوله: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ**﴾، وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم، كما سَوَّلت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يئدون البنات خَشْيَة العار، وربما قتلوا بعض الذكور خيفةَ الافتقار.

ولهذا روى البخاري برقم (٤٤٧٧)، ومسلم (٦٨)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟. قال: «**أن تجعل لله ندّا وهو خلَقَكَ**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يَطْعَم معك**». قلت: ثم أيّ؟. قال: «**أن تُزَاني حليلة جارك**». ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٨].

وقوله: ﴿**مِنْ إِمْلاقٍ**﴾ قال ابن عباس، وقتادة، والسُّدِّي: هو الفقر أي: ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل.

وقال في سورة سبحان: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ**﴾ [الإسراء:٣١] أي: خشية حصول فقر، في الآجل، ولهذا قال هناك: ﴿**نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**﴾، فبدأ برزقهم للاهتمام بهم أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله. وأما في هذه الآية، فلما كان الفقر حاصلًا قال: ﴿**نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾؛ لأنه الأهم هاهنا، والله أعلم.اهـ بتصرف.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«اجتنبوا السبع الموبقات»**. قالوا يا رسول الله وما هن؟. قال: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق... الحديث»**، رواه البخاري برقم (٢٦١٥)، ومسلم (٨٩).

وفيما تقدم من تحديد النسل، ومنع الحمل لغير ما ضرورة شرعية، مخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم. **قال أنس** رضي الله عنه: كان صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة، وينهى عن التبتل نهيًا شديدًا، ويقول: **«تزوجوا الولود الودود؛ إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»**، رواه أحمد (٣/ ١٥٨)(١).

وله شاهد عند أبي داود برقم (٢٠٥٢)، والنسائي (٦/ ٦٥ـ ٦٦)، وابن حبان برقم (١٢٢٩)، من حديث معقل بن يسار، ولفظه: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟. قال: **«لا»**، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: **«تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم»**، وهذا لفظ أبي داود.اهـ(٢).

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما هل تزوجت؟. قلت: لا. قال: فتزوج، فأن خير هذه الأمة أكثرها نساء، رواه البخاري برقم (٤٧٨٢).

وعن نافع مولى ابن عمر أنه قال: كانت ابنة حفص بن المغيرة عند عبد الله بن أبي ربيعة فطلقها تطليقة، ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تزوجها، فحُدِّث أنها عاقر لا تلد، فطلقها قبل أن يُجامعها، فمكثت حياة عمر، وبعض خلافة عثمان رضي الله عنهما، ثم تزوجها عبد الله بن أبي ربيعة وهو مريض؛ لتشرك نساءه في الميراث، وكانت بينه وبينها قرابة، رواه البيهقي في «الكبرى» برقم (١٢٧٤٠).

---

(١) **حسنٌ**: **قال الحافظ** رحمه الله في «البلوغ» ـ عقب الرقم (٩٦٩) ـ: رواه أحمد، وصححه ابن حبان.اهـ

(٢) **صحيحٌ**: **قال العلامة الألباني** رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٦/ ٢٩١): إسناده حسن صحيح، وصححه الحاكم، والذهبي، وصححه ابن حبان من حديث أنس، وحسنه الهيثمي.اهـ



تنبيه وإشارة:

لِيُعلم يقينًا: أن الغرب لا يُريدون لنا خيرًا قط، كيف لا!، وربنا جل وعلا يقول: **﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾** [البقرة: ١٢٠].

وما يحصلُ منهم اليوم من توزيعٍ تحت مُسمَّى تنظيم الحمل ـ أو الأسرة ـ، تلميع للمسميات، وإلا فلهم مقاصد سيئة من أخطرها:

* ـ تقليص نسل المسلمين، تارة بمثل هذه التنظيمات، وتارة بالتحريش بينهم، وهم في استمرارٍ دائم لإبادة الإسلام والمسلمين.

* ـ إحداث فتنه بين الرجل وامرأته؛ لأنه لا يمكن أن يتفقا إلَّا وسرعان ما يختلفا؛ لأن الولد هو المقصد الأسمى بعد الإعفاف، كما تقدم في حديث أنس ومعقل، والله أعلم.

* ـ التحكم بالمسلمين، والله يقول: **﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾** [النساء: ١٤١].

* ـ مخالفة لقول نبينا ﷺ: **«تزوجوا الولود»** ـ تقدم ذكره وتخريجه ـ.

فيجب على المسلمين أن يتصرفوا مع ما يأتينا من قبل الغرب بموجب ما أمرهم به الشرع، من النظر في المصالح الدينيَّة والدنيوية، وعدم مصادمتها بالأدلة الشرعية، وليس كل ما أعطونا بالمجان نقوم بتوزيعه وتناوله من غير توان.

ومما يزيد الأمر ريبًا: لهوتوزيعهم لمثل هذه الأدوية بالمجان، وبكثرة ـ أيضًا ـ، بينما لم يقوموا بتوزيع أدوية مرض السكر، والسرطان، والإيدز، والربو، وغيرها من الأمراض الفتاكة، عافانا الله منها، وجميع المسلمين.

مع أنه قد أُشيع عنهم في هذا الباب، ما يُريب اللبيب، والله المتولِّي مصالح عباده، وهو ألطف وأرحم بهم من آبائهم وأمهاتم، وهو أعلم وأحكم، إنه هو اللطيف الخبير.

تحريم نكاح المسلم للكافرة ـ غير الكتابية ـ وإنكاح الكافر المسلمة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه، أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما، يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ في مكاتبة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سهيل بن عمرو، وفيه ـ: فجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يومئذ، وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم؛ لما أنزل الله فيهن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية إلى قوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٠]، رواه البخاري برقم (٢٥٦٤).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٢٠٧): قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مؤمنات﴾ أي: علمتم ذلك بحسب الظاهر، بعد الامتحان الذي أمرتم به، ﴿فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكفار﴾ أي: إلى أزواجهنّ الكافرين، وجملة ﴿لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ تعليل للنهي عن إرجاعهنّ.

وفيه دليل: على أن المؤمنة لا تحلّ لكافر، وأن إسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها لا مجرّد هجرتها، والتكرير لتأكيد الحرمة، أو الأوّل لبيان زوال النكاح، والثاني لامتناع النكاح الجديد.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ



أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٥٨٢): هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوّجوا المشركات من عبدة الأوثان، ثم إن كان عمومُها مرادًا، وأنَّه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية، فقد خَص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله: **﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾** [المائدة: ٥](١).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: **﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾** [البقرة: ٢٢١] قال: استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب.

وهكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومكحول، والحسن، والضحاك، وزيد بن أسلم، والربيع بن أنس، وغيرهم.

وقيل: بل المراد بذلك المشركون من عبدة الأوثان، ولم يُردْ أهل الكتاب بالكلية، والمعنى قريب من الأول، والله أعلم.اهـ

وقال الإمام ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٣٦٦) ـ بعد حكايته الإجماع على إباحة تزويج الكتابيات ـ: وإنما كره عمر ذلك، لئلا يَزْهَدَ الناسُ في المسلمات، أو لغير ذلك من المعاني، كما حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا ابن إدريس، حدثنا الصلت بن بهرام، عن شقيق قال: تزوج حذيفة يهودية، فكتب إليه عمر: خَل سبيلها، فكتب إليه: أتزعم أنها حرام فأخَلي

---

(١) فمن أراد التزوُّج بكتابية، فلا يغفل عن توفر الشروط المذكورة في آية المائدة وغيرها، وأن لا تكون داعية إلى دينها ظاهرا أو باطنا، أو لا يأمن على نفسه من تضييع دينه، وفي المسلمات غُنية، والله المستعان، وهو أعلم.

سبيلها؟ فقال: لا أزعم أنها حرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن، وهذا إسناد صحيح.

وساق بسنده ـ أيضًا ـ: عن زيد بن وهب قال: قال لي عمر بن الخطاب: المسلم يتزوج النصرانية، ولا يتزوج النصراني المسلمة. **قال**: وهذا أصح إسنادًا من الأول.

وساق بسنده ـ أيضا ـ: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«نتزوج نساء أهل الكتاب، ولا يتزوجون نساءنا»**.

وهذا الخبر ـ وإن كان في إسناده ما فيه ـ فالقول به؛ لإجماع الجميع من الأمة على صحة القول به.اهـ مختصرًا.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (٣٢/ ٣٦): اتفق المسلمون: على أن الكافر لا يرث المسلم، ولا يتزوج الكافر المسلمة.اهـ

وقال أبو بكر الخلال رحمه الله: أخبرني محمد بن علي، حدثنا صالح بن أحمد: أنهما سألا أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله، عن قول الله: **﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾** [البقرة:٢٢١] قال: مشركات العرب، الذين يعبدون الأوثان.اهـ(١).

وقد حرَّم الله ولاية الكافر على المسلمة، في العقد عليها وغير ذلك، قال الله تعالى: **﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾** [النساء:١٤١]، وتقدم كلام أهل العلم في معنى الآية المذكور ونحوه، في (تحريم جعل سلطة للكافرين على المؤمنين).

(١) من «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٨٢).



فصلٌ: في النهي عن نكاح المبتدعة أو إنكاح المبتدع:

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

وتزويج البنت بالرجل المبتدع أو العكس، ليس من الوقاية من النار، والله المستعان.

وقال الفضيل ابن عياض رَحِمَهُ اللهُ: من زوج ابنته من مبتدع؛ فقد قطع رحمها، رواه ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٤١٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» برقم (١٣٥٨)، وغيرهم.

وقال معن بن عيسى رَحِمَهُ اللهُ: كان رجل بالمدينة ـ يقال له: أبو الجويرية ـ يرى الإرجاء، فقال مالك بن أنس: لا تناكحوه، رواه اللَّالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٥/ ٩٩٤).

وذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «البداية والنهاية» (٩/ ٦٤)، عن عمران بن حطان الخارجي: أنه كان من أهل السنة والجماعة، فتزوج امرأة من الخوارج، حسنة جميلة أحبَّها، وكان دميم الشكل، فأراد أن يردَّها إلى السنة، فأبت، فعاد معها إلى مذهبها، وقد كان من الشعراء المفلقين، وهو القائل في قَتْلِ عليٍّ وقاتله:

يا ضربة من تقيٍّ ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوما فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

أكرم بقوم بطون الطير قبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

وقد رُويت بألفاظٍ أخرى، كما في «البداية والنهاية» (٩/ ٦٥).

ورد عليه بعض العلماء بأبيات على قافيتها ووزنها، **فقال:**

بل ضربة من شقيٍّ ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش خسرانا

إني لأذكره يوما فأحسبه ... أشقى البرية عند الله ميزانا

وفي «**الاستيعاب**» (١/ ٣٤٨): أن الذي رد عليه، هو بكر بن حماد التاهرتي.اهـ

قلت: وصل به الحال بسبب نكاحه لمبتدعة: أن يمتَدِح قتلت أولياء الله، وصحابة رسوله ﷺ، و رضي الله عنهم.

ومما يُستدل به في هذا الباب: ما تقدم ذِكْرُ بعضه في (النهي عن مجالسة أهل البدع، والتعلُّم عندهم، والقراءة في كتبهم، وغير ذلك)، فليس ذلك بأضر من مناكحتهم، والله أعلم.



النهي عن توريث الكافر من المسلم والعكس

قال الإمام البخاري ؒ في «صحيحه» ـ الباب الخامس والعشرون، من كتاب الفرائض ـ: (باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، وإذا أسلم قبل أن يقسم الميراث فلا ميراث له) ـ وساق بسنده برقم (٦٣٨٣)ـ: عن أسامة بن زيد ؆، أن النبي ﷺ قال: **«لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم»**، وأخرجه مسلم برقم (١٦١٤).

وقال الإمام الترمذي ؒ في «سننه» ـ الباب السادس عشر، من كتاب الفرائض ـ: (باب لا يتوارث أهل ملتين) ـ وساق بسنده برقم (٢١٠٨)ـ: عن جابر ؓ، عن النبي ﷺ قال: **«لا يتوارث أهل ملتين». قال أبو عيسى** ؒ: هذا حديث لا نعرفه من حديث جابر إلا من حديث أبي ليلى.اهـ(١).

وعن أسامة بن زيد ؆، أنه قال: يا رسول الله أين تنزل في دارك بمكة؟، فقال: **«وهل ترك عقيل من رباع، أو دور»**، وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب، ولم يرثه جعفر ولا علي ؆ شيئًا؛ لأنهما كانا مسلمين، وكان عقيل وطالب كافرين، فكان عمر بن الخطاب ؓ يقول: لا يرث المؤمن الكافر.

قال ابن شهاب: وكانوا يتأولون قول الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [الأنفال:٧٢]، رواه البخاري برقم (١٥١١)، ومسلم (١٣٥١).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم المذكور ـ، والله أعلم.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في «المفهم» (٤/ ٥٦٦): تضمن هذا الحديث أمرين:

أحدهما: مجمعٌ على منعه، وهو ميراث الكافر للمسلم.

والثاني: مختلف فيه، وهو ميراث المسلم الكافر.اهـ

قلت: وقد نقل الإجماع على تحريم إرث الكافر من المسلم جماعة: **قال ابن عبد البر** رَحِمَهُ اللهُ في «التمهيد» (٩/ ١٦٢): إجماع من المسلمين كافة عن كافة، أن الكافر لا يرث المسلم، وهي الحجة القاطعة الرافعة للشبهة.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ: (٩/ ٢٤٣): مع إجماعهم أن الكافر لا يرث المسلم.اهـ

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ في «المغني» (٦/ ٢٩٤): أجمع أهل العلم: على أن الكافر لا يرث المسلم، وقال جمهور الصحابة والفقهاء: لا يرث المسلم الكافر.اهـ

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ ـ تحت حديث برقم (١٦١٤) من «شرح مسلم» ـ: أجمع المسلمون: على أن الكافر لا يرث المسلم.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كما في «الفتاوى» (٣٢/ ٣٦): قد اتفق المسلمون على أن الكافر لا يرث المسلم، ولا يتزوج الكافر المسلمة.اهـ

وسئل رَحِمَهُ اللهُ ـ كما في «الفتاوى» (٣٢/ ٣٥) ـ: عن رجل أسلم، هل يبقى له ولاية على أولاده الكتابيين؟.

فأجاب: لا ولاية له عليهم في النكاح، كما لا ولاية له عليهم في الميراث، فلا يزوج المسلم الكافرة، سواء كانت بنته أو غيرها، ولا يرث كافر مسلمًا ولا مسلم كافرًا، وهذا مذهب الأئمة الأربعة، وأصحابهم من السلف والخلف.اهـ

قلت: وفي الباب من الأدلة غير ما سبق، محله كتب الفقه، والله أعلم.

الأمر بالصبر على غربة الإسلام ووجوب التمسك بالكتاب والسنة

قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ**﴾ [هود: ١١٦]

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء**»، رواه مسلم برقم (٢٣٢).

قال الإمام النووي ﵀ في «شرح مسلم» (٢/ ١٧٧): جاء فى الحديث تفسير الغرباء، وهم النُزَّاع من القبائل. قال الهروي: أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى، والله اعلم.

وقال القاضي عياض ﵀: قوله: «**غريبًا**»: روى ابن أبي أويس، عن مالك ﵀ أن معناه: فى المدينة، وأن الإسلام بدأ بها غريبًا، وسيعود إليها.

قال القاضي: وظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ فى آحاد من الناس وقلة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والاخلال، حتى لا يبقى الا في آحاد وقلة كما بدأ.اهـ

وعن ابن عمر ﵄، عن النبي ﷺ قال: «**إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين، كما تأرز الحية في جحرها**»، رواه مسلم برقم (١٤٦).

قال المبارك فوري ﵀ في «تحفة الأحوذي» (٧/ ٣١٩): قال القارىء: والمراد: أن أهل الإيمان يفرُّون بإيمانهم إلى المدينة؛ وقاية بها عليه، أو لأنها وطنه الذي ظهر وقوي بها، وهذا إخبار عن آخر الزمان، حين يقل الإسلام.اهـ



وعن ابن مسعود رضي الله عنه، بنحو حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: من الغرباء؟ قال: «**النُّزَّاع من القبائل**»، رواه أحمد برقم (٣٧٨٤)، والترمذي (٢٦٢٩)(١).

وفي رواية لأحمد برقم (١٦٦٩٠)، عن عبد الرحمن بن سنَّة رضي الله عنه: «**الغرباء الذين يَصْلُحُون إذا فَسَدَ الناس**»(٢).

وللترمذي برقم (٢٦٣٠)، **وقال** رحمه الله: حديث حسن.اهـ من حديث كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده: «**طوبى للغرباء، الذين يُصلِحُون ما أَفسد الناس من سنتي**»(٣).

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيامًا، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم**». قلنا: منَّا أم منهم؟ قال: «**بل منكم**»، رواه أبو داود برقم (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)(٤).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» (٤/ ٢٤٠)، ونَقَل عن البغوي رحمه الله قوله: هذا حديث صحيح.اهـ و«الصحيح المسند» (٨٥٢)، و«تحقيق المسند» (٦/ ٣٢٥).

(٢) **حسنةٌ بشواهدها**: وهي من طريق إسحاق بن أبي فروة، وهو متروك، وجاءت في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عند أحمد برقم (١٦٠٤)، بسندٍ حسن. راجع: «تحقيق المسند» ـ عقب الرقم المذكور ـ، والله أعلم.

(٣) فيه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ضعيف، وأحد أركان الكذب عند ابن معين. انظر: «تهذيب الكمال» (٤/ ١٥٦)، والله المستعان.

(٤) **حسنٌ بشواهده**: **قال الألباني** رحمه الله في «صحيح وضعيف الترمذي» رقم (٣٠٥٨): ضعيف، لكن بعضه صحيح، انظر: الحديث المتقدم برقم (٢٣٦١)، و«الصحيحة» برقم (٥٩٤).اهـ

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، عند ابن أبي حاتم، في «تفسيره» برقم (٦٩٢٢)، ذكره العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» برقم (٢٢٣٤) وحكم عليه بالحسن. **قلت**: ويتقوَّى بما بعده ـ إن شاء الله ـ، والله أعلم.



وروى ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» برقم (١٧٢) معناه، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: «**إنَّ من بعدكم أيامًا، الصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم، له أجر خمسين منكم**». قيل: يا رسول الله، منهم؟. قال: «**بل منكم**»(١).

وعن سعيد أخي الحسن يرفعه، قلت لسفيان: عن النبي ﷺ؟ قال: نعم. قال: «**إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في الله، ولم يظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش، وستحولون عن ذلك، فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك يومئذٍ بالكتاب والسنة له أجر خمسين**». قيل: منهم؟. قال: «**لا. بل منكم**»، رواه ابن وضاح، في «البدع والنهي عنها» برقم (١٩١)(٢).

وروى ـ أيضًا ـ برقم (١٧١) ـ بإسناده إلى المعافري قال: قال رسول الله ﷺ: «**طوبى للغرباء، الذين يتمسكون بالكتاب حين يُترك، ويعملون بالسنة حين تُطفىء**»(٣).

---

(١) **رجاله ثقاتٌ**: راجع: «تحقيق البدع والنهي عنها» (ص١٢٢) لعمرو عبد المنعم سليم، والله أعلم.

(٢) **ضعيفٌ مرسلٌ**: ففيه: أسلم البصري ضعيف، وهو من مراسيل سعيد ابن أخي الحسن البصري ـ تابعي ثقة ـ، راجع: «تحقيق البدع والنهي عنها» (ص١٣٤) لعمرو عبد المنعم سليم، والله أعلم.

(٣) **صحيحٌ مرسل**: فهو صحيحٌ إلى المعافري، ثم أرسله ومراسيله معضله؛ لأنه من أتباع التابعين، ويُستأنس به مع ما تقدم، راجع: «تحقيق البدع والنهي عنها» (ص١٣٤) لعمرو عبد المنعم سليم، والله أعلم.

النهي عن ترك التواصي بالحق أو الصبر أو بهما معا

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

قال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٩٣٤): عمَّمَ الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

الإيمان بما أمر الله بالإيمان به: ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.

والعمل الصالح: وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة.

والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح: أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة: فبالأمرين الأولين، يُكمِّل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يُكمِّل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سَلِمَ من الخسار، وفاز بالربح العظيم.اهـ

وقال الله تعالى عن لقمان عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ٣٣٨): قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي: بحدودها وفروضها وأوقاتها، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: بحسب طاقتك وجهدك، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾، عَلِمَ أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور.اهـ



وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (ص٦٤٨): ولما عَلم أنه لا بد أن يُبتلى إذا أمر ونهى، وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك، فقال: **﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ﴾** الذي وعظ به لقمان ابنه **﴿مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾** أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفَّق لها إلا أهل العزائم.اهـ

وقال الله تعالى: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة:٧١].

وروى البخاري برقم (٥٨)، ومسلم (٩٧)، عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بايعت رسول الله ﷺ: على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، والله أعلم.

فصلٌ: في النهي عن ترك الصَّدع بالحق بما يُطاق عليه:

قال الله تعالى: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾** [الحجر: ٩٤ ـ ٩٥].

وقال تعالى: **﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [القصص: ٨٧].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قام خطيبًا، فكان فيما قال: «**ألا لا يمنعنَّ رجلا هيبة الناس، أن يقول بحقٍ إذا علمه**»، فبكى أبو سعيد، وقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا، رواه ابن ماجه برقم (٤٠٠٧)(١).

---

(١) **صحيحٌ**: فيه علي بن زيد بن جدعان. **قال الألباني** رَحِمَهُ اللهُ في «تخريج المشكاة» برقم (٥١٤٥): حديث ضعيف، وبعض فقراته صحيحة الإسناد.اهـ ثم حكم على جملته بالصحة في «صحيح ابن ماجه» برقم (٣٩٩٩).

النهي عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال الله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ١٦٠): يُخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل، فيما أنزل على داود نبيه عليه السلام، وعلى لسان عيسى عليه السلام؛ لعصيانهم لله واعتدائهم على خلقه.

قال العَوْفِيّ، عن ابن عباس: لعنوا في التوراة وفي الإنجيل وفي الزبور، وفي الفرقان.

ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم، فقال: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: كان لا ينهي أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك؛ ليحذر أن يُرْكَبَ مثل الذي ارتكبوا، فقال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.اهـ



وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يَقدرون أن يُغيروا عليه، فلا يُغيرون إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا**»، رواه أبو داود برقم (٤٣٣٩)، وابن ماجه (٤٠٠٩)(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قام خطيبًا، فكان فيما قال: «**ألا لا يمنعن رجلًا هَيْبَةُ الناس أن يقول الحق إذا علمه**». قال: فبكى أبو سعيد، وقال: قد والله رأينا أشياء، فَهِبْنَا، رواه ابن ماجه برقم (٤٠٠٧)(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، متى يُترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «**إذا ظَهَر فيكم ما ظَهَر في الأمم قبلكم**». قلنا: يا رسول الله، وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: «**المُلْك في صغاركم، والفاحشة في كباركم، والعلم في رُذالكم**».

قال زيد: تفسير معنى قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**والعلم في رُذالكم**»: إذا كان العلم في الفُسَّاق، رواه ابن ماجه برقم (٤٠١٥)(٣).

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «صحيح ابن ماجه» برقم (٣٩٩٩)، والله أعلم.

(٢) **صحيحٌ بشواهده**: راجع: «صحيح ابن ماجه» برقم (٣٩٩٧)، والله أعلم.

(٣) **حسنٌ لغيره**: **قال البوصيري** رحمه الله في «الزوائد» (٣/ ٢٤٤): هذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات.اهـ

وقال الهيثمي رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨٦): فيه عمار بن سيف، وثقه العجلي وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف.اهـ

وحسنه الحافظ العراقي رحمه الله في «تخريج أحاديث الإحياء» برقم (١١٤)، وهو في «ضعيف الترمذي» برقم (٨٧٠) بسبب عنعنة مكحول، وذكر له بعض أهل العلم شواهد يرتقي بها للاحتجاج، راجع: «الفتاوى الحديثية» للشيخ الحويني (ص١١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»، رواه الترمذي برقم (٢١٦٩)، **وقال** رحمه الله: هذا حديث حسن.اهـ(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ثم تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»، رواه مسلم برقم (٨٠).

وفي الباب: حديثَي أبي سعيد رضي الله عنه، الآتي ذكرهما في الفصل المذكور عقب هذا الباب ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) **صحيحٌ بشواهده**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم السابق ـ، والله أعلم.



فصلٌ: في ذكر الطريقة الصحيحة لنُصح ولاة أُمور المسلمين والفهم الصحيح لقوله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حقٍ عند سلطانٍ جائر»:

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطانٍ جائر**»، رواه أبو داود برقم (٤٣٤٤)، والترمذي (٢١٧٤)(١).

ومن أحسن ما يُفسر به هذا الحديث، ما روى مسلم برقم (٧٨): عن طارق بن شهاب رضي الله عنه قال: أَوَّلُ مَنْ بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل، فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد تُرك ما هنالك، فقال أبو سعيد رضي الله عنه: أَمَّا هذا فقد قضى ما عليه، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرًا؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

وقد ذكر أهل العلم شروطًا لنصح ولاة الأمور، من أهمها ما يلي:

الأول: أن يأمن الناصح على نفسه: قال ابن بطال رحمه الله في «شرح البخاري» (١٠/ ٥١) ـ عَقِب ذكر كلام أهل العلم في تغيير المنكر مع ولي الأمر ـ: **قال الطبرى: والصواب**: أن الواجب على كلِّ من رأى منكرًا أن يُنكره، إذا لم يخف على نفسه عقوبة، لا قِبَل له بها؛ لورود الأخبار عن النبي ﷺ، بالسمع والطاعة للأئمة، وقوله ﷺ: «**لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه**». قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: «**يتعرض من البلاء ما لا يطيق**».اهـ

الثاني: أن يكون النصح سرًا: فإن ذلك أدعى للقبول، وأقرب لطاعة ولي الأمر، فعن عياض بن غُنم، أنه قال لهشام بن حكيم: ألم تسمع يا هشام رسول الله ﷺ إذ يقول: «**من كانت عنده نصيحة لذي سلطان، فليأخذ بيده فليخلو به، فإن قبلها قبلها، وإن ردها كان قد**

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (١١٠٠).

أدَّى الذي عليه»، رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٠٩٨)، والحاكم (٥٢٦٩) **وقال** رَحِمَهُ اللهُ: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.اهـ(١).

الثالث: أن يكو الناصح عالم بما ينصح، عادل فيما يقول: قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: لا يأمر السلطان بالمعروف، إلا رجل عالم بما يأمر وينهى، رفيق بما يأمر وينهى، عدل.اهـ(٢).

الثالث: أن يتثبَّت الناصح مما ينصح به وفيه: فإن ذلك من دواعي القبول ـ أيضًا ـ.

الرابع: أن يلتمس الأعذار لولاة الأمور: كما سلك ذلك الراسخون في العلم.

الخامس: أن يَرفق في نصحه مع ذكر بعض المحاسن: وهذا مما جاء به القرآن والسنة.

السادس: اختيار الوسائل الناجحه: من اختيار الوقت المناسب والمكان المناسب.

السابع: على الناصح الاهتمام ببيت القصيد: وهو الإصلاح لا الإشهار، والله أعلم.

الفهم السديد لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ... الآية﴾ [المائدة:١٠٥]:

قد يَسْتَدِلُّ مستدلٌّ، على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾** [المائدة:١٠٥].

ويُجاب عنه: بما قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٣/ ٢١٢): أمر الله عباده المؤمنين أن يُصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم، وأن من أصلح أمره لا يضره فساد من فَسَدَ من الناس، سواء كان قريبًا منه أو بعيدًا.

وقال العَوْفي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يقول تعالى: إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته به من الحلال والحرام، فلا يضره من ضل بعده، إذا عمل بما أمرته به، وكذا روى الوالبي عنه،

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «ظلال الجنة» برقم (١٠٩٨)، والله أعلم.

(٢) من «شرح السنة للبغوي» (١٠/ ٥٤).



وهكذا قال مُقَاتِل بن حَيان، فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، نُصِبَ على الإغراء. ﴿لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

ثم قال رحمه الله: وليس في الآية مُسْتَدلٌّ على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا كان فِعْلُ ذلك ممكنًا، فعن قَيْس بن أبي حازم رحمه الله قال: قام أبو بكر، رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه، أوشك الله** عز وجل **أن يَعُمَّهُمْ بعِقَابه**»، رواه أحمد برقم (١٦)، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)(١).اهـ بتصرف.

قلت: وقد تُحمل الآية على قول أبي أمية الشَّعْباني رحمه الله قال: أتيت أبا ثعلبة الخُشَنِي فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ فقال: أيَّة آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فقال: أما والله لقد سألتَ عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شُحًّا مُطاعًا، وهَوًى مُتَّبعًا، ودنيا مُؤْثَرة، وإعجابَ كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصّة نفسك، ودع العوام**»، رواه أبو داود برقم (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وغيرهما(٢).

---

(١) **صحيحٌ على شرط الشيخين**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٦٧١)، و«تحقيق المسند» (١/ ١٩٨).

(٢) **حسنٌ بشواهده**: **قال الألباني** رحمه الله في «صحيح وضعيف الترمذي» رقم (٣٠٥٨): ضعيف، لكن بعضه صحيح، انظر: الحديث المتقدم برقم (٢٣٦١)، و«الصحيحة» برقم (٥٩٤).اهـ

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، عند ابن أبي حاتم، في «تفسيره» برقم (٦٩٢٢)، ذكره العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» برقم (٢٢٣٤) وحكم عليه بالحُسن. **قلت**: وله شواهده، والله أعلم.

تحريم الخروج على ولاة أمر المسلمين برهم وفاجرهم

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٣٤٥): قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿**وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ**﴾ يعني: أهل الفقه والدين، وكذا قال مجاهد، وعطاء، والحسن البصري، وأبو العالية: ﴿**وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩] يعني: العلماء.

قال رحمه الله: **والظاهر** ـ والله أعلم ـ: أن الآية في جميع أُولي الأمر، من الأمراء والعلماء.

وقوله: ﴿**وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ**﴾ أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لاطاعة لمخلوق في معصية الله، كما في الحديث الصحيح: «**إنما الطاعة في المعروف**».اهـ

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩]. قال: نزلت في عبد الله بن حذافة، إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية، رواه البخاري برقم (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤).

وعن علي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريَّة، واستعمل عليهم رجلا من الأنصار، فلما خرجوا وَجَد عليهم في شيء، فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟. قالوا: بلى. قال: اجمعوا لي حطبا، ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها. قال: فهم القوم أن يدخلوها، فقال لهم شاب منهم: إنما فررتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار، فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبروه، فقال لهم: «**لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا؛ إنما الطاعة في المعروف**»، رواه البخاري برقم (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠).



وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا طاعة في معصية الله**»، رواه أحمد (٤/ ٤٢٦)(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قالي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، رواه مسلم برقم (٤٨٩٠). وفي رواية له برقم (٤٨٩١): «**تسمع وتطيع للأمـير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع**».

وروى مسلم برقم (٤٨٨٨)، عن سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله عنه، أنه قال يا رسول الله: أرأيت إن قامت علينا أمراء، يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اسمعوا وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم**».

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في مَنْشَطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأَثَرَةٍ علينا، وألا ننازع الأمر أهله. قال: «**إلا أن تروا كفرا بَوَاحا، عندكم فيه من الله برهان**»، رواه البخاري برقم (٧١٩٩)، ومسلم (١٧٠٩).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي: «**أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا حبشيًا مُجَدَّع الأطراف**»، رواه مسلم برقم (١٨٣٧).

وعن أم الحصين، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول: «**ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله، اسمعوا له وأطيعوا**»، رواه مسلم برقم (١٨٣٨).

وفي رواية له: «**عبدا حبشيًا مجدعا**»، وفي أخرى: «**عبدًا حبشيًا مجدع الأطراف**».

---

(١) **صحيحٌ: قال العلامة الألباني** رحمه الله في «الصحيحة» برقم (١٨٠): إسناده صحيح على شرط مسلم، وقوَّاه الحافظ، في «الفتح» (١٣/ ١٠٩)، وقال الحاكم رحمه الله (٣/ ٤٤٣): صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.اهـ مختصرًا.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة**»، رواه البخاري برقم (٧١٤٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أوفوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»، رواه البخاري برقم (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**السمع والطاعة على المرء المسلم، فيما أحب وكره، ما لم يُؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»، رواه البخاري برقم (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩). وأدلة هذا الموضوع أكثر من أن تحصر، اقتصرتُ على جملةٍ صحيحةٍ صريحةٍ متواترةٍ منها؛ رجاء أن ينفع الله بها قارئها من المسلمين، والله المستعان ومنه التمكين، وفي الفصل الآتي عقب مزيد إفادة ـ إن شاء الله تعالى ـ

فصلٌ: في وجوب الصبر على ظلم حكام المسلمين وجورهم واستئثارهم بالدنيا:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**من رأى من أميره شيئًا، فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يُفارق الجماعة شبرًا، فيموت إلا مات ميتة جاهلية**»، رواه البخاري (٧١٤٣).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**». قيل يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف؟، فقال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه؛ فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة**»، رواه مسلم برقم (٤٩١٠).

وفي رواية له برقم (٤٩١١): قلنا يا رسول الله: أفلا ننابذهم عند ذلك؟. قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألاَ من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة**».

وفي حديث حذيفة ـ السابق ـ: قلت: كيف أصنع يا رسول الله؟ قال: «**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك؛ فاسمع وأطع**».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إنها ستكون بعدي أثرة، وأمور تنكرونها**». قالوا يا رسول الله: كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟. قال: «**تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**»، رواه مسلم برقم (١٨٤٣).

وفي حديث سلمة بن يزيد الجعفي ـ السابق ـ أنه قال يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم**».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أوفوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»، رواه البخاري برقم (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ـ السابق ـ: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على السمع والطاعة، في مَنْشَطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأَثَرَةٍ علينا، وألا ننازع الأمر أهله. قال: «**إلا أن تروا كفرا بَوَاحًا، عندكم فيه من الله برهان**»، وغيرها من الأدلة.

وعن زياد بن كسيب العدوي رحمه الله: قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر، وهو يخطب، وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق ويعظ، فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**من أهان السلطان أهانه الله**»، رواه الترمذي برقم (٢٢٢٥)، **وقال** رحمه الله: حديث حسن.اهـ(١).

---

(١) حسنٌ: **قال العلامة الألباني** رحمه الله في «الضعيفة» (٤/ ١٦٠): وقد تُوبع في الجملة الثانية، فأوردتُها في «الصحيحة» (٢٢٩٧)، وحسنتُه في «الظلال» (١٠١٧-١٠١٨).اهـ

وذكر **البغوي** رحمه الله في «شرح السنة» (١٠/ ٥٤)، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أنه قال: ما مشى قوم، إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه؛ إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا.اهـ

فياويل دعاة السوء والفتنة والخروج، وتهييج العوام عليه، يقدم من لم يتب منهم يوم القيامة، حاملٌ وزر وعبأ سفك الدماء، ونهب الأموال، وقطع الطرقات والأرحام، وتخريب المصالح العامة والخاصة، وإيصال الناس إلا شدة في العيش، وغير ذلك مما حلَّ بالمسلمين، في دينهم ودنياهم، مما يُندى له الجبين، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: فيما روى أحمد برقم (٢٠٣٢٨)، عن الحسن، عن معقل بن يسار، أن عبيد الله بن زياد جاء يعوده، فقال: هل تعلم يا معقل أني سفكت دمًا؟. قال: ما علمت. قال: هل تعلم أني دخلت في شيء من أسعار المسلمين؟. قال: ما علمت. قال: أجلسوني، ثم قال: اسمع يا عبيد الله حتى أحدثك شيئًا لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ولا مرتين. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«من دخل في شيءٍ من أسعار المسلمين ليغليه عليهم؛ فإن حقًا على الله تبارك وتعالى: أن يُقعده بعظم من النار يوم القيامة»**. قال: أأنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. قال: نعم غير مرة، ولا مرتين(١).

وما أشبه مواقف أهل السنة فيما قاموا به، في هذا الزمان وغيره، بما روى البخاري برقم (٥٨)، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، أنه يوم أن مات المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قام فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن، ثم قال: استعفوا لأميركم؛ فإنه كان يحب العفو، ثم قال: أما بعد، فإني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط عليَّ: **«والنصح لكل مسلم»**، فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل.

---

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيح المسند» برقم (١١٣١)، و«تحقيق المسند» (٣٣/ ٤٢٦)



فصلٌ آخر: في وجوب رجوع أمراء المسلمين إلى علماء أهل السنة والجماعة:

على أمراء المسلمين الرجوع، والاستفادة من علمائهم الناصحين، ـ علماء أهل السنة والجماعة، لاعلماء السوء، الذين يلوون أعناق الأدلة؛ لإرضاء الناس ـ فإن العلماء النصحة هم من وصفهم الله بقوله: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء:٨٣].

قال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص١٩٠): قوله: ﴿**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي: أنه إذا حصل بحثٌ في أمر من الأمور، ينبغي أن يُولَّى مَنْ هو أهل لذلك، ويُجعل إلى أهله، ولا يُتقدَّم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ.اهـ

وقد أفردتُ ما يتعلَّق بولاة الأمور، في مبحثٍ خاص، أسأل من الله العون على إتمامه، كما أسأله التوفيق والإخلاص فيه، كما أسأله أن ينفع به وبكاتبه الإسلام والمسلمين.

تحريم الحكم على مسلم بالكفر أو النار أو استباحة عرضه وأهله وماله

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته**»، رواه البخاري برقم (٣٨٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أيما رجل قال لأخيه يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما**»، رواه البخاري برقم (٥٧٥٣)، ومسلم (٦٠).

وفي رواية لمسلم برقم (٢٢٥) بلفظ: «**أيما امرئ قال لأخيه يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**».

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمنًا بكفر؛ فهو كقتله**»، رواه البخاري برقم (٥٧٥٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**كان في بنى إسرائيل رجلان، كان أحدهما مجتهدًا في العبادة، وكان الآخر مسرفًا على نفسه، فكانا متآخيين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا أقصر، فيقول: خلني وربي أَبُعثت عليَّ رقيبًا؟ إلى أن رآه يومًا على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك اقصر. قال: خلني وربي أبعثت علي رقيبًا؟، فقال: والله لا يغفرُ اللهُ لك،** - أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا -**، فبعث الله إليهما ملكًا، فقبض أرواحهما واجتمعا، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنت بي عالمًا؟ أكنت على ما في يدي خازنًا؟، اذهبوا به إلى النار، فوالذي نفس أبي القاسم بيده: لتكلَّم بالكلمة، أو بقت دنياه وآخرته**»، أخرجه أحمد برقم (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٩٠١)(١).

---

(١) حسنٌ: راجع: «صحيح المشكاة» (٢٣٤٧)، و«الصحيح المسند» (١٣٠٢)، و«تحقيق المسند» (٤٦/١٤).



وقال الإمام أبو الحسن الأشعري ﵀ في «الإبانة عن أصول الديانة»: وندين بأن لا نُكَفِّرَ أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه؛ كالزنا والسرقة، وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون، ونقول: إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر؛ مثل الزنا والسرقة وما أشبهها، مستحلاً لها غير معتقد لتحريمها؛ كان كافرًا.اهـ

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي ﵀ في «أعتقاد أهل الحديث» (ص٤٣): ويقولون: إن أحدًا من أهل التوحيد ومن يصلي إلى قبلة المسلمين؛ لو ارتكب ذنبًا، أو ذنوبًا كثيرة، صغائر، أو كبائر مع الإقامة على التوحيد لله، والإقرار بما التزمه وقبله عن الله؛ فإنه لا يكفر به، ويرجون له المغفرة، قال تعالى: ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ١١٦].اهـ

وقال الإمام الطحاوي ﵀ في «عقيدته» ـ الفقرة (٥٧) ـ: ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله.اهـ

قال ابن أبي العز ﵀ في «شرح الطحاوية» (١/ ٢٠٤): أراد بأهل القبلة الذين تقدم ذكرهم في قوله: ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين، يشير الشيخ ﵀ بهذا الكلام: إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب.

واعلم ـ رحمك الله وإيَّانا ـ: أن باب التكفير وعدم التكفير، باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم...

فلا يحل لمسلم أن يُقاتل من شهد أن لا إله إلى الله، وأن محمدًا رسول الله، وصام وصلى، وعمل ما يعمل المسلمين، وإن كان فاسقًا مالم تظهر عليه علامات الكفر، أو منع ما افترض الله، كالزكاة.اهـ

وكلام أهل العلم في هذا الباب كثير، خلاصته ما ذكرنا، والله أعلم.

فصلٌ: في تحريم ادعاء دخول الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠ ـ ٨٢].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٣١٣): قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن اليهود كانوا يقولون: هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نُعَذَّب بكل ألف سنة يومًا في النار، وإنما هي سبعة أيام معدودة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ إلى قوله: ﴿خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨٢].اهـ

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١ ـ ١١٢].

قال ابن كثير رحمه الله «تفسيره» (١/ ٣٨٤): يُبيِّن تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها، كما أخبر الله عنهم في سورة المائدة أنهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨]، فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه معذبهم بذنوبهم، ولو كانوا كما ادعوا لما كان الأمر كذلك، وكما تقدم من دعواهم: أنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، ثم ينتقلون إلى الجنة، وردَّ عليهم تعالى في ذلك، وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة، فقال ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.اهـ



تحريم الطعن والسخرية في أهل العلم والخير والصلاح

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال تعالى مخبرًا عن أهل النار قولهم: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦ ـ ١١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٦].

وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه أن أبا سفيان أتى على سلمان، وصهيب وبلال، في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مَأْخذها، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ، فأخبره، فقال: «**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**»، فأتاهم أبو بكر، فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟. قالوا: لا. يغفر الله لك يا أخي، رواه مسلم برقم (٢٥٠٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

ومن دافع الله عنه، كان الطعن فيه والسخرية منه، كما قال الله تعالى: «**من عادى لي وليًا؛ فقد آذنته بالحرب**»، رواه البخاري برقم (٦١٣٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تحريم نسبة الباطل إلى الأنبياء والرسل وأهل العلم والدين

قال العلامة المجدد النجدي رحمه الله في «مسائل الجاهلية»: المسألة السابعة عشرة: نسبة باطلهم إلى الأنبياء، كقوله: ﴿**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقوله: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا**﴾ [آل عمران: ٦٧].اهـ

قال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في «شرح مسائل الجاهلية» (ص٩٢): من مناهج الجاهلية: أنهم ينسبون ما هم عليه من الكفر والضلال إلى الأنبياء، كما نسبت اليهود السحر إلى سليمان، فقالوا: السحر من عمل سليمان، وهو الذي كان يُسيطر به على الجن والشياطين، وما علموا أن الشياطين من خلق الله، يُسخرهم سبحانه كيف يشاء، وقد سخرهم لنبيه سليمان عليه الصلاة والسلام، فهؤلاء اليهود نسبوا السحر إلى سليمان؛ من أجل أن يروجوه عند الناس، ويقولوا: هذا من عمل الأنبياء.

وكذلك اليهود والنصارى ينسبون كفرهم إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إمام الحنفاء، ينسبون إليه ما هم عليه من الكفر، ويقولون: هذا دين إبراهيم، ولهذا رد الله عليهم بقوله: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [آل عمران:٦٧]، هذا دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أنه على دين التوحيد، والبراءة من الشرك والمشركين، عكس ما عليه اليهود والنصارى.

و ـ أيضًا ـ ما حدثت اليهودية والنصرانية إلا من بعد إبراهيم بقرون، فكيف تُنسب إليه اليهودية والنصرانية؟! هذا من أقبح الكذب، فالتاريخ يكذبهم؛ لأن بينهم وبين إبراهيم قروناً طويلة، والتوراة ما نزلت على موسى عليه السلام والإنجيل ما أُنزل على عيسى عليه السلام إلا بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْأِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران:٦٥].



وقال: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وكذلك كان في هذه الأمة من ينسب ما هو عليه من الباطل إلى النبي محمد ﷺ فيضع الأحاديث المكذوبة لنصرة باطله.

وكذلك من هذه الأمة من ينتسبون إلى الأئمة وهم يخالفونهم في العقيدة، فينتسبون إلى أبي حنيفة، وإلى مالك، وإلى الشافعي، وإلى أحمد، وهم على عقيدة المعتزلة والأشاعرة، وينسبون هذا الاعتقاد الباطل إلى أئمة السلف، وما كان هؤلاء الأئمة رحمهم الله معتزلة، بل كانوا يحاربون المعتزلة وعلماء الكلام.اهـ

تحريم رمي الأنبياء والرسل وأهل العلم بالإفساد في الأرض أو بتبديل الدين

قال الله تعالى مخبرًا عن فرعون أنه قال لقومه ـ في موسى عليه السلام ـ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ١٣٩): يَخشى فرعون أن يُضِلَّ موسى الناسَ ويغيِّر رسومهم وعاداتهم، وهذا كما يُقال في المثل: صار فرعون مُذَكِّرًا يعني: واعظًا، يشفق على الناس من موسى، عليه السلام .اهـ

قلت: قد لا يخلو زمان أو مكان، من التفوُّه بمثل هذا الهذيان، وما يُلفَّق بين الحين والآخر، على دعاة أهل السنة والجماعة، من المسمَّيات الغريبة، والصفات العجيبة، المشتملة على أنهم دعاة فساد وتغيير للدين الحنيف، غير خافٍ على منصف، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



تحريم قتل الأنبياء والرسل والعلماء والدعاة إلى الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢١ ـ ٢٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٢/ ٢٧): هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب فيما ارتكبوه من المآثم والمحارم، في تكذيبهم بآيات الله قديمًا وحديثًا، التي بلَّغتهم إياها الرسل، استكبارًا عليهم وعنادًا لهم، وتعاظمًا على الحق واستنكافًا عن اتباعه، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه، بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم، إلا لكونهم دعوهم إلى الحقّ.

وقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾، وهذا هو غاية الكبر، كما قال النبي ﷺ: **«الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْط النَّاسِ»**(١).

وروى ابن أبي حاتم (١/ ١٦١)، وابن جرير (٦/ ٢٨٥)، عن أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟ قال: «**رَجلٌ قَتَلَ نَبِيًا أَوْ مَنْ أمر بِالْمَعْرُوفِ ونَهَى عَنِ الْمُنْكَر**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾، ثم قال رسول الله ﷺ: **«يا أَبَا عُبَيَدَة، قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلاثَةً وأَرْبَعين نَبيا، من أَوَّلِ النّهَارِ في ساعةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَة وسَبْعُونَ رَجُلا مِنْ بَني**

---

(١) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه مسلم برقم (٩١).

إِسْرائيلَ، فأمَرُوا مَنْ قَتَلَهُم بالْمَعْرُوفِ ونَهَوْهُمْ عَنِ المنكرِ، فقُتِلوا جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهارِ مِنْ ذَلكَ اليَوْمِ، فَهُم الذِينَ ذَكَرَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار، وأقاموا سوق بَقْلِهِمْ من آخره، رواه ابن أبي حاتم برقم (٦٣٢).

ثم قال ابن كثير رحمه الله: ولهذا لما أن تكبَّروا عن الحق واستكبروا على الخلق، قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة، فقال: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: موجع مهين، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.اهـ بتصرف.

وقال الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

---

(١) **فيه كلامٌ وله شواهد**: وأمَّا طريق ابن أبي حاتم، فيها أبو الحسن مولى بني أسد، **قال فيه أبو حاتم والذهبي وابن حجر** رحمهم الله: مجهول.اهـ

والطريق التي عند ابن جرير فيها أبو عبيد محمد بن حفص الوصابي الحمصي، ضعفه ابن منده، وتركه ابن أبي حاتم. راجع: «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٣٧)، و«ميزان الاعتدال» (٤/ ٤٤٦)، و«لسان الميزان» (٥/ ١٥٠)، والله أعلم.

وأما شواهده: فحديث ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم، في الباب يُقوِّيا معناه، والله أعلم.



وقال ﷺ: «**اشتد غضب الله على من قتله نبي**»، رواه البخاري برقم (٤٠٧٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قلت: وهذا فيمن قتله نبي، فكيف فيمن قتل نبي؟.

وروى أحمد برقم (٣٨٦٨)، عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًا**»(١).

وقد أَلحق أهلُ العلم قتلَ العلماء والدعاة إلى الله وأهل الصلاح، بقتل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، وخلفاؤهم في الدعوة إلى الله تعالى، كما وردت بذلك الأدلة ـ التي محلها غير هذا الموضع ـ والله المستعان، وهو أعلم.

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٢٨١)، و«تحقيق المسند» (٦/ ٤١٣)، والله أعلم.

تحريم رد الحق بحجة أن أكثر الخلق ردوه

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١ ـ ١٠٢].

وقال الله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨]، في ثمانية مواضع.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وغيرها من الأدلة.

وقال العلامة النجدي رحمه الله في «مسائل الجاهلية» المسألة الخامسة: من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر، ويحتجون به على صحة الشيء، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقله أهله، فأتاهم بضد ذلك وأوضحه في غير موضع من القرآن.اهـ

قال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في «شرح مسائل الجاهلية» (ص٦٠) ـ ما ملخصه ـ:

إن من قواعدهم الاغترار بالكثرة، والتأثر بذلك، فلو رد أكثر الناس شيئًا ردوه، ولو كان القليل على الحق والصواب.

والعبرة هو الحق، وليس الكثرة، فقد أخبر صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ـ في حديث ابن عباس المتفق عليه ـ: «**أن النبي يأتي ومعه الرجل والرجلان، والنبي يأتي وليس معه أحد**»، وهذا خطأ؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وغيرها من الأدلة.اهـ

قلت: وسلوك هذه الطريق مضنٍ غير مغنٍ، ومتقلِّب غير مستقر، وصاحبه غير مالك لقلبه وقوله، متضارب الأقوال والأفعال؛ لسعيه خلف الكثرة التي قد تقود إلى قلّة كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، والله المستعان، وهو أعلم.



تحريم رد الحق بحجة أنه لم يكن من قبل

قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَـيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَـيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ**﴾ [المؤمنون:٢٣ـ ٢٤].

قال ابن كثير ﷺ في «تفسيره» (٥/ ٤٧٢): قوله: ﴿**مَا سَمِعْنَا بِهَذَا**﴾ أي: ببعثة البشر في آبائنا الأولين، يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم، والأمم الماضية.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ**﴾ [ص: ٦ـ٧].

وفي قصة أبي طالب: جعل النبي ﷺ يقول لعمه: «**أي: عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله**»، فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟، فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب، رواه البخاري برقم (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤)، عن المسيب بن حزن رضي الله عنه.

وقـال العلامـة النجـدي رحمه الله في «مسـائل الجاهليـة»: المسـألة السادسـة: الاحتجـاج بالمتقدمين، كقوله: ﴿**قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى**﴾ [طه: ٥١]، وقوله: ﴿**مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ**﴾ [المؤمنون:٢٤].اهـ

قال العلامة صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ في «شرح مسائل الجاهلية» (ص٦٠): أي: إذا جاءتهم الرسل بالحق احتجوا بآبائهم، فإن موسى عليه السلام لما دعا فرعون إلى الإيمان احتج فرعون بما عليه الأولون، ﴿**قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى**﴾ [طه:٥١]، يريد أن يحتج بما عليه القرون الأولى، التي سبقته من الكفرة، وهذه حجة باطلة، وهي حجة جاهلية....

وكفار قريش يقولون: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص:٧] أي: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي جاء به محمد ﷺ. ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ ملة آبائهم وأجدادهم. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ أي: كذب.

فهم وصفوا ما جاء به الرسول ﷺ بأنه كذب، لماذا؟ لأنه مخالف لما عليه آباؤهم، وهو عبادة الأوثان، ولم يرجعوا إلى دين أبيهم إبراهيم وإسماعيل؛ بل رجعوا إلى ما كان عليه آباؤهم قريبًا، وهم آباؤهم وأجدادهم في مكة من كفار قريش، فهذه سنة الكفار، وهذه سنة الجاهلية؛ أن يحتجوا بمن سبقهم من الأمم.اهـ

نصيحة قيّمة من عالم ناصح:

قال العلامة صالح الفوزان ـ حفظه الله عقب كلامه السابق ـ: والواجب على العقلاء أن ينظروا ما مع الرسل، ويقارنوا بينه وبين ما عليه آباؤهم؛ ليتضح لهم الحق من الباطل، ويقارنوا بينه وبين ما عليه آباؤهم؛ ليتضح لهم الحق من الباطل، أمّا إغلاق الباب على أنفسهم، يقولون: ما نقبل إلا ما عليه آباؤنا، ولا نقبل ما يخالفه، فهذا ليس من شأن العقلاء فضلاً عن الذين يريدون النجاة لأنفسهم.اهـ

تحريم رد الحق بحجة أنه لم يتبعه إلا الضعفاء

قال تعالى مخبرًا عن قول قوم نوح عليه السلام له: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١].

وقولهم له ـ أيضًا ـ: ﴿مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

وقول بعض كفار قريش لخليله ﷺ: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾، ورد الله عليهم بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣].

قال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في «شرح مسائل الجاهلية» (ص٦٩): هذه المسألة ـ وهي الاستدلال بأن الضعفاء ليسوا على الحق، لو كانوا على حق ما صاروا ضعفاء ـ هذا ميزان أهل الجاهلية، في معرفة الحق من الباطل، ولا يعلمون أن القوة والضعف بيد الله سبحانه وتعالى، وأن الضعيف قد يكون على الحق وهو ضعيف، وأن القوي قد يكون على الباطل.

وهذا منطق قوم نوح لَمَّا دعاهم إلى الله: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١] يعني: الضعفاء منا، فلو كُنْتَ على حقٍ لاتبعك الأقوياء.

وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ أي: الذين ليس عندهم رأي، هم الذين اتبعوك، من غير رويَّة ومن غير تفكير.

وكذلك المشركون في عهد رسول الله ﷺ، كانوا يسخرون من ضعفاء المؤمنين، من بلال، وسلمان وعمار بن ياسر، وأبيه وأمه، ويسخرون من ضعفاء الصحابة، حتى إنهم قالوا: ما نجلس معك وهؤلاء عندك، اجعل لنا مجلسًا غير مجلسهم.

أراد ﷺ أن يجعل لهم مجلسًا خاصًا، فعاتبه الله ﷻ بقوله: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ * وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام:٥٢ ـ٥٣].

وقوله: ﴿أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ هؤلاء: يعنون ضعفاء الصحابة، لا يمكن أن يسبقونا إلى الخير، ﴿لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

ومثلهم الآن: الذين يصفون العلماء بأنهم ما عندهم رأي ولا تفكير، وأن نظرهم قريب، وعندهم تحجُّر، وعندهم شدة، إلى آخر ما يقولون.

والشيخ رحمه الله ما كتب هذه المسائل للتاريخ، وإنما كتبها للتحذير، بأن يُحذر هذه الأمـور؛ لأنها من أمور الجاهلية.اهـ

قلت: وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ـ في سؤال هرقل لأبي سفيان ـ: أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم، فقال له هرقل: سألتُك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، رواه البخاري برقم (٧) ومسلم (١٧٧٣).

ولعلَّ من السرَّ في اتِّباع ضعفاء الناس للأنبياء والرسل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٤ ـ٣٥].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٣ – ٢٥]، والله أعلم.



تحريم رد الحق بحجة أنه لم يَسبِق إليه كبار القوم وساداتهم

قال الله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾** [الأحقاف: ١١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٢٧٨): قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه. يعنون بلالا وعمارا وصُهَيبا وخبابا وأشباههم، وأقرانهم من المستضعفين والعبيد والإماء.

وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية.

وقد غلطوا في ذلك غلطا فاحشا، وأخطئوا خطأ بينا، كما قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾** [الأنعام: ٥٣] أي: يتعجبون: كيف اهتدى هؤلاء دوننا؛ ولهذا قالوا: **﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾**.

وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرا لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلَّا وقد بادروا إليها.اهـ

تحريم رد رسالة الرسل بحجة أنهم بشر مثلنا

قال الله تعالى مخبرًا عن قول قوم نوح عليه السلام له: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ [هود:٢٧].

وقال الله تبارك وتعالى مخبرًا عن قول جماعة من الأمم لرسلهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم:١٠]، وغيرها من الآيات.

قال العلامة صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ في «شرح مسائل الجاهلية» (ص٧٨): المشركون لما كذبوا الرسل، قالوا: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم:١٠]، واستدلوا ببشريَّتهم على عدم صحة رسالتهم؛ لأن الرسالة لا تصح في البشر بزعمهم.

وهذا قياس باطل، لأنه قياس مع الفارق؛ لأن الرسل فضلهم الله على غيرهم، واصطفاهم واختارهم، وهو أعلم سبحانه وتعالى بحالهم وصلاحهم للرسالة، ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٧٥]، ولهذا لما قالوا لرسلهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

تقول الرسل: الله فضّلنا بأنه منّ علينا واختارنا للرسالة، فقياسكم قياس مع الفارق؛ لأن البشر لا يستوون، وليسوا على حد سواء، منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم الرسل والعلماء والصالحون، ومنهم الجهال والكفار والفساق، فالبشر يتفاوتون، فهناك فارق، والقياس مع الفارق يكون باطلاً؛ لأن هذا من قوادح القياس عند الأصوليين.

بل الحكمة تقتضي أن يكون الرسول إلى البشر بشرًا مثلهم؛ من أجل أن يُبيِّن لهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٥].



فالرسول يكون من جنس المُرسَل إليهم؛ من أجل تبليغ الرسالة، والحكمة تقتضي أن يكون رسول البشر من البشر، ولو كان الذين يعيشون على وجه الأرض ملائكة، لأرسل إليهم من جنسهم ملكًا.

ومن عجائب انتكاس هؤلاء: أنهم يستبعدون الرسالة في البشر، ولا يستبعدون أن تكون العبودية للحجر! فلا يستبعدون أن تكون الربوبية والإلهية للأحجار والأشجار، ومع هذا يستبعدون ويستنكرون أن تكون الرسالة في البشر، وهذا القياس الباطل عليه سائر أئمة الكفرة من قوم نوح وغيرهم، ينكرون رسالة الرسل لأنهم بشر، فقوم نوح وغيرهم، ينكرون الرسل لأنهم بشر، فقوم نوح قالوا: ﴿**مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ**﴾ [المؤمنون:٢٤ـ٢٥]، كذلك غيرهم، فقريش قالوا في حق محمد ﷺ: ﴿**أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا**﴾ [القمر:٢٥].

فهذه قاعدة مطردة عند الكفار، وهي القياس الفاسد...، والقياس الصحيح الذي تقتضيه الحكمة والفطر السليمة؛ أن المُرسل يكون من جنس المرسل إليهم، لا من جنس آخر.اهـ بتصرف يسير.

تحريم رد الحق بدعوى البلادة وقلة الفهم أو أنهم في غنًا عنه

قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله في «مسائل الجاهلة»: المسألة الخامسة عشرة: اعتذارهم عن إتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم، كقوله: ﴿**قُلُوبُنَا غُلْفٌ**﴾ [البقرة:٨٨]، ﴿**يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ**﴾ [هود:٩١]، فأكذبهم الله، وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم، والطبع بسبب كفرهم.اهـ

قال العلامة صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ في «شرح مسائل الجاهلية» (ص٨٧): أي: اعتذروا عن قبول الحق بأنهم لا يفهمونه، كما ذكر الله سبحانه وتعالى عن اليهود، لّما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم للإسلام، قالوا: ﴿**قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة:٨٨].

﴿**غُلْفٌ**﴾ يعني: عليها غلاف، لا يصل إليها كلام الرسول، ولا تطمئن قلوبهم إلى كلامه، فاتخذوا هذا حجة في تكذيب الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هذا هو المعنى المشهور للآية.

والمعنى الثاني: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ**﴾ يعني: أنها مملوءة من العلم، فلسنا بحاجة إلى كلام أحد، فليسوا ـ بزعمهم ـ بحاجة إلى الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فالله جل وعلا يبيّن أن العلة ليست ما يقولون، بل العلة أن الله لعنهم بسبب كفرهم، يعني: طَرَدَهُم وأبعدهم عن رحمته، فصاروا لا يقبلون الحق بسبب كفرهم.

فالباء سببية، فصاروا لا يفقهون قول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعبأون به؛ لأن الله صرفهم عقوبة لهم، كما قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ [الصف:٥]، فمن لم يقبل الحق ابتلاه الله بالباطل، وصار بعد ذلك لا يقبل الحق، لأنه يفسد قلبه، والعياذ بالله، كما قال تعالى: ﴿**بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة: ٨٨].

وقال: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً * وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ**﴾ [النساء: ١٦٠ـ ١٦١]،



هذا في اليهود، وقولهم: ﴿**قُلُوبُنَا غُلْفٌ**﴾ هذا ليس صحيحًا، وإنما الله صرفها؛ عقوبة لهم، وإلا أصل القلب أنه على الفطرة، يقبل الحق بفطرته، لكن إذا فسدت الفطرة صار لا يقبل الحق، مثل الأرض إذا فسدت وصارت سبخة، فإنها لا تنبت؛ لأنها فسدت، كذلك القلب إذا فسد صار لا يقبل الحق.

وكذلك قوم شعيب عليه الصلاة والسلام، مع أنه أفصح الأنبياء وأبينهم خطابًا، حتى لُقِّبَ بخطيب الأنبياء؛ لقوة فصاحته وتأثيره، وبلاغة كلامه عليه الصلاة والسلام، ومع هذا ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾ [هود:٩١]، فهم لا يفقهون كلام شعيب؛ لأن الله ﷻ طمس على قلوبهم، مثل ما حصل لبني إسرائيل، وهذه سنة الله جل وعلا، أن من تكبر عن الحق ولم يقبله إذا بلغه، فإنه يُبتلى بفساد القلب؛ عقوبة له.

وكذلك كفار قريش، ماذا قالوا للرسول ﷺ؟ ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**﴾ [فصلت:٥].

فالكفار طريقتهم واحدة، يقابلون دعوات الرسل بأنهم لا يفهمون كلامهم، هل هذا لقصور في بلاغ الرسل؟ لا، لكن لقصور في استعدادهم بسبب كفرهم وإعراضهم وعدم التفاتهم وعدم رغبتهم في الخير.اهـ

النهي عن إنكار المسح على الخفين

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٣/ ٢٣): قال بعضهم: أراد بقوله: ﴿وَأَرْجُلَكُم﴾ المسح على الخفين، كما رُوي أن النبي ﷺ كان إذا ركع وضع يديه على ركبتيه(١)، وليس المراد منه أنه لم يكن بينهما حائل، ويُقال: قبّل فلان رأس الأمير ويده، وإن كانت العمامة على رأسه، ويده في كمه.اهـ

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: أنه مسح على الخفين، وأن عبد الله بن عمر سأل عمر عن ذلك، فقال: نعم، إذا حدثك شيئًا سعدُ عن النبي ﷺ، فلا تسأل عنه غيره، رواه البخاري برقم (١٩٩).

وعن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ: أنه خرج لحاجته، فأتبعه المغيرة بإداوة فيها ماء، فصب عليه حين فرغ من حاجته، فتوضأ، ومسح على الخفين، رواه البخاري برقم (٢٠٠).

وعن عمرو بن أمية الضمري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه رأى النبي ﷺ يمسح على الخفين، رواه البخاري برقم (٢٠١).

وعن همام بن الحارث قال: رأيتُ جرير بن عبد الله بَالَ، ثم توضأ، ومسح على خفيه، ثم قام فصلى، فسُئُل، فقال: رأيتُ النبي ﷺ صنع مثل هذا، فقال إبراهيم: كان يعجبهم؛ لأن جريرًا كان آخر من أسلم، أخرجه البخاري برقم (٣٨٠)، ومسلم (٢٧٢).

---

(١) رواه مسلم برقم (٥٣٤).



وفي رواية لمسلم برقم (٦٤٥)، عن همام قال: بال جرير، ثم توضأ ومسح على خفيه، فقيل: تفعل هذا؟، فقال: نعم رأيتُ رسول الله ﷺ بال ثم توضأ، ومسح على خفيه.

قال إبراهيم: كان يعجبهم هذا الحديث؛ لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كنت مع النبى ﷺ فانتهى إلى سباطة قوم فبال قائمًا، فتنحيت، فقال: «**أُدنه**»، فدنوت حتى قمت عند عقبيه، فتوضأ فمسح على خفيه، رواه مسلم برقم (٦٤٧)، وأصله في «الصحيحين».

وقال الطحاوي رحمه الله في «عقيدته» ـ الفقرة التاسعة والأربعون ـ: ونرى المسح على الخفين، في السفر والحضر، كما جاء في الأثر.اهـ

قال ابن أبي العز رحمه الله في «شرح الطحاوية» (١/ ٢٥٧): تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة.اهـ

ولابن أبي العز رحمه الله عقب كلامه السابق كلامًا نفيسًا، يُراجع للفائدة.

وإجماع أهل العلم قائم على شرعية المسح على الخفين، عند علماء وعوام المسلمين أجمعين، سِوى من تقدم ذكرهم. راجع لمعرفة ذلك كتب الفقه، نسأل من الله الفقه والسداد في الدين.

تنبيه:

أدخل العلماء هذه المسألة في باب العقيدة؛ لأن إنكارها والعمل بضدها مع تواتر ثبوت أدلتها صارا عَلَمًا لبعض أهل البدع، والله أعلم.

تحريم تقليد الآباء والأجداد ونحوهم وأنه رغوبٌ عن الدليل واتباعُ لمن ليس بحجَّةٍ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥ـ١٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ـ٦٨].

وفي «صحيح البخاري» ـ تحت الحديث (٧٠٩٢) ـ: **قال الزهري** رحمه الله: من الله الرسالة، وعلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم البلاغ، وعلينا التسليم.اهـ

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (١/ ٧): قال أبو عمر ـ ابن عبد البر رحمه الله ـ وغيره من العلماء: أجمع الناس: على أن المقلد ليس معدودا من أهل العلم، وأن العلم



معرفة الحق بدليله، وهذا كما قال أبو عمر رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإن الناس لا يختلفون: أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد.اهـ

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «مسائل الجاهلية»: المسألة الرابعة: أن دينهم مبني على أصول: أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار من الأولين والآخرين... إلى غير ذلك، مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في ربقة التقليد، لا يُحكِّمون لهم رأيًا، ولا يُشغِلون فكرًا؛ فلذلك تاهوا في أودية الجهالة، وهكذا كل من سلك مسلكهم في أي عصر كان.اهـ

وكان شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول**: لا يقلدني إلا ساقط، ولوكنا مقلدين لقلدنا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي... .اهـ

ولابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تلبيس إبليس» كلامًا نفيسًا حول التقليد يُراجع للفائدة.

وفي الفصل الآتي مزيد أدلة وبيان إن شاء الله تعالى.

تتمة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٢٠٤): والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد، فأمَّا القادر على الاجتهاد فهل يجوز له التقليد؟ هذا فيه خلاف والصحيح: أنه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد: إما لِتكافؤ الأدلة، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإما لعدم ظهور دليل له؛ فإنه حيث عجز سقط عنه وجوب ما عَجِزَ عنه، وانتقل إلى بدله وهو التقليد.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في (٢٠/ ٢٢٥): وأمَّا من كان عاجزًا عن معرفة حكم الله ورسوله، وقد اتَّبع فيها من هو من أهل العلم والدين، ولم يتبين له أن قول غيره أرجح من قوله، فهو محمود يُثاب لا يذم على ذلك ولا يعاقب.اهـ

فصلٌ: في ذكر بعض ما قلّد به المشركون أهل الكتابين وغيرهم ممن سبقهم:

١ ـ زعم الولد لله تعالى: قال الله تعالى عن أهل الكتابين: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠ ـ ٣١].

وقال الله تعالى عن المشركين: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

٢ ـ التطيُّر بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: قال الله تعالى في أهل الكتاب: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ٥٦٩): لم يسلم نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من هذه التهمة، التي لا تصدر إلا من جاهل بأمر القضاء والقدر، مُبتلاً بتكذيب الرسل، أو جاهل من جهال المسلمين، قال الله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٨ ـ ٧٩].اهـ

٣ ـ كُفران النعم: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا



أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٤٩ـ ٥١].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ١٠٥): قوله: ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: قد قال هذه المقالة، وزعم هذا الزعم، وادعى هذه الدعوى، كثير ممن سلف من الأمم، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: فما صح قولهم ولا مَنَعَهُم جَمْعُهم وما كانوا يكسبون.اهـ

٤ ـ اتباع سير الآباء والأجداد: قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٠ ـ ٢٥].

٥ ـ الاحتجاج بما لا دليلهم فيه: قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

٦ ـ الكذب على أنفسهم، واتهامها بالطبع عليها والبلادة: قال الله تعالى مخبرا عن أهل الكتاب: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

وقال تعالى عن المشركين: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصلت: ١ـ ٥].

٧ ـ **اتهام أنبياء الله ورسله ـ صلوت الله وسلامه عليهم ـ بالسحر**: قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٢ـ ٥٣].

وقال الله تعالى مخبرًا عن قوم موسى لموسى عليه السلام: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

وقال تعالى عن المشركين: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص:٤].

٨ ـ **التعصب للآلهة الباطلة**: قال الله تبارك وتعالى مخبرًا عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٣ ـ ٢٤].

وقال عن المشركين: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤١ ـ ٤٢].

وقال تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: ٥ـ ٧]. وغير هذا الكثير، والله المستعان وهو أعلم.

تحريم رد السنة والاكتفاء بالقرآن

قال الله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم:١-٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٤٤٢): قوله: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾: هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه بار راشد تابع للحق، ليس بضال، بل هو صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد؛ ولهذا قال: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾: أي: ما يقول قولًا عن هوى وغرض، ﴿**إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾: أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملًا موفَّرًا من غير زيادة ولا نقصان.اهـ

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنت أكتب كل شيءٍ أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشر يتكلم في الغضب، فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: «**اكتب، فوالذي نفسي بيده: ما خرج مني إلا حق**»، رواه أحمد برقم (٦٥١٠)، وأبو داود (٣٦٤٦)(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إنك تداعبنا يا رسول الله؟ فقال: «**إني لا أقول إلاَّ حقًا**»، رواه أحمد برقم (٨٧٠٨)، والترمذي (١٩٩٠)، **وقال**: هذا حديث حسن صحيح.اهـ(٢).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» (١٥٣٢)، و«الصحيح المسند» (٧٩٤)، و«تحقيق المسند» (١١/ ٥٨).

(٢) **حسنٌ**: ذكر الحافظ رحمه الله في «الفتح» ـ تحت الحديث (٥٧٧٨) ـ: تحسين الترمذي له، وأقره.

=

والسنة مثل القرآن في الحرمة والحفظ من التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان: لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

ولقوله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه**»، رواه أحمد برقم (١٧١٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٦)، عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه(١).

وقال حسان بن عطية رحمه الله: كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن، رواه أبو دواد في «المراسيل» برقم (٣٦١)، والدارمي في «مسنده» (٦٠٨).

ورادُّ السنة الصحيحة على شَفَا هلكة: قال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله: من بلغه عن رسول الله ﷺ خبرٌ، يُقرُّ بصحته، ثم رده بغير تقية فهو كافر.اهـ

وقال الإمام الشافعي رحمه الله في «الرسالة» (ص١٤٥): وكيف لا نُؤمن بالسنة، فإن الرد للسنة إنكارًا لرسالته ونبوته ﷺ، ورد لما في القرآن من أحكام، وبهذا يُترك معظم القرآن؛ لأنه يصير رموز لأشياء ما طبِّقت على مرأى ومسمع من صاحب هذا الفكر الخبيث، فيبقى كل واحد يطبق على حسب ما فهم، ويبقى الناس في هرج ومرج من أمورهم الدينية والدنيوية؛ لأن بعض الآيات مجملة مثل: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فيرى أنه مخيَّر في كل شيء من أمور الدين، وخلاصة ذلك: هو أن يصير الناس صير البهائم اهـ

وقال العلامة ابن الوزير رحمه الله في «العواصم والقواصم» (٢/ ٢٧٤): التكذيب لحديث رسول الله ﷺ، مع العلم أنه حديثه؛ كفرٌ صريح.اهـ

= **وقال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٨/ ٥٧٨): إسناده حسن.اهـ وراجع: «صحيح الأدب» برقم (٢٠٠)، و«تحقيق المسند» (١٤/ ١٨٥).

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح تخريج المشكاة» برقم (٢٤)، و«تحقيق المسند» (٢٨/ ٤١١).



وقال الإمام السيوطي رحمه الله في «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة» (ص١٤): اعلموا رحمكم الله: أنَّ مَن أنكر كون حديث النبي ﷺ قولًا كان أو فعلًا ـ بشرطه المعروف في الأصول ـ حجة كفر، وخرج عن دائرة الإسلام، وحُشر مع اليهود والنصارى، أو من شاء من فرق الكفرة.اهـ

وفي «فتاوى اللجنة الدائمة» ـ المجموعة الثانية ـ (٣/ ١٩٤): الذي يُنكر العمل بالسنة يكون كافرًا؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين.اهـ

والسنة موضحة للقرآن: قال الله تعالى لنبيه: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ**﴾ [النساء: ١٠٥]. وقاله ـ أيضًا ـ: ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [النحل: ٦٤].

ومن ذلك: عدد الصلوات في اليوم والليلة، وعدد ركعاتها وسجداتها، والأذان والإقامة لها، وكيفية صيام رمضان، وأنصبة الزكاة، وغيرها الكثير من أمور الدين.

ومما يُلزم به صاحب هذا القول: هو الردّ للقرآن ـ أيضًا ـ؛ لمجيئه بواسطة من جائنا بالحديث عن النبي ﷺ، بل إنَّ من السنة أحاديث، بلغت في تواترترها مبلغ القرآن، كما نص على ذلك جمع من الأئمة الأعلام.

فالله أعلم بمآرب القوم وأسرارهم؛ لأن بردهم للسنة الثابتة ردٌ لكثيرٍ من أمور الدين، ولهذا الرد احتمالات عِدَّة ـ الهوى، أو الكسل، أو الرغوب، أو غيرها، ولا يقوله ويعتقده من يخاف الله جل وعلا، والله المستعان، وهو أعلم.

فصلٌ: في بيان منزلة السنة من القرآن وذكر بعض الصور الدالة على ذلك:

قال الله تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١ ـ ٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]. وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله في «الرسالة» الفقرة (١٤٧): ويَعْلمون أن اتِّباعَ أمْره ﷺ طاعةُ الله، وأنَّ سُنَّتَه تَبعٌ لكتاب الله فيما أنْزَلَ، وأنها لا تُخالف كتاب الله أبدًا.اهـ

وقال ـ أيضًا ـ رحمه الله: فقرة (٦٠٦ـ ٦٥٥): أقام الله على خلقه الحجة من وجهين: أصلها في الكتاب ـ كتابه ـ، وسنة نبيه بفرضه في كتابه اتباعها.اهـ

وروى مسلم برقم (٦٠)، عن أبي السوار، أنه سمع عمران بن حصين رضي الله عنه يُحدِّثُ، عن النبي ﷺ أنه قال: **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**، فقال بشير بن كعب: إنه مكتوب في الحكمة: أن منه وقار، ومنه سكينة، فقال عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتحدثني عن صحفك.

وعن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء، في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت وما



يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ: **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»**، رواه البخاري برقم (٨٥٨)، ومسلم (٤٤٢).

وعن سالم بن عبدالله بن عمر، أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تمنعوا نسائكم المساجد إذا استأذنَّكم إليها»**، فقال بلال بن عبدالله: والله لنمنعُهُنَّ. قال: فأقبل عليه عبدالله، فسبه سبًا سيئًا ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعُهُنَّ، رواه مسلم برقم (٤٤٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أراهم سيَهْلِكون، أقول: قال النبي ﷺ، ويقول: نهى أبو بكر وعمر، رواه أحمد (١/ ٣٣٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» برقم (٢٣٧)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٣٧٩).

فكيف لو رأى ابن عباس الذين يعارضون السنة الثابتة، والحجة الواضحة بالهوى.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ .الفتنة: الشرك، لعله إذا رَدَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك، رواه عن أحمد الفضل بن زياد، وأبو طالب، ولعله في كتاب «طاعة الرسول ﷺ» لأحمد رحمه الله.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: يا أحمد إذا صح الحديث عندك فأخبرنا نعمل به.

وفي «طبقات الحنابلة» (١/ ١٦٧)، عن ابن بطة أنه قال: سمعت أبا بكر بن أيوب يقول: سمعت إبراهيم الحربي يقول: وسئل عن فسخ الحج إلى العمرة، فقال: سلمة بن شبيب لأحمد: كل شيء منك حسن غير خلة واحدة. قال: وما هي؟ قال: تقول بفسخ الحج إلى العمرة. **قال أحمد**: كنت أرى لك عقلًا، عندي ثمانية عشر حديثًا صحاحًا، أتركها لقولك.اهـ

بطلانِ قول القائل: لا اعتبار بالسنة إلا بالتواتر:

هذ القول مخالف لعموم قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩].

فقد قال جمع من أهل العلم ـ منهم العلامة العثيمين ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ: هذه الآية عامة في الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ.

ومما يؤيد القول بشموليتها، للكتاب والسنة الثابتة عنه ﷺ: قوله تعالى في كل ما جاء به النبي ﷺ عمومًا، وفي سنته ﷺ خصوصًا: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم:١ـ٤].

وقوله ﷺ: «**ألا إني أُوتيت الكتاب، ومثله معه**»، رواه أحمد برقم (١٧٦٣٧)، وأبو داود (٤٦٠٦)، عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه(١).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قالوا يا رسول الله: إنك تداعبنا. فقال رسول الله ﷺ: «**إني لا أقول إلا حقًا**»، رواه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٢٦٥)، وأحمد (٨٧٠٨)، والترمذي (١٩٩٠)، **وقال**: هذا حديث حسن صحيح.اهـ(٢).

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: كنت أكتبُ كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح تخريج المشكاة» برقم (٢٤)، و«تحقيق المسند» (٢٨/ ٤١١).

(٢) **حسنٌ**: ذكر الحافظ رحمه الله في «الفتح» ـ تحت الحديث (٥٧٧٨) ـ: تحسين الترمذي له، وأقره.

وقال الهيثمي رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٨/ ٥٧٨): إسناده حسن.اهـ وراجع: «صحيح الأدب» برقم (٢٠٠)، و«تحقيق المسند» (١٤/ ١٨٥).

الغضب، فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما خرج مني إلا حق**»، رواه أحمد (٢/ ١٦٢)، وأبو داود برقم (٣٦٤٦)(١).

فمن سلَّم في حفظ الله للقرآن، ولم يُسلِّم في حفظه للسنة الصحيحة الثابتة، فإنه على شفى هلكة، وعلى شقاقٍ لله ولرسوله ﷺ؛ لما تقدم من الأدلة، والله أعلم.

ثم إن هذا الفعل ـ وهو عدم الأخذ في باب العقيدة خصوصًا، وغيره عمومًا بأحاديث الآحاد ـ: مخالف لسير عامة المسلمين، فما زل المسلمون قديمًا وإلى يومنا هذا، وهم يُصدقون بخبر العدل الواحد، في الأذان، ورؤية هلال رمضان، وغيرها من أحكام شريعة الإسلام.

وقد عاد ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه، بمفرده إلى قبيلته بالإسلام، ودعاهم إليه، فأطاعوه وهم أعراب، فكيف بمن قد جلس إلى العلماء؟!!.

وكذا معاذ بن جبل رضي الله عنه، بعثه رسول الله ﷺ فردًا إلى أهل اليمن، يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا، وكذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وغيرهما ممن أرسلهم رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام إلى بُلدانٍ شتى، ممن فتح الله بهم قلوب العباد.

بل كتابه ﷺ إلى هرقل وصاحبه، كُتاب فردا، حمله فرد، صدَّقا به، ولم يُوفقا للعمل به.

وهكذا في كل عقدٍ وقرنٍ وعصرٍ، لا يزال الملوك والأمراء والسلاطين وغيرهم، يقبلون ويستعملون الآحاد والمفردات ـ بل هي سارية جارية مصدَّقة عند خلق الله أجمعين، سوى جماعة يسيرة، قبلوا الآحاد والمفردات في كل شيء إلا في أمور الدين، فما بالُ الرأي يُحدثُ في أهله مثل هذه التُرهات، التي تخالف إجماعات المسلمين، في مآتٍ من مسائل الدين.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٥٣٢)، و«الصحيح المسند» (٧٩٤)، و«تحقيق المسند» (١١/ ٥٨).

علمًا: أنهم لا يقدرون على اشتراط ذلك في كل شيء، فكم يُصدِّقون من أحادٍ ومفردات، وكم يتعاملون بذلك في أنفسهم وأهليهم وأموالهم، فالله أعلم بمآربهم ومقاصدهم، وهو حسبنا وحسبهم ونعم الوكيل.

وقد نَقل الإمام ابن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمهما الله تعالى ـ الإجماع: على أن هذا الرأي الشاذ لم يكن في القرون المفضلة(١)، وإنما أُحدث بعد موتهم، فخير الهدي هديهم؛ لأنهم تلامِذةُ رسول الله ﷺ، وتلامذةُ تلامذتِه، وما سوى هديهم، قال الله فيه: **﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [البقرة: ١٣٧].

وقال: **﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** [النساء: ١١٥].

وشرع لنا في كل ركعة أن نقول: **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة: ٦ـ ٧].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «اختصار علوم الحديث» (ص٤٦): وقفتُ بعدُ على كلام لشيخنا العلامة ابن تيمية رحمه الله، مضمونه: أنه نقل القطع بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول، عن جماعات من الأئمة: منهم القاضي عبد الوهاب المالكي، والشيخ أبو حامد الاسفرائيني، والقاضي أبو الطيب الطبري، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي من الشافعية، وابن حامد، وأبو يعلى بن الفراء، وأبو الخطاب، وابن الزاغوني، وأمثالهم من الحنابلة،

---

(١) راجع كلامهما من: «الإحكام في أصول الأحكام» (١/ ١١٩ ـ ١٣٧)، و«اختصار علوم الحديث» (ص٤٥ ـ ٤٦).



وشمس الأئمة السرخسي من الحنفية، وهو قول أكثر أهل الكلام من الأشعرية وغيرهم: كأبي إسحاق الاسفرائيني، وابن فورك. قال: وهو مذهب أهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة. **ثم قال ابن كثير** رحمه الله: وهو معنى ما ذكره ابن الصلاح استنباطاً، فوافق فيه هؤلاء الأئمة.اهـ

قلت: وقد أفرد الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» كتابًا أسماه: (كتاب أخبار الآحاد)، أودع فيه أكثر من عشرين حديثًا، مُحلَّاة بآثارٍ عن الأئمة الأعلام، كما أن لفضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي ـ حفظه الله ـ جزءً في هذا الباب، أسماه: «حُجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام»، فيُراجع للمُراد، والله الهادي الموفِّق إلى كل صواب.

تتمة: في ترك المجاز ـ وأنه سُلّمُ المبتدعة لنفي الأسماء والصفات ـ:

قال العلامة العثيمين رحمه الله في «الأصول من علم الأصول» (ص١٧): تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز، هو المشهور عند أكثر المتأخرين، في القرآن وغيره.

وقال بعض أهل العلم: لا مجاز في القرآن.

وقال آخرون: لا مجاز في القرآن ولا في غيره، وبه قال أبو إسحاق الإسفراييني، ومن المتأخرين العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم: أنه اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة، ونصراه بأدلة قوية كثيرة، تُبيِّن لمن اطلع عليها أن هذا القول هو الصواب.اهـ(١).

وللعلامة الشنقيطي رحمه الله رسالة بعنوان: (منع المجاز في المنزَّل للتَّعبد والإعجاز).

---

(١) راجع: «إعلام الموقعين» (٣/ ٢٣٧)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (١/ ٧٨)، و«الصواعق المرسلة» (١/ ٣٢٤)، و«بدائع الفوائد» (١/ ٢٠)، وغيرها.

النهي عن ترك الجهاد الشرعي في سبيل الله عز وجل

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٣٨ـ٤١].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم»**، رواه أحمد برقم (٣١٢٤)، وأبو داود (٢٥٠٤). وابن حبان (١٦١٨)، وعنده وأحمد في رواية: «**وأيديكم**» بدل: «**أنفسكم**»، ورواه الحاكم (٢٨١)، **وقال**: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.اهـ(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه؛ مات على شعبة من نفاق»**، رواه مسلم برقم (١٩١٠).

---

(١) **صحيحٌ**: وقد وافق الحاكمَ الذهبيُّ، وصححه ابن حبان، وأقره الحافظ رحمه الله، في «الفتح» ـ تحت رقم (٥٧٩٨) ـ، وراجع: «صحيح أبي داود» برقم (٢٢٦٢)، و«تحقيق المسند» (١٩/ ٢٧٢)، والله أعلم.



وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**، رواه أحمد برقم (٤٨٢٥)، وأبو داود (٣٤٦٢)(١).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده، وذروة سنامه؟** فقلت: بلى يا رسول الله. قال: «**رأس الأمر وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**»، أخرجه أحمد برقم (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، **وقال**: حسن صحيح.اهـ(٢).

هذا وقد نص غير واحد من أهل العلم: أن على وليِّ أمر المسلمين، تخصيص مالٍ للجهاد واحتياجاته، وأن يكون له في العام الواحد غزوة، فأكثر، والله المستعان وهو أعلم.

وأما فضائله وأحكامه، فمشهورة في مظانها، ليس هذا موضع بسطها، والله المستعان.

---

(١) **صحيحٌ لغيره: قال الحافظ** رحمه الله في «البلوغ» برقم (٨٤١): رواه أبو داود من رواية نافع عنه، وفي إسناده مقال، ولأحمد ـ برقم (٤٨٢٥) ـ: نحوه من رواية عطاء، ورجاله ثقات، وصححه ابن القطان.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (٢٩/ ٣٠): روى أحمد، وأبو داود بإسنادين جيدين، فذكره...اهـ

وقال المناوي رحمه الله كما في «جامع الأحاديث» (٣/ ٣٣٤): إسناد أحمد حسن.اهـ

قلت: وهو في «صحيح الجامع» برقم (٤٢٣)، والله أعلم.

(٢) **قال العلامة الألباني** رحمه الله في «الصحيحة» (٤/ ١٠٣): قد أعله المنذري وغيرُه بالانقطاع، وشرح ذلك العلامة ابن رجب في «جامع العلوم» (ص١٩٥)، لكن الحديث صحيحٌ بمجموع طرقه.اهـ

وقال الشيخ الأرناؤوط رحمه الله في «تحقيق المسند» (٣٦/ ٣٤٥): صحيحٌ بطرقه وشواهده، وهذا إسناد منقطع، أبو وائل ـ وهو شقيق بن سلمة ـ لم يسمع من معاذ، وعاصم بن أبي النجود صدوق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.اهـ

تحريم إنكار علامات الساعة الصغرى

وهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما قد وقع منها وهي كثيرة:

وأولها: بعثته ﷺ: فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى**»، رواه البخاري برقم (٤٦٥٢)، ومسلم (٢٩٥٠).

ومنها: انشقاق القمر: قال الله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ [القمر:١].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر، رواه البخاري برقم (٣٤٣٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

ومنها: موته ﷺ، وما ذكر في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه: **قال** رضي الله عنه: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم، فقال ﷺ: «**أُعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار، فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا**»، رواه البخاري برقم (٣٠٠٥).

ومنها: خروج نار فى أرض الحجاز: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببُصْرَى**»، رواه البخارى برقم (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

وبُصْرَى: بلد تُسمَّى حوران، فى ديار الشام.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فى «التذكرة» (ص٧١١): قوله: «**حتى تخرج نار من أرض الحجاز**»: فقد خرجت نار عظيمة، وكان بِدؤها زلزلة عظيمة، وذلك ليلة الأربعاء بعد العتمة، الثالث من جمادى الآخرة، سنة أربع وخمسين وستمائة إلى ضحى النهار يوم الجمعة، فسكنت، وظهرت النار بقرطبة عند قاع التنعيم بطرف الحرة، يحيط بها قرى في صورة البلد العظيم، كأعظم ما يكون البلدان عليها سور يحيط بها، عليه شرافات كشرافات الحصون، وأبراج ومآذن ويرى رجال يقودونها، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر، ونهر أزرق، له دوي كدوي الرعد، يأخذ الصخور والجبال بين يديه، وينتهي إلى البحرة، محط الركب العراقي، فأجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم، وانتهت النار إلى قرب المدينة، وكان يلي المدينة ببركة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نسيم بارد(١)، ويُشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر، وانتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقتها قال لي بعض أصحابنا: ولقد رأيتها صاعدة في الهواء، من جحر مسيرة خمسة أيام من المدينة.

قلت ـ القرطبي ـ: وسمعت أنها رُئيت من مكة، ومن جبال بصرى، من بعد هذه النار أخرى أرضية بحرم المدينة، أحرقت جميع الحرم، حتى إنها أذابت الرصاص التي عليها العمد، فوقعت ولم يبق غير السور واقفًا.اهـ

القسم الثاني: ما وقع منها ولم ينقض بعد وهي كثيرة:

منها: ما روى مسلم برقم (٢٨٩١)، عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مقامًا، ما ترك شيئًا يكون فى مقامه ذلك، إلى قيام الساعة إلا حَدَّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه.

---

(١) **قلت**: وفي هذا نظر، والله أعلم.

ومنها: إخباره ﷺ بفتنٍ كقطع الليل المظلم: روى مسلم برقم (١١٨)، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**».

ومنها: ما يتعرَّض له المسلم اليوم من الغربة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»، رواه مسلم برقم (١٤٥).

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيأتى على الناس زمان القابض فيه على دينه كالقابض على جمر بين يديه**»، رواه أبو داود برقم (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)(١).

ومنها: فتنة المال والنساء: قال الله تبارك وتعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران: ١٤].

وروى البخارى برقم (٦٤٢٥)، ومسلم (٢٩٦١)، عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا، فتنافسوها كما تنافس فيها من كان قبلكم، فتهلككم كما أهلكتهم**».

ومنها: رفع العلم وكثرة الجهل، وظهور الزنا، وشرب الخمر، وكثرة النساء، وقلة الرجال: روى البخارى برقم (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال

---

(١) **حسنٌ بشواهده: قال الألباني** رحمه الله في «صحيح وضعيف الترمذي» رقم (٣٠٥٨): ضعيف، لكن بعضه صحيح، انظر: الحديث المتقدم برقم (٢٣٦١)، و«الصحيحة» برقم (٥٩٤).اهـ

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، عند ابن أبي حاتم، في «تفسيره» برقم (٦٩٢٢)، ذكره العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» برقم (٢٢٣٤) وحكم عليه بالحسن. **قلت**: ويتقوَّى بها بعده ـ إن شاء الله ـ، والله أعلم.



رسول الله ﷺ: «**إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم ويظهر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد**».

ومنها: تقارب الزمان: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة الخوصة**»، أخرجه أحمد برقم (١٠٩٤٣)، والترمذي (٢٣٣٢)، **وقال** رحمه الله: هذا حديث صحيح.اهـ(١).

ومنها: إسناد الأمر إلى غير أهله: روى البخاري برقم (٥٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أعرابيًا قال يا رسول الله: متى الساعة؟ قال: «**إذا ضُيِّعت الأمانة؛ فانتظر الساعة**».

ومنها: تكلم السفيه في أمر العامة: ففي «مسند أحمد» برقم (٨٤٤٠)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أن أمام الدجال سنين خداعة، يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلم فيها الرويبضة**». قيل: وما الرويبضة؟. قال: «**الفويسق يتكلم في أمر العامة**»(٢).

ومنها: تداعي الأمم على أمة النبي ﷺ: عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟. قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله، وما

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٧٤٢٢)، و«الصحيح المسند» (١٤٣٩)، و«تحقيق المسند» (١٦/ ٥٥٠).

(٢) **حسنٌ**: راجع: «الصحيحة» (٧/ ٢٣٨)، و«الصحيح المسند» برقم (٣٣)، و«تحقيق المسند» (٢١/ ٢٥).

الوهن؟ قال: «**حب الدنيا، وكراهية الموت**»، رواه أحمد برقم (٢٢٣٩٧)، وأبو داود (٤٢٩٧)(١).

ومنها: ظهور صنفان من أهل النار: روى مسلم برقم (٢١٢٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسياتٍ عارياتٍ مميلات مائلات، رؤسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**».

القسم الثالث: علامات صغرى لم تقع بعد وهي كثيرة:

منها: حسر الفرات عن جبل من ذهب: روى مسلم (٢٨٩٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو**».

ومنها: ما روى البخاري برقم (١٣٤٥)، ومسلم (١٠١١)، عن حارثة بن وهب قال: سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**تصدقوا، فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته، فلا يجد من يقبلها يقول الرجل: لو جئتَ بها بالأمس لقبلتها، فأما اليوم فلا حاجة لي بها**».

ومن أهل العلم من قال: إن هذا قد وقع في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وقيل: قبله وقيل: غير ذلك، والله أعلم.

وفي الباب الكثير من علامات الساعة الصغرى، وإنما هذه إشارة، أنصح مُريد معرفتها بالرجوع إلى كتاب «النهاية» للحافظ ابن كثير رحمه الله، و«أشراط الساعة» للوابل، فإنه قيِّم في بابه، بترتيب بديع، وفق الله الجميع لما يحبهُ ويرضاه، والله أعلم.

---

(١) **حسنٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٩٥٦)، و«تحقيق المسند» (٣٧/ ٨٢).



تحريم إنكار علامات الساعة الكُبرى جملةً أو تفصيلًا

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»**، رواه مسلم برقم (٤١٧).

فصلٌ: في ذكر أسماء علامات الساعة الكبرى جملةً:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة، ونحن نتذاكر الساعة، فقال: **«لا تقوم الساعة حتى تَرَوْا عشر آيات: طُلوع الشمس من مَغْرِبها، والدُّخَان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خُسوف: خَسْف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قَعْر عَدَن تسوق وتحشر الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتَقيل معهم حيث قالوا»**، رواه مسلم برقم (٢٩٠١).

طلوع الشمس من مغربها:

وعن أبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير قال: جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالمدينة، فسمعوه يقول ـ وهو يحدث في الآيات ـ: إن أولها خروج الدجال. قال: فانصرف النفر إلى عبد الله بن عمرو، فحدثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات، فقال: لم يقل مَرْوان شيئًا قد حفظت من رسول الله ﷺ في مثل ذلك حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة ضحىً، فأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها»، ثم قال عبد الله ـ وكان يقرأ الكتب ـ: وأظن أولها خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فأذن لها في الرجوع، حتى إذا بدا الله أن تطلع من مغربها فعلت، كما كانت تفعل: أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع، فلم يرد عليها شيء، ثم تستأذنُ في الرجوع فلا يرد عليها شيء، ثم تستأذن فلا يرد عليها شيء، حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب، وعرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع لم تدرك المشرق، قالت: ربي ما أبعد المشرق من لي بالناس، حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع، فيقال لها: من مكانك فاطلعي، فطلعت على الناس من مغربها، ثم تلا عبد الله هذه الآية: ﴿**لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية، أخرجه مسلم برقم (٢٩٤١). وتقدم حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه أول الباب.

خروج دابة الأرض:

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ [النمل: ٨٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/ ٢١٠): هذه الدابة تخرج في آخر الزمان، عند فساد الناس وتَرْكِهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض ـ قيل: من مكة. وقيل: من غيرها. كما سيأتي تفصيله ـ فَتُكَلِّم الناس على ذلك.

قال ابن عباس، والحسن، وقتادة ـ ورُوي عن علي رضي الله عنه ـ: تُكلِّمُهم كلاما أي: تخاطبهم مخاطبة.

وقال عطاء الخراساني: تكلمهم فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون.



ويروى هذا عن علي، واختاره ابن جرير. وفي هذا القول نظر لا يخفى، والله أعلم.

وقال ابن عباس ـ في رواية ـ تَجْرَحُهم.

وعنه رواية، قال: كلًّا تفعل يعني: هذا وهذا، وهو قولٌ حسن، ولا منافاة، والله أعلم.

وقد ورد في ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة، فلنذكر ما تيسر منها، والله المستعان(١):

الأول: حديث حُذَيفة بن أسيد الغفاري ﵁ قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة، ونحن نتذاكر أمر الساعة، فقال: «**لا تقوم الساعة حتى تَرَوا عشر آيات**»: وذكر منها الدابة، ـ تقدم تخريجه، وذكره بطوله في أول الباب ـ.

الثاني: حديث عبد الله بن عمرو ﵄ قال: حَفظْتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضُحى، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريبًا**» ـ تقدم تخريجه، وذكره بطوله في أول الباب ـ أيضًا ـ.

الثالث: حديث أبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة**»، رواه مسلم برقم (٢٩٤٧).

وفي لفظٍ له ـ أيضًا ـ (٢): عنه ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخُويّصة أحدكم**».

---

(١) ساق ﵀ جملة من الأحاديث والآثار، ما بين صحيح وحسن وضعيف، اكتفيت منها بذكر ما يُستشهد به، وحذفت ضده، والله المستعان، وهو أعلم.

(٢) عقب الرقم السابق.

الرابع: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، ودابة الأرض، والدجال، وخُوَيّصة أحدكم، وأمر العامة»**، رواه ابن ماجه برقم (٤٠٥٦)(١).

الدخان وأنه لم يقع بعد:

قال الله تعالى: ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [الدخان: ١٠ـ ١١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٢٤٦): روى البخاري برقم (٤٨٢٠)، ومسلم (٢٧٩٨)، عن مسروق قال: دخلنا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ عند أبواب كندة، فإذا رجل يقص على أصحابه: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ**﴾ تدرون ما ذلك الدخان؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام. قال: فأتينا ابن مسعود، فذكرنا ذلك له، وكان مضطجعًا ففزع فقعد، وقال: إن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ: ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾ [ص:٨٦]، إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، سأحدثكم عن ذلك، إن قريشًا لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله ﷺ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء، فلا يرون إلا الدخان.

---

(١) **قال البوصيري** رحمه الله في «الزوائد» (٣/ ٢٥٦): هذا إسناد حسن، سنان بن سعد مختلف فيه وفي اسمه.اهـ **وقال الألباني** رحمه الله في «صحيح وضعيف ابن ماجة» (٩/ ٥٦): حديث حسن صحيح.اهـ



وفي رواية: فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فَأُتِيَ رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله، استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، فاستسقى لهم فَسُقُوا، فأنزل الله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ قال: ابن مسعود: فيكشف العذاب عنهم يوم القيامة، فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾، قال: يعني يوم بدر.

قال ابن مسعود: فقد مضى خمسة: الدخان، والروم، والقمر، والبطشة، واللِّزام.

ثم قال ابن كثير رحمه الله: ورواه أحمد، والترمذي، والنسائي، والطبري، وابن أبي حاتم(١)، من طرق متعددة، عن الأعمش، به، وقد وافق ابن مسعود على تفسير الآية بهذا، وأن الدخان مضى، جماعة من السلف، كمجاهد، وأبي العالية، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وعطية العوفي، وهو اختيار ابن جرير.

وقال آخرون: لم يمض الدخان بعد، بل هو من أمارات الساعة، كما تقدم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه ـ تقدم بتمامه أول الباب ـ.

وروى ابن أبي حاتم(٢)، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«يهيج الدخان بالناس، فأمَّا المؤمن فيأخذه كالزكمة، وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه»**.

ورواه سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي سعيد الخدري موقوفًا.

---

(١) أحمد برقم (٣٦١٣)، والترمذي (٣٢٥٤)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٨١)، والطبري (٢٥/ ٦٦).

(٢) في «تفسيره» (١٢/ ٢١٤).

وروى سعيد بن عوف، عن الحسن مثله(١).

وروى ابن جرير(٢)، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن ربكم أنذركم ثلاثا: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة الدجال»**.

ورواه الطبراني، في «الكبير»(٣)، عن هاشم بن يزيد، عن محمد بن إسماعيل بن عياش، به، وهذا إسناد جيد(٤).

وروى ابن أبي حاتم(٥)، عن علي رضي الله عنه قال: لم تمض آية الدخان بعد، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وتنفخ الكافر حتى ينفذ(٦).

---

(١) والحسن لم يسمع من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قاله المحقق، والله أعلم.

(٢) في «تفسيره» (٢٥/ ٦٨).

(٣) (٣/ ٢٩٢).

(٤) **قال المحقق ـ ط: طيبة ـ**: قول ابن كثير: هذا إسناد جيد مُتعقَّب، فإن لهذه النسخة ثلاث علل:

الأولى: محمد بن إسماعيل بن عياش. قال أبو حاتم: لم يسمع من أبيه شيئًا، حملوه على أن يُحدث فحدث.اهـ

الثانية: ضمضم بن زرعة، ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن معين، ومحمد بن إسماعيل بن عياش. قال أبو داود: لم يكن بذاك.اهـ

الثالثة: شريح بن عبيد، قد تُكلم في سماعه من أبي مالك الأشعري. قال أبو حاتم: شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري مرسل.اهـ

(٥) في «تفسيره» (١٢/ ٢١٥).

(٦) فيه الحارث الأعور، حُكم عليه بالكذب، والله أعلم.



وروى ابن جرير(١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: يخرج الدخان، فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق، حتى يكون كالرأس الحنيذ، أي: المشوي على الرَّضف.

وروى ـ أيضًا ـ(٢)، عن ابن أبي مليكة أنه قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم، فقال: ما نمتُ الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: قالوا طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت.

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما، التي أوردناها مما فيه مقنع، ودلالة ظاهرة: على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن.اهـ كلام ابن كثيرٍ رحمه الله بتصرفٍ يسيرٍ.

قلت: ومما يُؤيد أنه لم يقع بَعْدُ: ما تقدم ذكره في حديث حذيفة وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم ـ السابق ذكرها في أول الباب ـ، والله أعلم.

خروج يأجوج ومأجوج:

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

---

(١) في «تفسيره» (٢٥/ ٦٨).

(٢) في «تفسيره» (٢٥/ ٦٨).

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ٣٧٢): قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ**﴾: قد قدمنا أنهم من سلالة آدم عليه السلام، بل هم من نسل نوح ـ أيضًا ـ من أولاد يافث أبي الترك، والترك شرذمة منهم، تُركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين.

وقال تعالى: ﴿**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**﴾ [الكهف: ٩٨ ـ ٩٩].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**﴾ أي: يسرعون في المشي إلى الفساد.اهـ

وروى ابن جرير رحمه الله(١)، عن عُبَيد الله بن أبي يزيد قال: رأى ابُن عباس صبيانًا ينزو بعضهم على بعض، يلعبون، فقال ابن عباس: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج.

ثم قال ابن كثير رحمه الله ـ عقب كلامه السابق ـ: وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يُفتَح يأجوجُ ومأجوجُ، فيخرجون، كما قال الله** عز وجل: ﴿**وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**﴾ [الأنبياء:٩٦]، **فيَغْشَوْنَ الناس، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيَهم، ويشربون مياه الأرض، حتى إن بعضَهم ليمر بالنهر، فيشربون ما فيه حتى يتركوه يَبَسا، حتى إن مَنْ بعدهم ليمر بذلك النهر، فيقول: قد كان هاهنا ماء مرةً، حتى إذا لم يبقَ من الناس أحد إلا أحدٌ في حصن، أو مدينة قال قائلهم: هؤلاء أهلُ الأرض، قد فرغنا منهم، بقي أهلُ السماء.** ـ قال ـ: **ثم يهزُّ أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع إليه مُخْتَضبَةً دمًا** ـ

(١) في «تفسيره» (١٧/ ٧٠).



للبلاء والفتنة ـ، فبينما هم على ذلك إذ بَعث الله ﷻ دودًا في أعناقهم، كنَغَف الجراد الذي يخرج في أعناقه، فيصبحون موتى لا يُسمَع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل يَشْري لنا نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو؟، فيتجرّد رجل منهم محتسبًا نفسه، قد أوطنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين، ألا أبشروا، إن الله ﷻ قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويُسَرِّحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فَتَشْكر عنه، كأحسن ما شَكرَت عن شيء من النبات أصابته قط»، رواه أحمد برقم (٣٦١٣)، وابن ماجه (٤٠٧٩)(١).

وفي الباب: حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه المشهور، رواه مسلم برقم (٢١٣٧).

وتقدم ذكرهم في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه ـ أول هذا الباب ـ، والله أعلم.

نزول عيسى بن مريم عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٤٥٣): روى ابن أبي حاتم، عن جويرية بن بشر قال: سمعت رجلا قال للحسن: يا أبا سعيد، قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: قبل موت عيسى. إن الله رفع إليه عيسى إليه وهو باعثه قبل يوم القيامة مقامًا يُؤمن به البر والفاجر.

---

(١) **صحيحٌ على شرط الشيخين: قال البوصيري** رحمه الله في «الزوائد» (٣/ ٢٦٠): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.اهـ وراجع: «الصحيحة» برقم (١٧٩٣)، و«الصحيح المسند» (٤٠٧)، و«تحقيق المسند» (٦/ ١٠٧).

وكذا قال قتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد.

وهذا القول هو الحق، كما سنبيِّنه بعدُ بالدليل القاطع، إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان. . . .

وقال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة هو القولُ بأنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته، أي: قبل موت عيسى عليه السلام.

ثم قال ابن كثير رحمه الله: ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادَّعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ـ التي سنوردها إن شاء الله قريبا ـ فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ـ يعني: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«والذي نفسي بيده: لَيُوشكَنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عدلا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيرا من الدنيا وما فيها»**، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾، رواه البخاري برقم (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب، وتجمع له الصلاة، ويُعطي المال حتى لا يُقبل، ويضع الخراج، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما»**، رواه مسلم برقم (١٢٥٢).



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«كيف أنتم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم، وإمامكم منكم؟»**، رواه البخاري برقم (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«وإما مكم منكم»** المراد به المهدي المنتظر مهدي أهل السنة باتفاق الشراح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«الأنبياء إخوة لِعَلَّات، أمَّهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان مُمَصّرَان، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بَلَل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويُهلكُ اللهُ في زمانه المللَ كلها إلا الإسلام، ويُهلك اللهُ في زمانه المسيحَ الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنّمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يُتَوَفى ويصلي عليه المسلمون»**، رواه أحمد برقم (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤)(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق** ـ أو بدابق ـ **فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافّوا قال الروم: خلوا بيننا وبين الذين سَبَوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويُقْتَلُ ثلثه أفضل الشهداء عند الله عز وجل، ويفتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقسمون الغنائم قد عَلَّقوا سيوفهم بالزيتون، إذْ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم**

---

(١) **صحيحٌ: قال العلامة الألباني** رحمه الله في «الصحيحة» (٥/ ١٨١): هذا إسناد صحيح، كما قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٨٤)، وهو على شرط مسلم.اهـ

قلت: وأصله في «البخاري» برقم (٣٤٤٣)، وراجع: «تحقيق المسند» (١٥/ ١٥٤)، والله أعلم.

في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يُعدّون للقتال: يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم فأمَّهم، فإذا رآه عدوّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يَهلِك ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حَرْبته»، رواه مسلم برقم (٢٨٩٧).

قلت: وفي نزول عيسى بن مريم عليه السلام يوم القيامة، وما يفعله من قتل الدجال وغيره، مما نطقت به الأحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة، غير ما تقدم، والله أعلم.

خروج الدجال:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الناس، فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم ذكر الدجال، فقال: **«إني لأنْذِركُمُوهُ ما من نَبِي إلاّ وقد أنْذَرْ قَوْمَهُ، لقد أنذره نوحٌ قومه، ولكِنْ أقول لكم فيه قولًا لم يَقُلْه نبي لقومه: تعلَمُوا أنه أعورُ، وإنَّ الله ليس بأعْور»**.

قال ابن شهاب: وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال يومًا ـ يحذر الناس الدجال ـ: **«إنَّهُ مَكْتُوبٌ بين عينيه كافرٌ يَقرؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ، أوْ يقرؤُه كل مؤمن»**، رواه البخاري برقم (٥٨٢١)، ومسلم (٢٩٣٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكر الدجال بيْنَ ظهْراني الناس، فقال: **«إن الله ليسَ بأعورَ، إلَّا إن المسيحَ الدجالَ أعورُ العين اليُمْنى، كأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِية»**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٦)، ومسلم (١٧١).

وبنحوه عن أنس رضي الله عنه، رواه البخاري برقم (٦٩٧٣)، ومسلم (٧٥٥٠).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«لأنَا أعْلَمُ بِمَا مَعَ الدّجالِ مِنْهُ، مَعَهُ نهران يجريان: أحدهُما رَأيَ العين: مَاء أبيضُ، والآخر رَأيَ العين: نارٌ تَأجَّجُ، فإمّا أدْرَكَنَّ أحدَكم**



فَلْيَأْتِ الذي رآه نارًا وليُغْمض، ثم ليُطاطِىءْ رأسَه، فيشربَ، فإنه ماءٌ بَارِد، وإِن الدجال ممسوحُ العين، عَلَيْهَا ظَفَرة غَلِيظةٌ، مكتوب بين عينيه كافرٌ، يقرؤُه كل مؤمن كاتبٍ وغير كاتبٍ، نار الدجال جنة، وجنته نار»، رواه مسلم برقم (٧٥٥٢).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخْبِركم عن الدجال حديثاً ما حَدَّثَهُ نبيٌّ قومَه؟، إنه أعورُ، وإنه يجيءُ معه مِثْلُ الجنّةِ والنارِ، فالتي يقول إنها الجنّةُ هي النارُ، وإني أنذرتكم به كما انذر بهِ نوحٌ قومَه»**، رواه البخاري برقم (٣١٦٠)، ومسلم (٢٩٣٦).

وتقدم ذكره أيضا في حديثي أبي هريرة وعبد الله بن عمرو ﵄ السابقين في ذكر طلوع الشمس من مغربها، والله أعلم.

ذكر الخسوفات الثلاثة ـ خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ـ:

عن حذيفة بن أسيد ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات»**، ذكرها ومنها: **«ثلاث خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب»**. تقدم تخريجه، وذكره مطولا أول الباب.

وعن أم سلمة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب»**. قلت: يارسول الله أيخسف بالأرض وفيها الصالحون؟ قال: **«نعم. إذا أكثر أهلها الخبث»**، رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٣٦٤٧)(١).

---

(١) **قال الهثمي** ﵀ في «مجمع الزوائد» (٨/ ١١): في الصحيح بعضه، وفيه حكيم بن نافع، وثقه ابن معين، وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات.اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٨٤): وقد وُجِدَ الخسف في مواضع، ولكن يُحتمل ان يكون المراد بالخسوف الثلاثة، قدرًا زائدا على ما وُجد، كأن يكون أعظم منه مكانًا أو قدرا.اهـ

خروج نار من قعر عدن تسوق الناس إلى أرض المحشر تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا:

عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات»** ـ ذكر الحديث وفيه ـ: **«ونار تخرج من قَعْر عَدَن تسوق وتحشر الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتَقيل معهم حيث قالوا»**. تقدم تخرجه، وذكره بطوله في أول الباب.

وفي رواية لمسلم برقم (٢٩٠١) عنه رضي الله عنه: **«ونار تخرج من قُعرة عدن تُرَحِّل الناس»**.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما أسلم سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن مسائل، ومنها: ما أول أشراط الساعة؟ فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»**، رواه البخاري برقم (٣٣٢٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«ستخرج نار من حضرموت ـ أو من بحر حضرموت ـ قبل يوم القيامة تحشر الناس»**، رواه أحمد برقم (٥١٤٦)، والترمذي (٤٦٣)(١).

---

(١) **صحيحٌ على شرط الشيخين**: راجع: «تعليقات المسند» للعلامة أحمد شاكر رحمه الله، و«صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم المذكور أعلاه ـ، و«تحقيق المسند» (٨/ ١٣٥)، والله أعلم.



فصلٌ في النهي عن إنكار خروج المهدي المنتظر ـ مهدي أهل السنة والجماعة ـ:

قد كُتِبَ في هذا الباب كثيرًا، وقد تواترت الأدلة القطعية في إثبات بعض صفاته وما يقوم به، نذكر منها على وجه الاختصار ما يلي، مُتْبِعِينَها أدلتها ـ إن شاء الله تعالى ـ:

١ـ اسمه محمد بن عبد الله.

٢ـ من أهل بيت النبوة من ولد فاطمة عليها السلام.

٣ـ يُصلحه الله في ليلة.

٤ـ من المتمسكين بسنة رسول الله ﷺ، لا من أهل البدع بشتى أنواعها.

٥ـ يُملئُ الله به الأرض قسطًا وعدلًا، كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

٦ـ يملك العرب.

٧ـ يكون في زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

٨ـ يكون إمام المسلمين يومئذٍ، حتى يصلي عيسى عليه السلام ورائه.

٩ـ لا يقوم بشيء مما تزعمه الرافضة من أنه سيُخرج أبا بكر وعمر ... .

١٠ـ ليس بحيٍّ الآن كما تزعم الرافضة من أنه في السرداب، وإنما يخلقه الله متى شاء.

قال شيخنا الوادعي رحمه الله في «إلحاد الخميني» (ص١١١): ولا تظن أن هذه الخرافات قد مضت وانقضت، فهذه الرافضة بإيران لا يزالون منتظرين لخرافتهم، صاحب السرداب محمد بن الحسن العسكري، ولقد أحسن بعض أهل السنة إذ يقول:

أما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلفتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنّكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

١١ـ لا يقوم بما تقوم به الرافضة اليوم تجاه هذا الدين وأهله المسلمين.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لو لم يبق من الدهر إلا يوم؛ لبعث الله رجلًا من أهل بيتي، يملؤها عدلًا كما مُلئت جورًا**»، رواه أحمد برقم (٧٧٣)، وأبو داود (٤٢٨٣)(١).

وفي لفظٍ لأحمد برقم (٦٤٥): «**المهدي منا أهل البيت، يُصلحه الله في ليلة**»(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لو لم يبق من الدنيا إلَّا يوم؛ لطول الله ذلك اليوم، حتى يبعث الله فيه رجلاً مني** ـ أو من أهل بيتي ـ **يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا، لا تذهب** ـ أو لا تنقضي الدنيا ـ **حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي**»، رواه أبو داود برقم (٤٢٨٢) والترمذي (٢٢٣٠)، **وقال** رحمه الله: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.اهـ(٣).

ورواه الترمذي برقم (٢٢٣١)، عنه رضي الله عنه بلفظ: «**يلي رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي**». قال عاصم: وأخبرنا أبو صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم؛ لطول الله ذلك اليوم حتى يلي**»، رواه الترمذي برقم (٢٢٣١)، **وقال** رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح.اهـ(٤).

وعند أبي داود برقم (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣١)، عنه رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم؛ لطوَّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث فيه رجلا مني، أو من أهل**

---

(١) **صحيحٌ لغيره**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٥٣٠٥)، و«تحقيق المسند» (٢/ ١٦٣)، والله أعلم.

(٢) **حسنٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٦٧٣٥)، و«الصحيح المسند» (٩٧٩).

(٣) **حسنٌ**: راجع: «صحيح الجامع» برقم (٥٣٠٤)، و«الصحيح المسند» (٨٧١).

(٤) **حسنٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم المذكور أعلاه ـ.



بيتي، يُواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا».

وفي لفظٍ: **لا تذهب أو لا تنقضي، الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا، ثم يخرج رجل من عترتي، ـ أو من أهل بيتي ـ يملؤها قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا**»، رواه أحمد برقم (١١٤٤١)، وغيرُه(٢).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**المهدي من عترتي، من ولد فاطمة**»، رواه أبو داود برقم (٤٢٨٤)(٣)(٤).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف أبي داود»، و«تحقيق الأرناؤوط على أبي دواد» ـ عقب الرقم السابق ـ.

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٩٢٥)، و«الصحيح المسند» (٤٠١)، و«تحقيق المسند» (١٧/ ٣٢١).

(٣) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف أبي داود» ـ عقب الرقم المذكور أعلا ـ.

(٤) **قال العلامة الألباني** رحمه الله في «الصحيحة» (٥/ ٢٧٩): اعلم أيها القارئ الكريم، أن من المعروف أن الحديث مما يحتج به الشيعة، ويلهجون بذلك كثيرًا، حتى يتوهم أهل السنة أنهم مصيبون في ذلك، وهم جميعًا واهمون في ذلك، **وبيانه من وجهين**:

الأول: أن المراد من الحديث في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**عترتي**» أكثر مما يريده الشيعة، ولايردُّه أهل السنة، بل هم مستمسكون به، ألا وهو أن العترة فيهم هم أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جاء ذلك موضحًا في بعض طرقه، كحديث الترجمة: «**عترتي أهل بيتي**».

وأهل بيته في الأصل هم نساؤه صلى الله عليه وآله وسلم، وفيهن الصديقة عائشة رضي الله عنهن جميعًا، كما هو صريح قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، بدليل الآية التي قبلها والتي =



بعدها: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٤].

وتخصيص الشيعة أهل البيت في الآية: بعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين ﷺ دون نسائه ﷺ، من تحريفهم لآيات الله تعالى؛ انتصارًا لأهوائهم، كما هو مشروح في موضعه.

وحديث الكساء وما في معناه، غاية ما فيه: توسيع دلالة الآية، ودخول علي وأهله فيها، كما بينه الحافظ ابن كثير وغيره.

وكذلك حديث العترة، قد بين النبي ﷺ: أن المقصود أهل بيته ﷺ، بالمعنى الشامل لزوجاته، وعلي وأهله، ولذلك قال التوربشتي ـ كما في «المرقاة» (٥/ ٦٠٠) ـ: عترة الرجل: أهل بيته ورهطه الأدنون، ولاستعمالهم العترة على أنحاء كثيرة، بيَّنها رسول الله ﷺ بقوله: «**أهل بيتي**»؛ ليُعلم أنه أراد بذلك نسله وعصابته الأدنين، وأزواجه.اهـ

والوجه الآخر: أن المقصود من أهل البيت: إنما هم العلماء الصالحون منهم، والمتمسكون بالكتاب و السنة.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: العترة هم أهل بيته ﷺ الذين هم على دينه، وعلى التمسك بأمره.اهـ وذكر نحوه: الشيخ علي القاريء في الموضع المشار إليه آنفًا.

ثم استظهر أن الوجه في تخصيص أهل البيت بالذكر ما أفاده بقوله: إن أهل البيت غالبًا يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكون مقابلًا لكتاب الله سبحانه، كما قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:١٢٩].

قلت: ومثله قوله تعالى في خطاب أزواجه ﷺ، في آية التطهير المتقدمة: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

المراد بـأهل البيت المتمسكين منهم بسنته ﷺ، فتكون هي المقصود بالذات في الحديث، ولذلك جعلها أحد الثقلين، في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، المقابل للثقل الأول، وهو القرآن، وهو ما يشير إليه قول ابن الأثير في =



وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم**»، رواه البخاري برقم (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٤٤).

وفي رسالة «قصة المسيح الدجال» للعلامة الألباني بسط ذلك، فتراجع للفائدة، والله المستعان.

«النهاية»: سماهما ثقلين؛ لأن الآخذ بهما ـ يعني الكتاب والسنة ـ والعمل بهما ثقيل، ويقال لكل خطير نفيس ثقل، فسماهما ثقلين؛ إعظامًا لقدرهما، وتفخيما لشأنهم.

قلت: والحاصل أن ذكر أهل البيت في مقابل القرآن، في هذا الحديث، كذكر سنة الخلفاء الراشدين، مع سنته ﷺ، في قوله: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين...**».

قال الشيخ القارئ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في المصدر السابق (١/ ١٩٩) ـ: فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالإضافة إليهم، إما لعملهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم إياها.

إذا عرفت ما تقدم، فالحديث شاهد قوي لحديث «الموطأ» بلفظ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة رسوله**»، وهو في «المشكاة» برقم (١٨٦).

وقد خفي وجه هذا الشاهد، على بعض من سوَّد صفحات من إخواننا الناشئين اليوم في تضعيف حديث الموطأ، والله المستعان.اهـ

تحريم إنكار عذاب القبر ونعيمه

قال الله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر:٤٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ١٤٦): إن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً، إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة، اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ أي: أشده ألمًا وأعظمه نكالًا.

ثم قال رحمه الله: وهذه الآية أصل كبير، في استدلال أهل السنة: على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ .اهـ

وقال الله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**المسلم إذا سُئل في القبر، شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]**»، رواه البخاري برقم (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١).

وفي حديثه ـ الطويل المشهور ـ: قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جنازة رجل من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» ـ مرتين، أو ثلاثًا، ثم قال ـ: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر**» ـ ثلاثًا ـ، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بِيضُ الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر،**

ثم يجيء ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة ـ وفي رواية: المطمئنة ـ: أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها».

وفي رواية: «حتى إذا خرجت روحه، صلىَّ عليها كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يُعرج بروحه من قبلهم، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيِّعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليّين، وما أدراك ما عليُّون؟ كتاب مرقوم، يشهده المقربون، فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده، فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟من نبيك؟، وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من

الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيإتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه»، وفي رواية: «يُمثَّل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: ابشر بالذي يسرك، ابشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجيئ بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاك الله خيرًا، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: ربِّ عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهل ومالي، فيقال له: اسكن».

قال: «وإن العبد الكافر» وفي رواية: «الفاجر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد، سود الوجوه، معهم المسوح من النار، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة: اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرَّق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملاءٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يُفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم،



ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه من السماء طرحًا حتى تقع في جسده، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، فتعاد روحه في جسده، فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولو عنه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟، فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد! فيقول هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذاك!، فيقال: لا دريت، ولا تلوت، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه»، وفي رواية: «ويمثل له رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه يجيئ بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث؟ فوالله ما علمت إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله، فجزاك الله شرًا، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم، في يده مرزبة! لو ضرب بها جبل كان ترابًا، فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابًا، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، يمهد من فرش النار، فيقول: رب لا تقم الساعة»، أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، و(٢٨٨)، و(٢٩٥)، و(٢٩٦)، والسياق له، وأبو داود (٢/ ٢٨١)، والطيالسي برقم (٧٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧ ـ ٤٠)، وقال رحمه الله: صحيح على شرط الشيخين.اهـ وأقره الذهبي(١)، والآجري في «الشريعة» (٣٦٧ ـ ٣٧٠).

---

(١) صحيحٌ: قال العلامة الألباني رحمه الله في «أحكام الجنائز» (ص١٥٩): وهو كما قالا، وصححه ابن القيم، =

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: شَهِدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة، فقال: «**يا أيها الناس، إن هذه الأمة تُبتَلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن، وتفرق عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق، فأقعده، قال: ما تقول في هذا الرجل؟، فإن كان مؤمنا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، فيقول له: صدقت، ثم يفتح له بابًا إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت فهذا منزلك، فيفتح له بابًا إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه، فيقول له: اسكن، ويفسح له في قبره.**

وإن كان كافرًا أو منافقا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا، فيقول: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح له بابًا إلى الجنة، فيقول له: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذ كفرت به؛ فإن الله عز وجل أبدلك به هذا؛ فيفتح له بابًا إلى النار، ثم يقمَعه قمعةً بالمطراق يسمعها خَلْقُ الله، عز وجل كلهم غير الثقلين»، فقال بعض القوم: يارسول الله، ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]**»، رواه أحمد برقم (١١٠٠٠)(١).

في «إعلام الموقعين» (١/ ٢١٤)، و«تهذيب السنن» (٤/ ٣٣٧)، ونقل فيه تصحيحه: عن أبي نعيم، وغيرُه.اهـ

قلت: وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رحمه الله برقم (١٤١)، والله أعلم.

(١) **صحيحٌ**: **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٤٩٩): إسناده لا بأس به، فإن عباد بن راشد التميمي روى له البخاري مقرونًا، ولكن ضعفه بعضهم.اهـ

وقال الهيثمي رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٣/ ٧٠): رجاله رجال الصحيح.اهـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» برقم (٣٥٥٦): صحيح.اهـ

ونقل عن المنذري رحمه الله: قوله: رواه أحمد بإسناد صحيح.اهـ

وقال الشيخ الأرناؤوط رحمه الله في «تحقيق المسند» (١٧/ ٣٤): حديثٌ صحيحٌ.اهـ

=



وقال الله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٢٠٥): قال مجاهد: بالجوع، وعذاب القبر.

وقال ابن جريج: عذاب الدنيا، وعذاب القبر، ثم يردون إلى عذاب النار.

وقال الحسن البصري: عذاب في الدنيا، وعذاب في القبر.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ هو ـ فيما بلغني ـ ما هم فيه من أمر الإسلام، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه، عذاب الآخرة والخلد فيه.

وقال سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾: عذاب الدنيا، وعذاب القبر، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.اهـ بتصرف.

قلت: وأدلة عذاب القبر ونعيمه من السنة متواترة، ليس المقام بكافٍ لسردها جميعا، وسأقتصِر إضافةً إلى ما تقدم على بعض ما هو صريحٌ في الدلالة، لامطعن فيه:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان؛ فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في الرجل؟** ـ لمحمد صلى الله عليه وسلم ـ**، فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيُقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا، وأما المنافق والكافر، فيُقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه، غير الثقلين**»، رواه البخاري برقم (١٣٠٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

= وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله، رواه الطبري، في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٧).

وجاء بنحوه عنه رضي الله عنه، رواه مسلم ـ أيضًا ـ برقم (٢٨٧٠).

وبنحوهما: عن ابن عمر رضي الله عنهما، رواه البخاري برقم (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن هذه الأمة تبتلي في قبورها، فلولا ألَّا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر، الذي أسمع منه**»، رواه مسلم (٢٨٦٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إذا احتُضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضيًا عنك إلى روح الله وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا، حتى يأتون به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه ماذا فعل فلان؟، ماذا فعل فلان؟، فيقولون: دعوه، فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذُهب به إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا احتُضر أتته ملائكة العذاب بمسح، فيقولون: أخرجي ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب الله عز وجل، فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح، حتى يأتون به أرواح الكفار**»، رواه النسائي برقم (١٨٣٣)، وابن حبان (٧٣٣)، والحاكم (١/ ٣٥٢). **وقال** رحمه الله: صحيح الإسناد.اهـ ووافقه الذهبي(١).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**فأما فتنة القبر فبي تفتنون، وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أُجلس في قبره، غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال له: فيم كنت؟، فيقول: في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، جاءنا بالبينات من عند الله عز وجل، فصدقناه، فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم**

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (١٣٠٩)، و«الصحيح المسند» (١٣١٥)، وله ألفاظٌ أخرى.



بعضها بعضًا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله ﷻ، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك منها، ويقال: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث ـ إن شاء الله ـ، وإذا كان الرجل السوء أُجلس في قبره فزعًا مشعوفًا؛ فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم، فيقول: سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا، فتفرج له فرجة قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله ﷻ عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا، ويقال له: هذا مقعدك منها، كنت على الشك، وعليه مت، وعليه تبعث ـ إن شاء الله ـ، ثم يعذب».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثلُ حديثِ عائشة رضي الله عنها سواء ـ، رواه أحمد برقم (٢٥١٣٣)(١).

وعن عثمان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل، وقف عليه، فقال: «**استغفروا لأخيكم، واسألوا له بالتثبيت؛ فإنه الآن يسأل**»، رواه أبو داود برقم (٣٢٢١)(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها، أن يهودية دخلت عليها، فقالت: أعاذكِ الله من عذاب القبر، فسألت عائشةُ رسول الله ﷺ عن عذاب القبر؟، فقال: «**نعم عذاب القبر حق**»، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوّذ من عذاب القبر، رواه البخاري برقم (١٣٠٦).

---

(١) **صحيحٌ**: **قال المنذري** رحمه الله كما في «صحيح الترغيب» (٣/ ٢١٨): رواه أحمد بإسنادٍ صحيح.اهـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» برقم (٣٥٥٧): حديث صحيح.اهـ

وقال العلامة الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١٣١٥) ـ: حديث صحيح.اهـ

(٢) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح الترغيب» برقم (٣٥١١)، والله أعلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم صوت إنسانين يعـذبان في قبورهمـا، فقـال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يعذبان وما يعذبان في كبير**... الحديث»، رواه البخاري برقم (٢١٣)، ومسـلم (٢٩٢).

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٣/ ٢٠١): فيه: إثبات عذاب القبر، وهـو مـذهب أهل الحق خلافًا للمعتزلة.اهـ ومثله: **قال الحافظ** رحمه الله، في «الفتح» (١/ ٣٢١).

قلت: وأدلَّة عذاب القبر من الكتاب والسنة، تصل إلى نحـو مـن مائـة دليـل، مـا بـين صحيح وحسن، صريح وغير صريح، ذكر القرطبي رحمه الله جملة منها في «التذكرة»، وقانـا الله عذاب القبر والنار، إنه أقدر وأعلم وأحكم وأرحم.



تحريم إنكار البعث والحساب وأمور المعاد

أمر الله نبيه ﷺ أن يُقسم على أن البعث حق في ثلاثة مواضع: قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٤/ ٢٧٤): وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن، إلا آيتان أُخريان، يأمر الله تعالى رسوله، أن يُقسم به على من أنكر المعاد:

في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣].

وفي التغابن: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧ ـ ٣١].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٢ـ ١٦].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ١٩ـ ٢٣].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ [السجدة:٢٧ ـ ٣٠].

وقال الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس:٧٧ـ٨١].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ * وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ـ الآيات إلى قوله ـ: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٥ـ ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ الآيات [الزمر: ٦٨ – ٧٠].



وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ ـ الآيات إلى قوله ـ: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٠ـ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١ـ١٥].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«من حُوسب عُذِّب»**. قالت عائشة، فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، فقال: **«إنما ذلك العرض، ولكن من نُوقش الحساب يهلك»**، رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

وقال الله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يقول الله: شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني وما ينبغي له، أما شتمه فقوله: إن لي ولدًا، وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيدني كما بدأني**»، رواه البخاري برقم (٣١٩٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي، فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفأً أحد**»، رواه البخاري برقم (٤٩٧٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي: فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي: فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا**»، رواه البخاري برقم (٤٤٨٢).

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار، ولو بشق تمرة»**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٧٤)، ومسلم (١٠١٦).

والآيات كثيرة جدًا، فقلَّ أن تخلو سورة مكية من ذكره فيها، والسنة أكثر، والله أعلم.

فصلٌ: في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف:٣٦]:

قال الله تعالى: **﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾** [الكهف: ٣٥ ـ ٣٦].

وقال تعالى: **﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾** [فصلت:٥٠]

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ١٨٦): قوله: **﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾** أي: يكفر بقيام الساعة، أي: لأجل أنه خُوِّلَ نعمة يفخر، ويبطر، ويكفر، كما قال تعالى: **﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾** [الْعَلَقِ: ٦ ـ ٧].اهـ

وقال السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٧٥٢): قوله: **﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾**، وهذا إنكار منه للبعث، وكفر للنعمة والرحمة، التي أذاقها الله له. **﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾** أي: على تقدير إتيان الساعة، وأني سأرجع إلى ربي، إن لي عنده، للحسنى، فكما حَصَلَتْ لي النعمة في الدنيا، فإنها سَتَحْصُلُ لي في الآخرة، وهذا من أعظم الجراءة والقول على الله بلا علم، فلهذا توعده بقوله: **﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾** أي: شديد جدًا.اهـ



تحريم إنكار الشفاعة لمُستحقيها من المسلمين

قال الله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٣ ـ ٤٤].

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٦٧٩): قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾، كقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، وكقوله: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده، إلا بإذنه له في الشفاعة.اهـ

ففي الآية: أن الله يأذن بالشفاعة لمن شاء، ممن رضي عنهم من خلقه، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ٣٣٨): قوله: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، في آيات كثيرة في معنى ذلك.اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أنا سيد القوم يوم القيامة، هل تدرون بم؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟، فيقول بعض الناس: أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة،**

ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه، وما بلغنا؟ فيقول: ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، إذهبوا إلى غيري، إذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورا، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي، ائتوا النبي ﷺ، فيأتوني فأسجد تحت العرش، فيقال يا محمد ارفع رأسك، واشفع تشفع، وسل تعطه»، رواه البخاري برقم (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، وقد رُويَ مطولًا.

وفي حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: **«آتي تحت العرش، فأخر ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع، فيحد لي حدًا؛ فأدخلهم الجنة»**، رواه البخاري برقم (٤٢٠٦)، ومسلم (١٩٣).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: ـ** وفيه ـ: **وأعطيت الشفاعة»**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٨)، ومسلم (٥٢١).

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ليصيبن أقواما سفع من النار، بذنوب أصابوها عقوبة، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم الجهنميون**»، رواه البخاري (٧٤٥٠).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لايموتون فيها ولايحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم** ـ أو بخطاياهم ـ **فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل**»، رواه مسلم (٤٧٧).

وقد كثُر الخلاف بين أهل السنة، وبعض منكري الشفاعة، الشفاعة لأهل الكبائر من المسلمين، وهي ثابتة بعموم أدلة الكتاب السابقة، وصريح السنة الصحية التالية:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**.



قال شيخنا الوادعي رحمه الله في «كتاب الشفاعة» (ص٨٢): أخرجه الترمذي برقم (٢٤٣٥)، والحاكم (٢٢٨)، **وقال**: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وله شاهد بهذا اللفظ عن قتادة، وأشعث بن جابر الحداني:

أما حديث قتادة: فرواه الطيالسي برقم (٢٠٢٦)، والحاكم (٢٢٩)، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي»**.

وأما حديث أشعث بن جابر الحداني، فأخرجه أبو داود (٥/ ١٠٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٢٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٧١)، والآجري في «الشريعة» (ص٣٣٨)، والحاكم (١/ ٦٩).

ثم قال رحمه الله: والحديث حسن بهذا الإسناد، ولفظه: عن أشعث الحداني، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**.

وله شاهد صحيح على شرط مسلم، وهو ما رواه الحاكم برقم (٢٣١) وغيره، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**.اهـ بتصرف

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تلا قول الله عز وجل: **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾**، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**، رواه الحاكم برقم (٣٤٤٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.اهـ

وقال الذهبي رحمه الله في «التلخيص»: على شرط مسلم.اهـ

وفي الباب أكثر من مائة دليل، صحيح صريح قاضية بأن رب العزة جل جلاله، وتقدست أسماؤه يشفع، وأن الملائكة تشفع، والرسل يشفعون، والمجاهدون يشفعون، والأفراط يشفعون لآبائهم وأمهاتهم، وحافظ القرآن يشفع لوالديه وغيرهم كل ذلك بإذن الله للشافع والمشفوع، ورضاه عنهما، جعلنا الله ممن يشفع لهم نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وللشفاعة تفاصيل وأقسام تُلتمس في مظانها، من كتب العقيدة وشروحها، والله أعلم.

تحريم إنكار الحوض والكوثر

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ١٢٧): ذِكْرُ ما ورد في الحوض المحمَّدي ـ سقانا الله منه يوم القيامة ـ: من الأحاديث المشهورة المتعددة من الطرق المأثورة الكثيرة المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة المكابرة، القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده، وأَخْلَق بهم أن يُحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: من كذب بكرامة لم ينلها، ولو اطَّلع المنكر للحوض على ما سنُوردُه من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: بعض الصحابة الكرام الذين صدَّقوا بالحوض، وآمنوا بكونه يوم القيامة، ورووا الأحاديث فيه، رُوي ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: أُبي بن كعب، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، وجندب بن عبد الله البجلي، وزيد بن أرقم، وسلمان الفارسي، وحارثة بن وهب، وحذيفة بن أسيد، وحذيفة بن اليمان، وسمرة بن جندب، وسهل بن سعد، وعبد الله بن زيد بن عاصم، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود، وعتبة بن عبد السلمي، وعقبة بن عامر الجهمي، والنواس بن سمعان، وأبو أمامة الباهلي، وأبو برزة الأسلمي، وأبو بكرة، وأبو ذر الغفاري، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة الدوسي، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة، وأم سلمة، وامرأة حمزة عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وعاد علينا من بركاتهم.اهـ بتصرف يسير.

وقال الحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في "البدور السافرة" (ص٢١٥): ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيًا، منهم الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفاظ الصحابة المكثرون، وغيرهم؛ رضوان الله عليهم أجمعين.اهـ

قلت: ومنها على وجه الإشارة ما يلي:



عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه؛ لا يظمأ أبدًا»**، رواه البخاري برقم (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«أنا فرطكم على الحوض، وليُرفعن رجال منكم، ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**، رواه البخاري برقم (٦٢٠٥)، ومسلم (٢٢٩٧).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«أمامكم حوض، كما بين جرباء وأذرح»**، رواه البخاري برقم (٦٢٠٦)، ومسلم (٢٢٩٩).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها؛ فلا يظمأ أبدا»**، رواه البخاري برقم (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٢٩٢).

وفي الباب حديث أنس رضي الله عنه، المذكور عقب آية الكوثر.

فصلٌ: في الكوثر:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [الكوثر: ١].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أَغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة، فرفع رأسه مبتسمًا، إمَّا قال لهم وإمَّا قالوا له: لم ضحكت؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنه أنزلت عليَّ آنفًا سورة»**، فقرأ: «﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾» [الكوثر: ١] حتى ختمها، قال: **«هل تدرون ما الكوثر؟»**. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«هو نهرٌ أعطانيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، تردُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يُخْتَلَج العبد منهم، فأقول: يا**

رب، إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، رواه أحمد برقم (١٣٣٥٣)، والترمذي (٢٤٤٢)(١).

ورواه برقم (١١٩٩٦)، عنه رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: **«أنزلت علي آنفا سورة»**، فقرأ: «﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ ـ ٣]»، ثم قال: **«أتدرون ما الكوثر؟»**. قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **«فإنه نهر وَعَدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، هو حوض تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فَيختلجُ العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك»**.

وعن أنس رضي الله عنه، أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] **ثم قال**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أعطيتُ الكوثر، فإذا هو نهر يجري، ولم يُشق شقًا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي في تربته، فإذا مسكه ذَفَرة، وإذا حصاه اللؤلؤ»**، رواه أحمد برقم (١٣٥٧٨)، وبعضه في «مسلم» برقم (٤٦٨٠).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«دخلت الجنة فإذا أنا بنهر، حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر. قلت: ما هذا يا جبريل؟. قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل»**، رواه البخاري برقم (٤٩٤٦)، وهذا لفظه رحمه الله.

قلت: وفي الباب من الأدلة الكثير، كما أشار إلى ذلك الحافظين ابن كثير، والسيوطي ـ رحمهما الله تعالى ـ، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ على شرط البخاري**: راجع: «تحقيق المسند» (٢١/ ٦٤)، والله أعلم.



تحريم إنكار الميزان وما يوزن عليه

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِين الْقِسْطَ لِيَوْم الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَم نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

عن عائشة رضي الله عنها أن رجلًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جلس بين يديه، فقال: يارسول الله، إن لي مملوكين، يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأضربهم وأشتمهم، فكيف أنا منهم؟، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يُحسب ما خانوك وعَصَوك وكذبوك وعقابك إياهم، إن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم، كان فضلا لك عليهم، وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم، كان كفافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتص لهم منك الفضل الذي يبقى قِبَلَكْ**»، فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويهتف، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ما له أما يقرأ كتاب الله؟: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾** [الأنبياء: ٤٧]، فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد شيئًا خيرًا من فراق هؤلاء ـ يعني: عبيده ـ إني أشهدك أنهم أحرار كلهم، رواه أحمد برقم (٢٦٤٠١)، والترمذي برقم (٣١٦٥)(١).

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «**إنه لَيَأْتِي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة**»، واقرؤوا إن شئتم: ﴿**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾، رواه البخاري برقم (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

---

(١) **صحيحٌ: قال الهيثمي** رحمه الله في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٠): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.اهـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف الترمذي» ـ عقب الرقم المذكور أعلا ـ: صحيحُ الإسناد.اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨ ـ ٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١ ـ ١٠٣].

وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«إن الله عز وجل يستخلص رجلًا من أمتي، على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟. قال: لا يا رب. قال: أفلك عذر، أو حسنة؟. قال: فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فيُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضروها، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»**، رواه أحمد برقم (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)(١).

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح ابن ماجه» برقم (٤٢٩٠)، و«الصحيح المسند» (٧٨٧)، و«تحقيق المسند» (١١/ ٥٧١).



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**، رواه البخاري برقم (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«ممَّ تضحكون؟»**. قالوا: يا نبيَّ الله! من دِقَّةِ ساقيهِ!!، فقال: **«والذي نفسي بيدهِ: لَهُما أثقلُ في الميزانِ من أحدٍ»**، رواه أحمد برقم (٣٩٩١)(١). وفي الباب من الأدلة، ما لو جمعت لكانت في رسالة، والله أعلم.

مسألة: ما هو الموزون؟

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٣٨٩): **فصل**: والذي يوضع في الميزان يوم القيامة: قيل: الأعمال، وإن كانت أعراضًا، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجسامًا.

قال البغوي: يُروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد ذَكر أدلة على ذلك.

وقيل: يُوزن كتاب الأعمال، كما جاء في حديث البطاقة ـ تقدم ذكره ـ.

وقيل: يُوزن صاحب العمل، لحديث ابن مسعود السابق، وغيره.

ثم قال رحمه الله: وقد يُمكن الجمع بين هذه الآثار: بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة تُوزن الأعمال، وتارة تُوزن مَحَالُّهَا، وتارة يُوزن فاعلها، والله أعلم.اهـ

قلت: وما قاله ابن كثير رحمه الله هو الذي تطيب إليه النفس؛ للسَّلامة من تعارض الأدلة الثابتة في الجميع، والله أعلم.

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «الصحيحة» برقم (٣١٩٢)، و«الصحيح المسند» (٨٣٧)، و«تحقيق المسند» (٢/ ٢٤٤).

تحريم إنكار الصراط

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

قال أبو سُمَيَّة رحمه الله: اختلفنا في الوُرُود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعا، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾. فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعًا، وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه، وقال: صُمَّتَا، إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا، كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثيًّا**»، رواه أحمد برقم (١٤٥٢٠)، والحاكم (٨٧٤٤)، **وقال**: صحيح الإسناد.اهـ والبيهقي في «الشعب» (٣٧٠)، **وقال**: إسناده حسن.اهـ(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. قال رسول الله ﷺ: «**يرد الناس النار كلهم، ثم يصدرون عنها بأعمالهم**»، رواه أحمد برقم (٤١٢٨)، والترمذي برقم (٣١٥٩)، **وقال**: حديث حسن، ورواه شعبة عن السدي فلم يرفعه.اهـ(٢).

وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١١)، عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: كان عبد الله بن رَوَاحة مريضًا، واضعًا رأسه في حِجْر امرأته،

---

(١) **حسنٌ**: **قال المنذري** رحمه الله في «الترغيب» (٢/ ٣٠٦): رجاله ثقات.اهـ

وقال الهيثمي رحمه الله في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٥): رجاله ثقات.اهـ

(٢) **صحيحٌ على شرط مسلم**: **قال العلامة الألباني** رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٣/ ٢٣٦) ـ في كلامه على المرفوع ـ: رواه الحاكم بإسنادٍ على شرط مسلم، **ثم قال الألباني** رحمه الله: وهو حديث صحيح.اهـ بتصرف.



فبكى، فبكت امرأته، فقال ما يبكيكِ؟ فقالت: رأيتُك تبكي فبكيتُ. قال: إني ذكرت قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]، فلا أدري أنجو منها أم لا؟.

وقال عبد الرزاق ؒ في «تفسير» (٢/ ١١) أخبرنا ابن عُيَيْنَة، عن عمرو، أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود الدخول؟ فقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وردوا أم لا؟، وقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨] أورْدٌ هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، فضحك نافع.

وعن عطاء قال: قال أبو راشد الحَرُوري ـ وهو نافع بن الأزرق ـ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [لأنبياء: ١٠٢]، فقال ابن عباس: ويلك: أمجنون أنت؟ أين قوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨]، ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]؟، والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالمًا، وأدخلني الجنة غانمًا، رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٨٢).

وعن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس، فأتاه رجل يقال له: أبو راشد ـ وهو نافع بن الأزرق ـ، فقال له: يا ابن عباس، أرأيت قول الله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]؟ قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنَرِدُها، فانظر: هل نصدر عنها أم لا، رواه ابن جرير، في «تفسيره» (١٦/ ٨٤).

وقال العوفي، عن ابن عباس: قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] يعني: البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله لفرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، و﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، فسمَّى الورود في النار دخولًا، وليس بصادر.

وروى ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٨٢)، عن أبي إسحاق قال: كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني ثم يبكي، فقيل: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال: أَخْبَرَنَا أنا واردوها، ولم نُخْبَرْ أنا صادرون عنها.

وقال ابن المبارك، عن الحسن البصري قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رُئي ضاحكًا حتى لحق بالله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ـ في حديث العرصات ـ: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب جسر جهنم** ـ قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: **فأكون أول من يجيز، ودُعاء الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟»**. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **«فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يُعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل، ثم ينجو»**، رواه البخاري برقم (٦٢٠٤)، ومسلم (١٨٢).

وفي حديث أبي هريرة، وحذيفة رضي الله عنهما ـ في الشفاعة ـ: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«فيأتون محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيقوم فيُؤْذنُ له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالًا، فيمر أولكم كالبرق.** ـ قال قلت: بأبي أنت وأمي أي: شيء كمر البرق؟. قال: **«ألم تروا إلى البرق كيف يمر، ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: ربِّ سلِّم سلِّم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل، فلا يستطيع السير إلا زحفًا، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة بأخذ من أُمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار»**، والذي نفس أبي هريرة بيده: إن قعر جهنم لسبعون خريفًا، رواه مسلم (٣٢٩). وفي الباب غير ما تقدم، والله أعلم وأحكم.



تحريم إنكار وجود الجنة والنار في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٣ـ ١٦].

يُوضحها: قول أنس بن مالك ﵁ ـ في حديث الإسراء والمعراج، وفيه ـ: قال رسول الله ﷺ: «**ثم انطلق بي جبريل، حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم دخلت الجنة؛ فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»، رواه البخاري برقم (٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

وعن أنس ﵁، عن النبي ﷺ أنه قال: «**بينما أنا أسير في الجنة، وإذا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟. قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فضرب الملك بيده؛ فإذا طينه المسك الأذفر**»، رواه البخاري برقم (٦٢١٠).

وفي حديث جابر ﵁: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**دخلت الجنة، فرأيت فيها قصرًا ودارًا**»، رواه البخاري برقم (٦٦٢١).

وعن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة**»، رواه البخاري برقم (١٣١٣)، ومسلم (٢٨٦٦).

وفي حديث البراء ـ الطويل المتقدم ذكره في (تحريم إنكار عذاب القبر ونعيمه) ـ قال رسول الله ﷺ: «**فينادي مناد من السماء؛ إن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها**».

وفيه ـ أيضًا ـ: «**فينادي مناد من السماء؛ أن كذب فأفرشوا له من النار، وافتحوا له إلى النار، فيإتيه من حرها وسمومها، ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه**».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقولان له: أنظر إلى مقعدك من النار؛ قد أبدلك الله به مقعدا في الجنة، فيراهما جميعا**»، رواه البخاري برقم (١٢٧٣)، ومسلم (٢٨٧٠).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جنازة، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دُفن فتفرق عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق، فأقعده. قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده رسوله، فيقول له: صدقت، ثم يُفتح له باب إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت بربك فهذا منزلك؛ فيفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه، فيقول له: اسكن، ويفسح له في قبره، وإن كان كافرًا ـ أو منافقًا ـ يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا؛ فيقول: لا دريت ولا تليت، ولا اهتديت، ثم يُفتح له باب إلى الجنة، فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذ كفرت بربك، فإن الله عز وجل أبدلك هذا، ويفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه مقمعةً بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين**»، فقال بعض القوم: يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾** [إبراهيم: ٢٧]»، رواه أحمد برقم (١١٠٠٠)(١).

---

(١) صحيحٌ: راجع: «مجمع الزوائد» (٣/ ٧٠)، و«ظلال الجنة» (٨٦٥)، و«تحقيق المسند» (١٧/ ٣٤).



وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ في خطبة كسوف الشمس والقمر ـ: «**إنهما آيتان من آيات الله؛ فإذا رأيتم ذلك فصلوا حتى يفرج عنكم، لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدته؛ حتى لقد رأيت أريد أن آخذ قطفا من الجنة، حين رأيتموني جعلت أتقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا، حين رأيتموني تأخرت، ورأيت فيها عمرو بن لحي؛ وهو الذي سيب السوائب**»، رواه البخاري برقم (١١٥٤)، ومسلم (٩٠١).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ـ في حديث الكسوف ـ فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت، فقال: «**أني رأيت الجنة، وتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار؛ فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع**»، رواه البخاري برقم (١٠٠٤)، واللفظ له، ومسلم (٩٠٧).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ في صلاة الخسوف ـ قال: «**قد دنت مني الجنة، حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت مني النار؛ حتى قلت: أي رب وأنا معهم؟**»، رواه البخاري برقم (٧١٢).

وعن جابر رضي الله عنه ـ في صلاة الكسوف ـ قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه، لقد جيء بالنار، وذلكم حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يُصيبني من لفحها، ثم جيء بالجنة، وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي، ولقد مددت يدي، وأنا أريد أن أتناول من ثمرها؛ لتنظروا إليه، ثم بدا لي أن لا أفعل**»، رواه مسلم برقم (٩٠٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: «**والذي نفس محمد بيده: لو رأيتم ما رأيت؛ لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**». قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟. قال: «**رأيت الجنة والنار**»، رواه مسلم برقم (٤٢٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**لما خلق الله تعالى الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إلى ما**

أعد الله لأهلها فيها، فرجع؛ فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر الجنة فحفت بالمكاره؛ فقال: فارجع فانظر إليها وإلى ما أَعْدَدَتُ لأهلها فيها. قال فنظر إليها، ثم رجع، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، ثم أَرْسَلَهُ إلى النار. قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضا، ثم رجع، فقال: وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»، رواه أحمد برقم (٨٣٩٨)، والترمذي (٢٧٥٨)، **وقال**: هذا حديث حسن صحيح.اهـ(١).

وهو في البخاري برقم (٦١٢٢)، ومسلم (٢٨٢٢) بلفظ: «**حجبت الجنة بالمكاره، وحجبت النار بالشهوات**»، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: يا رب ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم؟، وقالت النار: يا رب ما لها يدخلها الجبارون والمتكبرون؟؛ فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها**»، رواه البخاري برقم (٧٠١١)، ومسلم (٢٨٤٦).

وعن عمر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «**اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف**»، رواه البخاري برقم (٣٠٨٧)، ومسلم (٦١٧).

---

(١) **صحيحٌ**: راجع: «صحيح وضعيف الترمذي» ــ عقب الرقم المذكور أعلاه ــ، و«تحقيق المسند» (١٤/ ١٢٦).



وفي الباب حديث سمرة رضي الله عنه ـ في رؤياه صلى الله عليه وسلم ـ، وأنه رأى الكذاب، وآكل الربا، والجنة والنار وغيرها، تقدم ذكره، في (ذكر بعض الأدلة الدالة على أن الملائكة ذكور)، وغيره من الأدلة الكثير، الدالة على وجود الجنة والنار، منذ خلقهما الله تعالى، إلى أبد الآبدين،

وقد نقل العلامة ابن القيم رحمه الله في «حادي الأرواح»، ما يزيد على ثلاثمائة دليل، بادءً كتابه بـ: الباب الأول: في (بيان وجود الجنة الآن)، **ثم قال** رحمه الله:

لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون، وتابعوهم، وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد؛ على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما عُلم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم، من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها، إلى أَنْ نبغت نابغة من القدرية، والمعتزلة؛ فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت: بل الله ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك: أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم؛ فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات...، فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الباطلة، وشبهوا أفعاله بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة، التي وضعوها للرب، أو حرفوها عن مواضعها، وضللوا وبدَّعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء، ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها ... ـ **إلى أن قال** ـ: وسيأتي في آخر هذا الكتاب في الباب الذي يُذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة، تمام هذه الأحاديث ـ أن شاء الله تعالى ـ، وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك.اهـ

النهي عن طلب النظر إلى الله تعالى في الدنيا

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

وقد ذكر الله في غير ما موضع من كتابه استحالة النظر إليه في الدينا، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

وقالت عائشة رضي الله عنها: من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]، رواه البخاري برقم (٤٨٥٥)، ومسلم برقم (١٧٧).

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٣٠٩)، وكذا ابن أبي العز رحمه الله في «شرح الطحاوية» (ص١٩١)، قولَيْ أهل السنة والبدعة في هذه الآية، وأن القول المعتبر، الذي تدعمه الأدلة، هو استحالة رؤية الله في الدنيا، وإمكانها لمن حَضي بها في الآخرة، والله أعلم.



وعن عمر بن ثابت الأنصاري، قال أخبرني بعض أصحاب رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ: «**تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**»، رواه مسلم برقم (١٦٩).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»، رواه أحمد برقم (٢٢٧٦٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٢٨)(١).

قلت: وقد روى الحديث صحابة آخرين، بألفاظ متقاربة، ما بين صحيح وحسن، ودون ذلك، بما يصح الحكم عليه بالتواتر، والله أعلم.

وفي الباب عقب هذا: مزيد أدلة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) **صحيحٌ**: **قال العلامة الألباني** رحمه الله في رسالة «قصة المسيح الدجال» (ص٦٨): إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات.اهـ

تحريمُ إنكار النظر إلى وجه الله تعالى يوم القيامة وفي الجنة

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٨/ ٢٧٩): قوله: ﴿نَاضِرَةٌ﴾: من النضارة أي: حسنة بَهِيَّة مشرقة مسرورة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تراه عيانًا، كما رواه البخاري: «**إنكم سترون ربكم عَيَانا**».

وقد ثبتت رُؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة، في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة، عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها، وساق منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن ناسًا قالوا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تُضَارُّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سَحَاب؟**». قالوا: لا. قال: «**فإنكم ترَون ربكم كذلك**»، رواه البخاري برقم (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

وحديث جرير رضي الله عنه: قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إنكم ترَون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم ألا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، ولا قبل غروبها فافعلوا**»، رواه البخاري برقم (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

وحديث أبي موسى رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**جَنَّتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فِضَّة، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلا رِدَاء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»، رواه البخاري برقم (٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

وحديث أبي سعيد رضي الله عنه: قال: قلنا يا رسول هل نرى ربنا يوم القيامة؟. قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟**». قلنا: لا. قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تُضارون في رؤيتها**»، رواه البخاري برقم (٤٣٠٥)، مسلم (٣٠٢).اهـ بتصرف.



وقال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

عن صهيب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا أُدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد يا أهل الجنة: إن لكم عند الله وعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم تثقل موازيننا، وتبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار؟. قال: فيكشِف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم**»، رواه مسلم رقم (٤٦٧).

وقال ابن كثير رحمه الله في «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ٢٥٩): إن هذا يكون في يوم الجمعة يوم المزيد: قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].اهـ

وعن أبي الزبير، أنه سمع جابر رضي الله عنه يسأل عن الورود؟ فقال: نجيء نحن يوم القيامة عن كذا، وكذا انظر أي: ذلك فوق الناس ـ قال: ـ فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: «**من تنظرون؟**». فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: «**أنا ربكم**»، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، رواه مسلم برقم (١٩١).

قال ابن كثير رحمه الله ـ المرجع السابق ـ: يعني: في عرصات القيامة.اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟**». قالوا: لا، قال: «**فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟**». قالوا: لا. قال: «**فوالذي نفسي بيده: لا تضارون في رؤية ربكم، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**»، رواه مسلم برقم (٢٩٦٨).

وقال ابن كثير رحمه الله ـ المرجع السابق ـ: ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات، وفي روضات الجنات، ولولا خشية الإطالة؛ لأوردنا الأحاديث بطرقها،

وألفاظها من الصحاح، والحسان، والمسانيد، والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقًا في مَواضِعَ من هذا التفسير، وبالله التوفيق.

ثم قال رحمه الله: وهذا بحمد الله مجمعٌ عليه بين الصحابة والتابعين، وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهُدَاة الأنام.اهـ

ـ بطلان قول من جعل (إلى) في قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ مفرد (آلاء) ـ:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ـ عقب كلامه السابق ـ: وأمَّا من تأوَّل ذلك بأن المراد بـ﴿إِلَى﴾ مفرد الآلاء، وهي النعم، كما قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنتظر الثواب من ربها، ـ رواه ابن جرير (٢٩/ ١١٩) ـ من غير وجه عن مجاهد، وكذا قال أبو صالح ـ أيضًا ـ؛ فقد أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه، وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؟.

قال الشافعي رحمه الله: ما حَجَب الفجار إلا وقد عَلم أن الأبرار يرونه عز وجل.

ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

وروى ابن جرير: عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾. قال: حسنة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. قال: تنظر إلى الخالق، وحُقّ لها أن تَنضُر، وهي تنظر إلى الخالق.اهـ بتصرف

قلت: ولقد ساق الإمام ابن القيم رحمه الله في «نونيته» (ص٨٩) تحت (فصل: في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى، ونظرهم الى وجهه الكريم ما يزيد على سبعين بيتًا منها قوله رحمه الله:

ويرونه سبحانه من فوقهم ... نظر العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسول الله ... لم ينكره إلا فاسد الإيمان



وأتـى بـه الـــقرآن تصريحًـا وتعـــ ـــــريضا همـــا بيســـاقه نوعـــان

وهي الزيـادة قـــد أتـت في يـونس يـروي صـهـيب ذا بـلا كتمـــان

وهو المزيد كـــذاك فسَّر أبـو بكر هو الصـــديق ذو الإيقـــان

وعليــه أصــحاب الـــرسول وتـا بعـو هـم بعـدهم تبعيـة الإحســان

ولـــقد أتـى ذكـر اللقـاء لـــربنا الـــ ـــرحمن في ســـور مـن الفرقـــان

ولقـــاؤه إذ ذاك رؤيتـــه حكـى الـــ إجمـــاع فيـه جمـــاعة ببيـــان

وعليــه أصــحاب الحــديث جمـيعهم لغــةً وعـــــرفًا لـيس يختـــلفـــان

هــذا ويكفـي أنـه سبحـــــانه وصف الوجوه بنظـرة بجنـــان.اهـ

وقـال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حـادي الأرواح» (ص١٩٦): (بـاب في رؤيـتهم ربهـم تبـارك وتعـالى بأبصارهم جهرة، كما يُرى القمر ليلة البدر، وتجلِّيه لهم ضاحكًا إليهم).

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرهـا عينًـا لأهـل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمر إليها المشـمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العـاملون؛ إذا نالـه أهـل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم.

وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد علـيهم مـن عـذاب الجحـيم، اتفـق عليهـا الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القـرون، وأنكرهـا أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنيـة الـذين هـم مـن جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسـكون، ومـن حبـل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله ﷺ، ورَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عاكفون، وللسنة وأهلها محـاربون، ولكل عدو لله ورسـوله ودينـه مسـالمون، وكـل هـؤلاء عـن ربهـم محجوبـون، وعـن بابـه مطرودون، أولئك أحزاب الضلال، وشيعة اللعين، وأعداء الرسول وحزبه.

ثم قال: هذا وإن سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس في الظهيرة، والقمر ليلة البدر؛ كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود في الصحاح، والسنن، والمسانيد من رواية جرير، وصهيب، وأنس، وأبي هريرة، وأبي موسى، وأبي سعيد....اهـ

ثم ساق رحمه الله أكثر من عشرين دليلاً، كما هو صنيعه، ولولا خشية الإطالة لذكرتها، ولكون الكتاب مشهور، وفي متناول الجميع؛ يُرجع إليه، ولو قلت: أنه يتأكد قراءة مثل هذا الكتاب لما فيه من حث وترغيب في لقاء الله والنظر إليه، لما أبعدت، والله أعلم.

وقد ألَّف في هذا الباب الإمام الحافظ الدارقطني كتابًا أسماه: «الرؤية» يُراجع للفائدة.

الخاتمة:

هذا آخر ما كَتبتُه الأنامل، مما له تعلُّق بهذا الباب، فما كان من صواب فمن الله وحده وبفضله وتوفيقه، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان، وقد بذلتُ في هذا المختصر ما قدرتُ عليه من الوُسْعِ والطاقة؛ لأَسْتفيد منه وأُفيد به، ومن سد خَللاً ـ بقولٍ أو رسالة ـ ألبسه الله حُللا في دار الكرامة، والله أسأل: أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل عملي هذا وغيره خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع بي وبكتابتيَ الإسلام والمسلمين، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وآله وصحابته والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وكان الفراغ من المراجعه النهائية لهذا المختصر

العاشرة والنصف صباحًا (٤/ ربيع ثاني/ ١٤٤٣هـ)

بمكتبة دار الحديث بمعبر ـ حرسها الله والقائمين عليها من كل سوء ومكروه ـ

والحمد لله رب العالمين.



الفهارس









